

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي



الرقم التسلسلي :.....
رقم التسجيل : DL/13/10

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي
تخصص : أدب عربي

العنوان

الأمثال الشعبية الجزائرية بين التأثير والتأثير
- دراسة تناسية دلالية -

إعداد الطالب
لخضر حليتي

تاريخ المناقشة : 04 فيفري 2016
أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة :

أ.د/ الطيب بودربالة	أستاذ ت ع	جامعة الحاج لخضر- باتنة	رئيسا
أ.د/ فتحي بوخالفة	أستاذ ت ع	جامعة محمد بوضياف- المسيلة	مشرفا ومقررا
د/ عمار بن لقريشي	أستاذ محاضر(أ)	جامعة محمد بوضياف- المسيلة	ممتحنا
د/ عبد الرحمان بن يطو	أستاذ محاضر(أ)	جامعة محمد بوضياف- المسيلة	ممتحنا
د/ صبيرة قاسي	أستاذ محاضر(أ)	جامعة البويرة	ممتحنا
د/ راوية يحيوي	أستاذ محاضر(أ)	جامعة تيزي وزو	ممتحنا

السنة الجامعية: 2016/2015

مقدمة

مقدمة

لقد اطلعت على الكثير من الأمثال الشعبية الجزائرية أثناء تحضير مذكرتي الماجستير، الموسومة ب: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية. وهذا ما لفت انتباهي إلى تأثير الكثير من الأمثال الشعبية بالموروث الثقافي العربي الإسلامي، كما لاحظت تأثيرها في الكثير من مجالات الحياة: النفسية والاجتماعية والأدبية... بفضل تداولها في مختلف الأوساط؛ مما شوقني إلى أن يكون موضوع بحثي في أطروحة الدكتوراه، في مجال تأثير الأمثال وتأثيرها. وبخاصة أن الأمثال وظفتها الكتب الدينية- بتصوير المعنوي بالمحسوس- بقصد الإقناع والإفهام والتوضيح والاعتبار والترغيب والترهيب وغيرها. كما أن كل المجتمعات الإنسانية اعتمدت الأمثال لتثبيت تجاربها وحكمها، ولخصتها في هذه الكلمات الوجيزة، التي اعتنت بشكلها فجعلته في قالب موسيقي جميل، لذّ للسامعين فحفظوه، وردّوه لما فيه من متعة وفائدة.

ومن هذا المنطلق كان عنوان أطروحتي:

الأمثال الشعبية الجزائرية بين التأثير والتأثير - دراسة تناسية دلالية.

والأمثال الشعبية الجزائرية لم تأت من فراغ؛ لأن الشعب الجزائري تكوّن من اختلاط الكثير من الأجناس التي وفدت عليه، للعيش أو التجارة، أو قصد الغزو والسيطرة عليه والاستيلاء على خيرات بلاده، فطابت الحياة لهذه الأجناس في الجزائر فاستوطنوها، وامتزجوا بأهلها، ونجم عن ذلك، شعب له عقلية وشخصية وخصال تميّزه عن غيره.

ومن الأجناس الذين احتك بهم الشعب الجزائري - قديما - الفينيقيون والرومان من الشمال، وبقدر ما تركوا بصماتهم الثقافية - مادية كانت أو معنوية - بقدر ما ذابوا في الشعب الجزائري، وصاروا جزءا من مكوناته، أو طردوا إلى بلدانهم التي أتوا منها. ومن الشرق جاء الفتح الإسلامي وما رافقه من قبائل عربية، فاعتنق الشعب الجزائري الدين الإسلامي الموحد، وتمسكوا بعقيدته السمحاء، وتصاهروا وامتزجوا بحاملي لواء هذا الدين، وتعلموا لغته التي هيمنت مع مرور الأيام على الحياة العامة، وانصهرت جميع الثقافات في بوتقة الثقافة الجديدة الوافدة.

وفي ظل هذا الحراك الثقافي تكونت الأمثال الشعبية الجزائرية. فما مدى تأثيرها بالمروروث الثقافي العربي الإسلامي؟ وما مدى تأثيرها في مختلف مجالات الحياة؟ هذا ما سوف أقاربه من خلال الدراسة التناسية الدلالية في هذه الأطروحة.

لقد تناول بعض الدارسين موضوع الأمثال بكيفيات مختلفة؛ فمنهم من جمع، ومنهم من شرح حسب مجالات الحياة الاجتماعية، ومنهم من تطرق إلى أساليب الأمثال وأهدافها؛ فكتاب محمد بن أبي شنب: أمثال الجزائر والمغرب، فيه عدد كبير من الأمثال، غير أنه اقتصر على شرح المعنى بالفرنسية، مع الإشارة إلى ما يماثله من صيغ أخرى، وكذلك الحال مع كتاب، رابح خدوسي: موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية. أما كتاب الأمثال الشعبية الجزائرية لقادة بوتارن، وكتاب أمثال جزائرية لعبد الحميد بن هودقة، فعبارة عن مجموعة من الأمثال قسمت حسب المعاني إلى مجالات، وتم شرحها بإيجاز. أما أهم كتابين تناولوا الأمثال الشعبية الجزائرية بالدراسة البنيوية فهما كتاب: الألغاز الشعبية الجزائرية، وكتاب الأمثال الشعبية الجزائرية لعبد المالك مرتاض. أما ما وقع في يدي من كتب أجنبية فأهمها كتاب:

Jean-Loup Chiflet (99 Proverbes à foutre à la Poubelle).

وكتاب: Charlotte SCHAPIRA (Les stéréotypes en français proverbes et autres formules). فالأول لشرح المعاني ونقدها، والثاني لبيان أنواع صيغها وتراكيبها.

وهذه المجموعة، وما يشبهها ككتاب عز الدين جلاوي: الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف. وكتاب جعكور مسعود: حكم وأمثال شعبية جزائرية. لم تتطرق بكيفية كافية - إلى تأثير الأمثال وتأثيرها في مختلف مناحي الحياة. فجاء هذا البحث ليكمل ويوحد ما تمّ التطرق إليه.

ومما صعب مهمتي في هذا البحث قلة الدراسات المتخصصة في مجال بحثي، كما أن ما استطعت أن أحصل عليه من كتب الأمثال الشعبية. غير كاف ليعتمد في أطروحة دكتوراه. وعليه لجأت إلى دراسات و كتب في غير اختصاص الأدب الشعبي، وظفتها لخدمة بحثي؛ لأن دراسة الأمثال الشعبية تعدّ -في نظري- امتدادا لدراسة الأجناس الأدبية الفصيحة الأخرى.

ولتحقيق ما أصبو إليه، وهو إبراز التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية الجزائرية، ارتأيت أن تكون خطة البحث منطلقاً من ألفاظ عنوان الأطروحة نفسها، فصممت على أربعة فصول تسبقها مقدمة، وتُعقبها خاتمة. وكل فصل يبدأ بتمهيد، وينتهي بخلاصة. وهي كالتالي:

الفصل الأول: تعريف المثل. وجعلته ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: المثل في التراث العربي، وفيه تطرقت إلى معنى التراث، ثم معنى المثل عند أهل اللغة وأهل البيان، وعرجت إلى مضربه ومورده، والفرق بينه وبين الحكمة، ثم تحدثت عن أنواع المثل، وذكرت كتب الأمثال القديمة المطبوعة.

المبحث الثاني: المثل في النصوص الدينية. وبدأت بالمثل في القرآن الكريم، أنواعه وبلاغته، مع التمثيل لذلك بالمثل الموجز السائر في القرآن الكريم، ثم المثل القياسي، وما يسمى بالأمثال الكامنة. انتقلت إلى أمثال الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنواعها وبلاغتها. فذكرت الأمثال الموجزة، والأمثال المفصلة. ثم تطرقت إلى المثل في الإنجيل، وأعطيت نماذج من إنجيل: مرقس، وإنجيل: يوقا.

المبحث الثالث: تعريف المثل الشعبي. عرّفته لغة واصطلاحاً، مع التركيز على المثل الموجز السائر ثم تطرقت إلى نشأته، وخصائصه، ومميزاته، وأهميته ودوره، وختمت المبحث بمصنفات كتب الأمثال الشعبية الجزائرية. و أنهيت الفصل بخلاصة.

الفصل الثاني: التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية. وجعلته ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: التأثير والتأثر. وفيه عرّفت التأثير والتأثر في اللغة وفي الاصطلاح، ثم تطرقت إلى بداية العلوم وتطور الحضارات، في ظل التأثير والتأثير، ثم تناولت تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الغربية في بعض المجالات، وكان تركيزي على التأثير في المجال الأدبي، وقدمت نماذج من تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي - قديماً - النموذج الأول: تأثير العربية، وكتاب "طوق الحمامة" لابن حزم، في كتاب: "الحب المحمود" لصاحبه: "خوان رويث".

النموذج الثاني: تأثير قصة حي بن يقظان، لابن طفيل في قصة "النقاد" ل (بلتاسار جراثيان). وفي قصة "روبسون كروز" ل (دانيال ديفو).

انتقلت إلى تأثير الأدب الغربي في الأدب العربي، وكنموذج لذلك ذكرت تأثر (المازني) في قصيدته: "فتى في سياق الموت"، بمقطوعة: (توماس هود الإنجليزي)، "سرير الموت".

المبحث الثاني: التأثير والتأثير في الأمثال الشعبية. بدأت بهيمنة اللغة العربية على مختلف مجالات الحياة الإسبانية في القرون الوسطى، ثم تأثر الأمثال الإسبانية بالأمثال العربية. بعدها أعطيت نماذج من التشابه الموجود بين أمثال عربية وأخرى إنجليزية، ثم بين أمثال عربية وأمثال فرنسية، كان ذلك للاستدلال.

المبحث الثالث: تناسل الأمثال الشعبية الجزائرية مع القرآن و الموروث الثقافي العربي الإسلامي. بدأت بتعريف النص، و التناسل، أعقبته بفكرة التناسل عند النقاد العرب القدماء ثم التناسل في النظرية النقدية الحديثة، و تحدثت عن موقع التناسل وأهميته. ودعّمت ما سبق بدراسة تناسلية تطبيقية بحثت فيها عن مكنن التناسل بين الأمثال الشعبية والقرآن الكريم، ثم بينها وبين الحديث النبوي الشريف، ثم تناسلها مع الشعر والأمثال العربيين. وختمت الفصل بخلاصة.

الفصل الثالث: تأثير الأمثال الشعبية في مجالات الحياة. وجعلته ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: تأثير الأمثال في المجال الأدبي. وفيه تطرقت إلى دلالات لفظة: أدب، ثم تأثر الشعر بالأمثال، وتأثير الأمثال في الخطابة والترسل، ثم تأثير الأمثال في الروايات موضحا ذلك بنماذج من روايات عبد الحميد بن هدوقة، والطاهر وطار، من الجزائر. وروايات نجيب محفوظ من مصر.

المبحث الثاني: تأثير الأمثال الشعبية في المجال النفسي. وفيه بينت أثر الثقافة في سمات الشخصية، وتطرقت إلى مظاهر المكونات النفسية، وشرحت بعض الأمثلة الدالة على الآليات الدفاعية النفسية كالكبت و التبرير، والإسقاط، والتعويض النفسي، التقمص، وإلقاء اللوم على الآخرين وغيرها، وأشارت إلى بعض الاتجاهات والقيم من خلال الأمثال، كالاتجاه الديني، والوفاء والصدق.

المبحث الثالث: تأثير الأمثال في المجال الاجتماعي. وفيه شرحت معنى الإنسان مخلوق اجتماعي، ومعنى الأخلاق في التراث العربي، وتناولت توجيهات الأمثال بخصوص التنفير من بعض السلوكات كاستعمال اللسان فيما يضر، كالغيبة، والنميمة. و تحبيب بعض

الصفات كحسن الضيافة، والتعاون، والعمل، و تنظيم بعض العلاقات كالمعاملة بالمثل والمصاهرة وما يتصل بها من صفات الرجل والمرأة.

الفصل الرابع: دراسة أسلوبية دلالية على المثل الشعبي. وقد جعلته ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: الأسلوب والأسلوبية. وفيه عرفت الأسلوب والأسلوبية، وعرّجت على أسلوب المثل الشعبي، حيث تناولت ألفاظه، ومستواه البنيوي والدلالي، ثم دراسة البنية التي يتألف منها المثل، وتركيبه، وأنواع جملة، ثم تحليل بنية المثل في التركيب الثنائي.

المبحث الثاني: أسلوب المثل الإنشائي. شرحت نماذج من أمثال جاءت بأسلوب النداء وأخرى جاءت بأسلوب الأمر، وثالثة جاءت بأسلوب النهي، ورابعة أتت بأسلوب الاستفهام حيث خرج الأسلوب الطلب من دلالاته الاستعلانية الإلزامية، إلى دلالات مجازية أخرى أهمها الإرشاد والتوجيه.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية على بنية المثل. تناولت فيه التقنية البنائية، كظاهرة التكرار في الأمثال، ومن خلالها تطرقت إلى مصطلحات الدراسة الصوتية التي وظفتها في دراسة بعض الأمثال صوتيا وداليا مبرزاً أهمية الإيقاع الصوتي، التكرار، التشاكل الإيقاعي والدلالي، وأخيراً حلّلت بعض الأمثال بنيويا صوتيا دلاليا. وختمت الفصل بخلاصة.

وبهذه الهيكلية رتبت فصول هذه الأطروحة ترتيباً منطقياً حيث جعلتها متضافرة فيما بينها. فما دام الحديث عن الأمثال فلا بد أن يكون الفصل الأول متعلقاً بتعريفها، أما الفصل الثاني فلا يناسبه إلا الحديث عن خلفيتها الثقافية أي تأثيرها بما سبقها من ثقافات، وبعد أن تكونت وفشت واشتد عودها، فهنا يبدأ تأثيرها في المجالات المختلفة في البيئة التي تتحرك فيها. ولا شك أن الذي يلاحظ تمسك الناس بها، وتوظيفها في حديثهم العادي وفي خطابهم الأدبي، لا شك أنه يبحث عن السر في ذلك، فيكون الجواب شكلها ومضمونها.

أنهيت البحث بخاتمة دوّنت فيها بعض النتائج التي استخلصتها من خلال البحث ولا غرو أن تتعدد المناهج في تناول هذه المضامين غير أن طبيعة البحث وجهتي إلى اعتماد المنهج الوصفي التحليلي.

فالوصف مناسب الفصل الأول والثاني لما فيهما من رصد لآراء بعض دارسي الأمثال العربية، و الشعبية، وما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، أما التحليل فناسب الفصل الثالث والرابع لما فيهما من شرح وتحليل لبنى الأمثال ومضمونها. ولازم هذه الدراسة

تدخل المنهج المقارن في دراسة التشابهات بين نصوص أدبية، والدراسة التتافية بين الأمثال والموروث الثقافي العربي الإسلامي، كما أن المنهج الإحصائي وجد مكانه في الدراسة البنيوية وتكرار الأصوات وغيرها.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة فهي قلة المراجع المتنوعة، وعدم قدرتي على الحصول على مراجع أجنبية، وبخاصة الحديثة منها، كما أن الوزارة الوصية لم تمنح فرصا للطلبة -غير الموظفين- في التكوين الخارجي قصير المدى. وعليه فمجهودنا انصب في أغلبه على ما يُمكن الوصول إليه في داخل الوطن.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أقدم جزيل شكري وامتناني إلى الأستاذ الدكتور فتحي بوخلفة على رحابة صدره، و تواضعه الطبيعي غير المتكلف. الذي خبرته فيه منذ إشرافه علي أثناء تحضيرى مذكرة الماجستير، كما أشكره على الملاحظات الجادة، والتوجيهات القيّمة، والحرص الدائم على الدفع بي إلى الإسراع في إنجاز البحث.

الفصل الأول

تعريف المثل

تمهيد

- المثل في التراث العربي
 - المثل في النصوص الدينية
 - تعريف المثل الشعبي
- خلاصة

تعريف المثل

تمهيد:

إن الاهتمام بالموروثات الشعبية قد لاقى رواجاً كبيراً في النصف الثاني من القرن العشرين، وبخاصة لدى الشعوب التي خرجت من رقة الاستعمار؛ وهذا لأن هذه الموروثات تعد أحد مقوماتها القومية، التي حاول الاستعمار بشتى أشكاله أن يمحوها، كما فعل الاحتلال الفرنسي في الجزائر. « وقد كان الغازي الأجنبي حريصاً على ضمان بناء نفسه، يهدف في إستراتيجيته إلى تفكيك الآخر، وإلى المحو التام للكيان الجزائري: محو اللغة، والتاريخ والعادات والتقاليد، وكل الرموز الوطنية؛ فحارب مراكز الإشعاع، ومصادر الثقافة الأصلية: المساجد والزوايا »⁽¹⁾. وهذا مايسهل بقاءه جاثماً على الشعب الجزائري المحتل.

ويرى خالد عيقون «أن إحياء التراث الشعبي، هو إحياء للأمة بعد أن طُمس عن عمد وعن قصد في بعض أدوار التاريخ، وعن جهل وازدراء بقيمته في أدوار أخرى، من خلال الحكم عليه من منظور فكري متعسف؛ بإحالته إلى شبه وثن، لا قيمة له، ولا علاقة له بحاضر الأمة ومستقبلها»⁽²⁾.

يُعد التراث الشعبي - بالنسبة إلى أي مجتمع - بمثابة الذاكرة بالنسبة للإنسان، ولو قدر لأحد أن يفقد ذاكرته، فإنه سيفقد حتماً شعوره بهويته، في الماضي والحاضر، وسيجد نفسه مجرداً من أي خبرة تلقاها من تجارب الأمس. وكما أن الذاكرة تمكن الإنسان من استرجاع ما هو بحاجة إليه من الذكريات؛ فإن التراث يسمح للمجتمع بأن يستفيد مما هو بحاجة إليه من رصيده التاريخي.

لكن ما المقصود بالتراث الشعبي؟

(1) - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1983، ص 58.

(2) - خالد عيقون، تماثلات الأشكال والمفاهيم في الأدب الجزائري، منشورات المجلس الأعلى للتربية (مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية) الجزائر،

2005م ص 230.

أولاً: المثل في التراث العربي:

التراث: لغة:

جاء في لسان العرب: كلمة التراث: تعني الإرث؛ وهي كلمة مأخوذة في الأصل من "ورث" وفي ذلك قال الجوهري: الميراث: أصله مِوَرَاثٌ، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها. والتراث: أصل التاء فيه واو.

ويقول ابن سيده: الوَرث والإرث والتراث، والميراث: ما وُِرِث، وقيل: الورث و الميراث في المال. والإرث في الحساب.

ويقول ابن الأعرابي: الورث، و الوَرث و الإرث و الوراث و التراث واحد. ويقال: أرثه ورثاً إذا مات مورثك، فصار ميراثه لك⁽¹⁾.

وقد ورد لفظ "التراث" في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمَّا﴾⁽²⁾. أي الميراث ﴿أَكْلًا لَّمَّا﴾ شديداً؛ وهو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره؛ وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم. قال ابن زيد: الأكل اللِّمّ: الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام؟ ويأكل الذي له، و لغيره، يقال: لمت ما على الخوان إذا أتيت ما عليه فأكلته⁽³⁾.

وخلاصة القول: إن الميراث أو الإرث يطلق لغة، في معنيين:

أولهما: البقاء. قال تعالى: ﴿و زكريّا إذ نادى ربه ربّ لا تدنني فرداً وأنت خير الوارثين﴾⁽⁴⁾. قال البغوي عند تفسيره هذه الآية: «ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق، وأنه أفضل من بقي حيّاً»⁽⁵⁾.

(1) -ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر بيروت، لبنان، 1410 هـ 1990 م، الجزء 2، ص-ص 200-201.

(2) -القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الفجر، آية 19.

(3) - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي "معالم التنزيل" حققه وخرّج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1412 هـ، المجلد 8، ص422.

(4) -سورة الأنبياء، آية 89.

(5) -البغوي، المصدر نفسه، المجلد 5، ص352.

ثانيهما: انتقال الشيء من أناس إلى أناس آخرين، سواء أكان هذا الشيء الذي انتقل من شخص إلى شخص آخر، شيئا ماديا كما في أكل التراث. أم أمرا معنويا كما جاء في الحديث النبوي: «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يُورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم؛ فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»⁽¹⁾. فيقال ورث فلان المال، أو ورث بعض القيم: كالمجد، الأخلاق، العلم..

التراث في الاصطلاح الأدبي:

إذا ما المقصود بالتراث الشعبي؟ لا شك أنه لا يمكن صرف المقصود هنا إلى المسائل المادية المالية؛ لأنه يعني وبوضوح وراثته المبادئ والعقائد والقيم، المبتوثة في أشكال من الإنتاج القولي الذي يطلق عليه: التراث الشعبي الثقافي، وهو يشمل الكثير من المواضيع التراثية منها الشعر الشعبي، والحكايات والأساطير، والخرافات، والأمثال والألغاز والنوادر... وهي موروثات شفوية انتقلت إلينا جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية؛ لانعدام الكتابة في الماضي؛ مما أضاع الكثير منها.

يقول محمد المرزوقي: «.. فالآداب الشعبية لعراقتها تحفظ لنا ذخيرة وافية نستطيع بدراستها أن نعرف الحياة الذهنية والروحية لأسلافنا الأقدمين، وكذلك نستطيع بواسطتها أن نضبط التاريخ الاجتماعي لهذه المراحل الأولى من المجتمع البشري»⁽²⁾.

والمأثورات الشعبية يخدم بعضها بعضا، فكثيرا ما تتضمن القصص والحكايات أمثالا شعبية، وكثيرا ما تحتوي القصائد الشعرية- أيضا- على حكم و أمثال، وكثيرا ما يقال المثل ويُفسر بقصة أو حادثة. ولعل المتتبع لبعض هذه القصص يُدهشه ما تضمنته من قيم إنسانية، تعمل المجتمعات على ترسيخها في وجدان الناشئة؛ لأن التراث الشعبي الشفوي يمثل المستوى الأول في الثقافة الوطنية، يتلقاه الطفل مباشرة في مدرسته الأولى: الأسرة. والأنموذج الآتي يؤكد ذلك.

تقول حكاية شعبية:

(1) - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤدة، الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، د/ط، دار عمران، بيروت، د/ت، ج5، ص 49.

(2) - محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967م، ص13.

ورث ابن من أبيه ثروة؛ ولكنه فقدها بعد فترة من الزمن، ولم يعد يملك منها سوى ثلاثمائة دينار، فأخذ ما تبقى معه من النقود وخرج للبحث عن عمل، وفي الطريق قابل رجلا يبيع كلمات حكيمية؛ فطلب منه الابن أن يبيعه بعض حكمه في مقابل الثلاثمائة دينار؛ فباعه الرجل الحكم، وهي: «حبيبك اللي اتحبو ولو كان دب»، «ساعة الحظ ما تتعوضش»، «اللي آمنك لا تخونو ولو كان خائن»، وأخذ الابن الكلمات الحكيمية بعد أن دفع للرجل أجرها. وصار لا يملك شيئا.

ولما أظلم الكون جلس الشاب بجوار دكان وراح في النوم، وفجأة رأى شخصا غريبا أمامه، يسأله سؤالا غريبا، يقول له: أتحب البيضاء أم السوداء؟ واحتار الشاب في الإجابة و لكنه سرعان ما تذكر الكلمات التي اشتراها، فأجابه قائلا: "حبيبك اللي اتحبو ولو كان دب". عند ذلك اختفى الشخص الغريب. وفي الصباح جاء صاحب الدكان ليفتح دكانه، فسأله الشاب عما إذا كان من الممكن أن يجد عنده عملا؛ فأخذه الرجل ليعمل عنده، ولما توسم فيه الإخلاص والأمانة، تركه يرعى شؤون تجارته، وشؤون بيته ريثما يحضر من سفره. فكان الشاب يذهب كل يوم إلى زوجة الرجل يسألها عن احتياجاتها؛ ليقضيها لها، وبعد وقت أحببت المرأة الشاب، وحاولت أن تراوده عن نفسه؛ ولكن الشاب تذكر الكلمات التي اشتراها بماله، وقال في نفسه: "اللي آمنك لا تخونه ولو كان خائن". ولهذا فقد رفض طلبها ورحل إلى حاله، ولم يعد بعد ذلك يتردد على بيت سيده.

ولكن الزوجة خشيت أن يكشف الشاب عن فعلها لزوجها عندما يحضر؛ ولهذا أسرع إلى زوجها بعد وصوله، وأخبرته بأن الشاب الذي وثق فيه، وسلّمه تجارته، ووكّل إليه أن يرعى شؤون بيته، ليس جديرا بهذه الثقة؛ لأنه شاء أن يراودها عن نفسها؛ فغضب الرجل وشاء أن ينتقم من الشاب. ولهذا فقد أمر الشاب أن يرحل إلى جماعة من الأعراب، وسلّمه رسالة إليهم، بعد أن كتب فيها: (أحضروا الأمانة) وكانت هذه هي كلمة السر التي يفهم منها الأعراب، أن يقطعوا رأس من يرسله الرجل إليهم.

أخذ الشاب الرسالة ورحل إليهم، وفي أثناء الطريق صادف حفل زواج؛ فقال في نفسه: لقد اشتريت الكلمات بمالك، فيجب أن تعمل بها جميعا، وكان يعني بذلك أن يستفيد

من الحكمة الثالثة التي تقول: "ساعة الحظ ما تتعوضش". وعند ذلك دخل البيت الذي أقيم فيه الحفل، وأخذ يأكل ويشرب مع المدعوين، وبات هناك ليلتين.

ولمّا تأخر الأعراب في إرسال الأمانة إلى التاجر، أرسل إليهم رسولا آخر، برسالة يقول لهم فيها: " أين الأمانة؟" فلمّا وصل هذا الرسول بالرسالة، قطع الأعراب رأسه، وبعد وقت وصل إليهم الشاب بالرسالة الأولى؛ فسلمه الأعراب الرأس المقطوعة؛ فأخذها ورحل إلى سيده، وفوجئ الرجل التاجر بأن الشاب يعود إليه سالما وأنه يحمل معه رأس الرسول الثاني، الذي أرسله في أثره؛ عند ذلك أدرك التاجر أن هذا الشاب لا بدّ أن يكون بريئا؛ فطلب منه أن يصارحه بما فعله مع زوجته؛ فحكى له الشاب الحقيقة؛ فقتل الرجل امرأته، وأبقى على الشاب معه في عمله، وزوّجه ابنته⁽¹⁾.

هذه الحكاية المحكمة البناء، صاغها الخيال الشعبي على هذا النحو، ليؤكد بها وظيفة أساسية، هي الكشف عن القيم الأخلاقية الإيجابية، والسلبية السائدة في المجتمع الشعبي الجزائري. إلى جانب تأكيد القيم الروحية المكونة للعقيدة الشعبية، من خلال ما تدل عليه الأقوال الحكيمة الثلاثة الواردة في الحكاية وهي:

-حبيبك اللي اتحبو ولو كان دب.

-ساعة الحظ ما تتعوضش.

-اللي آمنك لا تخونو ولو كان خاين.

فالحكاية شرحت الأمثال، و بينت صدقها من خلال التجربة. والقيم التي جاءت بها الحكاية، لُخصت في مضمون المثل.

ومادام المثل هو ملخص تجربة، قام بها فرد، ثم تكررت مع أفراد آخرين، حتى صارت حكمة، فشت وانتشرت بين الناس، فعدّت مثلا سائرا. فإن بحثنا هذا يركز على المثل -الذي يُعدّ أحد أشكال التعبير في الأدب الشعبي- من ناحية تعريفه، وأهميته. فما المثل؟

⁽¹⁾ -ينظر مصطفى أوشاطر، القيم الأخلاقية وآداب السلوك الاجتماعي، من خلال الحكاية الشعبية في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للتربية (مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية) الجزائر، 2005م ص-ص، 299-300.

الاهتمام بالمثل:

تبدو الأمثال الشعبية كأحد عناصر التعبير الشعبي المنتشرة بين طبقات المجتمع، ويظهر أثرها في لغة التواصل العادية بين الأفراد، كما نجد لها ماثلة في مختلف النتاجات الأدبية، من شعر وقصة وخطابة وغيرها. وهي شائعة عند جميع الأمم، قديمها وحديثها، وقد زاد الاهتمام بها منذ أوائل القرن العشرين؛ فأصبحت تدرّس في الجامعات، كما تتخذ موضوعا من موضوعات الدراسات النفسية والاجتماعية للشعوب. على غرار ما قام به ضباط الاستعمار الفرنسي للجزائر. « كانت الثقافة الشعبية هي الرصيد المعتمد في الاستكشاف العلمي للمجتمع الجزائري، فوظفت نتائج دراستها في خدمة الاحتلال، منذ البداية، وقام ضباط عسكريون بتسجيلها من أفواه أهلها، وتحليلها ودراستها عن طريق أكثر المناهج استجابة للغرض النفعي المقصود من طرف الإدارة الاستعمارية، وهو إحكام السيطرة على الأهالي»⁽¹⁾. فنص بورايو يبين أثر الثقافة الشعبية في اكتشاف نفسية الشعب الجزائري. يرى حسين عبد الحميد أحمد رشوان « أن الأمثال تسجيل قولي كلامي في جمل قصيرة لما مر بالإنسان من أحداث، استخلص منها مآثر ومواعظ؛ فأبى الشعب أن يهمل أو ينسى هذه الأحداث؛ فسجلها في هذه الكلمات التي يتناقلها الناس بالرواية الشفوية جيلا بعد جيل، وعصرا بعد عصر؛ مما جعل الأمثال تأخذ جانبا خاصا من ألوان فن القول، وهي تؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على الأمور وعلى السلوك الإنساني»⁽²⁾. يظهر من قول هذا الكاتب تأثره بالأمثال، واعتقاده بأهميتها في الحياة الاجتماعية و الخلقية؛ غير أن الأديب الفرنسي: الفريد دو موسي، Alfred de Musset يرى عكس ذلك، فهو يقول: « أنا لا أحب الأمثال كثيرا لأنها سروج تليق بكل الخيول، فلا يوجد مثل دون نقيض، ومهما كان سلوكنا، يوجد مثل يمكن الاعتماد عليه، فهي تبرر السلوك الإيجابي والسلبي»⁽³⁾ فالكاتب يعتبرها صالحة لكل المواقف والمقامات؛ لأنها لا تحمل القيم الإيجابية فقط؛ ولذلك فكل سلوك يمكن أن نجد له تبريرا في الأمثال، ولهذا فهو لا يحبها.

(1) - بورايو عبد الحميد، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص8.

(2) - رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1993، ص41.

(3) - Jean-Loup Chiflet, 99 Proverbes à Foutre à la poubelle, éditions points, Paris, 2012, p 9.

تعتبر الأمثال الشعبية عن سلوكيات المجتمع في مختلف المواقف، وقيم المجتمع متناقضة، وكل فرد أو جماعة لها قيمها التي تعبر عنها أمثالها؛ وبالتالي لا نحكم على المثل بالسلب أو الإيجاب، كما يرى "التلي بن الشيخ": « فالسلب والإيجاب حالات تلازم الموقف، والموقف رفض أو قبول لقضية؛ بينما المثل وصف لحالات سلوكية، لا يلزم فيه اتخاذ موقف»⁽¹⁾.

لكن ما الذي أعطاها هذه الميزة، ميزة الحفظ والانتشار؟ هل هو ما تحمله من قيم ودلالات، أو هو أسلوبها الذي ساعد على تداولها الشفوي المؤثر على الإنتاج الأدبي الكتابي؟ أو هما معا؟

تعريف المثل العربي:

أ- في اللغة:

لتحديد مفهوم المثل لا بد من العودة إلى كتب اللغة التي اهتمت بمادة: (م، ث، ل). ف. مثل - بكسر الميم - كلمة تسوية، يقال: هذا مثله، ومثله - بالفتح - شبهه وشبهه بمعنى؛ قال ابن بري: « الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس، والمتفقين؛ لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص. و أما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين تقول: نحوه كنحوه، وفقهه كفقعه، وكونه ككونه؛ فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق، فمعناه أنه يسد مسدّه، وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة»⁽²⁾.

والمثل: الحديث نفسه. وقوله عز وجل ﴿... وله المثل الأعلى...﴾⁽³⁾. جاء في التفسير، «أنه الأجمل والأحسن، وأنه قول لا إله إلا الله، وتأويله أن الله أمر بالتوحيد و نفى كل إله سواه، وهي الأمثال»⁽⁴⁾

والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله. « وفي الصحاح: ما يضرب به من الأمثال، قال الجوهري: ومثل الشيء أيضا صفته. قال ابن سيده: وقوله عز من

(1) - بن الشيخ التلي، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص180.

(2) - ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص610.

(3) - سورة النحل، آية 60.

(4) - التحي، أبو يحيى محمد بن صمداح، مختصر الطبري، ط1، القاهرة، مكتبة الصفاء، دار البيان الحديث، 2006، ص273.

قائل ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون...﴾⁽¹⁾. قال الليث: مثلها هو الخبر عنها. وقال أبو إسحاق: معناها صفة الجنة⁽²⁾. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿.. ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل..﴾⁽³⁾. أي صفتهم.

وقد يأتي لفظ المثل بمعنى الحال، كقوله تعالى: ﴿.. مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم..﴾⁽⁴⁾. والفرق بين الحال والصفة أن الحال متغيرة، والصفة ثابتة أو شبه ثابتة.

وقد يكون بمعنى العبرة كقوله تعالى: ﴿فجعلناهم سلفا و مثلا للآخرين﴾⁽⁵⁾. والمثال المقدار، وهو من الشبه والمثل: ما جعل مثالا أي مقدارا لغيره، يُحذى عليه، والجمع: المثل، والمثال القالب الذي يقدر على مثله.

تماثل العليل: قارب البرء فصار أشبه بالصحيح. وقيل: «لأن قولهم تماثل المريض، من المثل والانتصاب كأنه همّ بالنهوض والانتصاب. والمثلة نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثالا يرتدع به، وذلك كالنكال. وجمعه مثلات»⁽⁶⁾. قال تعالى: ﴿.. وقد خلت من قبلهم المثلات﴾⁽⁷⁾.

والمثل من الناس، هو الأفضل؛ لأن معناه الأشبه بالأفضل والأقرب إلى الخير، أمثال القوم خيارهم، قال تعالى: ﴿.. إذ يقول أمثلهم طريقة..﴾⁽⁸⁾ وتأنيثه المثلَى. وقد أورد اليوسي: «.. أن المماثلة هي المساواة من كل وجه، والمشابهة في أكثر الوجوه. و المناظرة هي المساواة من كل في شيء من الوجوه، ولو في واحد؛ فيكون كل

(1) — سورة الرعد، آية 35.

(2) — ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 611.

(3) — سورة الفتح، آية 29.

(4) — سورة البقرة، آية 17.

(5) — سورة الزحرف، آية 56.

(6) — ابن منظور، مصدر سبق ذكره، الجزء و الصفحة نفسها.

(7) — سورة الرعد، آية 6.

(8) — سورة طه، آية 104.

واحد من هذه الألفاظ الثلاثة أعم مما قبله. و كل ذلك مخالف لما في متون اللغة من تفسير المثل بالشبه...»⁽¹⁾.

والتمثال: الصورة، والجمع التماثيل، ومثّل له الشيء: صورته، حتى كأنه ينظر إليه. ويقال: امتثلت مثال فلان: احتذيت حذوه وسلكت طريقه.

ومثّل الشيء يمثّل مثلاً: قام منتصباً، ومثّل بين يديه قام منتصباً. وفي الحديث: «من أحب أن يمثّل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»⁽²⁾.

والمثل: عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر، بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر، وبصورته. على نحو قولهم: الصيف ضيعت اللبن؛ فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك.

وجميع المعاني التي ذكرتها للمثل بتصاريفه المختلفة تُرد إلى معاني المشابهة على نحو ما. وعلى هذا ضرب الله تعالى من الأمثال فقال: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾⁽³⁾.

ب- المثل في الاصطلاح الأدبي:

المثل: هو ذلك الفن من الكلام الذي يتميز بخصائص ومقومات تجعله جنساً من الأجناس الأدبية، قائماً بذاته، وقسيماً للشعر والقصة والمقالة والخطابة والرسالة والمقامة... وقد عني علماء البلاغة واللغة منذ زمن مبكر بتعريف (المثل) الأدبي وتحديد خصائصه، فقد جاء في مجمع الأمثال للميداني: قال المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه... ، فقولهم مثّل بين يديه إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة. و فلان أمثل من فلان أي أشبه بما له الفضل. فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول. قال كعب بن زهير⁽⁴⁾ :

كانت مواعيد عرقوبٍ لها مثلاً --- وما مواعيدُها إلاّ الأباطيلُ.

(1) - اليوسي الحسن، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ط1، حققه محمد حجي و محمد الأخضر، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1981، ص20.

(2) - أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، د/ت، ج4، ص358.

(3) - سورة الحشر، آية 21.

(4) - كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، تحقيق درويش الجودي، ط1، لبنان: صيدا، بيروت، 2008، ص125.

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد.

وقال ابن السكيت: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ .

وقال غيرهما: سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في

العقول، مشتقة من المثل الذي هو الانتصاب.

وقال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز

اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية؛ فهو نهاية البلاغة. قال ابن المقفع:

إذا جُعِلَ الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، و أنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث⁽¹⁾.

كما أن ابن المقفع، أطلق على حكايات قليلة ودمنة اسم (أمثال) فجاء في عرض

الكتاب: « وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا ألا تكون غايته التصفح لتزويقه، بل يشرف على

ما يتضمن من الأمثال حتى يأتي إليه إلى آخره، ويقف على كل مثل وكلمة.. »⁽²⁾.

وتكرر في متن الكتاب لفظة (مثل) بهذا المدلول القصصي، الذي يشير إلى مصطلح

سردي مرتبط بالحكاية الرمزية. ومعنى ضرب المثل في مثل هذه الحال: سرد القصة،

والإتيان بها: « قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف، وهو رأس الفلاسفة: اضرب لي مثلاً

لمتحابين يقطع بينهما الكذب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء »⁽³⁾.

أما أبو هلال العسكري فيقول: « والأمثال أيضا نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقدر

على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه وبالغ في إتقانه حتى أتقنه، وليس من

حفظ صدرا من الغريب... قادرا على أن يقوم بشرح الأمثال والإبانة عن معانيها... وإنما

يحتاج الرجل في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها، والإحاطة بأحاديثها،

ويكمل لذلك من اجتهد في الرواية، وتقدم في الدراية »⁽⁴⁾.

أما السيوطي، فيرى أن: « المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها،

فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير

(1) - الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، ط2 منقحة، منشورات دار مكتبة الحياة، د/ت بيروت، ج1، ص-ص13-14.

(2) -بيدبا الفيلسوف الهندي، كلية ودمنة، تعريب ابن المقفع، دار البرهان، القاهرة، 2005م، ص37.

(3) -المصدر السابق نفسه، ص48.

(4) -أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، و عبد المجيد قطامش، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2003م، ج1، ص-ص14-15.

تغيير يلحق في لفظها، وعمّا يوجبها الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عنها»⁽¹⁾.

ويعرفه عبد المجيد قطامش بقوله: «والمثل قول موجز سائر، صائب المعنى، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة»⁽²⁾.

وحالة التشبيه يضمنها غيره في العبارة التالية:

« هو قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي مثله لأجله، بأن يشبه مضربه بمورده »⁽³⁾.

أما أحمد الهاشمي فله رأي آخر خالف به من ذكرت سابقاً؛ حيث فصله كما يلي:
المثل عبارة عن تأليف لا حقيقة له في الظاهر، وقد ضمن باطنه الحكم الشافية، وهي ثلاثة أقسام: مفترضة ممكنة، ومختزعة مستحيلة، ومختلطة :

1- الأمثال المفترضة الممكنة: هي ما تُسبب فيها النطق والعمل إلى عاقل

2- والمختزعة المستحيلة: ما جاءت على ألسنة الحيوانات والجمادات، فيعزى لها النطق والعمل لإرشاد الإنسان.

3- المختلطة: ما دار فيها الكلام أو العمل بين الناطق وغير الناطق
وشروط المثل أربعة:

الأول: أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليُفْضَى المقصود منه إلى ذهن السامع.
الثاني: أن لا يكون مسهباً مملاً.

الثالث: أن يبهج السامع بطلاوته، ويفكه فكره بهزل كلامه، وابتكار معانيه، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلقة وفض مشكلها.

الرابع: أن يُورَد بصورة محتملة⁽⁴⁾.

(1) - السيوطي، المزهري في علوم الأدب وأنواعه، د/ط، دار إحياء الكتب، د/ت، بيروت، ج1، ص486.

(2) - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، ط1، سوريا: دار الفكر، دمشق، 1988م، ص12.

(3) - محمد بكر إسماعيل، الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية: ط1، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص14.

(4) - أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، طبعة جديدة منقحة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2012م، ج1، ص153.

أما "رابح العوي" فيقول: المثل السائر: «هو قول محكي سائر، أو جملة مقتطعة من كلام، أرسلت لذاتها، وهي تنقل مما وردت فيه إلى ما يحاكيه في معنى من المعاني، أي معنى كان»⁽¹⁾. وهو لم يذكر التشبيه، وذكر المحاكاة وهي في معنى التشبيه.

أما أحمد رشدي صالح فقدم لنا تعاريف غيره: «يعتبر الفولكلوريون المثل واللغز أكمل النماذج على عبقرية الفلاحين وبلاغتهم»⁽²⁾. ويورد تعاريف بعض الدارسين منها:
- قول آرشر تايلور Archer tylor : المثل أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يوحى في غالب الأحيان بعمل، أو يصدر حكما على وضع من الأوضاع.
- قول الأستاذ داهل Dohl : أسلوب المثل أسلوب الجملة القصيرة نسبيا، المنغمة في الغالب المجازية دائما.

- تعريف سوكولوف: بأنه جملة قصيرة، صورها شائعة، تجري سهلة في لغة كل يوم أسلوبها مجازي، وتسود مقاطعها الموسيقى اللفظية⁽³⁾. فهذه التعاريف الثلاثة التي قدمها أحمد رشدي، تركز على الوظيفة والأسلوب.

أما التعريف الذي تراه نبيلة إبراهيم شاملا لخصائص المثل الشعبي وحده، فهو تعريف الأستاذ: "فريدريك زايلر" وذلك في مقدمة كتابه القيم، " علم الأمثال الألمانية " الذي نشره (عام 1922م)، حيث يعرف المثل بقوله: «إنه القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي، وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة»⁽⁴⁾.

أما التلي بن الشيخ، فيورد التعريف التالي: « المثل عبارة عن جملة أو أكثر تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة»⁽⁵⁾.

وهو تعريف اقتصر على المثل المسجوع دون المرسل.

أما معجم روبير الفرنسي فيعرف المثل بقوله: « المثل حكمة مشتركة بين أفراد فئة شعبية، معبر عنها بعبارة موجزة غالبا ما تكون مجازية ذات زخرف»⁽⁶⁾.

(1) - رابح العوي، أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي المختار، عناية، د/ت، ص 41.

(2) - أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، ط1، دار الفكر، 1956م، ج2، ص6.

(3) - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(4) - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م، ص174.

(5) - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص155.

(6) - Le grand Robert, de la langue Française, Dictionnaire le Robert, édition 2, Paris, 2001, Tome 4, p1337.

أما عبد الحميد بن هذوقة، فيلخص التعاريف السابقة في أربعة أشياء:

- 1- أن معظم التعريفات، سواء منها العربية أو الفرنسية، تعتبر المثل والحكمة شيئاً واحداً.
- 2- أن المثل هو تشبيه حال بحال سواء للاعتبار أو لتمثيل السياق.
- 3- أن المثل يقتضي الإيجاز وجمال العبارة.
- 4- أن المثل قول سائر متنقل بين الناس⁽¹⁾.

ويطلق المثل على الحال، والقصة العجيبة الشأن، والصفة الغريبة؛ وإلى هذه المعاني الثلاثة يشير الزمخشري في كشفه، فيقول: « والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مثل. ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتسيير، ولا جديراً بالتداول والقبول، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن ثم حوِّظ عليه وحُمي من التغيير. فإن قلت: ما معنى ﴿مثلهم كممثل الذي استوقد نار...﴾⁽²⁾ وما مثل المنافقين، ومثل الذي استوقد ناراً حتى شبه أحد المثلين بصاحبه؟ قلت: قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة، كأنه قيل: حالهم عجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً⁽³⁾».

ج- المثل عند علماء البيان:

مفهومه أخص من مفهومه في أصل اللغة، فهو عندهم استعارة تمثيلية، شاع استعمالها مذكراً أو مؤنثاً، من غير تغيير في العبارة الواردة⁽⁴⁾. فإذا فشت الاستعارة التمثيلية وشاع استعمالها، وظلت باقية على هيئتها، واستساغها العقلاء لما فيها من دقة التصوير - أضحت مثلاً يُضرب - كقولهم: (الصيف ضيعت اللبن) بكسر تاء الفاعل. فقد ورد في امرأة فرطت في أمر، ثم طلبته بعد فوات فرصته، ثم شاع استعماله وذاع حتى صار مثلاً يُضرب لكل من طلب أمراً بعد التفريط فيه، وبعد فوات وقته.

(1) - عبد الحميد بن هذوقة، أمثال جزائرية، طبع المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، الرغبة، الجزائر، 1993م. ص 12.

(2) - سورة البقرة، آية 17.

(3) - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر،

سنة 1977م، م 1، ص 195.

(4) - الشيخ حامد عوني. المنهاج الواضح، 139/5، نقلاً عن محمد بكر إسماعيل. الأمثال القرآنية ص: 15.

وكقولهم : (تأتي الرياح بما لا يشتهي السفن)، لمن يعرض له أمر لا يشتهي؛ تشبيها له بريان السفينة ، ترجيها الرياح إلى غير الوجهة التي يريد(1). وهكذا يقال في جميع الأمثال السائرة نظما ونثرا. والأمثال العربية لها مضرب ومورد.

-مضرب المثل و مورده :

- مضرب المثل:

أما ضرب المثل: فيراد به إطلاقه، واستعماله في الحالات المتجددة ، التي تشبه الحالة الأولى، وبمعنى آخر، يضرب المثل في الكلام بذكر حال ما يناسبها؛ فيظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفيا.

ولا يظهر التأثير في النفس بتحقيق شيء وتقبيحه، إلا بتشبيهه بما جرى العرف بتحقيقه، ونفور الناس منه. وقد اختلف العلماء اختلافا واسعا في الأصل الحسي الذي أخذ منه لفظ (ضرب) المثل ؛ فقليل إنه مأخوذ من الضرب في الأرض: أي الإيغال فيها والإبعاد في أقاصيها، وقيل: إنه مأخوذ من ضرب الخباء، وهو نصبه وإقامة عمده، وإثبات طنبه، و يكون المعنى على هذا: نصب الأمثال للناس بالشهرة، لتستدل عليها خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم(2). وقيل: مأخوذ من ضرب الموعد، أي بيانه وتحديد.

وقيل: مأخوذ من ضرب الدراهم؛ وهو صوغها بالمطارق وإحداث أثر خاص فيها؛ كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا، ينفذ أثره إلى قلبه، فيؤثر في النفوس كما تؤثر المطارق في الدراهم.

وقيل: مأخوذ من الضرب و الضريب، بمعنى المثل والنظير، لأنه يجعل الأول مثل الثاني.

وقيل: مأخوذ من الضرب بمعنى التثبيت كقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾(3).

(1) - محمد بكر إسماعيل، الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية ، ص16.

(2) - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص 13.

(3) - سورة البقرة، آية 61.

و يكون معنى (ضرب المثل) على هذا وضعه موضعه، و إثباته حيث يصلح له⁽¹⁾.
- مورد المثل:

ويراد (بمورد المثل) الحالة التي قيل فيها ابتداءً، ويراد (بمضربه) الحالات والمواقف المتجددة التي يمكن أن يستعمل فيها المثل لما بين الحالتين من التشابه.
ويرى عبد المجيد قطامش: أن أول من استعمل هذين الاصطلاحين، هو الإمام الزمخشري (ت 538 هـ)، و ذلك بتعريفه للمثل في مقدمة كتابه: (مستقصى الأمثال) حيث يقول: « المثل في لغة العرب بمعنى المثل : كالتشبه والشبه ، ونظيرهما البدل والبدل والنكل والنكل، للشجاع الذي ينكل بأعدائه، ثم سميت هذه الجملة من القول المقتضبة من وُصلها أو المرسلة بذاتها ، المتسمة بالقبول، المشهورة بالتداول، مثلاً؛ لأن المحاضر بها يجعل موردها مثلاً ونظيراً لمضربها»⁽²⁾.
وكذلك استعمله في (كشافه)، حيث يقول: « ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثلاً»⁽³⁾.

ويرى عبد المجيد قطامش -أيضاً- أنه ليس صحيحاً أن كل مثل له حادثة معينة يرتبط بها تسمى المورد؛ لأن هناك أمثالا لا ترتبط بأية حادثة، منها أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبعض الأبيات الشعرية، والأمثال التي أصلها حكم، ثم سارت وشاعت. والصواب عنده أن يطلق المورد على أول استعمال للمثل، سواء أكان حادثة أم لم تكن⁽⁴⁾.

-الحكمة والمثل والعلاقة بينهما :

-الحكمة في اللغة :

تطلق على عدّة معاني أشهرها ثلاثة ، كما جاء في لسان العرب لابن منظور:
- العلم: إذ يقول العرب: حَكُمَ فلان حُكماً وحِكمة ، إذا صار حكيماً أي عالماً وصاحب حكمة وعلى هذا جاء قول النَّمِر بن تَوَلَب :

(1) - ينظر عبد المجيد قطامش، المرجع السابق، ص14.

(2) - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - الزمخشري، الكشاف. م مجلد 1 ، ص195.

(4) - عبد المجيد قطامش. الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص 15.

وَابْغَضُ بَغِيضَكَ بُغْضًا رُوِيْدًا -- إذا أنت حاولت أن تَحْكُمَا⁽¹⁾
أي إذا حاولت أن تكون حكيما، ذا علم وبصر.

- الإِتْقَان: إذ يقولون أحكم فلان عمله إحكاما، إذا أتقنه، فهو مُحَكَّم، ويصاغ منه -حكيم-
فعليل بمعنى مُفعل، وعليه جاء قول الأعشى، يصف القصيدة:
وغريبة تأتي الملوك حَكِيمَةً -- قد فُلْتُهَا لِيُقَالَ من ذا قالها⁽²⁾.

- المنع: فيقال: حكمت السفية، و حَكَمْتُه، وأحكمته، أي منعته، وأخذت على يديه ومن
هذا المعنى قيل للحاكم: حاكم؛ لأنه يمنع الظالم من الظلم، وعليه جاء قول جرير
أَبْنِي حَنِيفَةً أَخْكُمُوا سُفْهَاءَكُمْ --- إني أخاف عليكم أن أغضَبَا⁽³⁾.

أي ردّوهم وكفّوهم، وامنعوهم من التعرض لي، ومن المعنى نفسه أخذت كلمة (الحَكَمَة)
وهي ما أحاط بحَنَكِي الفرس، وعلى أنفه من اللجام و العذارين، وإنما سميت بهذا لأنها
تمنعه من الجموح و النفار وغيرهما⁽⁴⁾

- الحكمة في الاصطلاح الأدبي:

للعلماء في تعريفها وتحديد ماهيتها أقوال شتى، تختلف ألفاظها، ولكن مدلولاتها
يقترّب بعضها من بعض اقترابا شديدا.

و يوجز عبد المجيد قطامش مختلف التعاريف بقوله: « إن المراد بها تلك العبارة
التجريدية التي تصيب المعنى الصحيح، و تعبّر عن تجربة من تجارب الحياة، أو خبرة من
خبراتها ويكون هدفها عادة الموعظة والنصيحة»⁽⁵⁾

والحكمة بهذا المعنى لا تصدر إلا عن فئات خاصة من الناس، هم أولئك الذين أوتوا
قسطا موفورا من الذكاء ونفاذ البصيرة، وفصاحة العبارة وبلاغتها، كالأنبياء والحكماء
والفلاسفة والشعراء وغيرهم.

(1) - ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص140.

(2) - الأعشى، ميمون بن قيس. ديوان الأعشى، ط1، إعداد محمد عبد الرحيم، لبنان: دار الراتب الجامعية، 2008 م، ص195.

(3) - جرير، جرير بن عطية. ديوان جرير، ط1، إعداد محمد عبد الرحيم، لبنان: دار الراتب الجامعية، 2008 م، ص48.

(4) - ابن منظور، المصدر نفسه، ج12، ص144.

(5) - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، ص18.

- الفرق بين الحكمة والمثل :

مما تقدم يمكن أن نلمح فروقا بينهما تتمثل في:

- أن المثل أساسه التشبيه، أما الحكمة فعمادها إصابة المعنى، ولا يراعى التشبيه فيها إلا حيث تصبح مثلاً.

- أن أسلوب المثل دائماً موجز، عكس أسلوب الحكمة الذي قد يطول نسبياً.

- أن الهدف من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ.

- أن المثل يصدر عن جميع الناس، بمختلف طبقاتهم الفكرية والاجتماعية.

أما الحكمة فلا تصدر إلا عن حكيم أو فيلسوف أو أضرابهما⁽¹⁾.

قد تلتقي الحكمة والمثل؛ وذلك حين تحسن الحكمة، وتكون موجزة العبارة، فيتهياً لها بذلك أن تسير بين الناس، و تتداولها ألسنتهم وأقلامهم، فتدخل حظيرة الأمثال.

وفي هذه القضية يقول أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: « ثم جُعل كل حكمة سائرة مثلاً وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً»⁽²⁾، وإذا فالحكمة نوعان: نوع يسير ويفشو فيصبح مثلاً، ونوع لا يتهأ له ذلك فلا يسمى مثلاً.

ومن النوع الأول أذكر: أعذر من أنذر - مقتل الرجل بين فكّيه - ربّ قول أشد من صول - معاداة العاقل خير من مصادقة الأحمق - وغيرها كثير.

فهذه العبارات حكم في أصلها ، أريد بها النصح والإرشاد ، غير أنها فشّت بين الناس ولاكتها ألسنتهم، لما تتضمنه من إصابة المعنى، وروعة التعبير؛ فصارت أمثالا.

وهناك من الأمثال ما لا يمت بصلة إلى الحكم بسبب. مثل: « رجع بخفي حنين - الصيف ضيعت اللبن - بطني فعطري...»⁽³⁾.

(1) - عبد المجيد قطامش، المرجع السابق، ص 18-19.

(2) - أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج 1، ص 8.

(3) - عبد المجيد قطامش، المرجع السابق نفسه، ص 20.

- كتب الأمثال:

لقد ولع الدارسون المسلمون الأوائل بجمع الأمثال، لأهميتها الاجتماعية واللغوية و الأدبية. وألفوا كتباً كثيرة؛ منها ما وصل إلينا، وهو موجود في شكل مخطوط أو مطبوع، ومنها ما لم يصل. وهذه عناوين أهم كتب الأمثال الموجودة مرتبة تاريخياً حسب ما ذكره الدكتور عبد المجيد قطامش في كتابه: الأمثال العربية⁽¹⁾.

1- كتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي (نحو 170هـ).

2- كتاب الأمثال لمؤرج السدوسي (195هـ).

3- كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (224هـ).

4- كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي (250هـ).

5- كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة (291هـ).

6- كتاب الزاهر لابن الأنباري (ما بين 327-328هـ).

7- كتاب الدرة الفاخرة لحمزة الأصبهاني (351هـ).

8- كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (395هـ).

9- كتاب مجمع الأمثال للميداني (518هـ).

10- كتاب المستقصي في أمثال العرب للزمخشري (538هـ).

بالإضافة إلى كتابين لم يذكرهما عبد المجيد قطامش وهما:

11- كتاب فرائد الخرائد في الأمثال لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويي، (549هـ).

12- زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي. (ت، ق، 11هـ).

ولعل أهم كتب الأمثال المذكورة، (مجمع الأمثال للميداني)؛ لأنه من أواخر الكتب تأليفاً و به ستة آلاف وثمانون مثلاً. وهو يعاصر كتاب المسقصي في أمثال العرب للزمخشري، غير أن هذا الأخير يضم ثلاثة آلاف وأربع مائة وواحد وستين مثلاً؛ أي ما يقارب نصف ما جمعه الميداني في مجمع الأمثال. كما أن الزمخشري لما اطلع على مجمع الأمثال ندم على تدوينه للمستقصي في أمثال العرب⁽²⁾.

(1) - عبد المجيد قطامش، المرجع السابق، ص-ص 121-122.

(2) - الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، ص 9.

-أنواع المثل العربي:

ذكر الدارسون للمثل العربي ثلاثة أنواع للمثل:

1- المثل الموجز:

وهو: القول السائر الموجز، الذي يشتمل على معنى صائب؛ وتشبه فيه حالة مضربه بحالة مورده. وهذا النوع من الأمثال هو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ (المثل) وهو الذي عني به جامعوا الأمثال، وتدخل فيه الحكم التي فشت بين الناس، كما تدخل فيه الأمثال الشعرية، كقول معن بن أوس⁽¹⁾ :
أَعْلَمُهُ الرماية كل يوم ---- فلما اشتد ساعده رمانى .
وتدخل فيه الأمثال على وزن (أفعل من) مثل: أجود من حاتم - أكذب من مسيلمة.

2- المثل القياسي:

وهو ذلك السرد الوصفي أو القصصي، الذي يهدف إلى توضيح فكرة، أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل، الذي يقوم على المقارنة والقياس؛ وهو يتناول أحد أمرين: إما أن يصور نموذجاً من السلوك الإنساني بقصد التأديب، أو التمثيل والتوضيح، وإما أن يجسد مبدأ يتعلق بملكوت الله تعالى، ومخلوقاته، « وهو كلام مطنب إذا قورن بسابقه وهو ليس تلخيصاً لقصة، ولا إشارة إليها، وليس اقتباساً؛ وإنما هو قصة بأكملها، أو صورة مجازية مبسطة، جاء بها الحكيم للإيضاح، أو التأديب والتحذير »⁽²⁾ .
وهذا النوع يكاد يكون معدوماً في الأمثال العربية، ولكننا نجده بكثرة في القرآن الكريم، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. ثم نسج حكماء الإسلام أمثالاً قياسية على منوال أمثال القرآن والسنة. ويورد عبد المجيد قطامش نماذج من أمثال الإمام علي -كرم الله وجهه- فقد روي عنه قوله: « مثل الدنيا كمثل الحية ، لئن مسّها والسمّ الناقع في جوفها، يهوى إليها الغرّ الجاهل، ويحذرها ذو اللبّ العاقل » وقوله: «مثل الإنسان الحصيف مثل الجسم الصلب الكثيف ، يسخن بطيئاً، وتبرد تلك السخونة بأطول من ذلك الزمان»⁽³⁾.

(1) - عبد المجيد قطامش ، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص28.

(2) - عبد المجيد عابدين ، الأمثال في النثر العربي القديم، ص158، نقلاً عن عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص30.

(3) - عبد المجيد قطامش . المرجع السابق ، ص:31.

3- المثل الخرافي:

هو تلك الكلمات الموجزة السائرة، التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان، أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله، وجعلوه فيها يتحدث ويفعل، كما يتحدث الإنسان ويفعل يقصدون بذلك التسلية، أو الحث على مكارم الأخلاق؛ وربما كان هذا النوع بسبب مخالطتهم للحيوان في الحياة البدوية، ويعدّ صورة من صور الأدب الرمزي، الذي ينسب الأديب فيه الأحداث والحوار إلى الحيوانات والجماد⁽¹⁾.

ويصنف عبد المجيد قطامش الأمثال العربية التي تتصل بالخرافات صنفين:

أ- صنف أجراه العرب على ألسنة الحيوان نفسه، خلال الأحداث التي حاكوها حوله، ومنها الأمثال المشهورة التي أجروها على لسان الضب، حين اختصم إليه الأرنب والثعلب في تمرة وجدها الأرنب، فاختلسها الثعلب. وهي: «في بيته يؤتى الحكم، حلوا جنيت، البادئ أظلم، حر انتصر، حدث حديثين امرأة فإن لم تفهم فأربعة»⁽²⁾.

ومنه قولهم: "إنما أكلتُ يوم أكل الثور الأسود" وهو من أمثال كليلة ودمنة.

ب- وصنف بناه العرب على حكايات خرافية، كقولهم: «كرّج الفيل من الحمار»⁽³⁾. فهذا المثل مبني على خرافة «الفيل والحمار» وخلاصتها أنهما اجتمعا ذات يوم في مرعى، فطرد الفيل الحمار، فقال له الحمار: لماذا تطردني مع اشتباك الرحم بيني وبينك؟ فقال الفيل من أين هذا الرحم؟ فقال الحمار: من أجل أن في غرمولي شبحا من خرطومك، فقبل الفيل هذه القرابة.

ثانيا: المثل في النصوص الدينية:

1- المثل في القرآن الكريم: أنواعه وبلاغته:

يزخر القرآن الكريم بالأمثال الموجزة والقياسية، ونعني بالأمثال الموجزة، تلك الآيات الكريمة، أو أجزاء الآيات، التي تتضمن بعض القيم الدينية؛ أو الأخلاقية المركزة، والتي يتمثل بها الناس، ولاسيما المسلمون منهم، في أحاديثهم اليومية، وفي كتاباتهم وخطبهم

(1) - عبد المجيد قطامش. المرجع السابق، ص32.

(2) - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(3) - المرجع السابق، ص33.

وأشعارهم. كما نعني بالأمثال القياسية ذلك السرد الوصفي، أو القصصي الذي يساق لتوضيح معنى عن طريق التشبيه والتمثيل. فالأمثال في القرآن نوعان : المثل الموجز السائر - المثل المفصل القياسي.

أما السيوطي، فأمثال القرآن عنده قسمان: «ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه»⁽¹⁾. ويضيف الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه (الأمثال القرآنية) ما يسمى بالأمثال الكامنة.

أ- المثل الموجز السائر في القرآن الكريم :

يرى عبد المجيد قطامش، أن الحكمة إذا سارت بين الناس لصدقها وإيجازها، دخلت في حظيرة الأمثال. ومن ثم جاز لنا أن نعد الآيات الكريمة، أو أجزاء الآيات التي تشتمل على بعض مسائل الدين، أو مبادئ الأخلاق الكريمة بصورة مركزة، أمثالا؛ لأن الناس يتداولونها صباح مساء في شؤون الأخلاق والحياة، مشافهة وكتابة. واكتسبت هذه الصفة بعد أن سارت على الألسنة والأقلام في زمن متأخر⁽²⁾.

كما تسمى بالأمثال المرسلّة؛ لأنها قد أرسلت إرسالا، من غير تصريح بلفظ التشبيه، وكثر التمثّل بها، لما فيها من العظة والعبرة والإقناع. وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم، وشيوعها في المسلمين، ولم تكن أمثالا في وقت نزوله⁽³⁾.

ومن أمثلة القرآن الموجزة أو المرسلّة، كما جاء في الإتيقان، « عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب، بابا في ألفاظ من القرآن، جارية مجرى المثل، وهذا النوع البديعي يسمى بإرسال المثل»⁽⁴⁾ وأورد من ذلك:

قوله تعالى: ﴿..الآن حصحص الحق ..﴾⁽⁵⁾.

و قوله: ﴿الرجال قوامون على النساء...﴾⁽⁶⁾.

(1) - السيوطي، جلال الدين. الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، سنة 1988م، ج4، ص39.

(2) - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، ص 130.

(3) - محمد بكر إسماعيل، الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية، ص22.

(4) - السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج4، صص 43-44.

(5) - سورة يوسف، آية 51.

(6) - سورة النساء، آية 34.

وقوله: ﴿...قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ...﴾ (1).

وقوله: ﴿...لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ...﴾ (2).

وقوله: ﴿...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ (3).

وقوله: ﴿...حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ...﴾ (4).

وقوله: ﴿...وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ...﴾ (5).

وقوله: ﴿...إِنْ كَيْدُكَ عَظِيمٌ...﴾ (6).

وقوله: ﴿...وَلَا تَتَسَنَّسْ بِكَ مِنَ الدُّنْيَا...﴾ (7).

وقوله: ﴿...وَلَا يَنْبُؤُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ...﴾ (8).

وقوله: ﴿...وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ...﴾ (9).

وقوله: ﴿...وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ (10).

وقوله: ﴿...كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَّ حُونٌ...﴾ (11).

وقوله: ﴿...مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾ (12).

ب- بلاغة المثل القرآني:

من بلاغة المثل الموجز في القرآن الكريم الإيجاز. وإذا كان الإيجاز ركنا من أركان الأسلوب المثلي بصفة عامة، فإن المثل القرآني قد أوتي من هذا الإيجاز حظا، فاق به كل كلام سواه ، سواء أكان مثلا أم غيره.

(1) - سورة يوسف ، آية 41.

(2) - سورة المائدة، آية 101.

(3) - سورة الأنعام، آية 151.

(4) - سورة الأعراف، آية 40.

(5) - سورة الأنفال، آية 19.

(6) - سورة يوسف، آية 28.

(7) - سورة القصص، آية 77.

(8) - سورة فاطر، آية 14 .

(9) - سورة فاطر، آية 43.

(10) - سورة البقرة ، آية 179.

(11) - سورة الروم، آية 32.

(12) - سورة المائدة ، آية 99.

وقد تصدّى العلماء لبيان الفرق الكبير بين بلاغة المثل القرآني الموجز، والمثل العربي القديم؛ ليثبتوا أنه لشتان ما بين الثريا والثرى، ومثلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ولكم في القصص حياة﴾⁽¹⁾ وقول العرب: في أمثالهم: «القتل أنفى للقتل».

ولخص الدكتور: عبد المجيد قطامش، الفرق بين الآية الكريمة والمثل العربي كما نص عليه كل من الزمخشري والعسكري وغيرهما في النقاط التالية⁽²⁾:

- أن الآية الكريمة أوجز من المثل؛ لأن (القصص حياة) لفظتان اثنتان، على حين أن (القتل أنفى للقتل) ثلاثة ألفاظ.

- أن الآية الكريمة بريئة من التكرير المتكلف الذي في المثل.

- أنه ليس كل قتل نافيا للقتل، ولا مانعا منه، بل قد يكون سببا في القتل، كالأخذ بالثأر، أما القتل على سبيل القصص، والذي يتولاه الحاكم فهو جدير بأن يحسم القتل، ويهب الناس حياة آمنة مطمئنة.

- أن القصص عقوبة مشروعة لمن يستحق الجزاء على جناية اقترفها، فهو نوع من العدالة أما القتل - في المثل العربي - فقد يكون عدوانا كما يكون قصاصا.

- أن كلمة القصص أعم وأشمل من كلمة (القتل) لأنها تشمل القصص بالقتل، والقصص على الجروح، والقصص الذي يراد به التعزير أو التأديب.

- أن تقديم الجار والمجرور في الآية الكريمة يفيد التخصيص، وهذا ما لم يتهيأ للمثل العربي.

- أن الآية الكريمة ترغب في القصص، وتحت عليه، إذ جعلت نتيجته الحياة التي نحبها جميعا، ونحرص على دوامها.

- أن تتكرر كلمة (الحياة) في الآية الكريمة يفيد أنها نوع من الحياة، كريم عظيم.

- أن الآية الكريمة تمتاز على المثل بحسن التأليف، وشدة التلاؤم؛ لأن الانتقال من الفاء إلى اللام في قوله تعالى: (في القصص) أسهل على أعضاء النطق من الانتقال من اللام

(1) - سورة البقرة، آية 179.

(2) - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، ص-ص 134-135.

إلى الهمزة في المثل العربي (القتل أنفى).

ج- المثل القياسي في القرآن الكريم:

سبق أن قلنا: إن المراد بالمثل القياسي في القرآن الكريم ، هو ذلك السرد الوصفي أو القصصي الذي يقصد به توضيح معنى ما، عن طريق التشبيه والتمثيل، وما يسميه علماء البلاغة (التشبيه المركب) أو التمثيل، كما تسمى «الأمثال القياسية، بالأمثال المصرحة؛ لأنه صرح فيها بلفظ المثل أو ما يقوم مقامه»⁽¹⁾.

ومن أمثلة السرد الوصفي قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾⁽²⁾.

ومن أمثلة السرد القصصي، قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾⁽³⁾.
ومن الأمثلة المصرحة أو القياسية قوله تعالى:

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة...﴾⁽⁴⁾.

وهذا الضرب من الكلام من أبلغ صور التشبيه المركب، وأدق ما يرمي إليه البليغ من وسائل التعبير التي تبرز المعاني الخفية المضمرة، سافرة الوجه واضحة الملامح. وتمتاز أمثال القرآن الكريم فوق هذا «بأنها تبعث في النفوس فرحة ورغبة أو تستثير فيها هيبه ورهبة، أو ترشدها إلى قبة الخير، أو تكشف لها عن حقيقة تجهل عنها»⁽⁵⁾.

وقد لخص الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) الغرض من ضرب الأمثال في القرآن الكريم بقوله: «ضرب الله الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار، والتقدير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة

(1) - محمد بكر إسماعيل ، الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية ، ص22.

(2) - سورة النور، آية 35.

(3) - سورة يس، آية 13-14.

(4) - سورة النور، آية 39.

(5) - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ، ص135.

المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبتت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس.

وتأتي أمثلة القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله⁽¹⁾.

ويذكر الله سبحانه وتعالى في عدّة آيات كريمة، ممتنا على عباده، أنه قد ضرب لهم الأمثال وصرّفها لهم، لعلهم يتذكرون، أو يتفكرون أو يعقلون، فقال:

﴿..ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾⁽²⁾.

وقال: ﴿..وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾⁽³⁾.

وقال: ﴿..وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾⁽⁴⁾.

د- ما يسمى بالأمثال الكامنة:

وهي أمثال لم تضرب لبيان حال خاصة ولا لصفة معيّنة، ولا لتلخيص حادثة وقعت في زمن من الأزمان، و لم يصرّح فيها بالتمثيل لا من قريب ولا من بعيد، ولكن يدل مضمونها على معنى يشبه مثلاً من أمثال العرب المعروفة، أي: «أنها أمثال بمعانيها لا بألفاظها، فالتمثيل فيها كامن غير ظاهر؛ لهذا أسموها بالأمثال الكامنة»⁽⁵⁾.

ويقدّم السيوطي نماذج لما يسمى بالأمثال الكامنة، فيقول: قال الماوردي* : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله خير الأمور أوساطها؟ قال: نعم في أربعة مواضع: قوله تعالى:

(1) - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1980م، م1 ص-ص486-487.

(2) - سورة إبراهيم، آية25.

(3) - سورة الحشر، آية21.

(4) - سورة العنكبوت، آية43.

(5) - محمد بكر إسماعيل، الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية، ص24.

*-الماوردي: جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج4، ص38، هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي، صاحب كتاب الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين وغيرها، توفي ببغداد سنة 450هـ.

﴿ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾⁽¹⁾

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾⁽²⁾.

﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾⁽³⁾.

﴿ ..ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾⁽⁴⁾.

قلت: فهل تجد في كتاب الله "من جهل شيئا عاداه"؟ قال: نعم في موضعين:
قوله تعالى:

﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه.. ﴾⁽⁵⁾ . وقوله:

﴿ .. وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾⁽⁶⁾.

قلت: فهل تجد في كتاب الله: " احذر شر من أحسنت إليه"؟ قال: نعم، قوله:

عز وجل: ﴿ .. وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله.. ﴾⁽⁷⁾.

قلت: فهل تجد في كتاب الله: " ليس الخبر كالعيان"؟ قال:

في قوله تعالى:

﴿ ..قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي.. ﴾⁽⁸⁾.

قلت: فهل تجد " في الحركات بركات"؟ قال: في قوله تعالى:

﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة.. ﴾⁽⁹⁾.

قلت: فهل تجد "كما تدين تدان"؟ قال: في قوله تعالى: ﴿..من يعمل سوءا يجز به ﴾⁽¹⁰⁾.

إلى غير ذلك من مما نقله السيوطي في (الإتقان)⁽¹¹⁾.

(1) - سورة القدر، آية 68.

(2) - سورة الفرقان، آية 67.

(3) - سورة الإسراء، آية 29.

(4) - سورة الإسراء، آية 110.

(5) - سورة يونس، آية 39.

(6) - سورة الأحقاف، آية 11.

(7) - سورة التوبة، آية 74.

(8) - سورة البقرة، آية 260.

(9) - سورة النساء، آية 100.

(10) - سورة النساء، آية 123.

(11) - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص-ص 41-43.

غير أن محمد بكر إسماعيل يرى: أن هذا النوع الثالث "الأمثال الكامنة" ليس داخلا في الأمثال على أي صورة من الصور؛ لخلوه من وجه المشابهة بين الممثل والممثل له. وهو مخالف في حقيقته المثل ومفهومه في اللغة. و يرى أن ما ذكره السيوطي وغيره عن الحسين بن الفضل ، ضرب من تدريب القريحة على استخراج النظائر القرآنية لبعض ما تتمثل به العرب في عصورهم المختلفة، من الأقوال الحكيمة التي أوجزت حادثة من الحوادث.

ويرى الزركشي: أن في ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى، «إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والشاهد بالغائب، فالمرغب في الإيمان مثلا، إذا مثّل له بالنور تأكد في قلبه المقصود، والمزهد في الكفر إذا مثّل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه»⁽¹⁾.

2-أمثال الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنواعها وبلا غتها:

تنقسم أمثال الرسول صلى الله عليه وسلم قسمين: أمثال موجزة، وأمثال مفصلة.

أ- الأمثال الموجزة :

هي تلك الكلمات الجامعة التي قالها- صلى الله عليه وسلم- في أمر من أمور الدين أو الدنيا ، فسارت عنه وفشت بين المسلمين فأصبحت أمثالا، وهذه الكلمات أو الأحاديث كثيرة وغزيرة، فقد روي أن عبد الله بن عمر بن العاص قال: « حفظت عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ألف مثل»⁽²⁾.

وقد فاق الرسول - صلى الله عليه وسلم- في هذا النوع من الأمثال كل العرب، وأتى منه بما تنقطع دونه أنفاسهم، وتكبو فصاحتهم وبيانهم، ومنه ألفاظ اقتضبها، ولم تُسمع من العرب قبله، قال الجاحظ: « وسنذكر من كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما لم يسبقه إليه عربي ولا شاركه فيه أعجمي، ولم يُدَّعَ لأحد، ولا ادَّعاه أحد، مما صار مستعملا ومثلا سائرا، من ذلك قوله: « يا خيلَ الله اركبي- وقوله: مات حَتَفَ أنْفَه - وقوله: لا

(1) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص488، وجاء في هامش المصدر نفسه ص483 ما يلي:

*-رحلة ابن الصلاح: فوائد جمعها الشيخ تقي الدين أبوعمر عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة843؛ في رحلة إلى الشرق ، ضمنها فوائد في سائر العلوم كشف الظنون 836 .

(2) - أمثال الحديث، للرامهرمزي، ورقة3أ، نقلا عن عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص159.

تَنْتَطِحُ فِيهِ عِزَّتَانِ - ... وقوله: الآن حمي الوطيس - وقوله: هدنة على دخن ، وجماعة على أقداء...»⁽¹⁾.

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - أنه قال: «ما سمعت كلمة غريبة من العرب - يريد التركيب البياني - إلا وسمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمعتها يقول : - مات حتف أنفه - وما سمعتها من عربي قبله»⁽²⁾. وقوله في صفة الحرب يوم حنين: «الآن حمي الوطيس».

يقول الرافعي في بلاغة هذا المثل، «الآن حمي الوطيس»: «والوطيس هو التتور ومجتمع النار والوقود، فمهما كانت صفة الحرب فإن هذه الكلمة بكل ما يقال في صفتها وكأنما هي نار مشبوبة من البلاغة ، تأكل الكلام أكلا. وكأنما هي تمثل لك دماء نارية أو نارا دموية»⁽³⁾.

وقوله في حديث الفتنة : « هدنة على دخن» وفي تفسيره يقول الرافعي -أيضا-: «والهدنة الصلح والموادعة، و الدَّخْنَةُ، تغير الطعام إذا أصابه الدخان ، في حالة طبخه فأفسد طعمه، وهذه العبارة لا يعدلها كلام في معناها ؛ فإن فيها لونا من التصوير البياني لو أذيت له اللغة كلها ما وقّت به؛ وذلك أن الصلح إنما يكون موادعة ولينا، وانصرافا عن الحرب وكفّا عن الأذى ، وهذه كلها من عواطف القلوب الرحيمة، فإذا بني الصلح على فساد ، وكان لعة من العلل، غلب ذلك على القلوب فأفسدها حتّى لا يسترح غيره من أفعالها كما يغلب الدّخن على الطعام ، فلا يجد آكله إلا رائحة هذا الدخان ، والطعام من بعد ذلك مشوب مفسد»⁽⁴⁾.

ويشرح مصطفى صادق الرافعي فيقول: « فهذا في تصوير معنى الفساد الذي تنطوي عليها القلوب الواغرة* وثمّ لون آخر في صفة هذا المعنى، وهو اللون المظلم الذي تتصبغ به

(1) - الجاحظ، أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1998م، ج2، ص 15.
- وينظر ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، شرحه وضبطه وعنونه ورتبه ، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1982م، ج3، ص 63.

(2) - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط2 ، لبنان: دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م ، ج 2، ص316.

(3) - المرجع السابق، ص-328-329.

(4) - المرجع السابق نفسه، ص 329.

* - الواغرة :المتلئة غيظا وحقدا.

النِّيَّة (السوداء)، وقد أظهرته في تصوير الكلام لفظة (الدّخن)، ثم معنى ثالث: وهو النكتة التي من أجلها اختيرت هذه اللفظة بعينها، وكانت سرّ البيان في العبارة كلّها، وبهذا فضلت كل عبارة تكون في هذا المعنى، وذلك أن الصلح لا يكون إلا أن تُطفأ الحرب، فهذه حرب قد طُفئت نارها بما سوف يكون فيها نارا أخرى، كما يلقي الحطب الرطب على النار تخبو به قليلا، ثم يستوقد فيستعير فإذا هي نار تلتظى، وما كان فوقه الدخان فإن النار ولا جرم من تحته، وهذا كله تصوير لدقائق المعنى كما ترى، حتى ليس في الهدنة التي تلك صفتها معنى من المعاني يمكن أن يتصور في العقل إلا وجدت اللون البياني يصوّره في تلك اللفظة لفظة (الدخن)»⁽¹⁾.

ومنها قوله- صلى الله عليه وسلم -: لأنجشة، وكان يسير بالنساء في هودجهنّ . وهو يحدو بالإبل وينشد القريض والرجز، فتنشط وتجدّ وتتبعث في سيرها فتتهتز الهودج وتضطرب النساء فيها اضطرابا شديدا، فقال عليه الصلاة والسلام: «رويدك رفقا بالقوارير ***»⁽²⁾.

ومما أورده عبد المجيد قطامش، من أمثال الرسول- صلى الله عليه وسلم- في كتابه (الأمثال العربية): « إن من البيان لسحرا- حبّك الشيء يعمي ويصم- قيّد الإيمان الفتك- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ***- علّق سوطك حيث يراه أهلك- إذا لم تستح فاصنع ما شئت..»⁽³⁾. وجاء في العقد الفريد من أمثال النبي- صلى الله عليه وسلم-: « إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى»، وهذا عندما ذكر الغلو في العبادة، ومعناه: إن المغدّ في السير إذا أفرط في الإغذاذ عطبت راحلته من قبل أن يبلغ حاجته، أو يقضي سفره، فشبه بذلك من أفرط في العبادة حتى يبقى حسيرا... وقوله: « لا ترفع عصاك عن أهلك»، إنما هو الأدب بالقول، ولم يرد ألا ترفع عنهم العصا...

(1) - مصطفى صادق الرافعي تاريخ آداب العرب، ص329.

***-القوارير: هي الزجاجات، ووجه المعنى ظاهر، وكأنّ نور وصفاء ورقة ثم سلامة، قلّما تسلم إلا بشدّة الصيانة، والحفظ والمراعاة.

(2) - مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق نفسه، ص-ص329-331.

***-يلدغ: أورده الجاحظ، في البيان والتبيين، ج2، ص16 - لا يلسع المؤمن من جحر مرتين- قال: ويروى لا يلدغ، قاله لأبي عزة الشاعر، وكان قد أسر يوم بدر، ثم منّ عليه، وأتاه يوم أحد فأسرده، فقال مُنّ عليّ، فقال عليه الصلاة والسلام: هذا القول.

(3) - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، ص-ص161-162.

ومنه قوله: «خياركم خياركم لأهله» وقوله: «إياكم وخضراء الدمن*» قالوا وما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء».

وقوله: «الحرب خدعة»⁽¹⁾ وغيره كثير.

ب- الأمثال المفصلة:

أما الأمثال المفصلة: في كلامه - صلى الله عليه وسلم -:

فهي تلك التي جاءت على نسق الأمثال في القرآن الكريم، والتي ساقها الله للوعيد وللتحليل أو التحريم، وللرجاء أو الخوف، وجعلها موعظة وتذكيراً للناس.

وقد جاءت هذه الأمثال في صور رائعة، من صور التمثيل والتشبيه المركب، تنبئ عن عظمة البلاغة النبوية. ومن هذه الأمثال قوله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي مَثَلُ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ وَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا لَوْلَا مَوْضِعُ هَذِهِ اللَّبْنَةِ، أَلَا فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ»⁽²⁾.

وعن أبي موسى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ؛ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعِلِمٌ وَعِلْمٌ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»⁽³⁾.

ففي الحديث تمثيل لمراتب أثر الهداية والعلم في نفوس البشر، بأثر الغيث الكثير على أنواع التربة، وفيه تجسيد للمعنوي بالمحسوس؛ ليكون أكثر تأثيراً وأسهل فهماً وأبقى أثراً. وكذلك الحال في بقية الأمثال المفصلة الموالية من حديثه - صلى الله عليه وسلم - فهي كلها من قبيل التمثيل والتشبيه المركب. ومنه قوله: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا

(1) - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص64.

* - الدمن: هي ما تدمنه الإبل والغنم من أبقارها، فنبت فيه نبات يكون حسن المنظر سيئ المنبت.

(2) - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، ص162.

(3) - مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري وشرح القسطلاني، المكتبة التجارية الكبرى، د/ت، ص58.

طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مرّ ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ، خبيث طعمها ، خبيث ريحها»⁽¹⁾ .

وقوله: « مثل المنافق كمثل الشاة الحائرة بين الغنمين ، تكرر إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة، لا تدري أيهما تتبع»⁽²⁾. وقوله- في ما يرويه علقمة، عن عبد الله قال: دخلت على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو على حصير قد أثر الشريط في جنبه، فقلت: لو نمت يا رسول الله على ما هو ألين من هذا، فقال: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب مرّ بأرض فلاة، فرأى شجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها»⁽³⁾.

وفي العقد الفريد «قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخية، وعلى رأس الصراط داع يقول: ادخلوا الصراط ولا تعوجوا . فالصراط الإسلام، و الستور حدود الله والأبواب محارم الله ، والداعي القرآن»⁽⁴⁾.

3- الأمثال في الإنجيل (العهد الجديد):

وكما جاءت الأمثال في القرآن الكريم و في الحديث النبوي الشريف؛ جاءت أيضا في الإنجيل. ومنها:

مثل: الرجل الغني.

« وخرج إلى الطريق، فأسرع إليه رجل وسجد له وسأله: (أيها المعلم الصالح، ما ذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا؟ لا صالح إلا الله وحده. أنت تعرف الوصايا: لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تظلم، أكرم أباك وأمك. فأجابه الرجل: يا معلم من أيام صباي عملت بهذه الوصايا كلها؛ فنظر إليه يسوع بمحبة وقال له: يعوزك شيء واحد: اذهب بع كل ما تملكه، ووزع ثمنه على الفقراء؛ فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني. فحزن الرجل لهذا الكلام، ومضى كئيبا؛ لأنه كان يملك أموالا كثيرة، فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه: ما أصعب دخول الأغنياء إلى ملكوت الله! فاستغرب

(1) - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، ص 163.

(2) - المرجع السابق، ص 163.

(3) - المرجع السابق نفسه، ص 164.

(4) - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص 64.

التلاميذ كلامه، فقال لهم ثانية: يا أبنائي، ما أصعب الدخول إلى ملكوت الله!. فمرور
الجمال في ثقب الإبرة أسهل من دخول الغني إلى ملكوت الله⁽¹⁾.

والمثل هنا في تشبيه استحالة دخول الأغنياء -الذين لم يتصدقوا بأموالهم على
الفقراء- ملكوت السماء، بدخول الجمال في ثقب الإبرة.

وهذا المثل نفسه موجود في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِ الْخِيَاطِ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾⁽²⁾. فالذين كذبوا واستكبروا، لا شك أنهم لا يقومون بالطاعات ومن
الطاعات التصدق بالأموال على الفقراء؛ فلا تفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة، حتى
يلج الجمال سم الخياط.

مثل: الشجرة وثمرها.

« الشجرة الجيدة لا تحمل ثمرًا رديئًا، والشجرة الرديئة لا تحمل ثمرًا جيدًا. كل شجرة
يدلّ عليها ثمرها. فأنت لا تجني من الشوك تينًا، ولا تقطف من العليق عنبًا. الإنسان
الصالح في قلبه يُخرج ما هو صالح، والإنسان الشرير من الكنز الشرير في قلبه يخرج ما
هو شرير، لأن من فيض القلب ينطق اللسان»⁽³⁾.

وفي المثل تشبيه الكلمة الصالحة تخرج من قلب الإنسان الصالح، والإنسان الشرير
لا يخرج من قلبه إلا ما هو شرير، تشبيهها بالشجرة الجيدة تكون ثمارها جيدة، والعكس
صحيح؛ لأن الشجرة يدل عليها ثمرها.

وهذا المثل موجود أيضا في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾⁽⁴⁾. جاء في تفسير البغوي: «والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة:
هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال؛ كذلك

(1) -الإنجيل، العهد الجديد، النشرة الرابعة، ط2، جمعية الكتاب المقدس، لبنان، 2001م، ص125-126.

(2) -سورة الأعراف، آية 40.

(3) -الإنجيل (العهد الجديد)، المصدر السابق، ص176.

(4) -سورة إبراهيم، آيات: 24-25-26.

الإيمان لا يكون إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان... والشجرة هي: النخلة، والمؤمن يعمل في الأرض، فيبلغ عمله السماء.. كلمة خبيثة: هي الشرك بالله، شجرة خبيثة: هي الحنظلة. ما لها من قرار: ما لها من ثبات ؛ كذلك الكافر لا خير فيه، ولا يصعد له قول طيب، ولا عمل صالح»⁽¹⁾.

مثل الوكيل الفطن.

«... لا يقدر أحد أن يخدم سيّدين؛ لأنه إما أن يبغض أحدهما ويحب الآخر، وإما أن يوالي أحدهما وينبذ الآخر. فأنتم لا تقدرون أن تخدموا الله والمال»⁽²⁾. وفي المثل تشبيه حالة من يطيع الله ويحب المال، بحالة من يخدم سيّدين؛ فهو لا يستطيع أن يوفق بين الحالتين. لأنه زين للناس حب المال، والله تعالى يأمر ببذله في وجوه الخير.

وهذا المعنى نفسه موجود في القرآن، قال الله تعالى: ﴿لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾⁽³⁾.

وجاء في تفسير البغوي: «﴿لن تتالوا البر﴾ يعني الجنة،.. وقيل الطاعة، وقيل الخير، وقال الحسن: أن تكونوا أبرارا. ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ أي أحب أموالكم إليكم. وقال عطاء: لن تتالوا البر: أي شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء»⁽⁴⁾. وفي الآية تأكيد على إنفاق المال في وجوه الخير، وطاعة الله مربوطة به، لأنه من عطّل الزكاة فقد عطّل ركنا من قواعد الإسلام، ومن تغلّب على هواه للمال، فأنفقه في أعمال الخير، من زكاة، وصدقات جارية وغيرها، نال البر.

(1) -البغوي، تفسير البغوي، المجلد 4، ص 347.

(2) -الإنجيل (العهد الجديد)، النشرة الرابعة، ص 216.

(3) -سورة آل عمران، آية 92.

(4) -البغوي، تفسير البغوي، المجلد 2، ص 66.

ثالثا - تعريف المثل الشعبي:

1- لغة واصطلاحاً:

وإذا كان المثل الشعبي هو أحد عناصر الأدب الشعبي، فإن تعريفه قد اختلف من دارس إلى آخر، حسب نظرة كل منهم.

أما تعريفه لغة: فهو لا يختلف عن تعريف المثل العربي الفصيح، فالمثل يطلق على عدة معاني هي: الشبه، النظير، العبرة، الصفة، الحجة.

أما في الاصطلاح، فهو -كذلك- له التعاريف نفسها، ونسبته إلى الشعبية تعني أنه يتصل بكل طبقات الشعب؛ لأنه صيغ بلغة تفهمها العامة، كما أنه يحمل قضايا تهم عموم الشعب؛ ولذلك فهو متداول في هذه الأوساط، وهذا لا يعني أن الخاصة لا توظف الأمثال في حياتها. يقول مرسى الصباغ: « نجد أن أول المعاني الشعبية تكون في الانتشار، و بما أن الشعوب تمتد في تاريخها إلى جذور عميقة، متناهية في القدم؛ لذا فإن المعنى الثاني للشعبية يكون في الخلود. وعليه فإن كلمة الشعبية عندما نطلقها على أي شيء، لا بد أن يتسم هذا الشيء بالانتشار و التوزع، والتباعد المكاني والزمني، أو بمصطلح آخر " التداول والتراثية" »⁽¹⁾.

ولعل لفظة "شعبي" : أكثر إشكالا وتعقيدا، واختلف مدلولها من ميدان إلى آخر، ومن باحث إلى آخر، وباختصار يمكن القول: « إن الشعبي غير الشعبوي وغير الشعوبي، فالشعبي ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب؛ إما في شكله، وإما في مضمونه، وأي ممارسة اتصفت بالشعبية، تعني أنها من إنتاج الشعب أو أنها ملك له »⁽²⁾.

هذا من ناحية التعريف، أما من ناحية أنواعه، فإن الدكتور رابح العوبي يقسمه

نوعين:

-المثل الفرضي أو الخرافي: كالحكايات المثلية في كتاب كليله ودمنة لابن المقفع.

-المثل السائر: وهو الذي يعنينا في هذه الدراسة.

(1) -مرسى الصباغ، دراسات في الثقافة الشعبية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م، ص24.

(2) -سعيد محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق. د.ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1998م، ص9.

2- المثل السائر:

هو قول محكي سائر، أو جملة مقتطعة من كلام، أرسلت لذاتها، وهي تنقل ممن وردت فيه إلى ما يحاكيه في معنى من المعاني أي معنى كان. وعلى هذا يكون المثل السائر من ألفاظ المشابهة- كما يرى الدكتور رابح العوي- لكنّه أعمها في جميع أنماطها المتمثلة في ما يلي:

-الجوهر: ويستعمل فيه لفظ الند.

-الكيفية: ويستعمل لها لفظ الشبه.

-الكمية: ويعبر فيها بلفظ المساوي.

-القدر والمساحة: ويطلق فيها لفظ الشكل⁽¹⁾.

وجميع هذه المعاني تنطبق على المثل؛ « لأنه يدل في صميمه على ما يمثل به الشيء بلا تغيير في المعنى، مع مخالفة لفظه للفظ المضروب له، الذي قام مقامه، على وجه تشبيه حال الذي حُكي فيه بحال الذي قيل لأجله، وهذا تشبيه بالمقال الذي يعمل عليه غيره.

ومعنى هذا أن المثل السائر يراد فيه معنى من وراء معنى آخر، وذلك من خلال مشبه به، ومشبه، ومعنى هذا يحصل عن معنى ذاك، أي كان التشبيه و أيّا كانت طريقته»⁽²⁾. ولتوضيح ذلك أسوق المثل التالي: يقال في الأمثال الشعبية السائرة: " عِلّة

الفولة من جنبها"

و يشرح رابح العوي المثل بقوله: « فمعنى العِلّة -هنا- مستقى في جوهره وكيفيته وقدره من الفولة المعلولة، وأن علّتها آتية مما يحيط بها، فاتخذت لذلك مثلاً في العدوى أو الضرر الذي يلحق بالإنسان، فهو ممن يعاشره، ويعرفونه حق المعرفة؛ لأنهم ألصق الناس به، وأكثرهم مخالطة له »⁽³⁾. وعلى هذا تكون الفولة المعلولة مشبهاً به، والإنسان الذي أصابه مخالطوه بضرر، مشبه، يضرب في حالة مثل الفولة تشبيهاً لحال الذي حكي

(1) - رابح العوي، أنواع الشر الشعبي، ص-ص39-41.

(2) - رابح العوي، المرجع السابق، ص 42.

(3) - المرجع السابق، ص 43.

فيه بحال الذي قيل لأجله. ومن هذا القبيل - أيضا - المثل الشعبي السائر المستعمل في سياق الموضوع السابق نفسه «البرمة تكحال من جنبها»⁽¹⁾.

أما التلي بن الشيخ فيقول: إن المثل يمكن أن يربط بقصة أو حكاية يعود إليها، أي أن يذكروا لكل مثل قصة. غير أنه عندما يقرأ هذه القصة يجد اختلافًا، وشيئا من التضارب في ردّ المثل إلى الحادثة الأولى، وإنما يعود ذلك إلى الحالات المتماثلة، التي استخدم فيها المثل، بالإضافة إلى الحادثة الأولى. ومن هنا يرى أن لا تلازم بين القصة والمثل دائما وإنما يمكن أن تكون شرحا للمثل، أو العكس، المثل شرح لها⁽²⁾.

هذه التحديدات تجمع أركان المثل وهي: "مجازية الأسلوب واقتضابه، وواقعية صورهِ البلاغية، وتنغيمه".

وفي تعريف المثل تتقل الدكتورة نبيلة إبراهيم، تعريف الشيخ محمد رضا الشيببي، في تقديمه لكتاب الأمثال البغدادية للشيخ، جلال الحنفي. فتقول:

يقول الأستاذ محمد رضا: « الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم، ومحصول خبرتهم، وهي أقوال تدل على إصابة المحز وتطبيق المفصل، هذا من ناحية المعنى، أما من ناحية المبنى، فإن المثل الشرود يتميز عن غيره من الكلام بالإيجاز ولطف الكناية، وجمال البلاغة والأمثال ضرب من التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة، وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعرية»⁽³⁾.
أما أحمد أمين، فيعرفه بقوله: « المثل الشعبي نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم ومزية الأمثال أنها تتبع من كل طبقات الشعب»⁽⁴⁾.

(1) - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص156.

(3) - جلال الحنفي، الأمثال البغدادية، سنة 1962، ص3، نقلا عن نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص174.

(4) - أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، ص61، نقلا عن نبيلة إبراهيم، المرجع السابق الصفحة نفسها.

3-نشأة المثل الشعبي:

قد يرتبط تاريخ نشأة المثل الشعبي، بتاريخ نشأة اللهجة العامية في الأقطار العربية المختلفة. « فالبعض يرى أن اللغة التي وصلتنا عن الجاهلية وصدر الإسلام، وعصر الدولة الأموية والعباسية، ليست لغة العامة، وإنما لغة الخاصة، لغة الشعراء والكتاب، أما العامة فكانوا يتحدثون لغة أو لهجة عامية، نشأت من تزواج العربية الفصحى ببعض اللهجات الدخيلة عليها، وأن الكتاب كانوا يُفصِّحون ما يروى على ألسنة العامة في كتبهم»⁽¹⁾.

غير أن هذا الرأي لا يؤكد سوى اختلاف لغة البادية عن لغة الحضر، واختلاف بعض الاستخدامات اللغوية في بلد عن آخر، ولكنها جميعا متضمنة في إطار اللغة العربية، وليست لهجات مستقلة بمفرداتها، وينطقها عن الفصحى التي كتب بها الشعراء والكتاب.

ويرى الكاتب: "حلمي بدير" أن العامية ازدهرت لما ضعفت الدولة الإسلامية والإمارات العربية، عندها دخلتها لكنة مملوكية، ودخلتها اللغة التركية التي أصبحت هي اللغة الرسمية على ألسنة الحكام، ومن والاهم. وأخذت اللهجات العامية تتشكل بعدة تأثيرات، منها تأثر اللغة العربية بلغات البلدان المفتوحة، ثم تأثرها بلغات الشعوب التي غزت البلدان العربية أيام ضعفها⁽²⁾. كما حصل في بلدان المغرب العربي، التي تأثرت باللغات المحلية كالأمازيغية، في بداية الأمر، ثم بلغات الدول الأوربية التي غزت هذه البلاد، كالفرنسية والإيطالية والإسبانية.

وربما لهذه الأسباب جاءت عاميات الدول العربية مختلفة عن بعضها، وقد لا يشمل الخلاف كل الظواهر اللغوية، لكن أكثر الخلاف يكون في معاني بعض المفردات العامية، وفي مخارج أصوات الحروف، وفي اللفظة المتحدث بها. « وقد استتبع ذلك خلاف جوهري في لغة الأدب الشعبي، ومن ثمَّ في الأمثال العامية، التي عرفت تطورا حسب اللهجة العامية في كل إقليم من الأقاليم العربية»⁽³⁾.

(1) - حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، ط2، مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، سنة 1997م، ص 33.

(2) - المرجع السابق، ص 34.

(3) - المرجع السابق، ص 35.

وعلى هذا، فالأمثال الشعبية قيلت بالعربية الفصحى، حين سادت الفصحى، وقيلت باللهجات العامية في أزمنة متأخرة. «وهي كلّها ناتجة عن تجارب إنسانية، فردية أو جماعية، عميقة الجذور في شعب معيّن»⁽¹⁾.

غير أنه من الصعب البحث عن أصل الأمثال الشعبية أو نشأتها؛ لأن المثل لا يصير مثلاً إلا بعد أن يسير وينتشر بين أفراد الشعب، وهذا لا يتأتى له إلا بعد فترة زمنية قد تطول في ظل انعدام وسائل الإعلام الحالية، التي يمكنها أن تروج له.

يرى زایلر: «أن المثل الشعبي قد نطق به فرد في زمن معيّن، وفي مكان ما. فإذا مس المثل حسّ المستمعين له، فهو حينئذ ينتشر بينهم، وكأنه عبارة ذات أجنحة»⁽²⁾. ولا يختلف "رابح العوي"، مع "زایلر" في كيفية خلق المثل، أو نشأته، حيث يعتبر خلقه يعود إلى الشخصية المفردة، وذلك في مختلف طبقات الشعب، ومن أي مجال في الحياة، ثم ينتشر دون اهتمام بقائله، وهذا الانتشار يدل على أن المثل قد مس حس المستمعين له، وبالتالي يصير ملكاً لهم جميعاً، «ويزداد انتشاره مادامت هناك حاجة لاستخدامه، وبذلك يكتب له العيش مع الأجيال التي تحتاج إلى الاستشهاد به، بحسب ملائمة مغزاه للزمن والظروف الشبيهة بالحال التي قيل فيها القول الذي اتخذ مثلاً، ووركن إلى عالمه حين نودّ تجنب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا»⁽³⁾.

وتكمن صعوبة معرفة قائل المثل وتاريخه ومنبعه، في عدم اهتمام الناس بمعرفة القائل؛ لأن الذي يهتمهم منه هو مدى تعبيره عمّا تزخر به نفوسهم، ومن الصعوبة - أيضاً - تعدد منابع الأمثال؛ فهناك الأمثال الريفية، وهناك الأمثال الحضرية، كما أنها تتبع من عدّة أوساط حرفية وطبقات اجتماعية.

ومع ذلك يمكن إرجاع بعض المعاني أو بعض الألفاظ إلى حقبة زمنية معيّنة حسب ما توحى به الألفاظ، فمثلاً المثل الشعبي الجزائري «إذا عطاك العاطي ما تشقى ما ثباطي»⁽⁴⁾. ومعناه إذا قدر الله لك رزقا فلا تحتاج إلى شقاء أو معاناة أو كفاح.

(1) - رشوان حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، ص 43.

(2) - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 175.

(3) - رابح العوي، أنواع النثر الشعبي، ص 44.

(4) - من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

ولعلّ لفظة "تباطي" من الأصل الفرنسي **Battre** بمعنى المعاناة والكفاح، وهذه اللفظة يستدل منها على أن المثل قيل بعد دخول فرنسا الجزائر. وتأثر الشعب الجزائري بلغة الغازي.

و تنوع مصادر الأمثال، وتفاوت أزمنة صدورها، يجعلنا أمام أمثال متضاربة أحيانا كالذي لاحظته رابح العوي في المثلين التاليين: «القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود - اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب».

حيث يقول: «إن هذا الخلاف بين المثلين راجع إلى الفوارق في أصلهما، أو في مدى تأثيرهما على النفس، تأثيرا يدفع الشخص للتعبير عن تجربته تعبيرا، يلخص نتيجتها المطابقة لها لتعيش مرّة أخرى بما يوافق تجربته ونتائجها. وتجارب الناس قد تختلف، وقد تتفق في نتائجها، فقد يكون المثل الأول دعوة للفقير بالتقشف في ظرف ما، وقد يكون المثل الثاني دعوة للميسور بالإنفاق، وبالتالي فكل مثال نابع أو موجّه إلى فئة معينة»⁽¹⁾.

وقد لا يكون هناك تضارب بين المثلين لأن كليهما يدعو إلى التوسط في الإنفاق فالأول يدعو إلى عدم التبذير، والثاني يدعو إلى عدم التقثير، وهذا ما يوافق ما تدعو إليه التربية الإسلامية. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾⁽²⁾ فكأن يد البخيل مغلولة إلى عنقه وهي كناية عن الشح والتقتير أما بسط الكف فكناية عن التبذير، وفي الآية دعوة إلى حسن الاقتصاد المتمثل في عدم الشح والبخل الذي يضر بصاحب المال وبالمجتمع، كما أن تبذير المال في غير وجوهه الضرورية المشروعة، يؤدي بصاحبه إلى الإفلاس، بالإضافة إلى أن هذا التصرف ممقوت.

(1) - رابح العوي، أنواع النثر الشعبي، صص 45-46.

(2) - سورة الإسراء، آية 29.

4- خصائص المثل الشعبي ومميزاته:

يعد المثل الشعبي من أهم فنون التعبير الشائعة بين الناس، والمتناقلة بين أفراد المجتمع في العصر الواحد، وعبر العصور المتعاقبة.

يشير عبد الله بن المقفع، إلى أن الكلام إذا ما صيغ في قالب مثل، يتضح منطقه ويستصيغه السمع، وينفتح على مختلف ضروب الحديث، وفي ذلك تعيين لثلاث خصائص أساسية في المثل هي: وضوح المعنى، وجمال الأداء، وعموم الدلالة. يقول في هذا الشأن: «إذا جعل الكلام مثلاً، كان أوضح للمنطق، وأنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث»⁽¹⁾

وأضاف ابن عبد ربه، إلى الخصائص السابقة، خاصية الشيوخ والتداول، فيقول: «والأمثال هي وشي الكلام و جوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة لم يسر شيء بسيرها، ولا عمّ عمومها»⁽²⁾.

أما نبيلة إبراهيم فتقول: «وهكذا نستطيع أن نقول: إن الخاصية الأولى للمثل هي استخدامه للألفاظ استخداماً فنياً، يبتعد عن كل تحديد لغوي، وفي وسع هذه الألفاظ أن تربط بين هذه الأفكار ربطاً قوياً متماسكاً»⁽³⁾ وتوضح رأيها بتشريح المثل: «الجار ولو جار» فتقول: «لو حاولنا أن نبين وضع كلمة الجار من الناحية النحوية، فإننا نجدها تحتل - من وجهة نظر النحويين - تأويلات مختلفة. فقد تكون منصوبة على التخصيص، وقد تكون مفعولاً به لفعل وفاعل محذوفين، وقد تكون مبتدأ لخبر محذوف. على أن فن الكلمة هنا يبتعد عن كل هذه التأويلات، التي من شأنها أن تقلل من قيمة الكلمة الفنية. فكلمة الجار هنا تقف بمفردها محملة بمعان كثيرة، دون أن تكون في حاجة إلى أي تأويل من التأويلات»⁽⁴⁾.

ويتميز المثل الشعبي، من حيث لغته، بظاهرة كثافة المعنى، الذي تحمله كل مفردة

(1) - الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، ص 14.

(2) - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 3، ص 63.

(3) - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 186.

(4) - نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص 186.

« وهي كثافة تجعل المفردة المستخدمة في المثل تختلف في معناها عن المفردة نفسها المستخدمة في اللغة العادية، أي أنها تتجاوزها وتفوقها من حيث الدلالة والمعاني الحاقة»⁽¹⁾. وفي هذه الميزة، للدكتور عبد المالك مرتاض رأي في تشريحه لنص المثل: "ما يبقى في الوادي غير أحجاره" فهو يحلل كثافة لفظة الوادي ولفظة أحجاره ، ويذكر الحيز والزمان الأدبيين، ويتكلم عن الحجم واللون، والمحتويات، يتكلم عن نفعه، وعن علاقته بالزراعة وال عمران، والثورة، أحجاره، نوعها شكلها لونها، تقيدها بالوادي، نفعها، رمزها، وعلاقتها بالوادي وغيرها⁽²⁾.

وفي إطار التكتيف وتعدد القراءات، يورد حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المثل المصري: «أحييني النهار ده، وموتني بكرة»، ويصاغ عندنا في الجزائر: «أحييني اليوم واقتلني غدوة» وهذا المثل يشرحه المؤلف بقوله: «إنه يحث على عدم النظر للغد، وعدم التفكير في العواقب، إنما لي الساعة التي أنا فيها»⁽³⁾.

وفي رأيه أن هذا المثل يخالف تعاليم الإسلام وتوجيهاته، التي تدعو إلى تدبّر الأمور، والتفكير في عواقبها؛ بل إنه يدعو إلى تغافل الآخرة والحساب، بأسلوب غير مباشر، حيث إنه يدعو إلى معايشة اللحظة واليوم، دون النظر إلى ما بعده، و الشرع الحكيم يذم من يعتنقون هذا المبدأ، قائلًا فيهم: ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾⁽⁴⁾. ويذهب أبعد من ذلك عندما يعتبر أن هذا المثل يتضمن دعوة خفية إلى الاسترسال في اللهو؛ طالما أنه يدعو إلى عدم النظر إلى العواقب، فيكون الاهتمام إذاً بمتاع الحياة الدنيا.

بينما القراءة السائدة في الجزائر، لفهم هذا المثل تخالف قراءة هذا الكاتب. حيث إنه حمّله ما لا طاقة له به، كما أنه قوّله ما لم يقله، أو يشر إليه؛ وذلك أن هذا المثل عندنا في الجزائر وفي منطقة بوسعادة على الخصوص، يضرب ويقصد به التعجيل بفعل الخير، وعدم

(1) - بورايو عبد الحميد، الأدب الشعبي الجزائري ، ص65.

(2) - عبد المالك مرتاض ، عناصر التراث الشعبي في - اللاز - دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية سنة1984م، صص 77-83.

(3) - رشوان حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، ص52.

(4) - سورة الروم، آية 7.

انتظار المواعيد التي قد لا تتحقق، وقد يموت الإنسان قبل أن تتحقق، فهو من جهة يعضد الأثر الذي يقول: «خير البر عاجله» كما أنه يشير إلى الآية: ﴿.. وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت..﴾⁽¹⁾. فالإنسان المؤمن هو الذي يؤمن بأن أجله قد يأتي في أية لحظة؛ لأنه أقرب إليه من حبل الوريد، فعليه أن يعجل بخير الدنيا والآخرة.

ومن خصائص المثل الشعبي كما لخصها بعض الدارسين:⁽²⁾

- الطابع الشعبي: الذي يتمثل في أسلوبه الذي يتضمن فلسفة شعبية بسيطة، نابعة من الحياة اليومية الجارية، ولذا فهي تدرك بسهولة؛ لأنها في دائرة التجربة الشعبية المصوغة بأسلوب شعبي بسيط.

- الطابع التعليمي: وهذا لأن المثل يطلعنا على حقيقة تجربة، لخص نتائجها في جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسله بذاتها، فتلاقي قبولا وذبوعا يمنحها أثرا في صقل تجاربنا، وتهذيب خبراتنا، وتوسيع أفق معرفتنا، وذلك؛ لأننا نعيش -من خلال المثل- التجربة التي عبر عنها أو عن جوهرها بأي شكل كان، كالقول القصير، والقصة والقصيدة ونحن في أثناء ذلك نشعر بهدف المثل، الذي يعكس تجربة فردية.

- المثل الشعبي ذو شكل أدبي مكتمل: « بنى مستقلة بنفسها مكتفية بذاتها »⁽³⁾.

- المثل الشعبي متنوع التراكيب: فهي قد تكون قصيرة، وقد تكون طويلة، وقد تكون مرسله وقد تكون موقعة (مسجوعة)، كما يمكن أن تكون متسلسلة أو متباعدة، وقد يحدث أن تكون مصحوبة بجمل معترضة أو مكررة، أو يكون تكوينها منطقيا يربط النتيجة بالمقدمة.

- المثل الشعبي غير معرب: يأتي في شكل لغوي لا يحترم الإعراب، وإنما يخضع للذوق الفطري، الذي فرضه الوسط الاجتماعي.

- ميزة الأمثال الشعبية أنها تتبع من كل طبقات الشعب.

(1) - سورة لقمان، آية 34.

(2) - راجع العوي، أنواع النثر الشعبي، صص 72-81.

- وينظر: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، صص 174-176.

- وينظر: حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، صص 32-33.

(3) - عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في -اللاز- ص 98.

- المثل الشعبي يعيش بين جميع طبقات الشعب بخلاف زایلر الذي يحصره في الطبقتين الدنيا والمتوسطة، أما طبقة المفكرين فتكثر بينها الأقوال المأثورة والحكم.
- المثل الشعبي يسمو على الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب.
- المثل الشعبي موجز اللفظ : بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير من الدلالة.
- المثل الشعبي مصيب المعنى: فشرط الكلام القليل الدلالة المباشرة على المعنى المراد دون تزيد أو نقصان.

- المثل الشعبي يمتاز بحسن التشبيه: وهو مطلب بلاغي. وبجودة الكناية، وبهذا يصبح قمة البلاغة وقيمتها في الدلالة على المعنى المراد، والصيغة المطلوبة.
- ارتباط المثل بمتغيرات البيئة: فيبقى منه ما يتصل بحاضر الحياة الاجتماعية، ويكاد يندثر ما لا يتفق مع طبيعة المتغير الحضاري؛ فعندما يوصف أمر بقولنا: "هذه الثالثة الأثافي".

يقول حلمي بدير: «لا تكاد تجد عددا كبيرا من المثقفين يدركون المعنى المراد من هذا المثل. والأثافي هي الأوتاد التي تشد في الأرض لتمسك الخيمة، والخيمة لا تستقر إلا بثلاث ولهذا فالأثافية الثالثة هي الركيزة الأساسية فيها، وعندما يطلق هذا المثل على أمر أو حدث ؛ فهو يعني أنه الأساس أو الركيزة الأساسية»⁽¹⁾. ويحتاج الأمر إلى شرح أصل المثل ليذكر المراد منه؛ نظرا لتغير حياة الحضر، وبعدها عن حياة البادية، وقس على ذلك الكثير من الأمثال. ومما يلاحظ على شرح هذا المثل، أن حلمي بدير، قد خالف ما هو معروف من أن الأثافي هي ثلاثة أحجار، يوضع عليها القدر لإنضاج الطعام على نار الحطب، وتسمى بالعامية المناصب. « ورماء بثالثة الأثافي، إذا رماه بدهاية عظيمة، وثالثة الأثافي القطعة من الجبل يُجعل على جنبها أثفتان، وتنصب القدر عليها، ومعناه أنه رماه بأمر عظيم، مثل قطعة جبل. قال خفاف بن ندبة:

فلم يك طبهم جبنا ولكن — رميناهم بثالثة الأثافي»⁽²⁾.

وقال زهير بن أبي سلمى في معلقته: ⁽¹⁾

(1) - حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ، ص 33.

(2) - أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ص 263.

أثافي سُفعا في مُعرسٍ مِرْجَلٍ - وَثُويا كَجِذَمِ الحَوْضِ لم يَتَنَلِّمَ
وفي شرح المعلقة السبع للزوزني، جاء :

الأثفية. جمعها أثافي، بتنقيل الياء وتخفيفها، وهي حجارة توضع القدر عليها، ثم إن كان من الحديد سمي منصبا، والجمع المناصب، ولا يسمى أثفية. سُفعا: السود، والمعرس: أصله المنزل، من التعريس وهو النزول في وقت السحر، ثم استعير للمكان الذي تنصب فيه القدر.

المرجل: القدر عند ثعلب من أي صنف من الجواهر كانت.

النؤي: نهير يحفر حول البيت ليجري فيه ماء المطر، ولا يدخل البيت. الجذم: الأصل. وقد اشتقت العامة من النؤي الفعل (وَنَى⁽²⁾) يُؤْنِي، على غير قياس.

وهو يعني في الفصحى عدم الجدّ في العمل، أما في منطقة بوسعادة فيعني، أن يقوم الريفي بحفر نهير صغير حول خيمته ليصرف ماء المطر إلى جنباتها، وعادة ما يُنْصَبون الخيام على أرض بها انحدار. ومن هذا الفعل كان المثل الشعبي: « وَنَى قَبْلُ ما يُجِيئُ السَّيْلُ »⁽³⁾.

ويضرب في الاحتياط للأمر قبل حدوثه.

- المثل خلاصة التجارب ومحصل الخبرة.

- المثل يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم.

غير أن هذه الخصائص لا تقتصر على المثل الشعبي وحده ، بل يشاركه فيها المثل العربي الفصيح، كما أنها تتعداه إلى أشكال أدبية أخرى، كالحكم والأقوال المأثورة والنكتة.

- يمتاز المثل الشعبي بالعمق والشاعرية الملتفة في ثوب من الشفافية ، مما يسهل حفظه وتداوله، على الرغم من أنه لم يخرج من إبداع شاعر،

وذلك أن الأمثال فضلا عن أنها حكمة الأمم، ومرآة الشعوب، هي لغة الشعب كلّ

(1) - الزوزني، أبوعبد الله الحسين بن أحمد الزّوزني، شرح المعلقة السبع، ط3، لبنان: دار الجيل بيروت، سنة 1979م، ص101.

(2) - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م، ص1345.

(3) - الذاكرة الشعبية لمنطقة بوسعادة.

الخاصة والعامة⁽¹⁾.

- المثل الشعبي يحمل خصائص النص المفتوح، بحيث نستطيع أن نقرأه قراءات عدّة ونؤوله تأويلات متباينة، فإذا سمعنا المثل القائل:

« **اللي يركب جملين يَشْرَكُ** »⁽²⁾، فإن معناه الواضح القريب يحذر من أن يركب الشخص المفرد على جملين في وقت واحد، وإلا سوف يشق جسده نصفين ، ولكن ما يقصده المثل هو التحذير من مغبة الزواج بامرأتين، فالركوب على جملين صعب بل مستحيل، يمكن أن يُفقد الراكب حياته ، وكذلك الزواج بامرأتين.

- « التركيز سمة أساسية في المثل فهو لا يصف التجربة أو يسرد تفاصيلها، ولكنه يحمل رأيا فيها، ومن خلال هذا الرأي يمكن إدراك أبعاد التجربة، وموقف الإنسان منها »⁽³⁾.

فالمثل: « **اللي تَلْقَاكَ عند السَّكَّةَ***، تَلْقَاكَ عند المحراث »⁽⁴⁾.

وهو مثل جزائري من منطقة بوسعادة، صادر عن الفلاحين، ومفاده: أنه عندما يشرع الفلاح في حرث الأرض بمحراثه الخشبي، المزود بسكة حديدية، والذي يجره حيوان، يمكن أن تعترض السكة صخور، أو جذوع أشجار، فتعطل عملها أو تؤثر في حداثتها، وإذا افترضنا أن الفلاح تجاوز العقبة الأولى، وواصل الحرث، فإن الصخرة أو الجذع قد تصعد، وينتقل تأثيرها إلى المحراث الذي يمكن أن يُكسر. فما على الفلاح إلا أن يتجنب الحرث في هذه المنطقة.

ويُضرب المثل، في من أراد أن يقيم شركة أو يتزوج امرأة ، وطرحت عليه بعض الشروط الصعبة أو لاحظ بعض التصرفات التي لا يرضاها - في بداية الأمر - فإن تجاوزها أثناء العقد، فإنه سوف يلاقيها بعد العقد أو بعد الدخول بالمرأة، فمن الأفضل تجنب هذا الوضع منذ البداية. وقبل أن تتعقد الأمور؛ لأن المقدمات تنبئ بالنتائج.

(1) - ينظر: طارق فراج، وأمين أنور، مقال: من الأمثال الشعبية بالوحدات، مجلة الفنون الشعبية، العددان، 76-77 الهيئة المصرية العامة للكتاب، السنة 2008/2007 م، ص116.

(2) - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - رشوان حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، ص42.

(4) - من الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

* - السكة: حديدة حادة معدة لتركب في سن أو تنوء المحراث لتشق بها الأرض.

والمثل يصف تجربة ويقدم رأيا غير مباشر فيها، فهو لا يطلب من السامع تجنب الحرث أو العقد أو الزواج أو غير ذلك، وإنما يفهم الرأي، والطلب من خلال السياق، ومن خلال الأثر.

- ومن خصائص المثل الشعبي استعماله صيغة الإفراد بكثرة، وخصوصا اسم الموصول "اللي"، ولا يستخدم صيغة الجمع إلا قليلا، « وتعليل هذه الظاهرة واضح، إذ ليس هناك قضية اجتماعية في طرح المثل، وإنما هناك دوافع سلوكية تنطبق على الجماعة كأفراد لا كجماعة»⁽¹⁾.

ويرى التلي بن الشيخ، في استعمال اسم الموصول "اللي" ومعناه الذي أو التي، عند صياغة المثل الشعبي "اللي تَخْدُمُو طِيْعُو، واللي تَرَهْنُو بِيْعُو" أن هذه الصيغة لا تخاطب شخصا معينا "اللي ترهنو" رغم ما يفهم من ظاهر الخطاب، وإنما يصوغ المثل هذه العبارة لمن شاء أن يعتبر، دون التأكيد، أو الإشارة إلى الاستفادة من العبرة أو عدم الاستفادة⁽²⁾ - « يتميز أسلوب المثل الشعبي بتجنب أسلوب الوعظ والتوجيه، أو أسلوب الترغيب والترهيب الذي يلجأ إليه القصاص الشعبي؛ ذلك أن طريقة النقد في الأمثال الشعبية تعتمد على التلميح والإيحاء ... ويتحاشى التجريح والتعريض السافر»⁽³⁾.

- من مميزات المثل الشعبي أنه لا يُحَكَم عليه بالسلب أو الإيجاب، « لأنهما حالتان تلازمان الموقف، والموقف رفض أو قبول لقضية؛ بينما المثل وصف لحالات سلوكية، لا يلزم فيها اتخاذ موقف »⁽⁴⁾.

- من مميزات الأمثال الشعبية الجزائرية، نقاوتها، وتعلقها بالفصحى، واستنادها إليها وبعدها عن العجمة والرتانة. يقدم الدكتور عبد المالك مرتاض الدليل على ذلك، بتحليل عدد من الأمثال الشعبية الجزائرية؛ أكتفي بمثلين مما قدّم في دراسته، الأول: « شكرتني أمّ وخالتي » فهو لا يرى في هذا المثل ما يتنافى مع العربية الصحيحة، والاستعمال الفصيح، ويرد على من يعترض على لفظة «أمّ» هنا، ويرى الصواب أمي بقوله: العربية لم تضجر بهذا

(1) - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص 157.

(2) - المرجع السابق، ص 179.

(3) - المرجع السابق نفسه، ص 159.

(4) - المرجع السابق نفسه، ص 180.

الاستعمال، ومثاله موجود في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قال يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي...﴾⁽¹⁾ فهنا بالذات لم تقل الآية: «يا ابن أمّي»، وإنما قالت: «يا ابن أمّ»، بفتح الميم المشددة كما جاء في المثل الشعبي الجزائري، أما مضرب المثل، فهو يضرب لكل امرئ ناقص، ويرى نفسه كاملا، ثم لا يجد دليلا يستدل به على كمال شخصيته، أو خلقه إلا أراء الأقرباء وأعز الأصدقاء.

المثال الثاني: «كلب سوء، يجيب اللعنة لمولاه»، أسقطوا الهمزة من «يجيء» على دأبهم في مثل هذا الحرف. ويجيء+ ب الشيء. والكلمتان نحتت منهما كلمة واحدة؛ هي (يجيب)، بمعنى يأتي ب. يجيب اللعنة= يأتي باللعنة. أما لفظ «مولاه» فهو فصيح صحيح. وهذا المثل يضرب للذرية غير المهدّبة، التي كثيرا ما تكون عرضة للنقد، والتجريح الشديدين داخل المجتمع؛ أي أن الأولاد غير الصالحين يُسببون اللعنة لأبائهم، بما يرتكبون من أفعال سيئة. وهو يشبه إلى حدّ بعيد المثل العربي القديم: «على أهلها جنت براقش»⁽²⁾. - ومن خصائص المثل الشعبي تعدده في الموضوع الواحد، بطريقة تبدو في الظاهر متناقضة مثل قولهم: «خوك خوك لا يُغرّك صاحبك. وقولهم: خوك من وatak موش خوك من أمك وباباك»⁽³⁾.

فالمثل الأول يؤكد على القرابة في النسب، ويحذر من علاقات تقوم على الصداقة والمنفعة بينما يؤكد المثل الثاني على المنفعة والمصلحة؛ فالأخوة المتينة أو الصداقة هي التي يجدها الإنسان في الشدائد والملمات، «والحقيقة أن هذه الخاصية، خاصية التناقض الظاهري أو اللفظي في الأمثال الشعبية، تتماشى ومنطلقات الأمثال في التعبير؛ ذلك أن المثل رصد للسلوك الإنساني في حالات ومواقف متغيّرة، وليس رسدا لقضية ذات موضوع، ووضع اجتماعي محدد»⁽⁴⁾.

-يتميّز المثل بانطلاقه من نقطة مركزية صغيرة، ثم يمتد وينتشر في دائرة عنكبوتية، تتسع

(1) - سورة طه، آية 94.

(2) - عبد المالك مرتاض، مقال: «دلالة الأمثال والحكم الشعبية على نقاوة عاميتها»، الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، عدد 25 سنة 1975 م ص-ص 33-51.

(3) - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص157.

(4) - المرجع السابق، ص158.

بالتدرج لتشمل بلدا كاملا، ثم بلدانا كاملة متجاورة، فغالبية الأمثال تتشابه في أكثر من منطقة، فهل يا ترى نشأ ذلك التشابه من أنها نابعة جميعا من مصدر واحد، ثم ارتحلت وهاجرت شرقا وغربا، شمالا وجنوبا ؟ أم أنها نشأت في ظروف اجتماعية متشابهة فتماثلت وتقاربت؟

يجيب عن هذا التساؤل أحمد رشدي صالح بقوله: « أن هذه البلاد جرت بينها ارتحالات لنصوص أدبية وذاعت بينها اقتباسات. بسبب التجارة أو الغزو... وإذا مرّ المجتمع بنفس المرحلة التاريخية التي مرّ بها شعب آخر، واشتق لنفسه ذخيرة من تلك القواعد العامة، وإذا تشابهت مع أمثال شعب آخر، فمرد ذلك إلى وحدة التجربة التاريخية... ولكنهما قد يختلفان في التفاصيل لأن الشعبين لم يمرّا بالتفاصيل نفسها... وأما التشابه اللفظي والمعنوي فيدل على أن المثل قد ارتحل، لأنه يستجيب لحاجة في كيان هذا المجتمع أو ذاك»⁽¹⁾ وباختصار فالعامل الأول: هو الضرورة التاريخية، والعامل الثاني: هو الارتحال والاشتباك بين الحضارات المختلفة.

وعليه يمكن للأمثال أن تخترق حدود الدول، كما هو حادث في المنطقة العربية، ومن أمثلة ذلك، « الجهود التي قام بها : نعيم شقير الشامي في كتابه "أمثال مصر والسودان والشام" وغيره ؛ فالحواجز الجغرافية لم تقف حائلا دون انتقال المثل من بقعة إلى أخرى ، وأن كل بقعة من تلك البقاع قامت بتطويعه، وإعادة صياغته ليتلاءم مع بيئتها، مع الاحتفاظ بمدلول المثل ومعناه بلا تشويه»⁽²⁾.

5- أهمية المثل ودوره:

تعد الأمثال الشعبية تعبيراً شعبياً، يعكس الخلفية التاريخية، وخبرة الإنسان من خلال ممارسة الحياة نفسها، « وهي خبرة أدركها الإنسان من خلال عملية إدراكية جماعية، تخرج به من إطار التجربة الذاتية، إلى مجال الخبرة الجماعية، التي تعبّر عن فكر ووجدان جمعي»⁽³⁾.

(1) - أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، ج2، صص 11-12.

(2) - طارق فراج ، وأمين أنور، مجلة الفنون الشعبية ، صص 114-115.

(3) - رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع ، ص 41.

والأمثال الشعبية هي تسجيل قولِي كلامي، في جمل قصيرة لبعض ما مرّ بالإنسان من أحداث، استخلص منها مآثر ومواعظ، فقلّ أن تجد مثلاً لا يحمل معه الشرح الكاشف لمجرى أحداث القصّة، وما كان من أشخاصها، فهي تكشف بدلالاتها عن أن فعل الإنسان إذا فقد قيمته الإيجابية في الحياة، تحوّل هذا الفعل إلى انتقاص من قيمة الإنسان نفسه صاحب هذا الفعل. وقد أبى الشعب أن يهمل أو ينسى هذه الأحداث، فسجلها في هذه الكلمات التي يتناقلها الناس بالرواية جيلاً بعد جيل، وعصرًا بعد عصر، «مما جعل الأمثال تأخذ جانباً خاصاً من ألوان القول، وهي تؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على الأمور، وعلى السلوك الإنساني، وذلك عكس الحكمة التي تبقى كما هي كلمات ليس معها هذا التفصيل الكاشف»⁽¹⁾

فالمثل أقوى تأثيراً في العلاقات الاجتماعية، وألصق بحياة الناس، حتى الوقت الحاضر، ومرد هذه الظاهرة في رأي التلي بن الشيخ، أن المثل الشعبي لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف مرحلية معيّنة، مثل القصة الشعبية، وإنما يركز على السلوك الإنساني في ظروف وحالات متغيرة، سواء أكان السلوك فردياً أم جماعياً، وارتباط المثل بالسلوك، يعني الاهتمام بالفروق الفردية بين الأشخاص والجماعات ... والعكس واضح في القصص، والشعر معا، فالقصيدة الغزلية مثلاً، قد تحتفظ بتأثيرها مدة أطول من تأثير شعر الحماسة أو شعر الرثاء، لارتباط موضوع الغزل بعاطفة أقوى وأبقى؛ بينما لا تحافظ قصيدة الحماس، على نفس التأثير⁽²⁾ لهذا قيل: «إن المثل الشعبي أهم من الشعر والقصة، وأقرب إلى الصدق في التعبير عن الظواهر الاجتماعية»⁽³⁾.

- المثل يستعمل طريقة الإرشاد، فيضعك أمام حالات سلوكية معيّنة، ويترك لك حرية تطبيق ما تريد، مما لا تريد، فلو سمعنا المثل: «اللي أعطى كلمته، أعطى رقبته» أو كما يقال في الجزائر: «الكلام كي البارود إذا خرج ما يرجعش» ليس في هذين المثلين إكراه ولا توجيه، إنما هناك حالة سلوكية فاضلة، من وقى بوعده، كان صورة للفضيلة، والأخلاق

(1) - رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(2) - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص 157.

(3) - جميل الجبوري، الشعر الشعبي العراقي، بغداد، ص 7، نقلاً عن التلي بن الشيخ، المرجع السابق، ص 157.

الحميدة، وكذلك المثل: «اللي شَفْتُو راكب على قَصْبَة قُلْ لَه مبروك العَوْدُ أو الحصان» ومعناه لا تتدخل فيما لا يعنك، ولا تشتغل بالناس، فهذا المثل الشعبي يوجه توجيهها غير مباشر، بخلاف المثل العربي، القائل: « لا تتدخل فيما لا يعنك ، لكي لا تسمع ما لا يرضيك». فصيغة الأمر في هذا المثل تنظر إلى المستقبل، وتهدف إلى غرض تعليمي. «ولعلّ الطابع غير التعليمي في المثل الشعبي، يرتفع به إلى مستوى أدبي فني، لم يكن ليصل إليه لو أنه كان يهدف إلى غرض تعليمي صريح»⁽¹⁾.

تهدف الأمثال إلى نقد الحياة من خلال تلخيصها للتجارب الفردية، وكثيرا ما يشعرونا المثل بنقص في عالم الأخلاق، «وليس هذا سوى انعكاس لما يسود عالمنا التجريبي من عيوب أخلاقية، فمن الأمثلة الضاحكة التي تعرض نماذج من حياتنا مليئة بالنقد والسخرية المثل الذي يتندر على تلك المرأة التي لا تتأنق إلا خارج بيتها فيقول: «برة وردة وجوة قردة» فهي تتأنق لغير زوجها»⁽²⁾ ومثله المثل الجزائري: «تَهَكِّمُ و الضحك عَلَيْهَا و تَتَوَحَّمُ و الدم يُجِيهَا». ففي المثل الأول نقد واتهام للمرأة، وفي المثل الثاني وصف بالحق.

- استحوذ المثل على شعبية كبيرة بشيوع استخدامه في كل مناسبة، قولية أو كتابية استخدمه السياسيون في خطبهم، والأدباء في شعرهم ونثرهم، واستخدمته العامة في حديثها العادي، للاستشهاد أو التوجيه، وذلك لأنه يحمل عصارة التجارب الإنسانية، سواء اتفقت في النتائج أو اختلفت، فعندما نسمع المثل: « تَهَكِّمُ و الضحك عَلَيْهَا و تَتَوَحَّمُ و الدم يُجِيهَا » «فهذا المثل يعبر عن مدرك من مدركات الحياة، يصح أن يصبح قاعدة، ولكننا نفاجأ بما يناقضه تماما»⁽³⁾ كالمثل: « النار تولد الرماد» فالرماد ليس مثل النار؛ لأنه خال من الحرارة فالمثلان يقف كل منهما على حدة، ليعبر عن تجربة مفردة. وكل هذا يدل على أن عالمنا عالم تجريبي.

- ولضرب المثل أهمية كبيرة في توضيح المعنى، وتجسيد المتخيل، لذلك اهتم العرب بضرب الأمثال، واستحضر العلماء المثل في كل مناسبة تحتاج إلى شرح أو إفهام.

(1) - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص178.

(2) - المرجع السابق، ص 179.

(3) - المرجع السابق نفسه، ص177.

« .. ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه شاهد، وفيه تبيكت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبّي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكلام الأنبياء والحكماء»⁽¹⁾.

والمتتبع لأي القرآن يجد الكثير من الأمثال التي تصور المعنوي بالمحسوس بقصد الإفهام والاعتبار. وفهمها متوقف على العالمين.

قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس ولا يعقلها إلا العالمون﴾⁽²⁾.

ولما كانت الأمثال فناً من الفنون الأدبية الشعبية الحيّة، تعلّقت بكل شيء، وتناولت كل شيء يتصل بالحياة، «فتراها تعالج الأخلاق والحكمة، والتربية والتوجيه، والسخرية والتهكم، والنكتة والفكاهة، والعظة والعبرة، والحب والكره، والاضطراب والاطمئنان، والخوف والأمن، والسعادة والشقاء، والخصب والجذب، والحرب والسلام، والحياة والموت.

... فكل ما يتصل بالحياة مجال فسيح لفن المثل... والأمة إذا كثرت أمثالها، دل ذلك على ذكائها، وحيويتها، ثم على تأثرها بحوادث الحياة، وانفعالها معها: فإذا هي توجز الملاحم المهولة، والقصص الطويلة، والاضطرابات الطاحنة، والخطوب السوداء، في عبارة قصيرة جامعة، هي ما يسمى بالمثل»⁽³⁾.

- الأمثال تعبّر عن مصائرنا بما تحمله من تجارب السابقين، التي مازالت صالحة لحاضرنا ومستقبلنا، «إننا نعيش جزءاً من مصائرنا في عالم الأمثال، على عكس الأنواع الشعبية الأخرى مثل الأسطورة والحكاية، فالأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ؛ نركن إليه حينما نود أن نتجنب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا»⁽⁴⁾.

- المثل بالنسبة للعامة قانون يحتم الالتزام به، والإيمان الكامل بما يحمل من معنى، فكم من أمثال أنهت خلافات، وحلّت مشاكل خاصة، ودليل ذلك القصة التالية: يذكر الكاتب: «أن

(1) - الزمخشري، الكشف، م 1، ص 195.

(2) - سورة العنكبوت، آية 43.

(3) - عبد المالك مرتاض، مقال: دلالة الأمثال والحكم الشعبية على نقاوة عاميتها، الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، عدد 25، 1975م، ص 34.

(4) - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 182.

رجلا استعار من أبيه قدوما ليصنع بها أوتادا لأبقاره، وبعد أيام عدّة سأله أبوه عن القدوم فأخبره أنه سيحضرها غدا، غير أنه تماطل حتى اشتكاه لشيخ القرية، فقال له: «ما عليك يا ابني - وزى ما قال لك داك - "إدّي يا إيدي واتعبي يا رجلي"، فتمتم أبوه موافقا وذهب ليحضرها بنفسه»⁽¹⁾.

ويدعم المثل المصري مثل جزائري يقول: «ما يتفقو اثنين حتى يُعوذّ الدرك على واحد»⁽²⁾ ويضرب المثل عندما يختلف زوجان أو شريكان أو أخوان؛ فلا بدّ أن يتنازل أحدهما للآخر وإلاّ انقضت الشركة أو فسخ العقد.

ومن هذا الاتجاه، يأخذ المثل دورا آخر، يظهر فيه أثر التشريع الاجتماعي (العرف) ، ولئن أخذ المثل دور الناصح، الذي يقول ما ينبغي أن يسود، ويشير إلى ما ينبغي أن يزول، فإنه قد فرض تبعا لذلك الشروط والسنن، واللوائح والقوانين التي تنظم العلاقات بين الناس بعضهم ببعض من ناحية، وبين الناس وولاة أمورهم من ناحية ثانية، وبين العبد وربّه من ناحية ثالثة.

قال المثل: «اللي تخدمو طيعو، و اللي ترهنو بيعو. وقال: العبد في التفكير والرب في التدبير»⁽³⁾.

ولذلك فالأمثال الشعبية لها احترامها وتقديرها في نفوس الناس، ولها سلطانها عليهم . وقد عرف العرب ذلك عنها، فاستكثروا منها في كلامهم، فيما عرف قديما باسم "التضمين" وحديثا باسم "التناص".

وإذا كانت للأمثال كل هذه الأهمية، فما دور المثقف الجزائري في جمعها ودراساتها؟ لقد اهتم بعض المثقفين الجزائريين بجمع الأمثال الشعبية الجزائرية، وشرحها، غير أن مجهودهم في هذا الميدان يعد قليلا. إذا قيس بحيوية، هذا الصنف من الأدب الشعبي وبسبب تداوله، وممن كان لهم السبق في هذا المجال، وتركوا أثرهم في جمع الأمثال أذكر بعض المصنفات التي سمعت عنها أو وقعت في يدي.

(1) - طارق فراخ ، وأيمن أنور، مجلة الفنون الشعبية ، ص113.

(2) - من الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(3) - من الذاكرة الشعبية - بوسعادة.

6-مصنفات الأمثال الشعبية الجزائرية:

يعود أقدم كتاب جمع فيه صاحبه: محمد بن شنب، الأمثال الشعبية الجزائرية إلى مستهل القرن العشرين، « وكان قد سبقه إلى ذلك، بعض الكتب التي وُضعت لتعليم اللغة العربية الدارجة، في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، وهي مؤلفات وضعها مستشرقون، وبعض تلاميذهم من الأهالي الجزائريين، الذين كانوا يقومون بتدريس العربية الدارجة في المدارس العليا الفرنسية-الإسلامية في هذا العهد، ثم في المدرسة العليا للآداب بالجزائر، النواة الأولى لجامعة الجزائر»⁽¹⁾. وفي ما يلي المصنفات:

1- مصنف محمد بن أبي شنب:

الذي سماه: أمثال الجزائر والمغرب العربية، مجموعة ومترجمة ومشروحة Proverbes Arabes de L'Algerie et du Maghreb. recueillis, traduits, et commentés. بلغ عدد الأمثال في هذا المصنف 3127 مثلا، وهو قد جمعها من كتب المستشرقين، ومما سمعه من الأهالي، ثم قام بترجمتها إلى الفرنسية، وصنفها وفقا للحروف الأبجدية، وقام بشرحها، وذكر الأماكن التي سمعها فيها، وذكر ما يوازيها من أمثال عربية وغير عربية، كما تحدث عن ما هو مستعار من القرآن أو الحديث أو الأمثال العربية، وبين كيفية أدائها وقيمتها.⁽²⁾

2- مصنف قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية:⁽³⁾

ترجمه عبد الرحمن الحاج صالح، يحتوي هذا المصنف على 1010 مثل، وصنفه صاحبه على حسب الموضوعات، وخصص لكل حقل دلالي بابا، يورد فيه الأمثال التي تداولها الناس في منطقة الجنوب الغربي الجزائري.

3- مصنف عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية⁽⁴⁾: جمع صاحبه أكبر قدر من الأمثال المتداولة في "قرية الحمراء" غرب مدينة سطيف، ويحتوي مصنفه على حوالي 640 مثلا مرتبة ترتيبا أبجديا مصنفة ومفهرسة ومشروحة ومعلق عليها.

(1) - عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 69.

(2) - المرجع السابق، ص 69-72.

(3) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، دار الحضارة. د/ت.

(4) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 154.

4- مصنف رابح خدوسي: موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية⁽¹⁾.

وهو عبارة عن مجموعة من الأمثال الجزائرية ، رتبها ترتيبا ألف بائيا، وبلغ عددها 3000 مثل، وفيه الكثير من الأمثال المكررة، ومما يلاحظ على هذا المصنف، أنه عبارة عن جمع، ليس فيه لا شرح ولا تعليق.

5- مصنف عز الدين جلاوجي: الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف⁽²⁾.

جمع صاحب المصنف حوالي 350 مثلا، ورتبها ترتيبا ألف بائيا، غير أن شرحها قليل.

6- مصنف جعكور مسعود: حكم وأمثال جزائرية⁽³⁾.

احتوى هذا الكتاب على 1070 مثلا، جمعها صاحبه من الشرق الجزائري "عين مليلة" وقد رتبها ترتيبا ألف بائيا، وشرحها حسب معناها المتداول في المنطقة، وحاول ربطها بما يشابهها من الأمثال العربية أو الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية.

-خلاصة:

إن المتتبع لاستعمال الأمثال في الحياة اليومية- وبخاصة الأمثال السائرة- يبهره قوة صمودها تجاه عاصفة التناسي والإهمال في الدراسات الرسمية أو في المناهج الدراسية؛ مما يدل على أن الأمثال من الأدب الحي المحمي ذاتيا، المتداول بين أفراد المجتمع يوميا- سواء أكانت فصيحة أم عامية- وهذا لأنها تحمل عصارة تجارب المجتمع وخبرته، كما أنها صيغت في عبارات بليغة موجزة، تمتاز بكثافة المعنى وإصابة المحز، كما تمتاز بتوازن وتناغم موسيقي جذاب مما جعلها تبقى وتنتشر، برغم تغير شكلها أحيانا حسب البيئة؛ ولكن مضمونها ثابت. وإذا كان الشعر مستودع أخبار العرب، وديوان أسرارهم؛ فإن الأمثال جاءت رديفة لذلك الشعر، من قبل ومن بعد.

والدارس للأمثال العرب في جاهليتها وإسلامها، يكتشف المساحة التي غطتها الأمثال، إنها اشتملت على موضوعات نفسية، اجتماعية، أخلاقية، أدبية ... وقد صاغوها من بيئتهم الطبيعية. فكانت مرآة لحياتهم، وهي صادقة مطابقة للواقع في أحيان كثيرة، وقد لا

(1) - رابح خدوسي ، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، دار الحضارة :1997م.

(2) - عز الدين جلاوجي، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف، منشورات دار الثقافة لولاية سطيف 2007م.

(3) - جعكور مسعود، حكم وأمثال شعبية جزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2008م.

يطابق بعضها الواقع، إذا قابلناها بحياتنا الحاضرة. و لقيمة الأمثال وأهميتها في الإفهام، جاءت في أرقى النصوص بلاغة وشرفاً، (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف). ومع هذه الأهمية لم تحظ بالدراسة الكافية؛ - كما حظي الشعر - حيث أن ما جمع من أمثال، كان منذ الخلافة الأموية، أي أن أول كتاب موجود ومطبوع هو: كتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي (ت، نحو 170هـ). حسبما ذكره عبد المجيد قطامش في كتابه "الأمثال العربية" وآخر كتاب هو: كتاب المستقصي في أمثال العرب للزمخشري (538هـ).

ثم ألفت بعض الكتب؛ ولكنها عبارة عن نقل عما سبق كما هو الحال مع كتاب: زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي. (ت، ق 11هـ).

وإذا كان الدارسون لم يهتموا كثيراً بدراسة الأمثال العربية منذ عدة قرون، فإنه في السنوات الأخير بدأ الاهتمام بها يزداد، وبخاصة عبر الإذاعات الجهوية، حيث خصصت حصص للأمثال، يشارك فيها المستمعون بآرائهم، وبفهمهم، وإضافاتهم، كما أن إدراج مقياس الأدب الشعبي في الجامعات جعل الأساتذة الباحثين والطلبة، يساهمون في إحياء هذا التراث وبعثه، عبر ما يُعدُّونه من بحوث ومذكرات و أطروحات.

الفصل الثاني

التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية

تمهيد

- التأثير والتأثر
 - التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية
 - تناسل الأمثال الشعبية مع الموروث الثقافي العربي الإسلامي
- خلاصة

التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية

تمهيد:

لا شك أن عناصر الطبيعة يؤثر بعضها في بعض، وكثيرا ما يظهر أثر التأثير جليا للعيان؛ فالحرارة في الصيف تؤثر في الحديد فيتمدد، والبرودة في الشتاء تؤثر فيه فينكمش ويعود إلى حجمه، فتصبح الحرارة والبرودة مؤثرين، والحديد متأثرا بهما، والأثر التمدد أو الانكماش. قال الله تعالى: ﴿فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾⁽¹⁾. جاء في تفسير البغوي: «أراد برحمة الله المطر، أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض، وقال مقاتل: أثر رحمة الله أي نعمته وهو النبت»⁽²⁾. فالمطر هو المؤثر بقدرة الله، والأرض اليايسة متأثرة بالمطر، وأثر التأثير والتأثر هو النبات.

وفي البيئة الاجتماعية يؤثر الآباء في الأبناء بفعل التربية؛ فينشأ الطفل على معتقدات والديه أو معلميه أو أبناء مجتمعه؛ ولذلك قيل: «من أشبه أباه فما ظلم»⁽³⁾. مشابهة في الخلقة أو الخلق. يضرب المثل في تقارب الشبه، ومعناه: من أشبه أباه فقد وضع الشبه في موضعه، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

وفي المجال الثقافي والأخلاقي يتأثر الأفراد ببعض النماذج البشرية سلبا أو إيجابا بفضل الاحتكاك والملازمة؛ فيتصرفون تصرفهم، ويمشون مشيتهم، ويتحدثون حديثهم. وتأثير المؤثر قد يكون مقصودا كما يفعل الدعاة والمربون، أو غير مقصود؛ كمن يقوم بواجبه في مجال عمله؛ فيتأثر به آخرون. والتأثير يكون من طرف خارجي؛ فالمرء قد يتأثر بشخصية قرأ عنها أو شاهدها على شاشة التلفزيون مثلا، فيتبنى أفكارها أو يحاكيها في خطابها .. أما التأثير فإنه ينشأ داخل المتأثر نفسه، وهو حالة من الشعور الإيجابي أو السلبي تتحرك في نفس الفرد حول فكرة أو شخص آخر، فيحدث تغير فكري أو سلوكي، دلالة على تقبل أو

(1) - سورة الروم، آية 50.

(2) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 6، ص 277.

(3) - أبوهلال العسكري، جبهة الأمثال، ج 2، ص 197.

رفض. جاء في الحديث النبوي الشريف: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»⁽¹⁾.

وكما يقع التأثير و التأثر بين الأفراد والجماعات، يقع أيضا بين الشعوب والأمم في بناء الحضارة؛ فقد أثرت الحضارة العربية الإسلامية عندما كانت في أوج قوتها في بلاد الغرب. «إن أساس الثروة والقوة الاقتصادية والتأثير القوي في كل مكان، كان كامنا في الأرباح العربية. بل قل: إن أساس كل رخاء سابق في بلاد الغرب قد نبت في سلال التوابل العربية ونما معها»⁽²⁾.

ولكن ما المقصود بالتأثير و التأثر؟ وهل هناك تأثير متبادل بين الحضارتين العربية الإسلامية من جهة، والغربية من جهة أخرى، في الميادين العلمية والأدبية؟ وهل هذا التأثير و التأثر امتدا إلى الأمثال الشعبية ؟ هل كان للخلفية الثقافية العربية الإسلامية أثر في شكل أو مضمون الأمثال الشعبية الجزائرية – في ما يعرف بالتناسل – ؟ هذا ما سأحاول مقارنته في هذا الفصل.

أولاً- التأثير والتأثر:

1-التأثير و التأثر لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: أثر: الأثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور. وخرجت في إثره وأثره؛ أي بعده، و أنتثرته و تأثرته: تتبعته أثره عن الفارسي. والأثر بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء. والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء: ترك فيه أثرا. والآثار: الأعلام.

والأثر: الخبر، والجمع آثار. وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ..﴾⁽³⁾. أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم، ونكتب آثارهم؛ أي من سنّ سنة حسنة كتب له ثوابها، ومن سنّ سنة سيئة كتب عليه عقابها. وسنن النبي - صلى الله عليه وسلم - آثاره. وفي القرآن:

(1) - أبو داود، سليمان ، سنن أبي داود، المجلد4، ص261، حديث رقم:4833.

(2) - زيفريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الحوري، ط3، دار الجيل بيروت، 1993م، ص36.

(3) - سورة يس، آية 12.

﴿إيتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾⁽¹⁾. قال الزجاج: أثارة في معنى علامة، ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم. ومآثر العرب: مكارمها ومفاخرها التي تؤثر عنها، أي تذكر وتروى.

قال ابن سيده: وعندي أن المآثر مفعول لا فعل له كما ذهب إليه أبو علي في المفثود الذي هو الجبان. وأثر الوجه وأثره: ماؤه ورونقه. وأثر السيف: ضربته. وأثر الجرح: أثره يبقى بعدما يبرأ⁽²⁾.

2-التأثير و التأثير اصطلاحا:

أما المقصود به في الاصطلاح العلمي و الأدبي، فيمكن اختصاره في الأخذ والعطاء، أي أن تأخذ أمة من أمة أخرى ما تحتاج إليه، في مختلف الميادين - صناعية زراعية ، طبية ، لغوية، أدبية..- والأمة الآخذة يمكن أن تُبقي على المأخوذ كما هو، كما يمكن أن تطوره، أو تهدي به لإنتاج أو إبداع أشياء أخرى، وما ينطبق على الأمة ينطبق على الأفراد. فالأفراد -أيضا- يأخذون عن غيرهم بدافع الحاجة أو الإعجاب.

والتأثير قد يكون إيجابيا أو سلبيا أو عكسيا، كما يرى محمد غنيمي هلال.

فالتأثير الإيجابي: ألا يكون العمل الثاني أقل جودة أو أصالة وإبداعا عن العمل الأول، مع تأكيد الاتصال في ما بينهما، فإذا استفاد شاعر عربي من شاعر غربي في أي مجال، وكان الشاعر العربي مبدعا؛ فإنه يهضم ما يتلقاه، ثم ينسجه مع مكونات أخرى بلا وعي منه في نسيج خاص جديد يختلف عن نسيج العمل الأول، «ولن يضير كاتبنا سمهما تكن عبقريته ومهما سما فئه- أن يتأثر بإنتاج الآخرين ويستخلصه لنفسه، ليخرج منه إنتاجا منطبعًا بطابعه، متسما بمواهبه؛ فكل فكرة ذات قيمة في العالم المتمدن، جذورها في تاريخ الفكر الإنساني الذي هو ميراث الناس عامة، وتراث ذوي المواهب منهم بصفة خاصة، وقد أشار إلى ذلك (بول فاليري) Poul Valéry في كتابه : choses vues قال: « لا شيء أدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين، فما الليث إلا عدّة خراف

(1) - سورة الأحقاف، آية 4.

(2) - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 4، ص-5-8.

مهضومة»⁽¹⁾. فالأصالة المطلقة مستحيلة؛ فأكثر الشعراء والكتاب مدينون لسابقيهم، وأن التأثير طابع الآداب والمدارس الأدبية جميعا. وأن المحاكاة الرشيدة طريق إغناء اللغات. أما التأثير السلبي: فهو عندما يكون التأثير تقليدا Imitation دون إحداث أي تطوير أي عندما لا يكون العامل المؤثر مساعدا على الإبداع والإنتاج. « غير أن كلمة المحاكاة في ذاتها غامضة، طالما أسفت إلى التقليد الذي يمحو الأصالة. وإنما يقصد بها التأثير الهاضم الأصيل، لا التقليد الخاضع للذليل»⁽²⁾.

و أما التأثير العكسي Influence à repours: فهو يعني الاختلاف والتعدد والتنوع ففي الأدب المقارن، قد يكون حول موضوع من الموضوعات أو حول شخصية تاريخية، كأن يقاوم الكاتب أثر كاتب آخر في أدب أمة أخرى؛ فينتج من هذه المقاومة أثرها في تأليفه. وفي هذا يرى غنيمي هلال: أن أحمد شوقي - في مسرحيته الشعرية (مصرع كليوباترا 1927) - قد تأثر في فكرة دفاعه عن "كليوباترا" - بوصفها مصرية - بالأعمال المسرحية الغربية الكثيرة، التي أظهرت كليوباترا (76-30 ق.م) على أنها امرأة شرقية مصرية مستهترة بغي؛ ولذلك حاول شوقي أن يرد إليها اعتبارها أمام التاريخ، بصفتها ملكة مصرية، تقدم مصلحة وطنها على حبها. وبهذا فشوقي قد تأثر تأثرا عكسيا بأولئك الأدباء والمؤرخين⁽³⁾.

3- بداية العلوم وتطور الحضارات في ظل التأثير والتأثر:

الحضارة الإنسانية تطورت، وتتطور بفضل التفاعل الحاصل بين الحضارات والأمم في شكله الأفقي المكاني، وفي شكله العمودي الزماني. وليست هناك حضارة أمة بدأت من الصفر، لتحتل بذلك المرتبة الأولى، ثم ترتب وراءها باقي الحضارات التي أتت بعدها. فالمعرفة الإنسانية مصدرها الأول، الله عز وجل؛ لأنه هو الذي علّم الإنسان عبر الزمن وفي مختلف العصور، كيف يدير حياته ويصنع أشياءه، وهو الذي زوّده بوسائل التعلم والحفظ والكشف، والربط، والتعليل والاستنتاج؛ ليبني على ما تعلمه، ويستغله في تعلّيمات جديدة. وبهذا تنمو المعارف وتزداد الخبرات، وينقلها الإنسان إلى خلفه عن طريق الممارسة

(1) - ينظر: هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، نخبة مصر للطباعة والنشر، د/ط، القاهرة، 2004م، ص 19.

(2) - ينظر: المرجع السابق، ص 29.

(3) - ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 18.

أو المشافهة أو الكتابة أو الأثر الباقي. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى هذا التعلّم الذي يتم بوسائل كثيرة منها: الوحي و الإلهام إلى الأنبياء أو الصالحين من عباده. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽¹⁾. جاء في التفسير، « قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: علّمه اسم كل شيء حتى القصعة و القصيعة، وقيل اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة، وقيل أسماء ذريته، وقيل صنعة كل شيء. قال أهل التأويل: إنّ الله عزّ وجلّ علّم آدم جميع اللغات، ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة، فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة»⁽²⁾.

وفي تعليمه الإنسان الصناعة قال الله تعالى - موجهًا نبيّه سيدنا نوح عليه السلام -: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾⁽³⁾. وفي تفسير البغوي، قال ابن عباس: بمرأى منا، وقال مقاتل: بعلمنا، وقيل: بحفظنا (ووحينا): بأمرنا. وقيل: أوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوجو الطائر⁽⁴⁾.

ومعنى الصنع إيجاد شيء معدوم من أشياء موجودة، كصناعة الكراسي والطاولات من الخشب، أو صناعة الأحذية من الجلد، أو صناعة الدروع والسيوف من الحديد... فالله قد علّمه بالوحي والإلهام كيف يصنع السفينة، ليصبح ما صنعه خبرة لمن يأتي بعده. كما علّم داود عليه السلام كيف يصنع الدروع. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾⁽⁵⁾. جاء في التفسير: تلك هي صنعة الدروع حلقة متداخلة، بعد أن كانت تصنع صفيحة واحدة جامدة، و الزرد المتداخل أيسر استعمالاً وأكثر مرونة. ويبدو أن داود هو الذي ابتدع هذا النوع من الدروع بتعليم الله. والله يمن على الناس أن علّم داود هذه الصناعة لوقايتهم في الحرب. ﴿ليحصنكم من بأسكم﴾.

والحضارة البشرية سارت في طريقها خطوة خطوة وراء الكشف، ولم تجئ طفرة؛ لأن خلافة الأرض تركت لهذا الإنسان، ولمداركه التي زوّده الله بها ليخطو في كل يوم خطوة

(1) - سورة البقرة، آية 31.

(2) - البغوي، تفسير البغوي، مجلد 1، جزء 1، ص 80.

(3) - سورة هود، آية 37.

(4) - البغوي، تفسير البغوي، م 4، ج 12، ص 173.

(5) - سورة الأنبياء، آية 80.

ويعيد تنسيق حياته وفق هذه الخطوة. وإعادة تنسيق الحياة وفق نظام جديد ليست سهلة على النفس البشرية؛ فهي تهز أعماقها، وتغيّر عاداتها و مألوفها، وتقتضي فترة من الزمان لإعادة الاستقرار الذي تطمئن فيه إلى العمل والإنتاج⁽¹⁾.

ومن مدارك الإنسان و وسائل تعلّمه ما ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون﴾⁽²⁾. فالله زوّد الإنسان بهذه الوسائل قبل أن يخرج من بطن أمه، و وظيفتها تبدأ منذ خروجه إلى الحياة، فبهذه الحواس يتم الإدراك ويتم التعلم، ودونها لا يكون أي تعلم. جاء في التفسير: ذكر أن من نعمه، أن أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً لا علم لكم بشيء، وفيه ثلاثة أقاويل: - أحدها لا تعلمون شيئاً مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم. الثاني: - لا تعلمون شيئاً مما قضى عليكم من السعادة والشقاء. الثالث: - لا تعلمون شيئاً من منافعكم.

ثم ابتداءً فقال: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾. أي التي تعلمون بها وتدركون؛ لأن الله جعل ذلك لعباده قبل إخراجهم من البطون؛ وإنما أعطاهم ذلك بعدما أخرجهم، أي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي، والأبصار لتبصروا بها آثار صنعه والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته، والأفئدة جمع الفؤاد، نحو غراب، وأغربة. وقد قيل في ضمن قوله: ﴿وجعل لكم السمع﴾. إثبات النطق لأن من لم يسمع لم يتكلم، وإذا وجدت حاسة السمع وجد النطق⁽³⁾.

ومن طرق التعليم، التعليم بالاقتراء أو التقليد، فالأستاذ يحل المسائل أمام التلاميذ ليفتدوا به في حلّها، عندما يتبعون خطواته في ذلك، ومثل هذا نجده في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه﴾⁽⁴⁾. فقابيل عندما قتل أخاه هابيل، واحتار في ما يفعل بجثته، بعث الله غراباً ليتعلم منه كيفية الدفن. فيريه

(1) - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ط6، دار الشروق، بيروت، 1410هـ-1990م، المجلد4، الجزء 17، ص 2390.

(2) - سورة النحل، آية 78.

(3) - ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1965م، المجلد5، الجزء 10، ص 151.

(4) - سورة المائدة، آية 31.

بمعنى يعلمه. وفي تفسير البغوي: « فلما رأى قابيل ذلك قال: يا ويلتا- كلمة تحسر- فقبل لما رأى الدفن من الغراب، أنه أكبر علما منه، وأن ما فعله كان جهلا ، فندم وتحسر»⁽¹⁾.
والحضارة العربية الإسلامية بدأت مع بداية نزول الوحي على الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- وبامتداد الإسلام إلى الشعوب الأخرى - غير العربية- عن طريق الفتوحات والتجارة والبعثات العلمية والدعوية، أخذت اللغة العربية تنتشر بانتشار الإسلام، و طفقت الترجمة تشق طريقها إلى الاستفادة من مخزون الحضارات القديمة، كالحضارة الهندية والفارسية في الشرق، وكالحضارة اليونانية والرومانية في الغرب. وبفضل التفاعل والاحتكاك بين هذه الحضارات والشعوب، وهيمنة المسلمين باللغة العربية، لغة القرآن، تكونت الحضارة العربية الإسلامية على أراضى الحكم الإسلامي. وامتد شعاعها إلى شعوب الحضارات القديمة التي خبت جذوتها إبان نشوء وازدهار الحضارة العربية الإسلامية في القرون الوسطى. وصارت تلك الشعوب تستفيد من نتاج الحضارة العربية الإسلامية وتتأثر بكل جديد يخترعه المسلمون؛ لأن المعارف الإنسانية يكمل بعضها بعضا. و « بساط الحضارة بساط نسجته أيد كثيرة، وكلها تهبها طاقتها، وكلها تستحق الثناء والتقدير»⁽²⁾.

ولا شك أن المؤثر -غالبا- يكون أقوى من المتأثر، سواء في ذلك أكانت القوة عسكرية أم قوة ثقافية. فعندما سادت اللغة العربية أثناء حكم المسلمين في الأندلس تخلص الإسبان المسيحيون عن لغتهم اللاتينية وتعلقوا باللغة العربية التي كانت لغة العلم والأدب. وفي هذا يورد العقاد رأي أحد الكتاب الإسبان فيقول: « ويروي لنا "دوزي" في كتابه عن "الإسلام الأندلسي" رسالة ذلك الكاتب الإسباني -الفارو- الذي كان يأسى أشد الأذى لإهمال لغة اللاتين والإغريق والإقبال على لغة المسلمين، فيقول: إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها»⁽³⁾.
ونضع خطأ تحت قاهريهم؛ فالقهر لم يأت من القوة العسكرية وحدها، وإنما أتى من قوة اللغة في العلم والأدب. وهذا ما يؤكد ابن خلدون في قوله: « فصل في أن المغلوب مولع

(1) - البغوي، تفسير البغوي، م3، ج6، ص44.

(2) - زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص14.

(3) - العقاد، عباس محمود، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978م، ص57.

بالاقتداء بالغالب في شعاره وزِيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده. والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وقر (سكن أو ثبت) عندها من تعظيمه؛ أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها، حصل اعتقاداً، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء... ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب، في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها. بل وفي سائر أحواله... وتأمل في هذا سرّ قولهم: "العامّة على دين الملك"؛ فإنه من بابه، إذ الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بأبائهم والمتعلمين بمعلميهم»⁽¹⁾.

فنظرية ابن خلدون هذه تتكرر في كل زمان، وإذا صار المغلوب غالباً قلّده المغلوب.

4- تأثير الحضارة العربية في الحضارة الغربية:

وانطلاقاً من فكرة ابن خلدون السابقة، كان تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الغربية، برغم جحود عموم الغربيين وإنكارهم هذا التأثير، كما قال مالك بن نبي في كتابه: وجهة العالم الإسلامي: وليس يغيب عن بالنا، أن أوروبا التي اعتقدت أن العناية قد اختارتها لتستودعها مصائر الإنسانية، قد أخذت منذ عصر (بوكاشيو) - حين كانت حضارتها ترضع في مهدها ألبان حضارة العرب - تتكرر للحضارة الإسلامية تتكرا خالصاً سهلاً، وهاك ما قاله أحد الأوروبيين في هذا الصدد، وهو الدكتور " غوستاف لوبون"، فإنه حين أراد أن يختتم دراسته عن (الحضارة العربية) اختتمها بهذا التأمل الحزين:

« لعل القارئ يتساءل: لماذا ينكر العلماء في هذه الظروف تأثير العرب، وقد كان أولى بهم أن ينتزهوا عن اعتبارات التفرقة الدينية...؟.. الحق أن استقلال آرائنا وتجردها ظاهري أكثر من أن يكون واقعياً، وأننا لا نكون البتة أحراراً في تفكيرنا - كما ينبغي - حيال بعض الموضوعات، فلقد تجمعت العقد الموروثة؛ عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة، حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي»⁽²⁾...

(1) - ابن خلدون، المقدمة، ص-ص 258-259.

(2) - ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، دار الفكر، دمشق، 1402هـ-1981م، ص37-

غير أننا نجد من الغربيين من يعترف بفضل الحضارة العربية الإسلامية، وتأثيرها في الحضارة الغربية، كما جاء في كتاب: شمس العرب تشرق على الغرب - للمستشرقة الألمانية: (زيغريد هونكة). حيث تقول: إن كل الشعوب التي حكمها العرب اتحدت بفضل اللغة العربية، والدين الإسلامي، وذابت بتأثير قوة الشخصية العربية من ناحية، وتأثير الروح العربي الفذ من ناحية أخرى، في وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم.

ومن الأمثلة التي ذكرتها " زيغريد هونكة " في تأثير الحضارة العربية في الحضارة الغربية: تأثر طبقة الفرسان الألمان بالمثال العربي؛ فأصبحوا يتبنون صور الحيوانات كرموز في ساحات الوعى، ثم تحولت هذه الرموز في بلاد الغرب إلى رموز للمكافأة والشهرة وطريقة يتبعها الفرسان جميعاً، حتى غدت نوعاً من العلوم المتعلقة بشعارات الأشراف " Heraldik "، ذات لغة رمزية. وكذلك رسم الصقر المزدوج، الذي كان رمزاً لإمبراطوريات عديدة كالإمبراطورية الألمانية، والملكية النمساوية، والمجرية⁽¹⁾..

وفي شأن صناعة الورق ترى الكاتبة: أنه عن عرب صقلية والأندلس، تعرفت بلاد الغرب على هذه المادة الكثيرة النفع، التي هي في الحقيقة إحدى دعائم الثقافة والحياة الروحية، لقد فتح ورق العرب هذا عصراً جديداً، لم يعد العلم فيه وقفاً على طبقة معينة من الناس، بل غداً مشاعاً للجميع، ودعوة لكل العقول لأن تعمل وتفكر⁽²⁾...

وفي المجال الحربي تقول: ومن المؤكد أن العرب تمكنوا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر أن يستعملوا البارود والقاذف كمادة دافعة للصواريخ.. فعرب الأندلس في إسبانية هم أول من استعمل القذائف النارية في أوروبا لأهداف عسكرية؛ فأصبحوا بذلك أساتذة الأوروبيين في هذا الحقل، وبذلك بلغوا في التعليم حداً أثار العجب⁽³⁾.

ومن المفردات التي أخذها الغربيون عن العرب: كلمة البنان Banan وهو الموز ونحن نعرف أن الموزة تشبه البنان، وهو الأصبع، فقلنا: بنان الموز، فجاء الأوروبيون وأخذوا الكلمة الأولى -البنان- واستغنوا عن الثانية.

(1) - ينظر: زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب، ص42.

(2) - المرجع السابق نفسه، ص46.

(3) - المرجع السابق نفسه، ص-ص50-51.

والكاتبة قد ذكرت كلمات كثيرة، اقتبستها معظم لغات أوروبا عن العرب⁽¹⁾.

و هذه نماذج منها، حصرتها في الجدول الموالي وأتيت بكتابتها في اللغات: (الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية).

العربية	الفرنسية	الإنجليزية	الألمانية	الإسبانية
الموز (البنان)	bananes	Bananas	Bananen	Plátanos
القطن	coton	cotton	Baumwolle	Algodon
الأرز	riz	Rice	Reis	Arroz
كحول	alcool	alcohol	alkohol	alcohol
سكر	Sucre	Sugar	Zucker	azucar

وعن تأثير العرب في الثقافة الألمانية، تتساءل الكاتبة قائلة: لماذا يخطئ الأطفال دائماً في ألمانية عندما يبدؤون في تعلم مبادئ الحساب وينتقلون من الأعداد الصغيرة، 1-2-3.. إلى الأعداد الكبيرة ذات العشرات : 23 مثلاً ، فتقول: العيب ليس عيب الأطفال؛ فالألماني إذا أراد كتابة العدد 23 على السبورة، فهو يترك مسافة صغيرة ثم يكتب الرقم 3 {لأنه يبدأ من اليسار إلى اليمين} ثم يعود ثانية إلى المسافة التي تركها ليملاًها بالرقم 2 لتصبح بهذه الصورة 23. ولو اندمج طفل في الكتابة ولم ينتبه، وكتب الأرقام بالترتيب حسب سماعه إياها تبعاً للنطق بها لكتب 3 أولاً ثم 2 فتصبح خطأ 32 بدلاً من 23 وتتسع شقة الخطأ إذا ما تقدّم التلميذ خطوة أخرى ليكتب أرقام المئات، فهو بعد أن تعود أن يكتب 23 مبتدئاً بالثلاثة ثم الاثنين، يجد الطفل نفسه في حيرة إذا أراد أن يكتب العدد 123 مثلاً حين ينطق بالألمانية: Hundret und dreiundzwanzig فهو يبدأ من اليسار إلى اليمين فيكتب الرقم :1 ثم يقفز ليكتب الرقم:3 ثم يعود ثانية ليكتب الرقم:2 الذي يحتل مركز الوسط. وفي ما بعد، سيعلم هذا الطفل أن شعوباً كثيرة لا تكتب الأرقام بمثل تلك القفزات التي يكتب بها. فالفرنسي يهبط الدرج بانتظام من المئات إلى العشرات إلى الأحاد فيقول:

(1) -ينظر: زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص59.

One hundred and twenty-three وكذلك الإنجليزي يقول: Cent vingt- trois

أي مائة وعشرون وثلاثة. فالنطق يطابق المكتوب.

إن تلك العادة الألمانية هي نفسها العادة العربية في بناء الأعداد حتى المائة، تماماً ككتابتهم من اليمين إلى اليسار، فيقولون: ثلاثة وعشرون أو خمسة وثمانون⁽¹⁾.

فتأثر الألمان بالعادة العربية في كتابة أرقام الأعداد، سبب مشاكل للأطفال الصغار؛ لأنهم يقرأون ويكتبون من اليسار إلى اليمين، وفي كتابة العدد المكون من العشرات يبدوون بالآحاد، أي من اليمين.

والمشكل نفسه يعاني منه التلاميذ في بداية تعلمهم الحساب في المدرسة الجزائرية عندما يصل بهم المعلم إلى رتبة المئات. وبخاصة إذا أُملى العدد، فهو يقول: مائة وخمسة وعشرون. ويكتب: 125. فالإملاء بدأه من اليمين والكتابة بدأها من اليسار.

وقراءة الأعداد نجدها مستعملة بطريقتين في النصوص العربية القديمة:

أ- من الأصغر إلى الأكبر، ابتداء من اليمين (571) إحدى وسبعين وخمسمائة. جاء في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، النص التالي: «.. وعرض علي كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيساني- رحمه الله- عن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله- إلى ديوان الخلافة ببغداد في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وضمّنه ما أبلّاه في خدمة الدولة، من فتح الديار المصرية، ومحو الدولة العلوية*، وإقامة الدعوة العباسية...»⁽²⁾.

ب- من الأكبر إلى الأصغر، ابتداء من اليسار (350) لثلاثمائة وخمسين. كما جاء

في النص الموالي:

وفي التأثير السلبي، ذكر ابن خلدون في فصل: في أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب. والسبب كما يرى: أن العرب أمة وحشية لا تخضع لريقة الحكم، ولا الانقياد للسياسة. وعادتهم الرحلة والتغلب، وهي مناقضة للسكون الذي به العمران. وأن طبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس. وأن رزقهم في ظلال رماحهم. وأنهم يُتلفون على أهل

(1) - ينظر: زيفريد هونكة، المرجع السابق، ص-ص 67-68.

(2) - ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط2، قدّمه وعلّق عليه، أحمد الحويّ وبديوي طبانة، دار نخضة مصر للطبع والنشر، د/ت، القاهرة، ق1، ص56.

الأعمال والصنائع والحرف أعمالهم، لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الأجر والثمن. والأعمال هي أصل المكاسب وحقيقتها. وإذا حكموا فليست لهم عناية بالأحكام وزجر الناس عن المفساد، ودفاع بعضهم عن بعض؛ إنما همهم ما يأخذون من أموال الناس نهبا ومغرما؛ ولهذا تبقى الرعية في ملكهم كأنها فوضى دون حكم، والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران. وهم متنافسون في الرياسة وقل أن يُسلم أحد منهم الأمر لغيره، ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته، إلا في الأقل، وعلى كره من أجل الحياء؛ فيتعدّد الحكام منهم والأمراء وتختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران وينتقص.

ويضرب ابن خلدون مثلا بالخراب الذي أحدثوه. فيقول: وانظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليفة كيف تقوّض عمرانه، وأقفر ساكنه، وبدلت الأرض فيه غير الأرض؛ فاليمن قرارهم خراب إلا قليلا من الأمصار، وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع، والشام لهذا العهد كذلك. وإفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها، وعادت بسائطه خرابا كلّها، بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كلها عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدن⁽¹⁾.

ذكرت أسباب تأخر العرب التي يعتقدها ابن خلدون؛ لأنها ما زالت تتكرر برغم مرور زمن طويل على نشوء الدولة العربية الإسلامية، وبرغم الاحتكاك بالدول العريقة في الشرق والغرب؛ فالبلدان التي ذكرها (اليمن والعراق والشام وإفريقية مثل ليبيا)، تسودها اليوم فتن مدمرة من أجل الزعامة (السلطة).

والمقولة: (إذا عُرِبَت خُرِبَت) التي تنسب إلى ابن خلدون، يُعتقد أنها تعبر عن الماضي والحاضر في شقها البشري، أما اللغة العربية فقد سادت وحملت علوم المتقدمين والمتأخرين.

ومن تأثير الثقافة الفرنسية في المجتمع الجزائري توظيف الكثير من المفردات الفرنسية في لغة التخاطب اليومي - دون الحاجة إليها - ولكنه تقليد المغلوب للغالب، ومنها:

(1) - ينظر: ابن خلدون، المقدمة، صص 263-265.

امتحان السيزيام، والسانكيام، فالأفضل لو قالوا: امتحان السادسة، أو الخامسة. ومثل هذا كثير في التعبير اليومي على مستوى العامة من الناس و على مستوى المسؤولين.

ومن التقليد الرسمي للثقافة الأجنبية في المناهج التربوية، ما جاء في إصلاح منهاج الرياضيات في المدرسة الجزائرية للسنة الدراسية 2004/2003. حيث جعلوا العمليات الحسابية تبدأ من اليسار إلى اليمين ابتداء من السنة الأولى، عكس كتابة الحروف والكلمات. فلجمع 13 و 12 مثلا: يبدأ من اليسار فيكتب 13 ثم يضع العلامة + ثم يكتب العدد 12 ثم يضع العلامة = ثم يقوم بالجمع $13+12=25$.

والمنشور الوزاري أضاف إلى هذه الكتابة استعمال الحروف اللاتينية في الترميز جاء في الفقرة: 3- 1. «على مستوى التعليم الابتدائي: يركز التطبيق في هذه المرحلة أساسا وعلى وجه الخصوص على كتابة وقراءة العمليات الرياضية من اليسار إلى اليمين: المساواة والجمع في السنة الأولى، والطرح والضرب والقسمة في السنوات الموالية مستقبلا.

يمكن أن يكون الإدراج التدريجي للرموز العالمية لوحدات القياس المتداولة، كوحدة قياس الطول: المتر (m)، ووحدة قياس الزمن: الثانية (s)، حسب مستوى تحكم التلاميذ في كتابة وقراءة هذه الحروف...»⁽¹⁾.

ولقد طبقت هذه التوصيات في مناهج المدرسة الجزائرية، وأدرجت في كتب التلاميذ. غير أننا نرى أن هذا الإدراج في المرحلة الابتدائية أثقل كاهل التلاميذ و أضاف مشكلا آخر لهم؛ لأن الأساس في التعليم أن يبدأ من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المركب. ومن الصعوبات التي واجهت التلاميذ استعمال الرمز (h) للساعة، والرمز (min) للدقيقة، والرمز (s) للثانية؛ لأن هذه الحروف ليست الحروف الأولى لكلمات تنطق بالعربية أثناء التعبير الرياضي كما هو الحال مع الرموز (g) للغرام، والرمز (kg) للكيلوغرام مثلا. إن الطالب الذي قد يحتاج هذه الرموز في دراسة بعض المواد العلمية في المرحلة الجامعية، لا يعجزه أن يستبدل الحروف الفرنسية (26 حرف)، بالحروف العربية.

⁽¹⁾ - وزارة التربية الوطنية، استعمال الترميز العالمي والمصطلحات العلمية في المناهج التعليمية الجديدة، منشور رقم: 881 / 2003. الجزائر، 2003/09/10، الفقرة: 3-1.

إن صعوبة التكوين الجامعي باللغات الأجنبية، ليست في هذه الرموز، بل في لغة التعبير، اللغة الأجنبية؛ ثم إن الاستفادة من المراجع الأجنبية يتطلب إتقان اللغات الأجنبية وليس حفظ الحروف الهجائية فقط.

5- تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي:

أما في المجال الأدبي فإن تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي في العصر الوسيط كان واضحاً، وبخاصة في الأندلس؛ حيث جزء من المجتمع الغربي عاش في أحضان الحضارة العربية أثناء الحكم العربي الإسلامي. وكانت معرفة العربية والتوفر على كتبها موطن اعتزاز، ومدعاة فخر في "قشتالة" نفسها حيث بذل (ألفونسو العاشر) أو العالم ملكها (1252-1284م) جهداً مضاعفاً لترجمة التراث العربي إلى القشتالية⁽¹⁾؛ فترجم إليها القرآن، والإنجيل، وكتباً أخرى كثيرة، علمية وأدبية، فدفع بالثقافة العربية إلى العقول القشتالية المثقفة، وغذى النثر القشتالي بالأساليب والأساطير والأمثال العربية⁽²⁾. قال العقاد: «ويزيدنا اعتقاداً لذلك أن أوربة كانت تتلقى آثار الثقافة العربية من ثلاث جهات متلاحقة في القرون الوسطى. أولاها جهة القوافل التجارية التي كانت تغدو وتروح بين آسيا وأوربة الشرقية والشمالية من طريق بحر الخزر أو طريق القسطنطينية، وربما كانت هذه هي الطريق التي وصلت منها أطراف الأخبار الإسلامية إلى بلاد السكندناف.

والجهة الثانية هي جهة المواطن التي احتلها الصليبيون وعاشوا فيها زمناً طويلاً بين سورية ومصر وسائر الأقطار الإسلامية.

والجهة الثالثة هي جهة الأندلس وصقلية وغيرهما من البلاد التي قامت فيها دول المسلمين وانتشر فيها المتكلمون باللغة العربية»⁽³⁾

وتأثير الأدب العربي يظهر في الكثير من الإنتاج الغربي في ذلك العصر، ولتوضيح ذلك أقدم بعض النماذج.

(1) - مكى، الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط2، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1977م، ص374. (القشتالية أصفى لهجات الأندلس المسيحية في العصر الوسيط، وهي كغيرها تفرّعت عن اللاتينية، والتهمت اللهجات الضعيفة التي حولها، ولأن قشتالة موطنها قامت بالدور الأول في حركة الاسترداد المسيحية، أصبحت لهجتها اللغة الرسمية، ولم تعرف كلمة الأسبانية إلا متأخراً.

(2) - مكى، الطاهر أحمد، المرجع السابق، ص356.

(3) - العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص54-55.

النموذج الأول:أ- تأثير طوق الحمامة في الحب المحمود،

تأثير كتاب: طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي- الذي عاش في القرن الحادي عشر- في كتاب " الحب المحمود" لصاحبه: (خوان رويث)، الملقب ب (كاهن هيتا).الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي.

يقارن الطاهر أحمد مكي بين الكتابين، ليستخرج أثر كتاب: طوق الحمامة في كتاب: الحب المحمود. فيبدأ بالسبق الزمني للمقارنة بين الكاتبين.

عاش ابن حزم في الأندلس، في القرن الحادي عشر الميلادي(384-456هـ الموافق لـ 994-1064م).

أما خوان رويث(كاهن هيتا) فقد ولد عام 1295م، في الجانب الإسلامي من الأندلس، وربما في قلعة: يحصب. ويطلق عليها الآن (القلعة الملكية). وأمه كانت جارية لسيد مسلم، يقيم في مقاطعة جيان، وأبوه عاش أسيرا خمسة وعشرين عاما بين قوم يتكلمون العربية، وإذا كان لمقاطعة أن تعرف كتاب (طوق الحمامة) وأن يسير فيها ذكره، بعد قرطبة نفسها فهي (كورة جيان)، مقاطعة الحياة اللاهية والرواقص المشهورات، والقريبة من عاصمة الخلافة. لم يكن (خوان رويث) مجهولا على أيامه، ولا قليل الأهمية، فقد تولى مناصب عديدة، ذات أهمية اجتماعية كبيرة، وأصبح في رعاية (مارية مولينا) ملكة قشتالة وقد عُيِّن كاهنا لمدينة: "سيحونثا" عام 1312م، وله من العمر ستة وعشرون عاما.. وربما درس في جامعة مونبلييه.. وكشاعر يأتي "خوان رويث" في القمة في العصر الوسيط⁽¹⁾.

ضمّن كتابه: "الحب المحمود" كل ما عرفه عن العالم والحياة، ولولا كتابه لجهلنا الكثير من تاريخ العصور الوسطى، إن كتب التاريخ تحدثنا كيف قاتل آباؤنا، وكتب التشريع تخطط لما أرادوه مثلا. أما هو أو هما (الطوق، والحب) فيحدثنا كيف كان يعيش أهل عصره واقعا في بيوتهم وفي الأسواق، في أحزانهم ومسراتهم، ماذا كانوا يأكلون على موائدهم، وكيف كانوا يلبسون ويعشقون.

(1) - ينظر: مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص-ص 348-349.

يقول أحمد مكي: كان "خوان رويث" مثقفا في اللاتينية والعربية وفي القانون والتوراة، وقرأ واعيا كتاب (كوند لوراندو) مجموعة من الحكايات العربية ترجمت إلى القشتالية في زمن مبكر، وحازت شهرة كاسحة، لقد استوعب الحكايات وتمثلها، وأفاد منها واقتبس بعضها⁽¹⁾.

ب_تأثيرات العربية في كتاب: "الحب المحمود":

يرى أحمد مكي: أن الشاعر قد استعمل قدرا هائلا من الألفاظ العربية، استخدمها في مهارة، ورسمها بحروف لاتينية في دقة غير معهودة على أيامه، ولم تقتصر على الأسماء والحروف كما عند الآخرين؛ وإنما تجاوزتها إلى الأسماء وأسماء الفاعلين مثل: النداء YA وشكيمة: Xaquima وفي الإسبانية الحديثة: Jaquima. ومرفوض: Marfuz ومؤنثها: Marfusa. وجملة كاملة، مثل: قلبي عربي: Galbi garabi. وفعل الأمر مثل: اسكت Axut. وامش: Amxi⁽²⁾.

ومن التأثير العربي في إنتاج الشاعر أن أخذ عددًا من قصائده شكل موشحات كاملة في صورتها الفنية الدقيقة، فهي ذات مطلع وأغصان وقفل، وجاءت في اثني عشر دورا. وإذا كان من الوشاحين العرب من وجد عذوبة في أن يوشي موشحاته بخرجة أعجمية، في شكل لفظ أعجمي، أو من عامية أهل الأندلس، فقد جاوز "كاهن هيتا" هذه اللفتة بكثير، وجعل خاتمة كل دور في موشحته لفظا عربيا على نحو ما نرى:

كان "كاهن هيتا"، يرسل سفيرة إلى فتاة عربية:

باسمي قالت القوادة العربية:

يا صديقتي يا صديقتي، طال الزمن ولم أراك، {والصحيح ، لم أرك}.

لِمَ أنت هكذا؟ ما أصعب أن ألقاك،

حب جديد يحييك. فردّت العربية لست أدري les nedri .

ابنتي واحد من القلعة alcala يسلم عليك...

إلى أن تقول: وعندما رأيت العجوز أنها لا تستطيع شيئا. قالت:

طالما قلت لك: حتى هذا نفسه تفتقدينه،

(1) - ينظر: مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص350.

(2) - ينظر: المرجع السابق، ص 357.

لأنك لم تقولي شيئاً، أنا أود الرحيل من هنا.

هزّت العربية رأسها وقالت: امش، امش Amxi amxi⁽¹⁾.

جـ.المشابهات بين طوق الحمامة والحب المحمود:

يقول أحمد مكي: وإذا وقفنا عند المشابهات في النصوص، وضعنا يدنا في قراءة عابرة " للحب المحمود" على بعض منها، يكاد أن يكون ترجمة لما في "طوق الحمامة". يقول ابن حزم، يلتبس لنفسه مندوحة في تأليف الكتاب: «... كان القاضي حمام بن أحمد، حدّثني عن يحيى بن مالك، عن عائذ بإسناد يرفعه إلى أبي الدرداء أنه قال: أجمعوا النفوس بشيء من الباطل ليكون عوناً لها على الحق. ومن بعض أقوال الصالحين من السلف المرضي: من لم يحسن يتفتّى لم يحسن يتقرّى*. وفي بعض الأثر: أريحوا النفوس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد»⁽²⁾.

وعن الموقف نفسه يقول خوان رويث: " كلمات عالم وقالها كتون**":

الرجل بما في قلبه.

يخطط أبهاجا وفكرا باسماء.

لأن الأحزان الكثيرة تلد خطايا كبيرة.

ويقول ابن حزم مشيراً إلى تأثير الحب في النفس: « ومنها أن وجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه، مما كان ممتنعاً به قبل ذلك، كأنه هو الموهوب له، والمسعى في حظه، كل ذلك ليبيدي محاسنه، ويرغب في نفسه، فكم من بخيل جاد، و قطوب تطلق، وجبان تشجع وغليظ الطبع تطرّب، وجاهل تأدب، وتفل*** تزين، وفقير تجمل، وذو سنّ تفتّى، وناسك تفتك، ومصون تبذل»⁽³⁾.

(1) - ينظر: مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص358.

*- يتقرّى، يتقرأ، جاء في المنجد في اللغة والأعلام، ط25، دار المشرق، بيروت، ص617. أقرأ، إقرأ الرجل تنسك، والمعنى: إذا لم يحسن المرء أن يتفتّى في فترة الفتوة، لم يستطع أن يتنسك حين يقع في دور النسك.

(2) - ابن حزم، طوق الحمامة، تحقيق الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص16.

***- مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم ، ص375، (كتون 149-234 ق.م) خطيب روماني شهير، وداعية نقشف، أدرك مبكراً أن ترف روما المبالغ فيه سوف يؤدي بما، فحاول أن يقف في طريقه، وأن يقلل منه، ففشل، وأصبح اسمه يطلق وصفاً على كل رجل ذي عادات متقشفة.

***- المنجد في اللغة والأعلام، مرجع سبق ذكره، ص63، تفل- تفل الرجل: أنن ربحه لترك الطيب والأدهان ، فهو تفل وهي تقلة.

(3) - ابن حزم، طوق الحمامة ص28.

وفي هذا المعنى يقول صاحب الحب المحمود:

«ويخلق الحب من الخشن لطيفا، ويهب القول الجميل لمن كانت كلماته صماء، وبه يعود الجبان شجاعا، ويصبح الكسلان نشطا وجادا، ويحتفظ الفتى بشبابه طويلا، ويعود بالشيخ في كثير، فتى شابا. ويجعل من الأسود أبيض جميلا، مثل السمك. ومن لا يساوي جوزه يعطه الحب شهرة عظيمة»⁽¹⁾.

ويتشابه موقف "ابن حزم" و "خوان رويث" من الرسول الذي يبعث به المحب إلى محبوبه، فلا يكون وفيا، يخون مهمته، ويغدر بصاحبه، ويصطفي الغنيمة لنفسه.

يقول ابن حزم في باب "الغدر": ومن قبيح الغدر أن يكون للمحب سفير إلى محبوبه، يستريح إليه بأسراره، فيسعى حتى يقلبه إلى نفسه، ويستأثر به من دونه، وفيه أقول: أقمت سفيرا قاصدا في مطالبي == وثقت به جهلا فضرب بيننا وحلّ عرى ودّي وأثبت ودّه == وأبعد عني كل ما كان ممكنا فصرت شهيدا بعدما كنت مشهدا == وأصبحت ضيفا بعدما كان ضيفنا

ويقص كاهن هيتا ما حدث له مع رسوله - فرناندو غرسية - وكيف أرسله إلى فتاة تدعى (كروث) تعمل خبازة، فاختص بها نفسه:

عيناى لن تريا النور،

لأني فقدت كروث

* * *

كروث الخبازة الحبيبة

اتخذتها عشيقة،

حسبت الطريق إليها عريضا فوجدته ضيقا،

مثل ما يفعل الأندلسيون.

* * *

فكرت أن تكون لي

(1) - مكى الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ص 359.

قلت لفرناندو غرسية:

احمل لها رضاي ورغبتني

وكن عني محاميا لطيفا ولبقا،

* * *

قال لي: إنها أعجبتَه وكانت على هواه،

وأنه جعل من كروث خاصة به وعشيقه، لقد تركني أجتر النخالة

وأكل الخبز الأكثر حلاوة.

* * *

قدّم لها عملا بنصيحتي،

حنطة طيبة مضى عليها عام،

وأهداها أرنباً

الخائن، الزائف، مرفوض،

* * *

أخزى الله رسولا

عجلاً، بالغ الطيش،

ولا رعى الله صياد الأرانب،

يخص نفسه بالصيد من وراء سيده⁽¹⁾.

(1) - مكّي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم، م، السابق، ص 360-361.

النموذج الثاني: تأثير قصة حي بن يقظان.

تأثير قصة حي بن يقظان لابن طفيل في قصة: النقاد لـ "بلتاسار جراثيان" وفي قصة: روبنسون كروز لـ "دانييل ديفو".

من أشهر القصص العربي التي تأثر بها الأدب الغربي - قصة حي بن يقظان - التي كتبها الفيلسوف ابن طفيل* في القرن الثاني عشر الميلادي في أسلوب قصصي رمزي في شكل صوفي يدعو فيها إلى معرفة الله عن طريق العقل والتأمل الواعي، وهي قصة طفل ولد بلا أب ولا أم، أو ولد لأب وأم، وضعته في تابوت وقذفت به في اليم، فحمله الماء إلى ساحل جزيرة أخرى ورمته به الأمواج إلى وسط أجمة ملتفة الشجر عذبة التربة... فلما اشتد الجوع بذلك الطفل بكى فوق صوتته في أذن طيبة فقدت ولدها، فلما سمعت الصوت ظننته ولدها فحنّت الطيبة ورأفت عليه وألقت حلماتها، و تعهّدت حتى كبر.. وأما الذين زعموا أنه تولّد من الأرض فإنهم قالوا: إن بطننا من أرض تلك الجزيرة تخمرت فيه طينة على مر السنين والأعوام حتى امتزج فيها الحار بالبارد والرطب باليابس امتزاج تكافؤ، وتعادل في القوى.. وكان بعض هذه الطينة يفضل بعضها في اعتدال المزاج والتهيو، وكان الوسط منها أعدل ما فيها وأتمّه مشابهة بمزاج الإنسان، فتمخضت هذه الطينة.. منقسمة بقسمين بينهما حجاب رقيق، ممثلة بجسم لطيف هوائي في غاية من الاعتدال اللائق به، فتعلق به عند ذلك الروح الذي هو من أمر الله تعالى⁽¹⁾..

فحي ابن يقظان، ربّته أنثى الطي في جزيرة منعزلة؛ ولكنه استطاع أن يتوصل إلى حقائق الحياة ووجود الله بواسطة عالم متصوف، يأتي إلى الجزيرة المنعزلة للتعبّد. وقد صور ابن طفيل الإنسان الذي هو رمز العقل في صورة حي بن يقظان، و اليقظان هو الله، ورام من ورائها بيان الاتفاق بين الدين والفلسفة.

* - ابن طفيل / ar.wikipedia.org/wiki/ ابن طفيل الموسوعة الحرة، انترنت يوم 20/09/2014. (هو أبوبكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، ولد بوادي آش أندلوسيا 1110م، وتوفي بمراكش 1185م، فيلسوف ومفكر وقاض وفلكي، وطبيب وشاعر عربي أندلسي، اشتهر بكتابه حي ابن يقظان الذي حاول فيه التوفيق الفلسفي بين المعرفة العقلية والمعرفة الدينية.

(1) - ابن طفيل، حي بن يقظان، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، دط، القاهرة، 2012م، ص-ص 6-7.

ويظهر تأثر الكاتب -أثناء بناء قصته الخيالية- بماء جاء في القرآن الكريم؛ ففي زعم من زعموا أنه تولّد من الأرض، تأثر بخلق الله آدم من تراب. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾⁽¹⁾.

أما جعله في تابوب ورميه في البحر ففيه تأثر بقصة أم موسى عليه السلام، عندما خافت عليه من فرعون أن يقتله. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽²⁾.

أما في تعرّفه على كيفية الدفن - عندما ماتت الطيبة وبتن جسدها، وقامت منه روائح كريهة فزادت نفرتة عنه، وودّ أن لا يراه- ففيه تأثر بما جاء في قصة قتل قابيل أخاه هابيل. قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتّى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين﴾⁽³⁾.

يرى محمد غنيمي هلال «أن أول من ألف رسالة فلسفية على طريقة الصوفية في الرمز هو ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا)، وهو يسمى بالرئيس (980-1037م) وهي تسمى رسالة حي بن يقظان، و"حي" يقصد به العقل الفعّال، أو النفس الملكية المفكرة، وهذا العقل حي دائماً، غير متغير، لا يهرم أبداً، و ابن يقظان كناية عن صدوره عن القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. والرحلة الموصوفة في الرسالة رمزية، ترمز إلى طلب الإنسان المعارف الخاصة..»⁽⁴⁾.

وبعد ابن سينا بنحو قرن ونصف، ألف ابن طفيل (506-581هـ، 1110-1185م) رسالة أخرى بعنوان حي بن يقظان، في أسلوب قصصي رمزي أيضاً، ذي طابع صوفي يدعو فيها إلى فلسفة الإشراق الروحي، عن طريق التأمل.

وقد ترجمت قصة حي بن يقظان إلى العبرية عام 1341م، ثم إلى اللاتينية، ترجمتها إليها "بوكوك" E.Pocoke عام 1671م، بعنوان: الفيلسوف المعلم نفسه Philosophus

(1) - سورة ص، آية 71-72.

(2) - سورة القصص، آية 7.

(3) - سورة المائدة، آية 30-31.

(4) - غنيمي محمد هلال، الأدب المقارن، ص185.

autodidactus، ومن اللاتينية رجمت القصة إلى الإنجليزية، ترجمها George Keith "جورج كيث" ⁽¹⁾.

يرى "محمد رمضان الجري": أن قصة حي بن يقضان راجت « في أوربا رواجاً كبيراً، وألّفوا على منوالها، وتأثر بها الكلاسيكيون، والرومانتيكيون، في الخيال والرمزية، وترجمت هذه القصة إلى الفرنسية والروسية، وصادفت رضى في نفوس الأوروبيين الذين يعتقدون بأن الإنسان قادر على الاهتداء إلى الفضائل الإنسانية، كما راجت عند الرومانسيين لما فيها من سعة خيال» ⁽²⁾.

أ- تأثر بهذه القصة الكاتب الإسباني Baltasar Gracian "بلتاسار جراثيان" (1601-1658م) -حتى إنه كتب قصته (النقاد) كريتكون-criticon- على نفس خط حي بن يقضان لابن طفيل الأندلسي، وظهرت في ثلاثة أجزاء، بين (1651-1675م)، عنوان الجزء الأول منها: "في ربيع الطفولة". وعنوان الجزء الثاني: "في خريف عهد الرجولة". وعنوان الجزء الثالث: "في شتاء الشيخوخة". وهي نقد للعادات والتقاليد في عصر المؤلف ... ويرى غنيمي هلال: أن شبه قصة "جراثيان بلتاسار" بقصة ابن طفيل لا ينحصر في القالب القصصي، ولكن يبدو في الطابع الرمزي واضحاً كذلك. فهذه الرمزية هي جوهر قصة ابن طفيل ⁽³⁾.

وهذا التأثير يأتي طبيعياً في فترة حكم المسلمين للأندلس.

ب- كما تأثر الإنجليزي دانييل ديفو Daniel Defoe (1661-1731م) الذي ألف: روبنسون كروزو Robinsont Crusoe، عام 1719م. وقد عاش في إسبانيا مدة عامين عندما هرب إليها في عصر الاضطرابات والثورات.

ويورد الباحث عامر رضا تجليات التأثير في النقاط التالية:

- أن ابن طفيل عاش في الأندلس قبل ديفو بخمس مائة سنة (كلاهما عاش في إسبانيا).

⁽¹⁾ -المرجع السابق، ص 191.

⁽²⁾ - محمد رمضان الجري، الأدب المقارن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، د/ط، الجزائر، 2002م، ص 129.

⁽³⁾ - ينظر: غنيمي محمد هلال، الأدب المقارن، ص 191-194.

- تشابه الفضاء المكاني لكلا الروائيتين: جزيرة نائية نجد فيها إنسانا وحيدا يحاول أن يفهم ويستكشف كل ما يحيط به، فالقصتان تركزان على شخصية رئيسية واحدة تعيش ظروفًا متشابهة (العزلة والبدائية...).

- تبدو الشخصية الثانوية في القصتين طارئة (أسأل / جمعة) تأتي إلى الجزيرة بعد استقرار الشخصية الرئيسية، إذ تم اللقاء بعد مرور فترة طويلة من العزلة في الجزيرة، وقد أضفت الحيوية على فضاء القصتين.

- نلمح في كلا القصتين الغاية التعليمية؛ فابن طفيل يريد أن يدلل على وجود الله باستخدام العقل والحدس، دون استخدام الشريعة؛ لذلك جعل (حي) إنسانا بدائيا يصل إلى الإيمان عن طريق استخدام العقل أولاً، ثم الحدس، كأنه يطلب من الناس أن يُعِينُوا النظر في هذا الكون ليتوصلوا إلى الإيمان بعقولهم وقلوبهم، لا أن يكون إيمانهم إيماناً تقليدياً، يُحوّل التواصل مع الله تعالى إلى مجموعة من الطقوس، لا علاقة لها بالقلب أو العقل.

- أما " دانييل ديفو" فقد كانت غايته تربية؛ إنه يتوجه إلى الشباب الذين يعشقون المغامرة والسفر بالنصيحة، طالبا منهم النظر إلى ما آل إليه حال- روبنسون- حين لم يستمع إلى رغبة والديه في عدم السفر، ونفذ ما يدور في رأسه من أفكار، فعانى متاعب جمّة استمرت حتى لحظات سفره الأخيرة.

- انعكست في كلا القصتين ملامح السيرة الذاتية للمؤلف، ففي قصة "حي بن يقظان" نجد أن أهم القضايا التي أرقت ابن طفيل هي:

● هل تستطيع الفلسفة أن تؤدي إلى الإيمان بالله، على نقيض القول الشائع: " من تمنطق فقد ترندق"؟

● هل تستطيع العامة الإيمان بهذه الطريقة ؟ أم لا بد لها من الطريقة النقلية في الإيمان؟
- أما قصة "روبنسون كروز" فقد لمحنا فيها معاناة " دانييل ديفو" من عقوق ابنه، لذلك جعل روبنسون ابنا عاقا لوالديه، وأسقط عليه غضبه، مما جعله يعاني متاعب كثيرة في سفره، وعابه بأن عاش معظم حياته وحيدا يجتر آلامه⁽¹⁾.

(1) - ينظر: عامر رضا، تجليات التأثير والتأثر بين الأدبين العربي والغربي قديما/ حديثا، info@aswat-elchamal.com ص-ص 5-6. انترنات يوم

2014/09/27.

6- تأثير الأدب الغربي في الأدب العربي:

في العصر الحديث ظهر تأثير الأدب العربي بالأدب الغربي منذ الهجمة الاستعمارية على البلدان العربية في بداية القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين. حيث حاول الاستعمار أن يضيف إلى سيطرته العسكرية سيطرة ثقافية. حاول طمس الهويات الثقافية للشعوب المستعمرة، من خلال فرض اللغتين الإنجليزية والفرنسية على الحياة العامة والإدارة، مما جعل اللغة العربية تتقهقر وينحسر دورها؛ ففي الجزائر -مثلا- شنت فرنسا الاستعمارية حربا استراتيجية طويلة الأمد على الدين الإسلامي واللغة العربية بغية تنصير الجزائري، وفرنسة لسانها، وقطع الصلة بينها وبين انتمائها الحضاري؛ وهذا ما جعل الجزائريين الذين سنحت لهم الظروف أن يتنقّفوا بلسانهم الوطني، ينزعون منزعا إصلاحيا نضاليا لا يهدف إلا لحماية دين الشعب الجزائري ولغته. وهذا التوجه كان في بدئه منحصرا في أفراد من أمثال الشيخ: محمد اطفيش، أو في مؤسسات جزائرية عتيقة كالزوايا... ثم أصبح بعد ذلك عاما عندما تنظم رجال الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي⁽¹⁾.

في ظل ذلك الظرف التاريخي الصعب الذي كانت فيه الأولوية لحفظ مقومات الأمة من الدمار الاستيطاني، كان الالتفات إلى الجديد الآتي من الغرب و من فرنسا بالذات لا يجد من يرحب به، ولا يحتضنه إلا نادرا. هذا على مستوى النخبة. أما على مستوى العامة فإن الغالبية لم تحبذ تدريس أبنائها الفرنسية عندما شرعت فرنسا في إقامة المدارس في المدن والأرياف في آخر العهد الاستعماري، والسبب كما ذكر الشيخ: "حليتييم الدخيلي"⁽²⁾ - رحمه الله - (وهو أب صاحب هذا البحث)، عندما سألته عن سبب عدم إلحاق أخي الأكبر بالمدرسة الفرنسية أثناء الثورة؛ فأجاب: إنهم كانوا يخافون على أبنائهم من أن تأخذهم فرنسا أو تُنصّرهم؛ ولذلك كانوا يدفعون بهم إلى الزوايا والكتاتيب لتعلم العربية وحفظ القرآن. كما كانت توجيهات جبهة التحرير أثناء الثورة تحث المواطنين على عدم تسجيل أبنائهم في سجلات الحالة المدنية الفرنسية، وتطلب منهم تسجيلهم في سجلات أعدتها الجبهة لذلك.

(1) - ينظر: تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1974م، ص-ص 130-157.

(2) - حليتييم الدخيلي، أب صاحب هذا البحث، عاش في بوسعادة (1911-2005م).

غير أن تلك السجلات ضاعت، ونشأ جيل غير مسجل، أعيد تسجيله بعد الاستقلال بملاحظة: ولد خلال عام... دون ذكر اليوم والشهر.

ومع ذلك كانت هناك نخبة من مثقفي العربية استطاعوا التحكم في اللغة الفرنسية والتأثر بأدبها.

والتأثر في مجال الأدب، كما يرى محمد غنيمي هلال، هو التشابه في النصوص لكاتبين أو لعدد من الكتاب في آداب مختلفة، {اختلاف لغة الأدبين} تشابها يحمل على الظن بأن هناك صلات تاريخية بين هؤلاء الكتاب... فمعرفة إمكانية التبادل الزمني بين المجالين تعتمد على البحث في تاريخ تأليف النصين، وقد يغني عن كل ذلك نص واضح من المؤلف يعترف فيه أنه حاكى أو تأثر أو أعجب بأفكار الكاتب الأجنبي، ويكون هذا الاعتراف مفتاح البحث المثمر المفيد⁽¹⁾.

وهذا ما نلاحظه عند (أحمد رضا حوحو، 1912-1956م)، رائد النشر القصصي في الجزائر، الذي يعترف بتأثير الأدب الغربي في إبداعه الشخصي بالحرف العربي، إذ يقول عن تلقيه المنتج لرواية فكتور هيجو "البؤساء" / Les Misérables "أو كما سماها هو "الفقراء": «قرأت الفقراء لهيجو، وكانت نفسه البائسة تطالعني من بين السطور، تقطر حيرة وألما، وما هي إلا فترة حتى اختلطت حيرتي بحيرته، وآلامه بآلامي، فأسرعت إلى يراعتي أكتب عن الفقراء بالعربية ما كتبه عنهم "هيجو" بالفرنسية، وليس ما أكتبه اليوم بالترجمة ولم يكن كذلك بالابتكار، وإنما هو مزيج نفسين يائستين، تألمت إحداها منذ قرن، وتحيرت الأخرى اليوم، أملت الأولى وكتبت الثانية؛ فجاءت هذه الخاطرة التي أقدمها للأغنياء...»⁽²⁾.

كما نجد هذا الاعتراف بالتأثر عند توفيق الحكيم في مصر، عندما تناول بفنّه المبدع أسطورة "بجماليون"، وكان بذلك مسبقا بالأديب الإنجليزي الساخر "برناردشو"، ومتأثرا به ولا حاجة بنا إلى البحث عن أوجه العلاقة بين الكاتبين، أو البرهنة على أن الأول تأثر بالثاني، لأن توفيق الحكيم نفسه يعترف بهذا التأثير، يقول في مقدمة مسرحيته "بجماليون": «قصة بجماليون هذه تقوم على الأسطورة الإغريقية المعروفة، ولعلّ أول من كشف لي عن

(1) - ينظر هلال محمد غنيمي، الأدب المقارن، ص 264.

(2) - أحمد رضا حوحو، صاحبة الوحي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 89.

جمالها تلك اللوحة الزيتية (بجماليون و جالاتيا) المعروضة في متحف اللوفر. ومرت الأيام .. وكدت أنسى قصة اليونان حتى ذكرني بها "برناردشو" يوم عُرضت مسرحيته بجماليون في شريط من أشرطة السينما»⁽¹⁾.

ولم يقتصر الاعتراف بتأثير الأدباء العرب بالأدباء الغربيين، بل نجد هذا الاعتراف بين الأدباء الغربيين أنفسهم؛ فهذا الشاعر الفرنسي Charles Baudelaire "شارل بودلير 1867-1821م" يعترف بتأثره بالأديب الأمريكي Edgar Alan Poe "أدجار ألان بو 1849-1809م". « كتب الشاعر الفرنسي بودلير إلى صديق له يقول: أتعرف لماذا ترجمت في صبر ودأب ما كتبه " أدجار ألان بو " ؟ لأنه كان يشبهني، ففي أول مرة تصفحت فيها كتابا من كتبه، رأيت فيه ما كان مثار فتنتي وروعتي ، ولم أعثر فيه على الموضوعات التي كنت أحلم بها فحسب، ولكنني وجدت فيه كذلك الجمل التي كانت تراود أفكاري ، وكان له السبق إلى كتابتها قبلي بعشرين عاما»⁽²⁾

وفي المشرق العربي اتجهت نخبة من المثقفين إلى الأدب الغربي تتله منه وتقلده. كما هو الحال في ترجمات مصطفى لطفى المنفلوطي (1872-1924م) لبعض الأعمال الغربية؛ فقد ترجمت له بعض القصص، وأعاد صياغتها مثل قصة: "بول و فرجينى" باسم الفضيلة. وغير مسرحية " سيرانو دي برجرارك" للشاعر الفرنسي " إدمون روستان" إلى قصة بعنوان: " الشاعر"، ومن ترجماته: في سبيل التاج، و ماجدولين.

وسار على طريقته: الشاعر "حافظ إبراهيم" في ترجمته قصة "البؤساء" لفكتور هوجو؛ فنقص فيها وحوّر ما شاء. كما ترجم بطرس غالي إلياذة هوميروس⁽³⁾... وذلك أن الترجمة تعد أهم وسيلة لبناء التواصل بين الأدبين الغربي والعربي.

والتأثر ينتج عن طريق قراءة ما ترجم أو ما قرئ في لغته الأصلية. وبذلك تأثرت "جماعة الديوان" وهي الحركة التي اضطلعت بدور التجديد في النقد العربي الحديث بالأفكار الأوربية بعامة، وبالرومانسية الإنجليزية على نحو خاص.

(1) - ينظر مكي الطاهر أحمد، الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، مصر، 1987م، ص-ص 197-198.

(2) - ينظر هلال محمد غنيمي، الأدب المقارن، ص 97.

(3) - ينظر المرجع السابق، ص-ص 196-197.

واعترف عباس محمود العقاد أحد الثلاثة الذين قامت عليهم هذه الحركة، (عبد الرحمن شكري- إبراهيم عبد القادر المازني)، اعترف بهذا التأثير وفرّق بينه وبين التقليد، قائلاً: « والواقع أن هذه المدرسة المصرية ليست مقلّدة للأدب الإنجليزي، ولكنها مستفيدة منه، مهتدية بضياءه، ولها بعد ذلك رأيها في كل أديب من الإنجليز كما تُقدّره هي لا كما يقدره أبناء بلده، وهذا المطلوب من الفائدة الأدبية التي تستحق اسم الفائدة... إذ لا جدوى هناك فيما يلغي الإرادة ويشل التمييز، ويبطل حَقَّ في الخطأ والصواب، وإنما الفائدة الحقة هي التي تهديك إلى نفسك، ثم تتركك لنفسك تهتدي بها وحدها كما تريد، ولأن تخطئ على هذا النمط خير لك من أن تصيب على نمط سواه»⁽¹⁾.

ولتوضيح تأثير الأدب الغربي في الأدب العربي أقدم المثل التالي: جاء في كتاب الأدب المقارن للطاهر أحمد مكي: أن إبراهيم عبد القادر المازني اتُّهم بأنه سرق بعض قصائده من شعراء آخرين، وبخاصة قصيدته (فتى في سياق الموت)، فقد سرقها من الشاعر الإنجليزي (توماس هود 1799-1845م) في مقطوعته: "سرير الموت"

يصور المازني في أبياته فتى يصارع الموت في ليل تراكمت ظلماته، بعضها فوق بعض، يتصبب جبينه عرقاً من هول المعاناة، ويضطرب صدره كالبحر الهائج، وأصدقائه حول سريره بين اليأس والرجاء يراقبون كل حركاته، وسكناته في جزع ولهفة، ولم تنفع شدة حرصهم على راحته، وأملهم في شفائه، وجاد الفتى بنفسه، وكانت الابتسامة ترقص على شفتيه كأنه يرحب بالموت:

نعدُّ أنفاسَه ونحسبُها == واللَّيلُ فيه الظلامُ يلتطمُ
إذا خروجُ الحياةِ أجهده == تساقطت عن جبينه الدَّيْمُ
صدر كصدر الخضم مضطرب == جحافل الموت فيه تزدهم
إن قام ملنا له بمسمعنا == أو نام خفَّت بوطئنا القدم
يرتاع في طول نومه الأمل == ويشتكى الرخاء والسَّامُ
كأنما الخوف من تـردده == خيل لها من رجائنا لُجْمُ

(1) - عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، د/ط، طبعة نغمة مصر، القاهرة، 1981م، ص-ص 189-190.

خلناه مات وهو في سِنَّةٍ == ونائم الجفن وهو مخترم
قد قلّصت ثغره منيته ه == كأنه للحمام بيتسـم
أما أبيات توماس هود فتقول:

رأيناها تتنفس في الليـل،
وكانت أنفاسها ناعمة وقصيرة،
كأن موج الحياة في صدرها
يعلو وينخفض جيئةً وذهاباً،
وتكلمنا عندها بهـدوء
وتحركنا ببطء

كأنما أعرناها نصف قوانا

لتضيف في حياتها

آمالنا كذّبت مخاوفنا

وكذّبت مخاوفنا آمالنا

ظنناها ميتة وهي نائمة،

وظنناها نائمة وهي تجود بأنفاسها،

وعندما أتى الصباح ضئيلاً وحزيناً،

وأتى البرد مع أول المطر،

غمض جفناها الهادئان وكانت في صبح آخر غير صبحنا⁽¹⁾.

وهكذا فمتتبع الآثار الأدبية المختلفة - جنساً ولغة - يمكن أن يلاحظ آثار التأثر والتأثير.

(1) - ينظر: الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن - أصوله وتطوره ومناهجه، ص 28-29.

ثانيا-التأثر والتأثير في الأمثال الشعبية

إذا كان التأثر والتأثير في الأجناس الأدبية المكتوبة خاصة- كالمسرحيات والقصص والشعر...- يمكن أن يلاحظ من خلال التشابه بين نصين لأديبين مختلفين في اللغة وفي المكان، وبالتالي يمكن تتبع الصلات التاريخية بينهما لاكتشاف التأثر؛ فإن التأثير في الأمثال الشعبية يصعب تحديده؛ لأنها نصوص شفوية في الغالب، انتشرت عن طريق الاستعمال الشفهي، وانتقلت من مكان إلى مكان آخر بفضل الاحتكاك بين الأفراد والجماعات. يقول ابن أبي شنب: «توضح الأمثال بصفة ما تاريخ الحضارة والأفكار التي أنتجتها مختلف التحولات، منها ما ينتمي لمناطق، ومنها ما ينتمي لحواضر وتجمعات سكنية ولمواقع ضيقة. أحيانا تشير الأمثال إلى حوادث لها أهميتها في عصر ما؛ ولكن هناك ما يستحيل معرفة أصلها، وهناك أخرى وهي نسبيا كثيرة، مستمدة من موضوعات دينية، أو لها علاقة بوجود الإنسان- رجلا كان أو امرأة- الحيوان، تتعلق بالسياسة، بالطعام، الخ. لكن من بين هذه المصادر مثلت العادات نصا لأكثر عدد منها»⁽¹⁾.

أما إذا كانت مكتوبة فإن المقارنة بينها تتم بتطبيق ما طبق على باقي الأجناس الأدبية في مجالي التأثير والتأثر.

وكثيرا ما لاحظنا تشابها كبيرا بين أمثال في أدب قومي، وأمثال في أدب أجنبي. وقد يكون سبب هذا التشابه ناتجا عن التأثير والتأثر بين أمثال في لغة قومية، وأمثال في لغة أجنبية، بفضل الرحلات الاستكشافية، أو التجارية أو الهجرات الفردية و الجماعية أو بسبب الحروب، أو بسبب الترجمات لمؤلفات بلغات أجنبية... وقد لا يكون التشابه بسبب هذا كله فقد تتحد اهتمامات البشر فتنتج أمثالا متشابهة في المعنى مع اختلاف اللغة. يقول ابن شنب: «.. كتعبير عن عواطف كونية، نجدها في كل مكان تقريبا بمضمونها فيتغير الشكل وحده. ويبدو أنه ليست هناك ضرورة لأن نذكر هنا بأننا نجد أمثالا في كتب كل من أفلاطون، وأرسطو، و بولطاخ، و كاطون القديم، و سيشرون و هوراس، وفي الكتاب المقدس، والإنجيل، والقرآن، وعند لافونتين وموليير.. إلخ»⁽²⁾. أو متشابهة في اللفظ والمعنى

(1) -ابن أبي شنب محمد، أمثال الجزائر والمغرب، تقدم عبد الحميد بورايو، دار فليث للنشر، المدية، الجزائر، 2013م، ص14.

(2) -المصدر السابق، ص13.

في اللغة نفسها. «وكثيرا ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني حتى إن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ، ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما، من غير علم منه لما جاء به الأول، وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة: وقوع الحافر على الحافر»⁽¹⁾.

ويعطي ابن الأثير أمثلة عن ذلك. قال امرؤ القيس:
وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم == يقولون لا تهلك أسي وتجمّل
وقال طرفة:

وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم == يقولون لا تهلك أسي وتجلّد
ويروي قصة طريفة عن الفرزدق، قال: وقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلي
كان يتحدث إليها الشباب، فدخل الفرزدق إليها وجعل يحدثها، وأقبل فتى من قومها كانت
تألفه، فدخل إليها فأقبلت عليه، وتركت الفرزدق، فغاضه ذلك فقال للفتى: أتصارعني؟ فقال:
ذلك إليك، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه، وجلس على صدره، فصرط فوثب
الفتى عنه، وقال يا أبا فراس، هذا مقام العائذ بك، والله ما أردت ما جرى فقال: ويحك ما بي
أنك صرعتني؛ ولكن كأني بابن الأتان - يعني جريرا - وقد بلغه خبري فقال يهجوني:
جلست إلى ليلي لتحظى بقربها == فخانك دُبّر لا يزال يخون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه == كما شدّ جربان الدّلاص قيون*

قال فو الله ما مضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر، فقال فيه هذين البيتين، وهذا من
أغرب ما يكون في هذا الموضع وأعجبه. ويقال: إن الفرزدق وجريرا كانا ينطقان في بعض
الأحوال عن ضمير واحد⁽²⁾.

وإذا كانت الأمثال جنسا أدبيا، وكان هذا التشابه الموجود بين الأمثال في مختلف
لغات العالم - سواء أكان ناتجا عن تأثير و تأثر، أم كان ناتجا عن اتحاد قرائح البشر
واهتماماتهم - فهل يمكننا أن نعد الأمثال من الأدب العالمي؟

(1) - ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص59.

* - الوكاء: الخيط الذي يربط به. الجربان: هنا فتحة أو ثقب الدرع. الدّلاص: الدرع اللينة. قيون: جمع قين وهو الحداد.

(2) - ينظر: ابن الأثير، المرجع السابق، القسم الثالث، صص230-231.

يفرق "غنيمي هلال" بين عالمية الأدب، والأدب العالمي.

فعالمية الأدب عنده: معناها خروجه من نطاق اللغة التي كتب بها إلى أدب لغة أخرى وهذه العالمية ظاهرة عامة بين الآداب في عصور معينة، ويتطلبها الأدب المتأثر في بعض العصور، بسبب عوامل خاصة تدفعه إلى الخروج من حدود قوميته؛ إما للتأثير في الآداب الأخرى، وإما نُشدانا لما به يُغني ويكمل ويساير الركب الأدبي العالمي، ومن نتائج هذه العالمية حدوث تغيير شامل في عالم الفكر والأدب.

أما الأدب العالمي: ف غنيمي هلال، ينقل لنا ما سبق أن توقّعه " جوتيه" الألماني ومن ساروا على نهجه مما سموه " الأدب العالمي"، يريدون بذلك أن الآداب العالمية- حين يتم تجاوبها بعضها مع بعض- لن تلبث أن تتوحد جميعا في أجناسها وأصولها الفنية وغاياتها الإنسانية؛ بحيث لا تبقى من حدود سوى حدود اللغة، وما يمكن أن توحى به البيئة أو الإقليم... و يرى غنيمي هلال، أن الأدب استجابة للحاجات الفكرية و الاجتماعية للوطن وللقومية، وموضوعه تغذية هذه الحاجات؛ فهي محلية موضوعية أولا، وهي تشف حتما عن غايات عالمية⁽¹⁾.

وإذا كان خلود الآثار الأدبية {للأجناس الأدبية المختلفة}، لا يتأتى- كما يرى غنيمي هلال - من جهة عالمية دلالتها؛ ولكنه ينتج من صدقها وتعميقها في الوعي الوطني والتاريخي، وأصالتها الفنية في تصوير آمالها وآلامها النفسية والاجتماعية المشتركة بين الكاتب وجمهوره⁽²⁾؛ فإن الأمثال الشعبية بعكس ذلك؛ فخلودها آت من جهة عالمية دلالتها عن تجربة إنسانية. وغالبا ما نستعملها بلغتها الأصلية أو مترجمة، وبخاصة في بلد كالجزائر الذي صارت عاميته خليطا من اللغة العربية واللغة الفرنسية. فمثلا نقول: كما يقول المثل الفرنسي: *Qui vole un œuf vole un bœuf*.⁽³⁾ الذي يسرق بيضة يسرق ثورا. يقال هذا المثل بالفرنسية عند البعض وأحيانا يقال ترجمته، وينسب دائما إلى الأدب الفرنسي، وقد يكون قد امتد أثره إلى إنتاج مثل عربي يشبهه وهو: > اللي اسخف على ابرة

(1) - ينظر: هلال محمد غنيمي، الأدب المقارن، ص92.

(2) - ينظر: المرجع السابق، ص94.

(3)-Charlotte Schapira , Les stéréotypes en Français : proverbes et autres formules, Ophrys, France 1999,P 96.

اسخف على بقرة⁽¹⁾ وغالبا ما يضرب في موضوع تربية الأولاد، حيث أن الطفل إذا تم التساهل معه -عند ما يسرق الأشياء الصغيرة- فإنه يكبر وقد تعود على السرقة؛ فيسرق الأشياء الكبيرة، ولا تتفع حينذاك إعادة تربيته أو إرشاده.

أ- هيمنة اللغة العربية على مختلف مجالات الحياة في إسبانيا:

وفي ظل تشابه الأمثال العربية مع الكثير من الأمثال الغربية، وبخاصة أمثال الشعوب التي كان لها احتكاك مباشر مع الشعوب العربية، قام باحثون بتتبع أنواع هذا التشابه وكشف أسبابه، ومن هؤلاء: " محمد بنشريفة" الذي نشر بحثا بعنوان: التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية. نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 95.

وفي هذا البحث أعطى لمحة عن حالة شبه الجزيرة الأيبيرية بعد دخول الإسلام إليها حيث سادت اللغة العربية في ظل حكم المسلمين، ودخل أكثر الأندلسيين في الإسلام، و إلى جانب هذه الأكثرية، كانت هناك أقليات من النصارى واليهود الذين كانوا يعرفون اللغة العربية و يتدارسونها، واستعملها المستعربون في أمورهم الدينية والدنيوية. حتى أن قد شكّا أحد الرهبان وهو " الفارو القرطبي" من إقبال أبناء ملتهم على تعلم اللغة العربية ولعهم بآدابها⁽²⁾.

يقول عباس محمود العقاد: ويروي لنا المستشرق "دوزي" في كتابه (الإسلام الأندلسي) رسالة ذلك الكاتب الإسباني - الفارو القرطبي- الذي كان يأسى أشد الأسى لإهمال لغة اللاتين والإغريق والإقبال على لغة المسلمين، إذ يقول: «إن إخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم، ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون، ولا يفعلون ذلك لإدحاضها والرد عليها؛ بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح. فأين اليوم من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والإنجيل؟ وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء؟ وا أسفاه. إن الجيل الناشئ من المسيحيين الأذكى لا يحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربي واللغة العربية، وإنهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات

(1) - سعيدي محمد، التشاكل الإيقاعي في نص المثل الشعبي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ص33.

(2) - ينظر: بنشريفة محمد، التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 95، ص183، أنترنات، يوم: 20/09/2014.

الكبيرة بأعلى الأثمان، ويترنمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية؛ في حين يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الإصغاء إليها محتجين بأنها شيء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات. فيا للأسى. إن المسيحيين قد نسوا لغتهم؛ فلن تجد فيهم اليوم واحدا في كل ألف يكتب بها خطابا إلى صديق. أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب، وقد ينظمون بها شعرا يفوق شعر العرب أنفسهم في الأناقة وصحة الأداء...»⁽¹⁾. وهو بقوله هذا، يؤكد على التأثير اللغوي العربي الكبير في اللغة اللاتينية وإهمالها، والإقبال على اللغة العربية التي تحوي بكلماتها وتعبيراتها سحرا قد جذب غير العرب لتذوقها، وتعلمها وإحلالها محل لغتهم.

ولعل من أسباب استعراب عجم الأندلس طموحهم في وظائف الدولة، ورغبتهم في الوصول إلى دواوين الحكومة.

ومن أغرب ما يذكر "بنشريعة" أن الدواوين الحكومية كانت تعطل يوم الأحد. جاء في المقتبس لابن حيان: " وكان أول من سنّ لكتاب السلطان وأهل الخدمة، تعطيل الخدمة يوم الأحد من الأسبوع، والتخلف عن حضور قصره " قومس بن أنتتبان " كاتب الرسائل للأمير محمد، وكان نصرانيا، ودعا إلى ذلك لنسكه فيه؛ فتبعه جميع الكتاب طلبا للاستراحة من تعبهم، والنظر في أمورهم، فانتحوا ذلك، ومضى إلى اليوم العمل عليه.

وقد ظهر في يهود الأندلس كتاب وشعراء ومؤلفون باللغة العربية، ذكر بعضهم "المقري" في نفح الطيب، ومنهم من أسلم أو تظاهر بالإسلام كأبي الفضل بن حسداي أشهر الكتاب في عصر الطوائف، وإبراهيم بن سهل الذي يعتبر من كبار شعراء الأندلس⁽²⁾. وقد نشأ عن ذلك التعدد الديني واللغوي والثقافي، مظاهر متعددة من التأثيرات المختلفة، تدخل في باب التأثير المتبادل بين الثقافات العربية والثقافة الأجنبية. ويقول بنشريعة: ومن المعروف أن الراهب اليسوعي " خوان أندريس " كان أول من نبّه في القرن الثامن عشر على تأثير الثقافة العربية في الثقافة الأوربية عبر الأندلس، في كتابه: " أصول الآداب العالمية وتطورها"، وقد تعددت إشارات إلى مظاهر هذا التأثير في العلوم والآداب

(1) - العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوربية، ص57.

(2) - ينظر: بنشريعة محمد، المرجع السابق، ص-ص184-185.

الأوربية، وهي إشارات وصفها المستعرب الإسباني " أنخل جنثالت بالنثيا": بأنها مبهمة وقال: إنها بقيت دون إثبات مؤكد في عصره؛ لأن شيئاً من آثار الأندلسيين لم يكن قد نشر إذ ذاك. أما اليوم وبعد مائة وثمانين عاماً من نشر كتابه، فإننا نستطيع أن نذكر عن تراث الأندلسيين أكثر مما ذهب إليه، وقد تحصل لدينا الآن من الحقائق التي كشف عنها وأثبتها المستشرقون من إسبان وغير إسبان ما يمكننا من أن نعرض موجزاً لآثار المسلمين الأندلسيين في آداب من جاء بعدهم من الشعوب الأوربية، وخاصة الإسبان، وقد عرض "أنخل جنثالت بالنثيا" مظاهر هذه الآثار في كتابه: "تاريخ الفكر الأندلسي سنة 1927م" الذي ترجمه إلى العربية الدكتور "حسين مؤنس -رحمه الله- . وقبله أعلن أستاذه "خوليان ريبيرا" أن الموشحات الأندلسية هي أصل شعر التروبادور. وهم الشعراء الجوالون الذين عرفوا بهذا الاسم. ويرى العقاد أن الأوروبيين اشتقوا اسمهم هذا Troubadour من كلمة "تروبر Trobar" و قيل إنها في رأي بعض المستشرقين: إنها مأخوذة من كلمة (طرب) أو طروب، وإن اسم قصيدتهم tenson (تنزو) مأخوذ من كلمة (تنازع) العربية ... لأنهم كانوا يلقون الشعر سجلاً يتنازعون فيه المفاخر والدعوى كما يفعل القوالون حتى اليوم بين أبناء البادية المحدثين. ولوحظ بين أوزانهم وأوزان الزجل الأندلسي تشابه جد قريب⁽¹⁾.

كما أعلن "ميجيل أسين بلاثيوس" رأيه الذي بسطه في كتابه: "الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية"، وافترض فيه أن "دانتي" اطلع على ترجمة لقصة الإسراء، وتأثر بها، ثم صح افتراضه بعد ظهور ترجمات أنجزت برسم الفونسو الحكيم.

وقد اندهش "أنخل جنثالت بالنثيا" للشبه العظيم بين مقامات الحريري وما يعرف في الأدب الإسباني بقصص الصعاليك، أو المكدين⁽²⁾ La novela.

ب- تأثر الأمثال الإسبانية بالأمثال العربية:

أما بالنسبة للأمثال، فيقول بنشريفه: وقد أتيت لنا منذ عقود أن نقوم بجهد متواضع في هذا المجال عندما حققنا أمثال العوام في الأندلس " لأبي يحيى الزجالي القرطبي" (617-694هـ) فقد قمنا بشرحها ومقارنتها بالأمثال العربية القديمة والمولدة والحديثة من جهة

(1) - ينظر: العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوربية، ص-ص 57-58

(2) - ينظر: بنشريفه، المرجع السابق، ص-ص 186-187.

وبالأمثال الإسبانية من جهة أخرى، وقد ظهر من تلك المقارنات مدى الصلة بين الأمثال التي كان العامة في الأندلس يتمثلون بها، وبين الأمثال العربية، سواء منها القديمة أو الحديثة، وهي صلة طبيعية؛ لأنها جميعا تنتمي إلى لغة واحدة، وقد عنيّا إلى جانب ذلك بالمقارنة بين الأمثال الأندلسية وبين الأمثال الإسبانية، وكان من شرطنا في هذه المقارنات جميعا أن يتوافر فيها التطابق بين نصوص الأمثال وصيغها، وأن تكون الأمثال المقارن بينها متفقة أو متقاربة على الأقل في مبناها ومعناها، إذ المقارنة على أساس المعنى وحده قد تكون أمرا ممكنا بين أمثال كثير من الأمم والشعوب.

ويرى بنشريف: أن توجهه إلى الأمثال الإسبانية بعد الأمثال العربية نابع من كون أن الأمثال الأندلسية القديمة والأمثال الإسبانية التي جاءت في أعقابها نتاج أرض واحدة، وثمرّة بيئة طبيعية مشتركة، وإن اختلفت بعد ذلك مظاهر الحياة، وأن ثمانية قرون من الاختلاط والاحتكاك بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس، لا بد أن يترك آثارا ويخلف بقايا في مجال التراث الشعبي عموما، والأمثال منه خصوصا⁽¹⁾.

وقد قارن "بنشريف" مجموعة كبيرة من الأمثال الإسبانية بالأمثال الأندلسية ذات الأصول العربية، منها:

يقول الإسبان في الأمر الذي يحدث بغير حساب، ويقع فجأة على غير انتظار:

Nace en la huerta lo que no siembra del hortelano.

وترجمته: يولد (ينبت) في البستان ما لا يزرع البستاني. وهذا المثل ليس إلا ترجمة دقيقة للمثل الأندلسي: (ينبت فالجنان ما لا يزرع الجنان). وينبغي أن نذكر أن الأندلسيين يستعملون الجنان للبستان، والجنان (بالتشديد) للبستاني، وهو استعمال مازال موجودا في المغرب {وفي الجزائر} إلى اليوم. ويرى بنشريف أن الصيغة الإسبانية ترجمة أمينة للصيغة الأندلسية، وتكاد الصيغتان تتفقان في عدد الكلمات، وقد اختلفتا من ناحية السجع، حيث تميزت به الصيغة الأندلسية⁽²⁾.

(1) - ينظر: بنشريف، المرجع السابق، ص189.

(2) - المرجع السابق، ص193.

يجزم الباحث بعربية الأمثال الإسبانية التي تحمل أسماء عربية كعائشة وعلي وغيرهما، ويتساءل عن زمن ترجمة هذه الأمثال أو انتقالها إلى الإسبانية، ويفترض أن تكون هذه الترجمة وقعت خلال العهود الإسلامية في الأندلس، ويقدر أنها أثر من آثار الازدواجية اللغوية في الأندلس الإسلامية، حيث كان الأندلسيون عربا وعجما، مسلمين ونصارى يحسنون الكلام بالعربية والعجمية، وربما كان المثل الواحد يومئذ يقال بالعربية تارة وبالعجمية تارة أخرى، وقد يكون قسم من هذه الأمثال مما انتقل بواسطة المدجنين و المورسكيين حين أُجبروا على الكلام بالإسبانية.

ويرى الباحث أنه كلما كانت الصيغة الإسبانية قديمة كانت الترجمة فيها أكثر أمانة وأشد قربا من الصيغة الأندلسية.

ومن الأمثال التي ذكرها الباحث ويظهر فيها التطابق بين الأمثال العربية والأمثال

الإسبانية، المثل: El polvo de la oveja, alcohol es para el lobo.

فهذا المثل ترجمة دقيقة للصيغة الأندلسية: (غبار الغنم كحول لعين السبع)، وآية ذلك احتفاظ الصيغة الإسبانية بالكلمة العربية: (الكحول)، التي هي نطق أندلسي لكلمة "الكحل" الفصيحة، وقد ترجموا السبع باللب، وهما بمعنى واحد عند الأندلسيين، وكانوا يستعملون الكلمتين معا لسبع الأندلس أو ذئبها⁽¹⁾.

والمثل أصله عربي ذكره الثعالبي في كتابه: " التمثيل والمحاضرة"، كما يلي: « غبار الغنم كحل عين الذئب»⁽²⁾.

وفي ما يلي بعض الأمثال الإسبانية كما ترجمها الكاتب و أوردها في بحثه، وفيها تأثر بالأمثال الأندلسية ذات الأصل العربي:

1-Cuando la barba de tu vecino vieres quemar, pon la tuya a remojar.

- إذا رُبْتُ لحية جارك اجعلْ متاعك فالبُلل⁽³⁾.

(1) - المرجع السابق، ص194.

(2) - الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (المتوفى 429هـ)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلوى، ط2، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1401هـ، 1981م، ص352.

(3) - بنشريفة، المرجع السابق نفسه، ص196.

وهذا المثل يشبه مثلاً شعبياً جزائرياً، صيغته: <إذا حسن صاحبك بَلْ أنت>⁽¹⁾.

ومعناه إذا حلق صاحبك شعر لحيته، فما عليك إلا أن تبلل لحيتك لأن دورك قد وصل. وعادة ما يضرب في سرعة توالي الأحداث، وبالتالي على المرء أن يتهياً لها.

2-A la muerte no hay remedio, sino tender la pierna.

- من جيه أجله يمد رجله.

وهو مثل شعبي متداول بالصيغة نفسها في الجزائر: <اللي جا أجلو يمد رجلو>⁽²⁾. أي إذا جاء أجل الإنسان، لا ينفعه دواء الطبيب؛ فما عليه إلا الصبر.

3-Lo que de los ojos no esta cerca, del corazon se aleja.

- من غاب عن العين غاب عن القلب⁽³⁾.

وفي الجزائر يقال هذا المثل بالصيغة الموالية:

<اللي غاب عن العين ينساه القلب>⁽⁴⁾. ويقال: البعد ايجفّي. أي عندما يبتعد الإنسان عن أحبابه، وتنقطع صلته بهم-سواء في ذلك أكانوا أحياء أم أمواتا- ينسأهم شيئاً فشيئاً، ويستبدلهم بغيرهم، وهذه قاعدة-أي البعد يبديل شعور الأحباب- عامة في الحياة. يحاول الشاعر الأندلسي "ابن زيدون" إنكارها عن نفسه وتثبيتها للآخرين بقوله في قصيدة مطلعها:

أضحى التناهي بديلاً من تجافينا؛ و طاب عن طيب لقيانا تجافينا

لا تحسبوا نأيكم عتاً يغيّرنا == إن طالما غير النأي المحبيننا⁽⁵⁾.

4-El que de la culebra esta mordido,de la sombra se espanta.

- من لدغته الحية من الحبل ينفر⁽⁶⁾.

وهو مثل يقال في منطقة بوسعادة: <الملدوغة من لحش من جر لحبل تدوى>⁽⁷⁾

وهو يشبه مثلاً عربياً، يقول: «من نهشته الحية حذر الرسن»⁽⁸⁾.

(1) - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(2) - الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(3) - بن شريفة، المرجع السابق نفسه، ص200.

(4) - الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(5) - ابن زيدون، أحمد بن عبد الله المخزومي أبو الوليد، ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرحات، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ- 1994م، ص300.

(6) - ينظر: بن شريفة، المرجع السابق نفسه، ص201.

(7) - الذاكرة الشعبية في بوسعادة.

(8) - الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص377.

والرسن هو الحبل الذي تقاد به الدابة. والحبل إذا جر على الأرض يشبه الثعبان. في حركته. والنعجة التي لدغها ثعبان تفر من جر الحبل للتشابه في الحركة. وفيه معنى الأثر: لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين.

5-Quien es tu enemigo ? Hombre de tu oficio.

- صاحب صنعتك عدوك، ولو كان أخوك⁽¹⁾.

وربما ترجمة المثل الصحيحة تعد نقلا حرفيا لمثل شعبي جزائري يقول: > قالو من عدوك؟ قالو صاحب صنعتك⁽²⁾. وهو مثل يضرب في التحاسد الموجود بين أصحاب الحرف، وبخاصة أثناء بيع المنتج. وقد يخلق عداوات تدفع بعضهم إلى الكيد للبعض الآخر.

6-Ojos que non ven, coracon quiebra.

-عينًا لا ترى قلبًا لا يوجع⁽³⁾.

وهذا المثل متداول في منطقتنا باستبدال الفعل: ترى بالفعل: اتشوف. فيقال:

> عين ما اتشوف، قلب ما يوجع⁽⁴⁾.

و يضرب في الحث على عدم رؤية ما يؤلم، وبخاصة إذا كان الرائي لا يستطيع أن يغير ما يراه إلى الأحسن؛ فعدم سماع أو رؤية بعض التصرفات أو بعض المناكر، تترك القلب مرتاحا. وهذا ما يفعله بعض المسؤولين عندما يتجنبون الاطلاع على أخطاء مرؤوسيهـم.

ويذكره "بن هـدوكة" كما يلي: «ما شافت العين، ما يوجع القلب»⁽⁵⁾. ويقال على لسان الرجل الذي أخبر عن فعل وقع في غيابه، يمسه من قريب أو من بعيد، في سياق التحسر والغـيظ المكظوم، أي أنه لو كان حاضرا لرد بالرد المناسب، وشفى غليله، أما وقد فات الأوان فالصمت أولى.

7-Con la mano ajena sacar la bras ; o la castana.

(1) -الغـالبي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(2) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(3) - بنشريفة، المرجع السابق نفسه ، ص202.

(4) -الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(5) - عبد الحميد بن هـدوكة، أمثال جزائرية، ص208.

- يأخذ النار بيد غَيْرِهِ⁽¹⁾.

وهو يشبه مثلا جزائريا يقال في منطقة بوسعادة. «يأكل الشوك بقم غيره»⁽²⁾. ويضرب في الذين يدفعون غيرهم إلى القيام ببعض التصرفات التي لا يستطيعون هم القيام بها؛ لأن عواقبها وخيمة، ومثال ذلك، أن يدفع أحد الموظفين زميله إلى التصرف بخشونة، أو أن يشتم رئيسه، لسبب بسيط، فقيام المرؤوس بهذا الفعل يطفئ غيظ المحرض؛ لأنه ناقم على الرئيس أو على المرؤوس أو عليهما معا. فهو قد سبب الضرر للغير، ولكنه لم يتضرر، فهو كالذي أكل الشوك بأفواه الآخرين.

8-En las barbas del hombre astroso, se ensena el barbero.

- يتعلموا الحجامَة فُرُوس اليتامى⁽³⁾.

ويقال في منطقة بوسعادة بالصيغة نفسها، مع استبدال كلمة الحجامَة بكلمة لحسانَة. «يتعلموا لَحْسانَة في روس لَيْتامة». والمقصود بـ لحسانَة: الحلاقة، من الفعل حَسَّن بمعنى زَيَّن، ويسمى الحلاق أحيانا المزيّن. وَلَحْسانَة (الحلاقة) أنسب للرؤوس من الحجامَة.

ويضرب للدلالة على استهانة بعض الناس أثناء القيام بأعمالهم، كما يدل على معناه المباشر، وهو الاستخفاف بحقوق اليتامى.

وبعد أن تعرفنا على تأثير الأمثال العربية في الأمثال الإسبانية من خلال الأمثال الأندلسية، التي دونها بعض الباحثين القدامى كما ذكر "بنشريفة"، ننتقل الآن إلى تشابه بعض الأمثال في اللغات الغربية - كالإنجليزية والفرنسية - بأمثال في اللغة العربية.

ج-التشابه بين بعض الأمثال العربية والإنجليزية:

تشكل الحكم والأمثال في اللغات العربية والأجنبية مخزونا ثقافيا مهما لكل مستعملي اللغة؛ لما تشتمل عليه من عظات وعبر تنير طريق السالكين -عبر الزمن- في الحياة الاجتماعية. فهي تصلح لكل زمان ومكان. ومما لاحظته الدارسون وجود أمثال مشتركة، وقد

(1) - بنشريفة، المرجع السابق نفسه، ص 203.

(2) - الذّاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة

(3) - بنشريفة، المرجع السابق نفسه، ص 203.

تكون حرفية من حيث النص بين اللغة الإنجليزية واللغة العربية؛ بالرغم من وجود مسافة كبيرة بين مَوطنِي اللغتين، مما يصعب اكتشاف التأثير المتبادل، في ظل عدم احتكاك مباشر بين الشعبين: العربي والإنجليزي - قديما - كما حصل مع الشعوب المجاورة للبلاد العربية، أو المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، حيث كان الاحتكاك عبره دائما في السلم وفي الحرب. وتشابه الأمثال يضعنا أمام حقيقة ثابتة، هي أن البشر مهما اختلفت بيئاتهم وألوانهم وألسنتهم وأديانهم، فهم مشتركون في طريقة التفكير في الأمور الإنسانية العامة. وفي ردود أفعالهم تجاه مجالات شتى، كالصدق والكذب، والحب والكره، والقناعة والطمع والصحة والمرض... لأن النفس البشرية واحدة. والاختلاف الظاهر بين بعض الشعوب أو الجماعات والأفراد في بعض القضايا أو المواقف، ما هو إلا بفعل التربية.

وكل ثقافة لها مجموعة من الأمثال التي تقدّم النصيحة لأفراد المجتمع بشأن كيفية عيش حياتهم ضمن علاقات اجتماعية، وهي أقوال موجزة يمكن تخزينها واستخدامها في الوقت المناسب، حيث يتداولها الناس في المحادثة العادية؛ وهي تحمل أفكارهم وتجاربهم، وتساعد الآخرين على فهم كيف يفكر الناس في الثقافة الناطقة بلغة غير لغتهم، في جميع أنحاء العالم.

وبقراءة مجموعة من الأمثال الإنجليزية التي أعدّها وترجمها إلى العربية: "عمر عثمان جيق"، في كتابه:

(one Thousand and one English proverbs Translated into Arabic)

ألف مثل ومثل إنجليزي مترجم إلى اللغة العربية.

لاحظت تشابها كبيرا بين بعضها و بعض الحكم والأمثال العربية، فاخترت من بينها الأمثال التالية:

1-Like father, Like son⁽¹⁾

ترجمته: الابن يشبه أباه.

الشبه في الخلقة، أو في الخُلُق. وإذ كان التشابه في الخلقة لا دخل للإنسان فيه؛ فإن التشابه في الخُلُق، والسلوك، وفي مظاهر الشخصية عموما، ناتج عن أثر التربية. وهذا

(1) - عمر عثمان جيق، ألف مثل ومثل إنجليزي مترجم إلى اللغة العربية، ط1، حلب، سوريا، 2008م، ص47.

ملاحظ في كل المجتمعات التي يتربى أفرادها داخل الأسرة. ولذلك فهذا المثل يشبه المثل العربي القائل: «من أشبه أباه فما ظلم»⁽¹⁾.

2-Like mother, Like daughter⁽²⁾

ترجمته: البنت تشبه أمها.

وهو كالمثل السابق، فالمقصود ليس بِشَبهِ الخِلقة، لأنه يمكن ألا يتشابهها، لكن المقصود هو دائما تأثر البنت بأمها؛ لأنها تلازمها عادة، وبخاصة في المجتمعات التقليدية، والريفية. وهو مثل يشبه المثل الشعبي الجزائري: «كُـبُ القدرة على فُـمَها تَطْلُعُ البنت لُـمَها»⁽³⁾. وعادة ما يقال هذا المثل عند ما يريدون خطبة البنت، فيقيسون سلوكها على سلوك أمها.

3-A wise man changes his mind a fool never will⁽⁴⁾.

ترجمته: الحكيم يغيّر رأيه، بينما الأحمق لا يفعل ذلك أبدا.

فالإنسان الحكيم الذكي، هو الذي يتصرف حسب الظروف والمواقف، ففكره يتطور باستمرار، وهو الذي يستفيد من مكتسباته القبلية، ويحقق التكيف مع الوضعيات الجديدة، أما الأحمق الغبي، فهو الذي يتشبث بآرائه ومواقفه، مع أنها لم تعد صالحة، وهذه الفكرة عبّر عنها مثل شعبي يشبه ما ذكره المثل الإنجليزي. يقول المثل الشعبي: «الجايح كيما أتوصيه والحادق كيما يلقي»⁽⁵⁾.

والحادق في العامية الجزائرية، المقصود به الذكي، من حذق الصنعة فهو حاذق. أما الجايح -من الجائحة التي تصيب المزروعات عند نضجها- فلا يستفيد منها صاحبها. فكَذلك الجائح وهو الغبي، الذي أينما توجهه لا يأتي بخير. ومثال ذلك: أنك إذا أرسلت من يشتري لك خبزا للعشاء، وذكرت بعض المواصفات، كأن يكون من مخبزة معينة، أو أن يكون من النوع الدائري مثلا. فالحادق إذا وجد المخبزة مغلقة، أو لم يجد النوع المطلوب، فإنه يبحث عن مخبزة أخرى، أو يأتي بخبز غير دائري، المهم أنه تصرف حسب ما وجد أو

(1) - أبو هلال العسكري، جهرة الأمثال، ص 197.

(2) - عمر عثمان جبق، المرجع السابق، ص 148.

(3) - من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(4) - عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه، ص 11.

(5) - من الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

حسب الموقف، لا حسب ما أوصيته. أما الجائع فإنه يلتزم بالوصية، فإذا لم يجد المطلوب، فإنه يعود دون خبز، لأنه لا يستطيع التصرف دون استشارة.

4- Many words hurt more than swords⁽¹⁾.

ترجمته: الكثير من الكلمات تجرح أكثر من السيوف.

أذى اللسان أخطر من أذى السيوف؛ قد يكون أذى السيوف مبدؤه كلام، فالشتائم والنميمة، والكذب... قد يكون لها مخاطر على الفرد والجماعة أكثر من الضرب. وهذا المثل معناه موجود في البيت الشعري- الذي صار مثلاً- القائل:

جراحات السنان لها التئام== ولا يلتام ما جرح اللسان.

5-Men may meet but mountains never⁽²⁾.

ترجمته: الرجال يلتقون ولكن الجبال لا تلتقي أبداً.

يقال هذا المثل في وجوب أن لا يسيء الإنسان إلى غيره، بل عليه أن يعامل الناس بالحسن، وأن يعينهم عندما يحتاجون إليه، وبخاصة إذا كان قادراً على ذلك؛ لأن الظروف قد تتغير ويجد نفسه في حاجة إليهم. وهذا المثل متداول في الجزائر بالألفاظ نفسها: «الرجال تتلاقى والجبال ما تتلقاش»⁽³⁾.

6-Out of the frying- pan into the fire⁽⁴⁾.

ترجمته: من القلي إلى الحريق (النار).

يقال في فرار المرء من أمر خطير إلى أمر أخطر منه، وله معنى المثل العربي: «كالمستجير من الرمضاء بالنار»⁽⁵⁾.

7-Don't count your chickens before they are hatched⁽⁶⁾.

ترجمته: لا تعد فراخك (صيصانك) قبل أن تفقس.

(1) - عمر عثمان جبق، المرجع السابق، ص 50.

(2) - عمر عثمان جبق، المرجع السابق، ص 51.

(3) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(4) - عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه، ص 57.

* - جاء في جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ج 2، ص 133. الرمضاء: التراب الحار، وقد رمض التراب، إذا حي، ومنه قيل شهر رمضان؛ لأنهم حين سموا الشهور وافق شهر رمضان وقت شدة الحر، كما قيل جمادى؛ لأنها وافقت إذ ذاك وقت جود الماء.

(5) - أبوهلال العسكرية، جمهرة الأمثال، ج 2، ص 133.

(6) - عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه، ص 24.

لا يمكن إحصاء الفراخ قبل أن تنفقس البيضة، ويظهر إن كانت تحمل فرخا حيا فبعض البيضات تكون فاسدة. و يضرب في الإنسان الذي يضع خطة لأمر ما ثم يبدأ في التفكير في ما عليه القيام به بعد نجاح الخطة. فالمثل ينصحه بعدم التسرع، بل عليه أن يتأكد أولا من نجاح الخطة، كمن يريد استصلاح أرض، ويخطط لحفر بئر، ويشرع في غرس الأشجار قبل أن يتأكد من وجود الماء أو من استخراجها. والمثل الإنجليزي يشبه المثل الشعبي القائل: «ما اتعدش بقرىك حتى ايفوت الطكوك»⁽¹⁾. و الطكوك: حشرة تتكاثر في الربيع تمتص دم البقرة فتؤلمها؛ فتفر الأبقار هاربة من أماكن وجود هذه الحشرات، وفي فرارها قد تضيع، أو تسقط في أماكن خطيرة فتموت، أو تأكلها الحيوانات المفترسة؛ وبالتالي ينقص عددها. فلا يبنى خطه على عدد لم يتأكد من وجوده.

ويورد عبد الحميد بن هدوقة المثل بصيغة: «طَكَّكْ يا طكوك ما في قلبك هم»⁽²⁾. ويقول بن هدوقة في شرحه: يقال فيمن يقضي أيامه لاهيا عابثا لا يفكر في شيء، فالمثل يأتي في سياق الذم. و الطكوك جري البقر في الربيع بسبب ذبابة تلسعها (تسمى النعرة) وربما لها اسم ثان مشتق من لفظة الطكوك.

والناس يظنون أن البقرة تتطلق جارية في الربيع، لا تلوي على شيء، وبصورة مفاجئة لا لشيء سوى لشبعها. ويقال هذا المثل أحيانا فيمن ينفق أموال أبويه في اللعب والمجون. 8-Every man has his faults⁽³⁾.

ترجمته: الكل عنده عيوب (لا أحد كامل).

لا يخلو أي فرد من عيب في نظر الناس، فعلى المرء أن يغض الطرف عن بعض عيوب أصدقائه، إذا أراد أن تدوم المودة بينه وبينهم. وهذا المثل، معناه متضمن في بيت النابغة الذبياني⁽⁴⁾ -الذي صار مثلا- وهو:

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمّه == على شعثٍ، أي الرجال المهذب

9-Man proposes but God disposes⁽⁵⁾.

(1) - الذكرة الشعبية ببوسعادة.

(2) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 119.

(3) - عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه، ص 28.

(4) - النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1996م، ص 28.

(5) - عمر عثمان جبق، المرجع السابق نفسه، ص 50.

ترجمته: الرجل يقترح، ولكن الله يتصرف.

ومعناه أن الإنسان له آمال، وله مشاريع يفكر فيها ويخطط لها، غير أنه لا يضمن تحقيقها؛ لأنه لا يعلم الغيب، ولا يضمن صحته وحياته، ولا يضمن تقلب الظروف.

وهذا المثل يشبه المثل الشعبي: «العبد في التفكير والرب في التدبير»⁽¹⁾ (أو في التسيير).
10-Better be en vied than pitied⁽²⁾.

ترجمته: أن يحسدك الناس خير لك من أن يشفقوا عليك.

أن يحسدك الناس تشير إلى امتلاكك شيئاً تتميز به عنهم، وبالتالي يعدونك أفضل منهم فيحسدونك، أما أن يشفقوا عليك، فهذا دليل على أنك أضعف منهم، سواء أكان ذلك في الجانب المادي أم الصحي أم المعنوي... والأفضل للإنسان أن يكون قويا، لا أن يكون ضعيفا. ومعنى المثل الإنجليزي موجود في المثل الشعبي الجزائري القائل:

«بَنَ الْكَلْبُ، وَلَا اخْلِيلُو»⁽³⁾. أي أن يقول الناس عنه: ابن الكلب، حسدا له على ما أوتي من

مال مثلا، أفضل له من أن يقولوا عنه: مسكين لا حيلة له في تغيير وضعه المزري.
11-all cats are grey in the dark(in the night)⁽⁴⁾.

ترجمته: كل القطط في الظلام أو الليل رمادية.

يضرب للغبي الذي لا يميز بين الناس في التعامل، ولا بين الأشياء في قيمتها وأهميتها، فينظر إليها بمنظار واحد على أنها متشابهة، فيقع في الخطأ. وهو مثل له شبيه في أمثالنا الشعبية نقوله بالصيغة التالية: «عشب الليل قاع أخضر»⁽⁵⁾. قاع، بالقاف المعقوفة، بمعنى كله، أي العشب في الليل كله أخضر.

وبعد أن تعرفنا على التشابه الموجود بين أمثال إنجليزية وأمثال عربية من خلال النماذج التي انتقيتها من كتاب عمر عثمان جبقي، أحاول فيما يلي التطرق إلى التشابه بين بعض الأمثال الفرنسية والأمثال العربية.

(1) – الذاكرة الشعبية في بوسعادة.

(2) – عمر عثمان جبقي، المرجع السابق، ص18.

(3) – الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(4) – عمر عثمان جبقي، المرجع السابق، ص1.

(5) – الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

د-التشابه بين الأمثال العربية والأمثال الفرنسية:

إذا كانت إنجلترا بعيدة عن بلاد العرب، ومع ذلك وجدنا التشابه بين أمثالهم وأمثال العرب، فإن فرنسا قريبة؛ فهي تطل على البحر الأبيض المتوسط الذي تطل عليه ثمانى دول عربية، كما أنها قد شاركت في الحملات الصليبية على المشرق العربي، بالإضافة إلى احتلالها لبلدان المغرب العربي، وبخاصة الجزائر لمدة طويلة. وعليه فالتأثر والتأثير يكون شديداً والتشابه بين الأمثال يكون بيننا، والنماذج التي اخترتها تبرز ذلك و توضحه.

(1) 1-C'est la goutte d'eau qui fait déborder le vase

ترجمته: هي القطرة التي أفاضت الكأس (المزهرية).

ينتقد "جان لو شيفلي" محتوى هذا المثل ويتساءل: كيف نصدق أن قطرة ماء بسيطة تفيض الكأس؟ أي لها آثار مدمرة، ويناقش الفكرة علمياً بتوظيف نظرية "أرخميدس" للأجسام الطافية، ويقول: لقد استبدلنا نظريتك بخدعة، لم يبق لنا أكثر من أن نطرح النظرية: «إذا طفا جسم على سطح سائل ما، فإن وزن الجسم المغمور يساوي وزن السائل المزاح» (2). فالقطرة ليست هي التي أفاضت الكأس؛ ولكن صبرنا له حدود، وعندما نحس بانفجار داخلي نصرخ: توقف.

والمثل مستعمل في الجزائر بصيغته الفرنسية وبترجمته العربية، وكثيرا ما يستعمله السياسيون والصحافيون عندما تقع بعض المشاكل أو الأحداث في المجتمع. فمثلا عندما يتذمر موظفون من مديرهم لسوء تصرفه معهم أو لتعسفه في استعمال سلطته، ويتمادى في ذلك إلى أن تمتلئ صدورهم عليه، وفي لحظة من اللحظات يرفع صوته على أحدهم فينفجر الجميع ضده، ويطالبون بعزله أو نقله... فرفع الصوت ليس هو السبب الحقيقي للثورة. ولكنه القطرة التي أفاضت الكأس.

أما معنى هذا المثل فموجود في البيئة العربية بصيغة: «القشة التي قصمت ظهر البعير» وقصته أن أحد الأعراب حمل بعيره من الأثقال حمل أربعة جمال، فانتقده الناس لما رأوا الجمل يترنح وكاد يسقط، لكنه أضاف إلى ذلك الحمل حزمة صغيرة من التبن وهي

(1)-Chiflet Jean-loup, 99 Proverbes à foutre à la Poubelle, éditions Points, Paris , France , 2012, P36.

(2)-Idem.

خفيفة، وقال: هذه هي الأخيرة. فسقط الجمل. فقيل: القشة التي قصمت ظهر البعير؛ ولكن القشة بريئة من ذلك؛ لأنّ الذي قصم ظهر البعير هي الأحمال الثقيلة. والمثل يضرب عندما تتكاثر المشاكل على الفرد أو الجماعة، ثم يأتي سبب بسيط فيحدث الانفجار. ومثال ذلك: الثورة التونسية الأخيرة التي أطاحت بالرئيس بن علي؛ فضرب الشرطة للبوعزيزي، ثم انتحاره ليس هو سبب الثورة؛ لأن الانتحار، أو اعتداء بعض أفراد الشرطة على بعض المواطنين موجود في كل المجتمعات، ولكنها تعالج كقضايا فردية؛ لكن عندما يعم الإحساس بالحقرة، وهضم الحقوق، بالإضافة إلى البطالة وألاً عدالة... يكون المجتمع متهيئاً للانفجار، في انتظار توفر سبب مباشر، و لو كان بسيطاً. فالشرطية و البوعزيزي: هما القشة التي قصمت ظهر البعير.

2- Qui vivra verra⁽¹⁾.

ترجمته: من يعيش ير.

يتساءل "شيفلي"، كيف يرى من يعيش مدة طويلة، مع أن نظر الإنسان ينقص كلما كبر، و مع أننا في حديثنا عندما نكبر نقول: تحرك أو امش لا يوجد شيء للنظر. ولكن النظر ليس المقصود به ما تراه العين فحسب؛ وإنما المقصود به ما يعقله الإنسان عن طريق حواسه المدركة، لما يحدث في الطبيعة، وللإنسان من تغيرات، تجعله يعيد النظر في أحكامه وآرائه تبعا لمعرفته المرتبطة بتقدم عمره.

وهذا المثل يطابق مثلاً شعبياً جزائرياً في لفظه وفي معناه، يقول المثل: «عيش

تشوف، وعيش تسمع»⁽²⁾.

ويورده بن هدوقة: «عش تسمع»⁽³⁾. يقال في حدوث ما لا يتوقعه أحد. ويقال في الرجل يأتي عملاً لا يمكن أن يصدر منه عادة، وهو يأتي في سياق التعجب. ويشبه مثلين عربيين، أحدهما يقول: «عش تر ما لم تر»⁽⁴⁾. أي من طال عمره رأى من الحوادث ما فيه

(1)-Chiflet ,op,ct, P 80.

(2) — الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(3) — بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 135.

(4) — الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، مثل ص 653.

معتبر، حسب قول الميداني. و الثاني يقول: «عش رجبا تر عجبا»⁽¹⁾ وقد ذكر الميداني أن قائل هذا المثل: الحارث بن عباد ابن قيس بن ثعلبة، طلق بعض نسائه بعدما أسن وخرف، فخلف عليها بعده رجل كانت تُظهر له من الوجد به ما لم تكن تظهر للحارث؛ فلقي زوجها الحارث فأخبره بمنزلته منها، فقال الحارث: عش رجبا تر عجبا ! فأرسلها مثلاً.

3-Il n'y a pas de rose sans épines⁽²⁾.

لا توجد وردة دون أشواك.

يشرح "شيفلي" هذا المثل بقوله: يُفهمنا المثل بكل جدارة أن الجمال لا يأتي حراً، كما أن الطبيعة تضعنا على المحك، بأن ليس هناك ارتياح وليست هناك متعة دون ألم، فالتمتع برائحة الورد يصاحبه شكك شوك الورد.

ومعنى هذا المثل موجود في بيت المتنبي -الذي شطره الثاني مثل- يقول المتنبي:

تريدين لقيان المعالي رخيصة == ولا بد دون الشهد من إبر النحل⁽³⁾.

ومعناه من اجتنت الشهد قاسى لسع النحل، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع. ويضرب المثل في من أراد بلوغ مراتب عالية، عليه أن يجد ويجتهد ويتعب كثيراً حتى يبلغ مراده. وكثيراً ما يضرب هذا المثل لحث الطلبة على بذل المزيد من الجهد لتحقيق النجاح وبالتالي الوصول إلى تحقيق أمانيتهم وآمالهم.

4-Les chiens aboient, la caravane passe⁽⁴⁾.

ترجمته:الكلاب تنبح والقافلة تمر.

ويرى "شيفلي": أنه مثل نشأ في بيئة صحراوية عربية حيث هناك قافلة تسير جمالها متتابعة على شكل خط ، وهناك جمال مسنة تقود القافلة، ولا تحس عندما تتجاوزها المهاري أو الكلاب التي تنبح ، بل تواصل القافلة رحلتها عبر الصحراء.

هذا المثل متداول بصيغته الفرنسية والمترجمة إلى العربية، في الأوساط الشعبية والرسمية، وغالباً ما يضرب في شأن من ينتقد تصرفات الآخرين، فانتقاده لا يغيّر من الوضع شيئاً.

(1) - الميداني، المصدر السابق، ج1، ص639.

(2) Chiflet ,op.ct, p140.

(3) -المتنبي، أبو الطيب أحمد المتنبي ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص518.

(4) -Ibid, p 14.

5- Qui couche avec les chiens se lève avec les puces⁽¹⁾.

ترجمته: الذي ينام مع الكلاب ينهض مع البق.

البق حشرة تعيش على مص دم الحيوانات، وقد تنتقل إلى الإنسان إذا لم يحافظ على نظافة جسمه، وثيابه، ومكان نومه، والكلاب مشهورة بتواجد البق في أجسامها. فمن نام معها أصابه ما أصابها.

يشير المثل إلى أثر الصحبة؛ فمن صحب الأخيار تطبع بطباعهم، ومن يصاحب الأشرار يصير مثلهم. وصحبة الأشرار تؤذي وتفسد الأخلاق، وتحط من قدر الإنسان. فالمثل يدعو إلى تجنب مخالطة ذوي السيرة السيئة.

ومعنى المثل موجود في المثل الشعبي الجزائري القائل: «ما اتخلط روحك مع النخالة ما يُنْقَبُكَ الدجاج»⁽²⁾. وكُنِيَ بالنخالة عن الأراذل وبالدجاج عن المنتقدين السفهاء، لأن من يتحدث في أعراض الناس أيضا رذل وسفيه، بل من أوضع الناس. ينقبك: أي ينقرك بمنقاره كما ينقر الحبوب ما دمت موجودا في النخالة. والمثل يقال في من يخالط الأراذل فلا يسلم عرضه من التلب، ولو لم يفعل شيئا يستحق الملامة. فعلى المرء عدم مخالطة منحطي الأخلاق حتى لا يهان.

6- Traverse une rivière houleuse et évite celle qui est calme⁽³⁾.

ترجمته: تجاوز نهرا صاخبا، وتجنب تجاوز نهر هادئ.

يستطيع الإنسان قطع الوادي، الذي يحدث صوتا بفعل تكسر المياه على نتوءاته، وأحجاره، وهو بهذا يكشف عن عمقه. أما الوادي الهادئ الذي تتساب مياهه دون إحداث أي صوت، فإنه قد يكون عميقا، وقوته شديدة دون أن ينتبه المرء إليها، فيظنها بسيطة.

وهو مثل يضرب في الحذر من الإنسان الهادئ الذي لا يظهر انفعاله أو غضبه، ولا يعبر عن انزعاجه أو تهديده، فقد يكون خطيرا عندما يثار، ولا نعرف متى ينفجر، ويحدث المفاجأة. أما الإنسان الذي يعبر عن مشاعر الغضب، فإن سرّه قد ينكشف من خلال

(1)-sid-Lakhdar Boumediene, Citations, Maximes, dictons et Proverbes, Editions Dar El Adib , 2007, p148.

(2) — بن هديوة، أمثال جزائرية، ص73.

(3)- Ibid , p149.

انفعاله، وأصواته، وقد يكتفي بذلك؛ لأنه نفس عن نفسه. وهذا المعنى يعبر عنه المثل الشعبي الجزائري بقوله: «اعقب على واد هدار وما تُغْفُش على واد ساكت»⁽¹⁾.

ويراد بالمثل الجزائري المعنى الحقيقي المباشر المتعلق بالمرور أو اجتياز أو عبور الوادي شديد الهدير، أي كثير الصخب. فهو لا يُخشى؛ لاشتماله على أحجار ومسالك يمكن سلوكها؛ فهديره آت من كونه يشتمل على تجويفات و نتوآت. بخلاف الوادي الصامت؛ فهو عميق متساوي القاع والمجرى، قلما ينجو من خطره عابر. و يضرب المثل ويراد به الحذر من الشخص الذي نراه هادئا، ساكتا، لا يباهي ولا يفاخر ولا يتظاهر بقوة و لا يفعل عندما يتعرض إلى إهانات أو مشاكل، فقد يكون في هدوئه تخطيط لانتقام شديد، ينفذه عندما تتاح له الفرصة المناسبة. بخلاف الثرثار فلا خشية منه.

7-Prudence est mère de Sûreté⁽²⁾.

ترجمته: الحذر أم الأمن (السلامة).

والمثل يضرب في حق الإنسان المتسرع الذي لا يفكر في عواقب أفعاله؛ فهو ينصحه بوجوب الحذر أثناء الإقدام على أفعال أو تصرفات، وأن يهتم بالعواقب؛ لأن التسرع دون النظر إلى النتائج، قد يوقع في أخطاء لا تحمد عقباها. والمثل يشبه المثل الشعبي القائل: «اللي خاف اسلم»⁽³⁾.

يقال في الحذر من المخاطر. ويقال لمن سخر من رجل تخوّف من المخاطر فالتخوّف غير الجبن. ويرد المثل أحيانا بصيغة: «اللي خاف اسلم، واللي اسلم سغدت أيامو»⁽⁴⁾.

وكثيرا ما ينصح الوالدان أولادهم، بضرب هذا المثل في إطار تحذيرهم من ولوج المخاطر دون التفكير في العواقب.

8-Ne réveillez pas le chien qui dort⁽⁵⁾.

(1) — بن هديوة، المرجع السابق، ص132.

(2) — Charlotte SChpira, op,ct,p98.

(3) — بن هديوة، المرجع السابق، ص188.

(4) — الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(5) — idem,p98.

ترجمته: لا توقظ الكلب النائم.

يقاظ كلب نائم، وبخاصة إذا كان الموقظ ليس صاحبه، قد يجعل الكلب يهاجمه، و يؤذيه، فيحدث فيه جروحا أو قد يقتله. والمثل يضرب في تجنب إثارة حقد العدو وكرهيته. أو تجنب كل ما يحدث ضررا لك أو لغيرك. ومعنى المثل موجود في الأثر العربي القائل: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقضها». والفتنة أشد من القتل كما جاء في القرآن. قال الله تعالى: ﴿والفتنة أشد من القتل﴾⁽¹⁾.

9- Les bons comptes font les bons amis⁽²⁾.

ترجمته: المحاسبة الجيدة تجعل الأصدقاء الجيدين.

وهو مثل يضرب في مقام المحافظة على الصداقة. ولدوامها، يجب أن يدفع كل واحد ما عليه للآخر. ومعناه يعبر عنه المثل الشعبي الجزائري القائل: «حَبْنِي كِي خَوْك، وحاسبني كِي عَدُوْكَ»⁽³⁾. ويقال هذا المثل في المعاملات المادية بين الأحاباب؛ فينبغي أن تبنى على المحاسبة الدقيقة، لا على الغموض والخلط بزعم الأخوة والصداقة وما إليها؛ لتفادي وقوع المشاكل، فهو يحثهم على أن تكون العلاقات واضحة؛ ليعرف كل ما عليه وما له، وأن يقوم كل واحد بأداء واجبه نحو الآخر، وبهذا تدوم المحبة ولا يعكرها سوء التفاهم المادي.

10-Tous les moyens sont bons pour arriver à ses fins⁽⁴⁾.

ترجمته: جميع الوسائل تكون حسنة من أجل الوصول إلى غاية حسنة.

وهو مثل مأخوذ من فكر الفيلسوف الإيطالي " نيكولا مكيافيلي*" الذي قال: الغاية تبرر الوسائل (La fin justifie les moyens) وهي فكرة غير أخلاقية؛ لأنها تبرر -مثلا- سرقة السارق إذا سرق، أو قتل من أجل الحصول على المال؛ فهو يريد تحقيق غاية مفيدة بالنسبة له. وهكذا كل ظالم أو معتدٍ، سواء على مستوى الأفراد أو الأمم، ما دام يريد الخير

(1) — سورة البقرة، آية 191.

(2) — Ibid.p 65.

(3) — عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 33.

* — أنترنات: نيكولو مكيافيلي ar.WiKiPedia.org/wiki/ نيكولو مكيافيلي، هو مفكر وفيلسوف وسياسي إيطالي، إبان عصر النهضة، ولد وتوفي في فلورنسا 1469-1527، أشهر كتبه كتاب: الأمير، والذي كان عملا، الهدف منه أن يكتب تعليمات لحكام، نشر بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، وكان صورة مبكرة عن الشفعية والواقعية السياسية، ويعد هو مؤسس مدرسة التحليل والتنظير السياسي.

(4) — Labbani zohra nizel et autres, Dictionnaire Des Mille et un Proverbes de l'oranie (ouest Algérie), Editions Dar el adib, oran, 1911, p 38.

لنفسه، فتصرفه مبرر. وقد لا تكون الوسيلة الاعتداء والظلم، بل قد تكون التذلل والنفاق و الدوس على الكرامة، والرضا بالإهانة من أجل تحقيق منافع مادية أو معنوية.

عبر عن هذا المعنى مثل شعبي بقوله: «حِبِّ الْكَلْبِ مَنْ فَمُّو حَتَّانْ تَقْضِي حَاجَتَكَ مَنْو»⁽¹⁾. ويرى بن هدوقة: أن هذا المثل يقال في الصبر على نيل المطلوب من لئيم. ويقال في مجاملة اللئيم الذي ليس من مجاملته بد، وصاحب المثل شبه اللئيم بالكلب يقبل. والمسلم لا يقبل الكلب ولا يشرب من إناء ولغ فيه، إلا بعد غسله سبعا، واحدة بالتراب كما يقول الفقهاء... وهذا التشبيه نهاية في البلاغة.

11- Qui veut tout perd tout⁽²⁾.

ترجمته: الذي يريد الكل يُضيّع الكل.

يضرِب المثل في حق الجَشع الطمّاع الذي يريد كل شيء لنفسه، أو يريد شيئا ليس من حقه؛ فيضيّع ما عنده دون أن يحصل على شيء. وكثيرا ما يحدث هذا في المجتمع؛ عندما يستغل بعض النصابين غريزة الطمع القوية لدى بعض الأشخاص. فينتحلون صفة مسؤولين كبار، أو يقدمون أنفسهم على أن لهم علاقات عملية مع بعض المسؤولين؛ و يطلبون من الطمّاع مبالغ مالية مقابل الحصول على منافع مادية، كالحصول على مساكن أو قروض من بنوك ... وبعد أن يدفع الطماعون أموالهم للنصاب، يختفي ويبقى الطماع يقلب كفيه على ما ضيّع بسبب جشعه.

وهذا المثل يعبر عنه مثل شعبي جزائري بقوله: «جَا يَسْعَى، وَدَّرْ تَسْعَة»⁽³⁾. أسْعَايَة: في الدارجة تعني الريح. و وَدَّرْ: تعني ضيّع، أي أراد أن يريح فضيّع تسعة أعشار من رأس ماله. جراء جشعه الذي أعماه، وجعله يسيء التصرف.

12-il faut réfléchir avant d'agir⁽⁴⁾.

ترجمته: يجب أن تفكر قبل أن تتصرف.

(1) — عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص100.

(2) — Labbani, idem, P49.

(3) — الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(4) — Labbani, idem, P 149.

يضرِب هذا المثل في حق الذين يتسرعون في أقوالهم، أو أفعالهم، أو أحكامهم، وقد يقعون في الخطأ. فهو ينصحهم بالتروي، والتفكير وعدم التسرع؛ لأن بعض الأمور يجب أن تأخذ حظها من الدراسة، وعمق التفكير. وكثير من الأمثال الشعبية تعبر عن المعنى نفسه منها: «**في التائي السلامة وفي العجلة الندامة**»⁽¹⁾، ويقال: «**العجلة من الشيطان**». فكل من تأتى ولم يستعجل في السياقة مثلا حافظ على سلامته، وسلامة سيارته، وكثيرا ما نجد هذا المثل مكتوبا على لافتات في الطرقات، تنبه السائقين إلى وجوب التروي والتفكير في سلامة أنفسهم، و سلامة الآخرين. وفي معنى الاستعجال ذكر "ابن عبد ربه" في العقد الفريد، في معرض حديثه عن أمثال الرسول - صلى الله عليه وسلم - «**إن المُنبَتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى**»⁽²⁾، وهذا عندما ذكر الغلو في العبادة، ومعناه: إن المغدَّ في السير إذا أفرط في الإغذاذ عطبت راحلته من قبل أن يبلغ حاجته، أو يقضي سفره، فشبه بذلك من أفرط في العبادة حتى يبقى حسيرا.

وبعد أن استعرضت مجموعة من الأمثال الأجنبية في اللغات الأوربية الثلاث: الإسبانية والإنجليزية والفرنسية، ولا حظنا التشابه الكبير بينها وبين الأمثال العربية الشعبية الجزائرية - سواء في ذلك ما ثبت تأثرها بالأمثال العربية، أو ما كان تشابها دون إثبات التأثير - فإنه قد يسأل سائل لماذا اخترت أو اقتصرت على هذه اللغات دون غيرها من لغات الغرب أو الشرق؟ والجواب أن هذه اللغات منتشرة في الجزائر أكثر من غيرها بحكم القرب الجغرافي والتبادل التجاري، والهجرات البشرية، والاحتكاك الثقافي والاستعمار... والهدف من ذكر هذه العينات هو إثبات التأثير والتأثير والتشابه الملاحظ بين أمثال هذه الشعوب فقط. أما تأثر الأمثال الشعبية الجزائرية بالموروث الثقافي العربي الإسلامي فهذا ما سوف أتطرق إليه في إطار ما يسمى بالتناص، فيما يلي:

ثالثا-تناص الأمثال الشعبية مع القرآن والموروث الثقافي العربي الإسلامي:

لا شك أن الأمثال الشعبية الجزائرية المنطوقة أو المكتوبة بعربية عامية أو ملحونة قد تأثرت بالموروث الثقافي العربي الإسلامي؛ وذلك أن الشعب الجزائري مسلم، وإلى العروبة

(1) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(2) - ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، شرح وضبط وترتيب وتصحيح، أحمد أمين، وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م، ج3، ص64.

نسبه: بعضه أصالة وبعضه لغة؛ لارتباط لغته بدينه، هذا الارتباط دفعه إلى حفظ الكثير من النصوص الإسلامية، التي يتطلب فهمها إجادة اللغة العربية، ولا يتأتى له ذلك إلا بدراسة أدب هذه اللغة، ليجيد التعبير بها.

فهذا ابن خلدون يقول: «إنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلّم اللسان العربي، و على قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه، وكثرته من قلّته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحفظ... وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع، تكون جودة الاستعمال من بعده. ثم إجادة الملكة من بعدهما، فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة؛ لأن الطبع إنما ينسج على منوالها، وتنمو قوى الملكة بتغذيتها... والملكات التي تحصل لها إنما تحصل على التدرّج، كما قدّمنا؛ فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسل، والعلمية بمخالطة العلوم و الإدراكات والأبحاث والأنظار...»⁽¹⁾.

فما مدى هذا التأثير في الناحيتين: المعنوية الفكرية الدلالية، واللفظية الشكلية التركيبية؟ وللإجابة عن هذا السؤال رأيت أن أدرس الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة تناسية بينها وبين عناصر الموروث الثقافي العربي الإسلامي. ولتحقيق ذلك لا بد من التعرّيج على قاموس المصطلحات التي توظف في مثل هذه الدراسة، لأن لكل نوع من الدراسة مصطلحاتها التي بها يحلّل المعنى، وبها يدرس المبنى. ومن هذه المصطلحات : النص والتناص. فما النص، وما التناص؟

1-النص والتناص لغة و اصطلاحا:

-لغة:

جاء في لسان العرب، نص، في مادة: نصص. النصّ: رفعك الشيء. نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه. وكل ما أظهر فقد نُصّ. وقال عمر بن دينار ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزّهري أي أرفع له وأسند. يقال: نصّ الحديث إلى فلان : أي رفعه، وكذلك نصصته إليه. ونصّت الظبية جيدها: رفعته. ووُضع على المنصّة أي على غاية الفضيحة

⁽¹⁾ -ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن خلدون. تاريخ ابن خلدون من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971م، الجزء 1، ص 578.

والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليها العروس لثرى، ونصّ المتاع نصًّا: جعل بعضه على بعض⁽¹⁾.

أما مفهوم النص اصطلاحاً: فهو عند الأصوليين: يطلق على الكتاب والسنة. وعند الأدباء أثر مكتوب شعراً أو نثراً⁽²⁾.

أما Texte: فكلمة من أصل لاتيني Taxtus وتعني النسيج، وفعلها Textere: ينسج⁽³⁾. أما في الفرنسية؛ فتعريفه في قاموس روبر Robert الفرنسي، النص: مجموعة من الكلمات أو الجمل أو العبارات التي تشكل مكتوباً أو منطوقاً. والنص إنتاج أدبي. كنص مسرحية، أو أغنية⁽⁴⁾..

وجاء في كتاب: دراسات في النص و التناصية « والنص في العرف العام هو السطح الظاهري للنتاج الأدبي، نسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً... والنص جزء من الكلام مמוّضع هو نفسه في منظور كلامي. إنه إيصال فكر نظري، أو معرفة حول النص يفترض إذاً أن يتواصل مع ممارسة النص بشكل أو بآخر»⁽⁵⁾. ويورد الكاتب تعريف "جوليا كريستيفا" للنص، حيث قالت: «نعرّف النص بأنه جهاز نقل لسانی يعيد توزيع نظام اللغة واضعاً الحديث التواصلي، نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة»⁽⁶⁾ ومن هذا المنظور كما يرى محمد الأخضر الصبيحي: أن النص يشمل كل أنواع النصوص المتداولة في المجتمع، بغض النظر عن طولها أو قصرها، كالأمثال والحوارات والمحادثات والخطابات والقصص والروايات وغيرها... ويفرق بين النص والخطاب؛ حيث أن النص يمثل المظهر الشكلي للخطاب، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص⁽⁷⁾. ومما سبق يمكن عدّ المثل نصاً وخطاباً أثناء تداوله.

(1) - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 7، ص-ص 97-98.

(2) - المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، 1989م، ص 1200.

(3) - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، 1974م، ص 566.

(4) - Paul Robert, Micro Robert, dictionnaire du Français Primordial, le Robert, Paris, 1984, P 1063.

(5) - محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، ترجمة خير البقاعي، ط 1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1998م، ص 26-32.

(6) - محمد خير البقاعي، المرجع السابق، ص 33.

(7) - ينظر محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008م، ص 73.

التناص:

يرى العديد من الدارسين أن التناص (L'intertextualité) سمة ملازمة للنصوص بمختلف أنواعها، والمقصود بذلك تداخل وتقاطع النصوص في أشكالها ومضامينها، وهم يجزمون بأنه لا يوجد نص يخلو من أجزاء أو مقاطع من نصوص أخرى، وأبرز هذا الحضور، الاقتباسات و الأقوال التي يستشهد بها الكتاب. «.. المقصود بالتداخل النصي هنا: الوجود اللغوي، سواء أكان نسبياً أم كاملاً، أم ناقصاً، لنص آخر. وربما كانت أوضح صور التداخل، الاستشهاد بالنص الآخر، داخل قوسين في النص الحاضر»⁽¹⁾.

ولم تكن فكرة تداخل النصوص وترابطها غريبة عن التقاليد النقدية العربية القديمة، بل نجدها متصلة بحديث القدماء عن مجموعة من الأبواب النقدية؛ أهمها السرقات الأدبية، وفي هذا يقول ابن رشيق: «وهو باب متسع جداً لا يقدر أحد أن يدعي السلامة منه»⁽²⁾. وإذا كان الإبداع العربي آخذاً بعضه عن بعض، من ناحية المعاني أو من الناحية الشكلية، فإن أبا هلال العسكري يرى:

«أن ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم»⁽³⁾.

ولعلّ هذا ما يفسر حرص النقاد العرب على التنويه بدور الحفظ والرواية، والتشبع بأساليب الفحول في تكوين الشعراء المجيدين، حتى تتسع حافظتهم، و تترسخ النصوص في ملكاتهم، بحيث يسهل النظم على منوالها بعد نسيانها.

فالنسيان إذاً عملية أساسية؛ إنه يعني الهضم فالتمثل فالاستيعاب، والشخص الحافظ الذي لا يستطيع أن ينسى، لا يمكنه أن يكون مبدعاً، قد يصبح أكاديمياً كبيراً، ولكنه لا يمكن أن يكون شاعراً كبيراً. ولذلك فالتربية الحديثة تعتمد المقاربة بالكفاءات، التي تعني القدرة على توظيف المكتسبات في وضعيات جديدة، بل القدرة على التكيف مع الوضعيات المختلفة المستجدة.

(1) - عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م، ص 152.

(2) - ابن رشيق القزويني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد قرقاز، ط2، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1994م، ج2 نص 1037.

(3) - أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البحاي، محمد أبو الفضل إبراهيم، د/ط، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986م، ص 196.

2-فكرة التناس عند النقاد العرب القدماء:

التناس: مصطلح جديد لظاهرة أدبية ونقدية قديمة؛ فظاهرة تداخل النصوص في الثقافة العربية موجودة بكثرة؛ لأن ذاكرة الإنسان تحوي كل ما مرّ به أو سمعه أو قرأه، ويعيد مزجه وتركيبه في صور و كيفيات تقترب أو تباعد، تختلف أو تتفق مع بعض النماذج السابقة، في الشكل أو في المضمون أوفي كليهما.

فالتأمل في طبيعة التآليف النقدية العربية القديمة، يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناس فيه. فنص ابن خلدون السابق، الذي تكلم عن الحفظ والنسج على المنوال، يندرج ضمن عملية التناس المبكر عند العرب، حتى وإن لم يسمه بهذا الاسم، فهذا لا يعني أنه لم يكن واعيا بنظرية التناس، التي تناولها النقاد المعاصرون، فكلامه عن قراءة وحفظ الجيد من الكلام، ثم نسيانه، ليستقر في وعيه، ثم اللجوء إليه للأخذ منه عند الكتابة أو نظم الشعر، ما هو إلا دعوة لتوظيف بعض هذا المخزون في مواقف جديدة وظروف مختلفة، بكيفيات تشبه في شكلها أو في مضمونها، ما كان قد هضمه في أوقات سابقة.

و اقتفى كثير من الباحثين المعاصرين العرب أثر التناس في الأدب القديم وأظهروا وجوده فيه تحت مسميات أخرى، وبأشكال تقترب من المصطلح الحديث. وقد أوضح "محمد بنيس" ذلك، وبيّن أن الشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية. وضرب مثلا للمقدمة الطللية، التي تعكس شكلا لسلطة النص: «فكون المقدمة الطللية تقتضي ذات التقليد الشعري من الوقوف والبكاء وذكر الدمن، فهذا إنما يفتح أفقا واسعا لدخول القصائد في فضاء نصّي متشابك، ووجود تربة خصبة للتفاعل النصّي»⁽¹⁾.

وهذه العلاقة علاقة التقليد أو أخذ الشعراء بعضهم عن بعض لاحظها الجاحظ، وعدّ الشعراء عاللات على بعضهم البعض، وأن الإبداع الذي يحاولون التميز به، قد يكون نسبيا. «لا يُعلم في الأرض شاعر تقدّم في تشبيهه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في معنى بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء، من بعده أو

(1) - محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ج3، الشعر المعاصر، دار توفيق، المغرب، 1990م، ص 182.

معه، إن هو لم يَعُدْ على لفظه فيسرق بعضه، أو يدّعيه بأمره؛ فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه، كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء، فتختلف ألفاظهم و أعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد أحق بذلك المعنى من صاحبه»⁽¹⁾. ويقول الجاحظ في موضع آخر: «قالوا: لم يدع الأول للآخر معنى شريفا ولا لفظا بهيّا إلا أخذه، إلا بيت عنتر: فترى الذباب بها يغني وحده == هزجا كفعل الشارب المترّم»⁽²⁾.

ويبرهن العسكري على صحة مقولة الجاحظ بقوله: «وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يلم به، ولكن لما وقع للأول وقع للآخر، وهذا أمر عرّفته من نفسي فلست أمتري فيه، وذلك أنني عملت شيئا في صفة النساء: سفرن بدورا و انتقبن أهلة. وظننت أنني سبقت إلى هذين التشبيهين في نصف بيت، إلى أن وجدته بعينه لبعض البغداديين، فكثرت تعجبي، وعزمت على ألا أحكم على المتأخر بالسرقة من المتقدم حكما حتما»⁽³⁾.

يرى عبد المالك مرتاض: أن أبا عثمان الجاحظ يؤكد أن هناك معاني مشتركة أو اغتدت مشتركة بفعل إلحاح الشعراء عليها، و لهجهم بها، واحتفالهم عليها؛ فإذا لا ديار منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه، ونلاحظ أن الجاحظ لم يقع فيما كان يسميه النقاد الأقدمون، وخصوصا "عليّا الجرجاني" (السرقات). إن هذا المصطلح الأخلاقي القضائي مزعج ومؤذٍ، ولا يستقيم به الطريق للنقد في أي عهد، إذ كانت السرقة أمرا محرّما، وسلوكا مشنعا في كل الأديان والشرائع والقوانين الوضعية⁽⁴⁾.

والشاعر أو الكاتب عندما تظهر في منتوجه آثار نصوص سابقة، فهو قد استوحاها مما علق في ذاكرته، واستمدّها من شعوره أو لا شعوره، وقد لا يقصد السرقة؛ لأنها-أي آثار النصوص السابقة- دخلت في إطار المعاني العامة، واللغة المشتركة، وقد لا يتذكر متى قرأها أو من صاحبها.

(1) - الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1385هـ - 1965م، ج3، ص-311-312.

(2) - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1998م، ج3، ص326.

(3) - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص197.

(4) - ينظر: عبد المالك مرتاض، السبع المعلقة: تحليل انثروبولوجي/ سيميائي لشعرية نصوصها، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص234.

ويقول عبد المالك مرتاض: إن الأديب كثيرا ما لا يعتمد - بالتجربة والممارسة - هذه السرقة، ولا يقصد إليها، وربما لا يريد لها أصلا، ولكن سلوكه يكون في الغالب من باب (وقوع الحافر على الحافر)، أو من باب تشابه المواقف، فتتشابه معها الألفاظ: كالبكاء على الأطلال، وكالنوح على الديار، وكالحنين إلى الربوع الدارسة، وكالوقوف على الدمن البالية. أو من باب تماثل العواطف لحب الشعراء لحبيبات كنّ يعشن في تلك الديار التي لم يبق لهم منها إلا آثارها، بعد أن تحمّل عنها أهلها، و زایلها أصحابها... فقد كان ذلك واقعا اجتماعيا محتوما، وكان على الشعراء أن يخوضوا فيه، ويصوروا تجاربهم عنه، ولم يكن من الإنصاف أن يسكت اللاحقون عنه لمجرد أن السابقين تناولوه مع استمرار الوضع، وتشابه الحال⁽¹⁾ ... وممن تنبهوا إلى قضية التناسل دون تسميته، أبو هلال العسكري في كتابه: الصناعتين. حيث يقول: « ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدّمهم والصبّ على قوالب من سبقهم... وإنما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: لولا أن الكلام يعاد لنفد⁽²⁾ ». وقضية التناسل أو تأثر الشعراء بعضهم ببعض كانت منذ العصر الجاهلي.

يرى عبد المالك مرتاض: أن تأثير امرئ القيس فيمن عداه من شعراء العرب الأقدمين واضح ظاهر، ويبدو أن الشعراء الأقدمين لم يكونوا يتخرجون في تناول بعض الأبائيت أو مصاريع منها، أو أجزاء من مصاريعها، على سبيل التضمين، أو قل: بلغة أهل العصر، على سبيل التناسل؛ فإذا الواحد منهم لا يرعوي في أن يكرر ما كان قاله غيره دون أن يلقي في ذلك حرجا أو حوبا⁽³⁾. و يمثل "عبد المالك مرتاض"⁽⁴⁾ لآثار امرئ القيس في الشعر العربي: جاهليّه، وإسلاميّه، وأمويّه.

(1) - عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات، ص 235.

(2) - العسكري، الصناعتين، ص 196.

(3) - ينظر: عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات، ص 236.

* - الجو: الوادي، ج: جواء، عمي: طاب عيشك صباحا.

(4) - ينظر: عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات، ص 237.

* - نصّت جيدها: رفعتة.

ومن النصوص المتنوعة، ما يلي:

قال امرؤ القيس:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي == وهل يعمّن من كان في العُصر الخالي.

وقال عنتره:

يا دار عبلّة، بالجواء، تكلمي == وعمي صباحا، دار عبلّة، واسلمي

وقال زهير:

فلما عرفت الدار قلت لربّعا == ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم

و التناص: في الأبيات السابقة لشعراء جاهليين. هو في تحية الصباح: عم، عمي، انعم. وفي الدار والأطلال .

ويقول امرؤ القيس:

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش == إذا هي نصّته، ولا بمعطل**.

ويقول قيس بن الخطيم:

وجيد كجيد الرئم حالٍ، يزيئُه == على النحر منظوم، وفصلُ زبرجد.

التناص في بيت الشاعر الجاهلي، وبيت الشاعر الإسلامي:(وجيد كجيد الرئم)

ويقول امرؤ القيس:

أغرّك منّي أن حبك قاتلي == وأنك مهما تأمري القلب يفعل

ويقول جرير:

أغرّك منّي أنما قادني الهوى == إليك، وما عهد لكنّ بدائم

و التناص في بيت امرؤ القيس الجاهلي، وبيت جرير في العهد الأموي: (أغرّك منّي).

ويرى عبد القادر بقشي: « أن عملية الإبداع تتحكم فيها فعاليتان هما: الكتابة

والقراءة، فالنص الأدبي بهذا الاعتبار كتابة وقراءة في آن؛ وكونه كذلك يعني أن كل قراءة

له لا يمكن إلا أن تكون إعادة كتابة لجميع العناصر اللغوية، وغير اللغوية المساهمة في

بنائه»⁽¹⁾.

(1) -عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي البلاغي، دراسات نظرية تطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007م، ص19.

ويترتب على هذا أن أساس العملية الإبداعية إنما هو التوليد، وأن النص الأدبي ما هو إلا كتابة من الدرجة الثانية، ولعلّ هذه الفكرة، أي - تواطؤ الشعراء على المعاني الشعرية- هي التي عبّر عنها عنتره بن شداد بقوله:

هل غادر الشعراء من متردّم == أم هل عرفت الدار بعد توهم*⁽¹⁾.

يقول: هل ترك الشعراء موضعاً مسترقعاً إلا وقد رقعوه وأصلحوه؟ وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار، أي لم يترك الشعراء شيئاً يصاغ فيه الشعر إلا وقد صاغوا فيه؛ وتحرير المعنى: لم يترك الأول للآخر شيئاً، أي سبقتي قوم من الشعراء لم يتركوا لي مسترقعاً أرقعه ومستصلحاً أصلحه.

فعنتره يرى: أن الشعراء قبله لم يتركوا شيئاً إلا رجّعوا نغماتهم بإنشاء الشعر، وإنشاده في وصفه ورصفه.

هذا الرأي كان قد رآه -أيضاً- امرؤ القيس، وهو من أقدم شعراء الجاهلية حين قال
عُوجاً على الطلل المحيل لعلنا == نبكي الديار كما بكى ابن حُمام.

فهو يحيل على مضمون فكرة الشاعر "ابن حمام"، البكاء على الديار، وهو قد أوماً إلى شاعر منقرض السيرة، لا يعرف عنه النقاد الأقدمون شيئاً،
و لا سمعوا شعره الذي بكى فيه⁽²⁾. مما يدل على أن امرأ القيس قد أخذ عمّن سبقه.

التناص في النظرية النقدية الحديثة:

تشعبت قضاياها تحت مصطلح Inrertextualité وهي كلمة مركبة من inter و Textualité وترجمت إلى العربية ب: التناص، والتداخل النصّي، أو التفاعل النصّي وغير ذلك.

يرى عبد القادر بقشي: أن كتابات "جيرار جينيت" الأدبية من أعمق التأصيلات النظرية، التي عرفت بها النظرية النقدية الحديثة، فقد حاول من خلال كتابه: أطراس Palimpsestes رصد جميع العلاقات النصية التي بإمكان النصوص أن تأخذها في

⁽¹⁾ -الروزي، شرح المعلقات السبع، ص197.

* - المتردّم: الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي، والتردّم: أيضاً مثل التزم، وهو ترجيع الصوت مع تخزين.

⁽²⁾ - ينظر: عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات، ص236.

حوار بعضها مع البعض الآخر، وأضحت مراجعات "جيرار جينيت" الشاملة لمفهوم التناص متصلة بإطار أعم وأشمل هو المتعاليات النصية. هذا المفهوم الذي يتجاوز "جامع النص" إلى كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة، أو ضمنية مع نصوص أخرى⁽¹⁾.

وبناء على ذلك قسّم المتعاليات النصية إلى خمسة أنواع من العلاقات، ثم رتبها وفق نظام تصاعدي قائم على التجريد، والشمولية والإجمال، وهي:

الأول: التناص *intertextualité* صاغته في البداية "جوليا كريستيفا"، ثم أعاد جينيت صياغته، فاعتبره بمثابة حضور متزامن بين نصين، أو عدّة نصوص، أو الحضور الفعلي لنص داخل نص آخر بواسطة السرقة *Plagiat*، والاستشهاد *citation*، ثم التلميح *L'allusion*.

الثاني: المناص *Paratexte*: ويشمل جميع المكونات التي تهم عتبات النص، نحو: العنوان والعنوان الفرعي، والعنوان الداخلي، والديباجة، والحواشي والرسوم، ثم نوع الغلاف، إضافة إلى كل العمليات التي تتم قبل إنتاج النص، من مسودات وتصاميم وغيرها.

الثالث: الميتانص *Metatextualité*: ويتعلق بكل بساطة بعلاقة التفسير، والتعليق التي تربط نصا بآخر يتحدث عنه، دون الاستشهاد به، أو استدعائه، وهي علاقة غالبا ما تأخذ طابعا نقديا.

الرابع: معمارية النص *Archétextualité*: أي النوع الأدبي الذي ينتمي إليه نص ما؛ لأن تمييز الأنواع الأدبية من شأنه أن يوجه أفق انتظار القارئ أثناء عملية القراءة.

الخامس: التعلق النصي *Hypotextualité*: وهو النوع الذي خصّه "جينيت"، بالدراسة في كتابه: أطراس. ويقصد به كل علاقة تجمع نصّا (ب) *hypertexte* بنص سابق (أ) *hypotexte*. وقد وضع جينيت مفهوما عاما، أسماه بالأدب من الدرجة الثانية. *Lalittérature* .⁽²⁾ au second degré

أما الباحثة "جوليا كريستيفا" فتعتبر من الأوائل الذين أخذوا بمبدأ التحويل *Transposition* بوصفه آلية من الآليات النقدية الأساسية التي يقوم عليه التناص. فهي

(1) — عبد القادر بقشي، المرجع السابق نفسه، ص21.

(2) — Voir Gérard Genette, *Palimpsestes, La littérature au Second degré* ; Ed ; Seuil , 1982, P : 8-12.

تقول: «إنه عبارة عن لوحة فسيفسائية، وأن كل نص هو امتصاص وتحويل وإثبات ونفي لنصوص أخرى»⁽¹⁾.

وأخذ "لوران جيني"، بمفهوم التحويل، واعتبره الأساس الأول لكل تفكير في هذا السياق وهكذا عرّف التناص بقوله:

«عمل تحويل وتشرب لعدة نصوص يقوم بها نص مركزي، يحتفظ بزيادة المعنى»⁽²⁾.
والتحويل عنده يتخذ أشكالا معينة؛ إذ قد يكون تذكيرا أو تلميحا، أو اقتباسا لوحدة نصية مجردة، ومنتزعة من سياقها الأصلي، أو استلهاما بتحويل اتجاه معنى النص⁽³⁾.
ويعد التناص بالنسبة للشاعر بمثابة الهواء والماء، والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما، ولا عيش له خارجهما، وعليه؛ فإنه من الأجدى أن يبحث عن آليات التناص لا أن يتجاهل وجوده هروبا إلى الأمام⁽⁴⁾. فإنتاج الخطاب أو تلقيه يعتمد على الخلفية المعرفية ومعنى هذا أن الذاكرة تقوم بدور كبير في العمليتين معا؛ ولكنها لا تستدعي الأحداث والتجارب السابقة كلها في تراكم وتتابع؛ وإنما تعيد بناءها وتنظيمها، وإبراز بعض العناصر منها، وإخفاء أخرى تبعا لمقصدية المنتج والمتلقي.

موقع التناص وأهميته:

يرى محمد مفتاح، أن التناص أول ما يظهر في المضمون؛ لأننا نرى الشاعر يعيد إنتاج ما تقدّمه، وما عاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة (عالمية)، أو (شعبية)، أو يتلقى منها صورة، أو موقفا دراميا، أو تعبيرا ذا قوة رمزية، ولكننا نعلم جميعا أنه لا مضمون خارج الشكل، بل إن الشكل هو المتحكم في التناص والموجه له، وهو هادي المتلقي لتحديد النوع الأدبي، و لإدراك التناص، وفهم العمل الأدبي تبعا لذلك⁽⁵⁾.

و التناص يتيح لنا الاستفادة من آلياته المختلفة، في دراسة المعارضة الشعرية، حيث تبرز من خلاله أثر النصوص السابقة أو المعاصرة - معروفة المؤلف أو مجهولته - في

(1) - كريستينا جوليا، علم النص ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1977م، ص79.

(2) - نقلا عن عبد القادر بقشي، المرجع السابق، ص25. Laurent Jenny, La stratégie de La forme, p 262.

(3) - ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(4) - ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م، ص125.

(5) - ينظر: محمد مفتاح، المرجع السابق، ص-ص129-130.

النص المستحدث أو حتى في التناص الحادث بين إنتاجات أديب ما في فترات حياته الأدبية نثرا أو شعرا.

والتناص يتيح لنا تجاوز بعض أنساق المعرفة النقدية القديمة، التي تسيء إلى الطبيعة الاختلافية لهذه الظاهرة. «فإذا كان التناص يهدف إلى خلق فضاء للترابط والتواصل والتفاعل بين النصوص الأدبية وباقي الخطابات الأخرى؛ فإنه يقترح لذلك تصورا جديدا لا يسمح بالنظر إلى علاقة النص اللاحق بالنص السابق وفق مسار تنازلي؛ أي تأثير السابق في اللاحق، كما هو الشأن في الشعرية العربية القديمة؛ ولكن ينظر إلى العلاقة بينهما وفق مسار تصاعدي؛ أي بالنظر إلى تأثير اللاحق في السابق، وجعله مستمرا بمكونات قديمة وجديدة في آن»⁽¹⁾.

يتضح مما سبق أن التناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين؛ إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي، وسعة معرفته، وقدرته على الترجيح. وهو؛ إما أن يكون اعتباطيا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي. وإما أن يكون واجبا يوجه المتلقي نحو مظائه. و التناص محكوم بالتطور التاريخي إن في مواقف المتناصين أو في مواقف المهتمين من الدارسين، فالقدماء على مختلف أجناسهم وأمكنهم وأزمنتهم، كان يغلب عليهم الدعوة إلى اتباع سنن السلف؛ فالخروج عليه إبداع وابتداع، والمبدع هو الله وحده، والمبتدع ضال. ومع هذا فإنهم كانوا يتبعون مؤلفات الشعراء والكتاب ليظهروا سرقاتهم.

إن هذه السننية الثقافية اتخذها بعض الباحثين من المستشرقين سندا ليسمو الثقافة العربية بالسكونية والجمود وعدم التطور، والثقافة الغربية بالحيوية وبغير ذلك من الأوصاف الإيجابية؛ غير أن الدراسات الحديثة جاءت لترد الأمر إلى نصابه، وتتنظر إلى آثار القدماء في سياقها. إذ كل الآثار الوسيطة مهما كانت جنسية أصحابها تقوم على دعامتين أساسيتين هما: 1- التوالد والتناسل، ذلك أننا نجد أثرا أدبيا أو غيره يتولد بعضه من بعض، وتقلب النواة المعنوية الواحدة بطرق متعددة وفي صور مختلفة.

2- التواتر أي إعادة نماذج معينة وتكرارها لارتباطها بالسنة، وبالسلف، ولقوتها الإيحائية⁽²⁾.

(1) -عبد القادر بقشي، المرجع السابق نفسه، ص51.

(2) - ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، صص 131-134.

دراسة تناسية تطبيقية:

وإذا كان مفهوم التناص باختصار، هو تأثر نص جديد بنص أو بنصوص سابقة أو معاصرة؛ وذلك بظهور هذا الأثر في مبناه أو معناه، أو فيهما معاً، بتوظيف مفردات أو صور أو أساليب، أو تخريج المعنى بكيفية ثقل أو تساوي أو تفوق النموذج المؤثر من الناحية الشكلية أو المعنوية. وإذا لم يكن هناك نص نشري -بشري- وجد من العدم، فإن الأمثال الشعبية الجزائرية -لا شك- قد تأثرت بالموروث الثقافي العربي الإسلامي؛ لأن هذا الموروث هو الخلفية الثقافية التي انطلقت منها.

وقد يكون هذا التأثير ظاهراً من خلال المفردات أو الألفاظ الموظفة في التركيب بمعانيها في التضمين، وقد يكون خفياً يستنتج من فهم المعنى.

وللوصول إلى ذلك تم اختيار مجموعة من الأمثال التي رأيت أنها في تعالق نصي مع عناصر الموروث الثقافي العربي الإسلامي. والهدف ليس الموازنة أو المفاضلة بين الأمثال الشعبية وغيرها من النصوص؛ ولكن الهدف إبراز المعاني المشتركة، والإشارة إلى نوع التناص، ظاهر أو خفي؛ هل المقومات المشتركة لفظية واضحة، أو هي معنوية تفهم من السياق؟ وهذا بقصد الإجابة عن سؤال هل الأمثال الشعبية امتداد للأمثال العربية؟ وهل معانيها متضمنة في الموروث الثقافي العربي الإسلامي؟

وأشكال التناص التي أوردتها هي التناص مع القرآن الكريم، ثم مع الحديث النبوي الشريف. ثم مع الشعر العربي، ثم مع الأمثال العربية.

أ- تناص الأمثال الشعبية مع القرآن الكريم:

هناك الكثير من الأمثال الشعبية التي عندما نسمعها، تتداعى إلى أذهاننا معان موجودة في القرآن الكريم؛ إما عن طريق ظهور مفهوم لفظي مباشر، أو مقوم معنوي مذكور عن طريق الترادف، أو التأويل، أو التفسير. أو تتداعى إلى أذهاننا مفاهيم لها علاقة تبعية وترباط بما سمعنا، فلو نطقنا بكلمة: (كرم) لتداعت إلى ذهن السامع بعض المعاني كإنفاق يسر، ضيف، بخل، طيبة، رحمة.. وهكذا فالتداعي يقوم بدور كبير في فهم الخطاب، وهو يعتمد على ثقافة المتلقي وتجربته. ومن الأمثال التي فيها تناص مع القرآن الكريم ما يلي:

1- المثل: «عَدَّ أَرْجَالَكَ وَاسْقَى الْمَاءَ»⁽¹⁾.

ويقال بصيغة: عد ارجالك واقلب الماء. ومعناه احص عدد رجالك، وانظر هل يكفي للتغلب على الآخرين، من أجل سقي الماء قبلهم. واقلب بالقاف المعقوفة: حول، أي حول ماء الوديان أو السواقي إلى أرض فلاحتك، حارماً غيرك منها. والماء له أهمية كبيرة في الحياة؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾⁽²⁾. يعني أن الماء سبب الحياة؛ فالنزاعات بين الفلاحين في الأرياف عادة ما تنشأ بسبب الماء، بل الصراعات والحروب بين القبائل، أو بين الدول في كثير من الأحيان يكون سببها مصادر المياه. ولذلك فالاستيلاء على الماء يتطلب القوة،

الآية: قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾⁽³⁾.

وفي التفسير⁽⁴⁾، لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء؛ لأننا امرأتان لا نطيق أن نسقي، ولا نستطيع أن نزاحم الرجال. فإن صدروا سقينا مواشينا مما أفضلت مواشيهم في الحوض. فموسى عليه السلام سقى للبننتين لقوته، ولضعفهما على مزاحمة الناس.

-التناص: في سقي الماء الذي يتطلب القوة للفوز به.

2- المثل: «الكلام الحلو يرضع اللبّة»⁽⁵⁾.

ويقال أحياناً: اللسان الحلو يرضع اللبّة. إن الكلام إذا حلا استأنست له أضرى الحيوانات كاللبّة أنثى الأسد، وأعصى الناس وأكثرهم إرهاباً. قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾⁽⁶⁾.

(1) -الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(2) - سورة الأنبياء، آية 30.

(3) - سورة القصص، آية 24.

(4) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 6، ص 200-201.

(5) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة عبد الرحمن حاج صالح، دار الحضارة، د/ط، د/ت، ص 18.

(6) - سورة طه، آية 44.

أمر الله نبيه موسى - عليه السلام - أن يخاطب هو وأخوه هارون، فرعونَ باللين لأهمية هذا الأسلوب اللين في الإقناع. وفي التفسير⁽¹⁾، دارياء، و ارفقا معه، قال ابن عباس: لا تُعَنِّفَا في قولكما. وقال مقاتل: يعني القول اللين: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾⁽²⁾

-التناص: في الكلام والقول اللين الحلو.

3- المثل: «اللي ما عندو شاهد كذاب»⁽³⁾.

كثيرا ما يدّعي الناس بعضهم على بعض في قضايا اجتماعية أو اقتصادية، أو في العهود، و الديون أو غيرها. وهناك من ينكر أو يخون العهد، فيصير على المدعي إثبات دعواه. ومن وسائل الإثبات الشهود. فمن لم يأت بالشهود يعد كاذبا. الآية: قال الله تعالى: ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾⁽⁴⁾.

وفي التفسير، نزلت هذه الآية في حديث الإفك. أي لو أن الذين زعموا هذا الحديث جاءوا عليه بأربعة شهداء، وماداموا لم يأتوا بالشهداء فهم كاذبون. فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين، إذ لم يأتوا بالشهداء، ومن كذب فهو عند الله كاذب، سواء أتى بالشهداء أم لم يأت. قيل (عند الله) أي في حكم الله، وقيل معناه: كذبوهم بأمر الله⁽⁵⁾.

-التناص: بين المثل والآية: تكذيب من لم يأت بشاهد.

4- المثل: «اللي تكل على الله و اذراعو أولادو ما جاعو»⁽⁶⁾.

أي الذي يتوكل على الله، ثم يبحث عن العمل، ويعمل مهما كان هذا العمل؛ فإن الله يعينه على كسب قوت أولاده؛ فلا يتعرضون للجوع، وفيه حث على العمل وعدم التواكل. -الآية: قال الله تعالى:

(1) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 5، ص 274.

(2) - سورة النازعات، آية 18-19.

(3) - رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، دار الحضارة، البليدة، 1997م، ص 134.

(4) - سورة النور آية 13.

(5) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 6، ص 21.

(6) - رابح خدوسي، المرجع السابق نفسه، ص 136.

﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾⁽¹⁾. ومعناه: يتقي الله فيما نابه، كفاه ما أهمه. و(بالغ أمره) منفذ أمره، ممض في خلقه قضاؤه. قال مسروق في هذه الآية: (إن الله بالغ أمره)، توكل أو لم يتوكل، غير أن المتوكل عليه، يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا.

-**التناص:** في التوكل على الله.

5- المثل: «الصابر جابر ومن رَحمة الجواد ينال»⁽²⁾.

الصبر صفة حميدة، بها ينال الإنسان مبتغاه؛ فالصبر على القيام بالطاعات وأعمال الخير المختلفة، والصبر على المعاصي بتجنبها مهما كانت الإغراءات، والصبر على الشدائد، والصبر على المرض. كل هذا وغيره، يجبر الله به عليه، أي يكفيه حاجته و ينال رضا الله وهو الجواد.

-**الآية:** قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽³⁾. جاء في التفسير، إنه من يتق بأداء الفرائض واجتناب المعاصي (ويصبر) عما حرم الله عز وجل عليه. قال ابن عباس: يتقي الزنا ويصبر عن العزوبة، وقال مجاهد: يتقي المعصية، ويصبر على السجن. فإن الله لا يضيع أجر المحسنين. والتوجيه عام لأي إنسان يتصف بالتقوى والصبر، لا يضيع الله أجره.

-**التناص:** في الصبر، و نوال الأجر وعدم ضياعه .

6- المثل: «هَبُّوْ خَيْرُ مَنْ صَبُّوْ»⁽⁴⁾.

يقال هذا المثل في نهاية الشتاء وبداية الربيع، عن حالة الطقس؛ فهم قد لاحظوا هبوب الرياح واشتدادها وتواصلها لعدة أيام؛ لأنها تلقح الأشجار، عندما تشرع أزهارها تتفتح. فالرياح مفيدة أكثر من المطر في هذه الفترة. ويقال لمن يطلب المطر ويتذمر من الريح.

-**الآية:** قال الله تعالى:

(1) - سورة الطلاق، آية 3.

(2) - رابع خدوس، المصادر السابق نفسه، ص88.

(3) - سورة يوسف، آية 90.

(4) -الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾⁽¹⁾.

جاء في التفسير، أي حوامل؛ لأنها تحمل الماء إلى السحاب، وهو جمع لاقحة. يقال ناقة لاقحة إذا حملت الولد. وقال أبو عبيدة: أراد باللواقح، الملاحح واحدها ملقحة؛ لأنها تلقح الأشجار⁽²⁾.

-التناص: هبوب الرياح وتلقيحها الأشجار.

7- المثل: «الباجل للراجل»⁽³⁾.

الباجل من التبجيل، والاحترام، الذي يجب للرجل، ومنه تفضيله على الأولاد وعلى المرأة في: الأكل والشرب، والفراش واللباس وغير ذلك، وعادة ما تقول المرأة هذا المثل لأبنائها أو بناتها، وتحثهم على العمل به؛ وذلك لأن الرجل يبذل مجهودات أكبر من المرأة والأولاد. وهو المنفق عادة.

-الآية: قال الله تعالى: ﴿وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾⁽⁴⁾.

قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر، وأنفق عليها من المال. وقال قتادة: بالجهاد، وقيل بالعقل، وقيل بالشهادة، وقيل بالميراث، وقيل بالدية، وقيل بالطلاق؛ لأنه بيد الرجل، وقيل بالرجعة. وقال سفيان بن أسلم: بالإمارة. وقال القتيبي: وللرجال عليهن درجة، معناه: فضيلة الحق⁽⁵⁾.

-التناص: تفضيل الرجال على النساء.

8- المثل: قال المجذوب: « كيد النسا كيدين، وكيدهم يا حُزوني -

راكبة على ظهر السبع، وتقول لحدا ياكلوني »⁽⁶⁾.

والحدأة أحد الطيور الجارحة، والمثل يصور كيد المرأة ونفاقها بادعائها الخوف من الحدأة بينما هي راكبة الأسد الضاري، بلا خوف ولا رعب.

(1) - سورة الحجرات، آية 2.

(2) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 4، ص 375.

(3) -الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(4) -سورة البقرة، آية 228.

(5) -البغوي، تفسير البغوي، المجلد 1، ص 269.

(6) - عبد الرحمن رباحي، قال المجذوب، ط 1، على حساب المؤلف، الجزائر، وكيل التوزيع مكتبة الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، 2000م، ص 74.

-الآية: قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دَبَرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكَ إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ ﴾⁽¹⁾

وفي تفسير القرطبي: « الكيد هنا المكر والحيلة، وعظيم لعظم فتنتهنّ، واحتيالهنّ للتخلص من ورطتهن. وقال مقاتل بن يحيى بن كثير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾⁽²⁾.

وقال: إن كيدك عظيم»⁽³⁾.

-التناص: في كيد النساء عظيم.

9- المثل: «كلمة الصباح إذا تبدلت العشية تُرَدُّ المسلمة يهودية»⁽⁴⁾.

إن أقبح الألقاب للمسلم أو المسلمة، هي أن تلقب باليهودية، فحتى لا يرمينا الناس بذلك، فعلينا بالوفاء بالوعود، وبكل ما تعهدنا به مع غيرنا. هذا معنى المثل.

-الآية: ﴿ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾⁽⁵⁾.

وفي التفسير، ذلك الاستحلال والخيانة في مال العرب، أي ليس علينا إثم ولا حرج؛ لأن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا؛ لأنهم ليسوا على ديننا، ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم⁽⁶⁾. واليهود مشهورون بنقض العهود، وبخاصة مع غير اليهود.

-التناص: اليهود و نقض العهود.

10- المثل: «يَقُولُ لِلْكَلبِ هُشْ، وَيَقُولُ لِلْخَائِنِ خُشْ»⁽⁷⁾.

(1) -سورة يوسف، آية 28.

(2) -سورة النساء، آية 76.

(3) -القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م 5، ج 9، ص 175.

(4) - قادة بوتارن. الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 186.

(5) - سورة آل عمران ، آية 75.

(6) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 2، ص 56.

(7) - عبد الحميد بن هديوقة، أمثال جزائرية، ص 156.

المثل يقال في ذي الوجهين، المنافق، كما يقال في من يثير النزاعات بين الناس فهو مثل من يقول للكلب اهجم على السارق، ويقول للسارق: خش . وهي بمعنى ادخل ولا تخش شيئاً.

الآية: قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾⁽¹⁾.
يظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم، والله أعلم بما يخفون وما يكتُمون. وهذه صفة المنافقين، الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر.

-التناص بين المثل والآية: في صفة النفاق، والتناقض بين المظهر والمخبر.

11- المثل: «شوية لربي، وشوية لقلبي»⁽²⁾.

ويقال بصيغة أخرى: شوية للروح وشوية للروح. يعني هذا المثل أن أعمال الإنسان ليست كلها لوجه الله، ومترفعة عن كل غرض وأناية. ويورد المؤلف قصة هذا المثل التي نقلها عن ابن شنب. قائلا: يحكى أن رجلا متدينا مرّ يوما بـدكان حدّاء، وهو يرتل بعض القصائد الدينية في الحمد لله، والصلوات على رسوله-صلى الله عليه وسلم- فتوقف الرجل يسمع منه، ثم بارك فيه هذه العناية بالدين، ثم بعد أيام مرّ من جديد؛ فإذا بالحدّاء يترنم بأغنية دنيوية، فتعجب الرجل وعاتبه على ما فعله؛ فأجابه الحدّاء بالقول الذي ذكرناه، فذهب مثلاً. وخلاصة القول: إن الإنسان لا يعلو أن يكون ملكاً، ولا هو في أصله من جنس الشياطين. ويقال هذا المثل في الحث على عدم التطرف لا في الدين ولا في الدنيا، بل على الإنسان أن يعمل لآخرته، ولا ينسى دنياه ومعيشته.

-الآية: قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾⁽³⁾.
وفي التفسير، اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة؛ وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم الله عليك، وتتفقه في رضا الله تعالى، ولا تنس نصيبك من الدنيا. قال مجاهد وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة، حتى تتجو من العذاب؛ لأن حقيقة نصيب الإنسان

(1) - سورة آل عمران، آية 167.

(2) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 230.

(3) - سورة القصص، آية 77.

من الدنيا أن يعمل للآخرة. وقال السدي: بالصدقة وصلة الرحم. وقال علي: لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك، أن تطلب بها الآخرة⁽¹⁾.

-**التناص:** التوازن بين العمل للدنيا من أجل العيش، والعمل للآخرة من أجل رضا الله.

12- المثل: «الإبرة تكسي غيرها وهي عريانة»⁽²⁾.

يقال في إثارة الغير على النفس؛ فالرجل الكريم يجوع ليأكل الغير، ويعرى ليلبس الآخرون؛ فإثارة الغير من الخصال المحمودة التي نوه بها القرآن الكريم. والإبرة حليفة الفقير منذ أقدم الأزمنة، بل حليفة الإنسان؛ فهي تكسوه وتستتره، ولا يخلو بيت منها. وفعل "تكسي" يأتي في الدارجة الجزائرية، وهو من فعل كسا، يكسو، الفصيح. و الكسا: غطاء من صوف أخف من الحنبل في بعض المناطق الجزائرية، والكسوة، هي الملابس مطلقاً.

-**الآية:** قال الله تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»⁽³⁾.

أي يؤثرون، ويفضلون إخوانهم من المهاجرين بأموالهم وديارهم على أنفسهم، ولو كانت بهم فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون به؛ وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم⁽⁴⁾.

-**التناص:** إثارة المحتاج غيره على نفسه بما يحتاجه.

13- المثل: «اللي حَلَبَ حَلِيْبَةَ اِيْدِيْزْهَا فِي شَكِيُوْتُو»⁽⁵⁾.

حليبة: تصغير الحليب، والتاء لتأكيد القلة، كما هي طريقة التعبير في الأرياف والبوادي؛ لأن التأنيث عندهم يعبر عن الضعف، والضعف كالقلة. والتذكير يعبر عن القوة والقوة كثرة.

شكيوتو: تصغير شكوة، وهي وعاء يصنع من جلد الغنم المدبوغ، لحفظ الحليب و مخضه حتى يصير لبنا. ومن يحلب أغنامه، فما يحلبه يضعه في شكوته لينتفع به هو، لا غيره. وكذلك قيامه بكل عمل صالح مفيد؛ فجزاؤه له في الدنيا، أو في الآخرة.

(1) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 6، ص 221.

(2) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 15.

(3) - سورة الحشر، آية 9.

(4) - البغوي، تفسير البغوي، المجلد 8، ص 76.

(5) - بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 187.

يقال المثل في الرجل تتصحه في أن يقوم بعمل لمصلحته، فلا ينتصح. ويقال المثل في معنى الآية القرآنية.

-الآية: قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾⁽¹⁾.

-التناص: استفادة الإنسان من عمله الصالح.

ب-تناص الأمثال الشعبية مع الحديث النبوي الشريف:

فكما وُظفت بعض معاني القرآن في الأمثال عن طريق التناص، كذلك استُعملت معاني الحديث النبوي الشريف فيها. وهذه طائفة منها:

1-المثل: «اليد اللي تَمُدَّ خير من اليد اللي تُشَدُّ»⁽²⁾.

اليد مجاز أريد به صاحب اليد، التي تَمُدُّ الغير، أي تعطي وتتصدق وتعين، وهي أفضل من اليد التي تتلقى الصدقات. والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

-الحديث: عن أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسك شر لك، ولا تلام على كفاف، وأبدأ بمن تعول، و اليد العليا خير من اليد السفلى»⁽³⁾، رواه مسلم.

فمعنى المثل متضمن في معنى الحديث، فاليد العليا هي التي تتصدق، أما السفلى فتتلقى. ونمو المجتمع و ازدهاره يبني على نتاج أعمال المجدِّين، لا على استهلاك الكسالى العاطلين. وفي النصين حث على العمل؛ ليعيش الإنسان كريماً.

التناص: تفضيل اليد المنتجة المانحة.

2-المثل: «الظالم ما ابروح سالم»⁽⁴⁾.

الظلم هو الجور، وهو الاعتداء على الغير، سواء أكان في الجانب المادي، كأخذه شيئاً من ممتلكاته، أم الاعتداء على جسم المظلوم بالضرب أو القتل.. أم كان الاعتداء

(1) -سورة الجاثية، آية 22.

(2) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(3) -النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، د/ط، دار المعارف، مصر، 1987، ص175.

(4) -رابع خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص97.

معنويا كالقذف، والسب وغيره. والمثل يحذّر من نتيجة الظلم؛ لأن المظلوم قد ينتقم من الظالم، كما أن الظالم لا يسلم من عقاب الله العاجل أو الآجل.

-الحديث: عن معاذ- رضي الله عنه- قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: «... واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»⁽¹⁾، متفق عليه.

وفي الحديث تحذير من دعوة المظلوم وبخاصة الذي لا يستطيع أخذ حقه؛ فيلتجئ بدعائه إلى الله عز وجل؛ فينتقم الله له من الظالم؛ لأن دعوة المظلوم مستجابة، وقد تكون العقوبة عاجلة، أي في الدنيا قبل الآخرة.

التناص: في الظالم ودعوة المظلوم.

3-المثل: «ادفع ما في الجيب، ربي يجيب»⁽²⁾.

في المثل حث على الإنفاق والبذل، وتعرض صريح بالجامعين المانعين. فلا يدري أحدنا ما يخبئ له الدهر، فقد يكون خيرا كثيرا، وقد يكون شرا واقعا. وفي كلتا الحالتين علينا أن ننفق مما رزقنا؛ فنوسع على الأسرة، ونركن إلى التفاؤل.

والذي يلاحظ هنا أن قائل المثل يثق في الله ثقة مطلقة، ويؤمن في عطائه إيمانا عظيما، وأنه قادر على أن يرزق أصحاب الكسب، إذا أنفقوا مما أتاهاهم.

-الحديث: عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا»⁽³⁾، متفق عليه.

يوضح الحديث أن المنفق، يجازيه الله على إنفاقه في الطاعات، كإطعام الأهل والتصدق على الآخرين. أما الممسك البخيل، الذي يجمع دون أن ينفق، فلن يكون جزاؤه إلا الحرمان وتلف المال في نهاية الأمر. فالمثل والحديث يصبان في واد واحد.

التناص: من ينفق في وجوه الخير، يعوضه الله.

(1) - النووي، رياض الصالحين، ص78.

(2) -عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري، د/ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1982م، ص54.

(3) -النووي، رياض الصالحين، ص175.

4- المثل: «اللي يدير السحار في عام يدير القراض في دقيقة»⁽¹⁾.

القراض: بالقاف المعقوفة، هو النمام. والمثل ينبه إلى خطورة النميمة على العلاقة الاجتماعية، ويقارن بين فعل النمام وفعل السحار، ففعل النمام أخطر، وما النميمة إلى كلمات يقولها شخص لشخص عن شخص - سواء أكانت حقيقة أم كذبا - بقصد إفساد العلاقة، وخلق الفتن بين الناس. ويذكره "قادة بوتارن" بصيغة أخرى: «اللي ما يقدرش عليه الشيطان في عام يديره القراض في ساعة»⁽²⁾. يأتي هذا المثل ليؤكد ما تسببه النميمة من مضرة عظيمة، كما يبرز استعظام المؤمنين لها. وفي المثل دعوة لتجنب الاتصاف بها.

-الحديث: عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - مرّ بقبرين فقال: «إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، بل إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»⁽³⁾. متفق عليه.

ففي الحديث الشريف، النميمة أحد أسباب العذاب، لما تحدثه من مضار. وفيه أمر بتجنبها.

-التناص بين المثل والحديث: الدعوة إلى تجنب النميمة لخطورتها.

5- المثل: «الصدقة تسجي وتنجي وتزيد في العمر»⁽⁴⁾.

يقال في الحث على التصدق على الفقراء والمساكين بما أمكن؛ فالصدقة تسجي: أي تنظف، و تصلح المال، وتحول بينه وبين الفساد، كما أنها تنجي من المهالك، وتطيل عمر المتصدق. وفي المثل مزج بين الزكاة المفروضة والصدقة التطوعية، والصدقة تطلق ويراد بها الزكاة. كما جاء في قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...﴾⁽⁵⁾

-الحديث: «حصّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدّوا للبلاء الدعاء»⁽⁶⁾.

(1) -رابح خدوسي، المرجع السابق نفسه، ص133.

(2) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص54.

(3) -النووي، رياض الصالحين، ص415.

(4) -عبد الحميد بن هذوقة، أمثال جزائرية، ص111.

(5) -سورة التوبة، آية 103.

(6) -الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الوسيط، د/ط، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، 1995، ج2، ص274.

ففي الحديث تتم المحافظة على الأموال، ونموها بالزكاة المفروضة على الأموال إذا بلغت النصاب، وحلّ الحول. ومعنى الزكاة لغة: النمو والزيادة. أما الصدقة- في هذا الحديث- فيقصد بها ما زاد على الزكاة، وهي الممارسة اليومية التي يقوم بها الإنسان لمساعدة المحتاجين، ففيها مداواة المرضى، وفيها تحابب بين الموسرين، والفقراء، وفيها دعاء بالخير والصحة..

-**التناص** بين المثل والحديث: أثر الصدقة.

6-**المثل**: «مَكَانَشْ قَاعُ اللّٰي اخْدَاتْ بُوْهَا وَلَا خَوْهَا غَيْرَ اللّٰي اخْدَاتْ اَعْدُوْهَا»⁽¹⁾.

مكانش: ما كان شئى، أي لا يوجد. قاع: بمعنى كل، اخذات: بمعنى أخذت، أي تزوجت. والمعنى لا توجد امرأة تزوجت رجلاً يحبها حب أبيها أو أخيها. وكل من تزوجت رجلاً فهو يكرهها كأنه عدوها.

هذا المثل تقوله المرأة في حال غضبها من زوجها؛ فهي تنفي نفياً قاطعاً أن تتزوج المرأة شخصاً يحبها مثل حب أبيها أو أخيها، وكأن المودة والرحمة مقصورة على الأب أو الأخ، وتعتبر الزوج يكرهها كالعدو؛ مما يجعلها حذرة في تصرفاتها معه، غير مطمئنة. وبهذا فهي تتكر كل أفضال الرجل عليها.

-**الحديث**: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «تَصَدَّقْ فَإِنْ أَكْثَرَ حَطَبَ جَهَنَّمَ» فقالت امرأة لِمَ يا رسول الله؟ قال: «لَأَنْكَنْ تَكْثُرْنَ الشَّكَاةُ وَتَتَكْرَنَ الْعَشِيرُ»⁽²⁾.
فالحديث الشريف يحثهن على التصديق لإكثار الحسنات، لأن كثرة الشكوى والتتكر للعشير -وهو الزوج-، تعد من السيئات.

-**التناص**: المرأة، كثرة الشكوى، إنكار جميل العشير.

7-**المثل**: «إِبْلِيسُ قَالَ: مَا يَغْلِبُنِي غَيْرَ اللّٰي يُشَاوِرُ»⁽³⁾.

هذا المثل في غاية البلاغة من حيث الحث على المشورة؛ فجعل المشاور يغلب إبليس، فالميثولوجية الشعبية تعتبر أن إبليس لا يُغلب؛ فهو رئيس الشياطين، أغوى آدم

(1) - راجح خلدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص162.

(2) - مسلم، أب الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط1، شرح النووي، ضبطه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، لبنان، د/ت، م2، ج4، ص152.

(3) - عبد الحميد بن هذوقة، أمثال جزائرية، ص16.

وأخرجه من الجنة، وحاجّ الله سبحانه وتعالى... ومن يكون بهذا المستوى كيف يغلبه البشر؟ لكن المثل جعل إبليس يعترف بأنه غُلب، بالبناء للمجهول، من طرف المشاور.

و يقال في أهمية المشورة، وفائدتها والحث عليها؛ لأنها أساس سداد الرأي. فرأي فرد قد يصيب وقد يخطئ؛ أما رأي اثنين أو أكثر فقلّما يخطئ، وحتى إذا ما أخطأ فهو أفضل من رأي الفرد؛ لما يترتب على التشاور من تماسك بين أبناء المجتمع الواحد. فالاستبداد بالرأي -في أي مستوى كان- غير محمود العواقب.

ويمكن القول: إن الإجماع في التشريع الإسلامي نوع من الشورى؛ فهو الرأي والحكم تتفق عليه جماعة من مجتهدي الأمة.

والآيات القرآنية المتعلقة بالشورى وكذلك الأحاديث النبوية كثيرة. ففي القرآن قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾⁽¹⁾.

-الحديث: قول الرسول - صلى الله عليه وسلم-: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار»⁽²⁾.

فالحديث الشريف، يوضح فائدة المشورة، فهي تبصر المستشير بأشياء ربما لم يكن يفكر فيها، أو تقدم له وجهات نظر مختلفة، أو تُطلعه على تجارب الآخرين في مثل قضيته. ومهما يكن فإنه لن يندم إذا لم يصل إلى نتيجة إيجابية. بعكس ذلك، لو لم يستشر.

-التنص: في الحث على الاستشارة.

8- المثل: «الجار قبل الدار»⁽³⁾.

الجار هو من يجاورك، أي يكون قريبا من مسكنك أو عملك، سواء أكان كافرا أم مسلما. فبقدر الجار يكون ثمن الدار.

فالمثل يقال في أهمية اختيار الجار، قبل شراء أو كراء الدار؛ لأن الجار الطيّب صمام أمان وراحة وحياة راضية، فالجار الصالح من السعادة، أما جار السوء فهو دائما مصدر إزعاج، وشرور؛ فالدار مهما كانت لا تحقق ما يصبو إليه المرء من راحة، إذا كان

(1) -سورة الشورى، آية 38.

(2) -الحوت، محمد درويش، أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م، ص268.

(3) -عبد الحميد بن هذوقة، أمثال جزائرية، ص54.

الجار سيئا. وهذا المثل يحضر عندما يقع نزاع بين جارين. ولكن هل يمكن اختيار الجار في هذا الزمان، وهم يلهثون وراء شقة، ولا يجدونها إلا بشق النفس؟

كان ذلك ممكنا في الزمن القديم قبلما تكتظ المدن بساكنيها. كان ممكنا في زمن الخيم الشَّعْرِيَّة الوبرية، حيث لم يعجبه جاره يحمل خيمته، ويبتعد عنه إلى مكان آخر. وربما هذا الذي دعا الأمير عبد القادر إلى أن يفتخر بالخيم، ويفضلها على بيوت الطين والحجر. قال: لا تذمن بيوتا خف محلها == وتمدحن بيوت الطين والحجر⁽¹⁾.

-الحديث: عن ابن عمر وعائشة -رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»⁽²⁾، متفق عليه.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»⁽³⁾.

ففي الحديث الأول ترغيب في المحافظة على الجار بل وإعانتة، وفي الحديث الثاني ترهيب من الإساءة إليه.

التناص: أهمية الجار.

9- المثل: «اللي يزوجه على مالها يموت أفقر، واللي يزوجه على أرجالها يموت أخفقر، واللي يزوجه على دينها يحب ربِّي والنبي البشير»⁽⁴⁾.

المثل يذكر بعض صفات النساء التي تجذب بعض الرجال للتزوج بهن. وهذه الصفات هي: أن تكون ذات مال، أو ذات حسب ونسب، أو ذات دين وخلق. والمثل يفضل اختيار ذات الدين. لأهميته القوية في دوام العشرة، وبناء الأسرة الصالحة. بعكس الجوانب الأخرى التي قد تكون منشأ نزاعات.

(1) -الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان الأمير عبد القادر، جمع وتحقيق، شرح وتقدم، العربي دحو، ط3، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م، ص 50.

(2) -النووي، رياض الصالحين، ص104.

(3) -النووي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(4) -رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص139.

-الحديث: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»⁽¹⁾.

الصفات نفسها التي جاءت في المثل بإضافة الجمال في الحديث النبوي الشريف وهي الصفات التي يرغب فيها كل زوج، وحبذا لو كانت مجتمعة في المرأة.

-التناص: في المال، الحسب، الدين.

10- المثل: «الحيا من الدين»⁽²⁾.

يقال في الحث على الحياء؛ فمن لا حياء له لا دين له. والحياء لا يصلح في كل الحالات، ومع سائر الناس. فهناك مواقف يصير فيها الحياء خنوعا وجبنا. وهناك قول ذائع بين الناس يستعملونه بدون تمييز بين الحالات: «لا حياء في الدين» ومعنى القول واضح والحياء لا يمكن أن يستقيم في كل الأمور، فالمراد هنا: أن لا حياء في الأقوال و السلوكات التي ينص على مشروعيتها الدين، أو أنها جزء من الدين... وفي هذا يقول مثل آخر: «الحيا يولد الحوليات»⁽³⁾.

والحولية: من المعز، ابنة سنة التي لم تقاوم التيس؛ فولدت قبل الأوان. والمثل يشبه الرجل الذي يوقعه حياؤه في ورطة، بالحولية.

وهناك نكتة في هذا الموضوع تقول: سئلت الكلبة، لِمَ جراؤك ليسوا بلون واحد؟ قالت: زوجي أبناء أعمامه كثيرون، وأنا أستحيي.

-الحديث: عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «دعه فإن الحياء من الإيمان»⁽⁴⁾. متفق عليه.

الحياء من الإيمان، والإيمان عقيدة المسلم، وقوام حياته، وكون الحياء من الإيمان أن كلا منهما داع إلى الخير، صارف عن الشر، وخلق الحياء في المسلم لا يمنعه من أن يقول

(1) -العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتاب للطباعة والنشر، د/ت، م9، ص132.

(2) -عبد الحميد بن هذوقة، أمثال جزائرية، ص68.

(3) -المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(4) - النووي، رياض الصالحين ، ص209.

حقاً أو يطلب علماً أو يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر، ومن الحياء كفاً الأذى، وعدم المجاهرة بالقبيح.

-التناص: الاتصاف بالحياء لأنه من الدين.

ومما يلاحظ أن التناص الذي تم بين الأمثال الشعبية والنصوص الدينية (القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف) قد تمّ توظيف الألفاظ فيه بدلالاتها الأصلية في النص الجديد (المثل)، أي تحمل الدلالة نفسها. إن هذا التناص يدلنا على سريان الثقافة الإسلامية بين أفراد المجتمع، الذي تمسك بها حتى صار يعبر بها في أمثاله. سواء كان ذلك عن طريق التماثل، أو التقارب أو التشابه في الاستعمال.

ج- تناص الأمثال الشعبية مع الشعر والأمثال العربية:

الذي يقرأ أو يسمع الأمثال الشعبية الجزائرية، لا يشك في أنها عربية فصيحة في غالبية ألفاظها واستعمالاتها، سواء في ذلك عند العامة أو الخاصة؛ لأنها استندت إلى خلفية ثقافية عربية نهلت من دررها، ووظيفته في تعبيرها بشكله أو مضمونه، أو بكليهما، والدليل على ذلك التناص الحاصل بينها وبين هذا الموروث العربي شعراً ونثراً.

-أولا تناص الأمثال مع الشعر العربي:

1-المثل: « خوك خوك لا يُغْرُك صاحبك »⁽¹⁾.

خوك خوك.. أصلها: أخوك أخوك... حذفت الهمزة للتخفيف وكثرة الاستعمال، كما هو الحال في اللسان الدارج...

يقال في الرجل يعادي أخاه من أجل صديق، تحذيرا له من مغبة عواقب ذلك. كما يقال في الحث على التمسك بوشائج الأخوة و القرى مهما كان الحال؛ فالصاحب قد يتركك في الشدة، أما الأخ فلن يتخلف عنك في الملمات والشدائد، ولو كنت معه في خصام.

-الشعر: أخاك أخاك إن من لا أخا له == كساع إلى الهيجا بغير سلاح⁽²⁾.

فالشاعر يحث السامع على أن يلزم أخاه، وأن يعينه في الملمات، لأن الذي ليس له معين قريب كالأخ، مثله كمثل من دخل الحرب بغير سلاح؛ فهو مغلوب، وخاسر لا محالة.

(1) -عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص24.

(2) -الأشموني، علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين، الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج3، ص88.

وفي التراث قد يعبر عن الأصدقاء بالإخوان، ومنه الرسائل الإخوانية، ومادام الإنسان اجتماعيا بطبعه؛ فلا اجتماع دون تعاون، وهو يبدأ بالأقربين ثم يتوسع.

التناص: تأكيد أهمية الأخوة بالتكرار اللفظي.

2- المثل: « عند الشدة والضيق يظهر العدو من الصديق »⁽¹⁾.

عندما تتأزم أمور المرء، أو يقع في شدة، أو ضيق مادي أو معنوي، أو أي محنة تصيبه، فهذه الحالة تكشف الأصدقاء المخلصين. والأعداء أو المنافقين، فأولئك يشاركونه في محنته، وهؤلاء يشمتون به.

-الشعر: قال الشاعر: وما أكثر الإخوان حين تعدّهم== ولكنهم في النائبات قليل⁽²⁾

يكثر الأصدقاء والمعارف والإخوان، عندما يكون المرء موسرا، أو ذا جاه أو سلطان؛ فهم يتملقونه، ويتقربون منه لقضاء حوائجهم؛ ولكن إذا حلّ به مكروه، وظنّوا أن مصالحهم معه قد انتهت. جافوه، وانتقلوا إلى غيره. فما أكثرهم وقت الرخاء، وما أقلّهم وقت الشدائد والنوائب.

-**التناص:** الشدائد والنوائب تكشف الأصدقاء المخلصين.

3- المثل: « اعْرِضَةُ الحافر في الخير اتعافُر »⁽³⁾.

عادة ما تذهب الخاطبات إلى بيت العروس لرؤيتها قبل خطبتها، وكثيرا ما تتوقف الخطبة على شكلها الظاهر، ومما يظهر منها (حوافرها) أي مؤخر قدميها، فيتفألون بعريضة الحوافر؛ لأنها في نظر المثل مجلبة للخير؛ فهي في الخير (اتعافُر): تصارع، أي كأنها في معركة معه لكثرتة. وعرض الحافر دلالة على الصحة.

-الشعر: إذا قلت هاتي ناوليني تمايلت == عليّ هضيم الكشح ريا المخلخل⁽⁴⁾.

فالشاعر يصف حركة محبوبته وشكلها عندما يطلب منها أن تعطيه من جناها- فكانها شجرة مثمرة- تميل عليه بخصرها الضامر ورجليها المملوءتين في موضع الخلخال. فموضع الخلخال هو الرجلان، وامتلاء الرجلين من الصفات التي يحبها العربي في المرأة.

(1) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 67.

(2) -الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي، إعداد وتحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، د/ط مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م، ص 117.

(3) -الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(4) -امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، د/ط، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص 115.

-التناص: امتلاء الرجلين صفة محبوبة في المرأة.

4- المثل: « هُرَبْتُ مِنْ قَطَاعِ الرُّؤُوسِ طُحْتُ فِي وَكَّالِ بَنِي آدَمِ »⁽¹⁾

يقال هذا المثل عندما يفر الإنسان من أمر خطير فيقع في ما هو أخطر منه؛ كمن يغيّر عمله، أو مكان عمله الذي أتعبه، فينتقل إلى مكان يظنه أحسن، فيجد أنه أسوأ من الأول.

-الشعر: المستغيث بعمره عند كربته == كالمستغيث من الرمضاء بالنار⁽²⁾

جاء في جمهرة الأمثال أن المثل (كالمستغيث من الرمضاء بالنار) يضرب للرجل يفر من الأمر إلى ما هو شرّ منه.

-التناص: الفرار من أمر خطير إلى أمر أخطر منه.

5- المثل: « كل شيء يبىء يا هبرة غير كلام العيب »⁽³⁾.

الهبرة: قطعة اللحم التي لا يتخللها عظم. نعت المرأة بالهبرة؛ لضعفها وطراوتها. إن العامة تنسب هذا الكلام إلى الأسد، وكان قد واطأ امرأة، فوجدت رائحته كريهة، فأخبرت الناس بذلك. وقبل أن ينتقم الأسد منها قال لها هذه العبارة؛ وقد صار عند العرب أصلاً من أصولها: أن لا يغتاب الإنسان أخاه الإنسان، ويذكره بسوء. فاستعمال اللسان في الغيبة وفي الإساءة إلى الناس قد يترك آثاراً لا يمحوها الزمان، وقد ينجر عنها انتقام المساء إليه، عندما تحين الفرصة، و يواتيه الظرف.

الشعر: احفظ لسانك أيها الإنسان == لا يلدغتك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه == كانت تهاب لقاءه الأقران⁽⁴⁾.

لخطورة استعمال اللسان في الإضرار بالغير، شبهه الشاعر بالثعبان الذي يلدغ ولدغته مميتة، لا يقاومها أعتى الفرسان، وإساءة اللسان المعبر عنها بالثعبان، قد يلدغ صاحب اللسان، أو المستعمل اللسان في حقه. فعلى الإنسان ألا يستعمل لسانه إلا فيما يفيد ويصلح.

(1) - رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص182.

(2) - أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص133.

(3) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص146.

(4) - الشافعي، ديوان الشافعي، ص140.

-التناص: خطورة الإساءة بالكلام.

6-المثل: «الكلب ما ياكل خوه»⁽¹⁾.

يقال هذا المثل في حق بعض المسؤولين الذين يتواطؤون على ظلم الناس وأكل حقوقهم، فعندما تشكو مسؤولا لمسؤول آخر؛ فقد لا يقيم لشكواك وزنا، خوف أن يفضح المشكو منه أمره. و المخيال الشعبي يمقت هذا التصرف، ولذلك وصف من يتصفون به بالكلاب. فإذا كانت الكلاب لا يأكل بعضها بعضا؛ فإن البشر يأكل بعضهم حقوق بعض سواء أكانت الحقوق مادية، أم معنوية.

-الشعر: وليس الذئب يأكل لحم ذئب == ويأكل بعضنا بعضا عيانا⁽²⁾.

والذئب حيوان مفترس من فصيلة الكلبيات، ومع أنه من آكلات اللحوم إلا أنه لا يأكل ذئبا مثله إذا جاع، بل تتعاون الذئاب على اصطياد فريستها وقتلها. هذا التصرف الغريزي لدى الحيوان لا نجده عند الإنسان الذي فضّله الله بالعقل. فتجده يعتدي على أخيه الإنسان، ويقتله من أجل مصلحته.

-التناص: الحيوان لا يأكل لحم حيوان من جنسه، عكس الإنسان.

7- المثل: «الفارس من اركب اليوم»⁽³⁾.

الفارس: هو من ظهر في الميدان، حتى وإن كانت فروسيته دون المستوى؛ فهكذا هي الدنيا: فالسلطة تجعل الإنسان يبرز أكثر مما تفعله فضائله.

-الشعر: إن الفتى من يقول هاأنذا == ليس الفتى من يقول كان أبي⁽⁴⁾.

إن فضائل الرجل و مزاياه هي التي يبنّيها بنفسه، وتستمر معه ليستعملها، أو يواجه بها في كل حين، أما ماضيه، أو ماضي آبائه فلا ينجده، إذا لم تؤيده قوة الحاضر؛ لأن الناس مع الواقع.

-التناص: المرء بمزاياه الحاضرة.

(1) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(2) -الشافعي، ديوان الشافعي، ص141.

(3) -قارن بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص19.

(4) - علي بن أبي طالب، ديوان علي بن أبي طالب، اعنى به عبد الرحمن المصطاوي، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2005م، ص28.

8- المثل: «اللي خرجت من الفم تسمى دين»⁽¹⁾.

كل التزام أو تعهد يتخذه المرء ولو مشافهة يجب أدائه كما لو كان ديناً، ومن ثمّ يجب ألا يلتزم الإنسان بدون روية، لأن التراجع، أو نقض العهود ليس من المروءة.

-الشعر: إذا قلت في شيء نعم فأتّمّه == فإنّ نعم دين على الحرّ واجب⁽²⁾.

الشاعر يعتبر موافقة الرجل على أمر ما أو التزامه، ولو مشافهة بكلمة: نعم، يعدّ ديناً يجب الوفاء به؛ لأنه عند التزامه، لم يكن مجبراً بل كان حرّاً.

-التناص: الوعد دين على الحر.

9- المثل: «كل أجديد عندو لذة»⁽³⁾.

يقال في الرجل يشتري شيئاً جديداً؛ فيهتم به أكثر مما عنده، أو يتزوج امرأة ثانية؛ فيحايبها على حساب الأخرى، ولو كانت أقلّ جمالاً من الأولى. كما يقال في المسؤول السياسي الجديد، يتولّى الحكم مكان آخر قد يكون أفضل منه...

-الشعر: لكلّ جديد لذة غير أنّي == وجدت جديد الموت غير لذيد⁽⁴⁾.

وقد نقل الميداني هذا البيت عند حديثه عن المثل رقم: 3545: (لا تراهن على الصعبة، ولا تتشد القريض)، فقال هذا المثل للحطيئة؛ لما حضرته الوفاة اكتتفه أهله وبنو عمّه، فقيل له: يا حطّئ أوص. فقال: مالي بين بنيّ. قالوا: قد علمنا أن مالك بين بنيك فأوص، فقال: ويل للشعر من راوية السوء، فأرسلها مثلاً. فقالوا: أوص: فقال: أخبروا أهل ضابئ بن الحارث أنه كان شاعراً حيث يقول:

لكلّ جديد لذة غير أنّي == وجدت جديد الموت غير لذيد.

-التناص: لكل جديد لذة.

10- المثل: «أخطيك من الشّرّيد ومأكلة القديّ»⁽⁵⁾.

(1) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص59.

(2) -محمد بن حازم الباهلي، ديوان الباهلي، نسخة اليكترونية، انترنت، شبكة الكردي، مكتبة الكردي الالكترونية، يوم 2014/11/25، ص11.

(3) -عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص166.

(4) -الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص225.

(5) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص145.

خطيكَ: بمعنى تجنّب، الشريد: البظر المسن، وهو كناية عن المرأة العجوز؛ أي تجنب العجوز من النساء فلا تتزوجها، وعليك بجسد الشابة البض، كما عليك أن تتجنّب أكل لحم القديد، وهو اللحم الذي ملّحوه وييسوه (يسمى الخليع)، وعليك باللحم الطري كلحم الخروف.

-الشعر: لا تتكحّن عجوزا إن دعوك لها == وإن حبوك على تزويجها الذهبا
وإن أتوك وقالوا: إنّها نصف == فإن أمثل نصفها الذي ذهب⁽¹⁾.

المقصود بنصف: ليست عجوزا ولا هي شابة، فهي في الخمسين من عمرها، غير أن أحسن نصف عمرها، هو الأول الذي ذهب؛ لأن أمثل القوم: خيارهم. فالشاعر ينصح الرجل بتجنب التزوج بهذا الصنف من النساء؛ لزوال مؤهلات التمتع بهن.

-التناص: تجنب التزوج بالمرأة المسنة.

ثانيا - تناص الأمثال الشعبية مع الأمثال العربية:

إذا كانت الأمثال الشعبية قد دخلت في علاقة تناص مع القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكذلك مع الشعر العربي، فمن باب أولى أن تتناص مع الأمثال العربية؛ لعلاقة التشابه بينهما في الشكل، وفي المضمون، وفي الغرض. وفي ما يلي بعض النماذج من التناص الحاصل بينهما.

1-المثل الشعبي: «اضربني وابكي، واسبقني واشكى»⁽²⁾.

يقال في من يفعل الأفاعيل، ويتهم الناس بها، كما يقال للرجل يتظلم، كأن يسيء إلى غيره، ويسرع إلى تقديم الشكوى على أساس أنه مظلوم، و في الحقيقة هو الظالم.

-المثل العربي: «ابدأهم بالصراخ يفرّوا»⁽³⁾.

ذكر الميداني في شرحه لهذا المثل، قال: قال أبو عبيدة: هذا مثل قد ابتذلتها العامة وله أصل، وذلك أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل؛ فيتخوف لائمة صاحبه، فيبدأه بالشكاية والتجنّي؛ ليرضى منه الآخر بالسكوت، يضرب للظالم يتظلم ليسكت عنه.

(1) -البرقوقي، عبد الرحمن البرقوقي، دولة النساء، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2007، ص382.

(2) -عبد الحميد ابن هذوقة، أمثال جزائرية، ص116.

(3) -الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص139.

-**التناص:** مقوم معنوي: صراخ الظالم وتشكيه.

2- المثل الشعبي: «خذ طريق العافية ولو دايرة، و بنت العم ولو بايرة»⁽¹⁾.

ينصح المثل المسافرين بأن يتبع الطريق المعلوم المعبد، أو الذي صار معلوما من كثرة سلوكه، والسير عليه، ولو كلفه عناء زائدا؛ لأن اتباعه يوصل إلى الهدف، بعكس الطريق غير المعلوم، أو الذي فيه خطورة، فقد يجعل سالكه يتوه. وبخاصة في الصحراء حيث الرتابة، وانعدام المعالم المميزة.

ويقال في الابتعاد عما يؤدي إلى الخصومات والمنازعات مهما كان؛ فالطريق الدائرة قد تكون أتعب لطولها، لكنها أسلم وآمن للعاقبة.

وفي جزئه الثاني ينصح بالتزوج بالقريبة كابنة العم؛ لأنها تكون من مستواه، ولهما العادات نفسها، كما أن وشائج القرابة توطد عاطفة الحب، وتحقق الانسجام بين الزوجين فتحفظ عرضه، وماله، ونسبه الذي هو عرضها ونسبها؛ أما الزواج من البعيدة فقد يصلح وقد لا يصلح.

المثل العربي: «من سلك الجدد أمن العثار»⁽²⁾.

الجدد: هي الأرض المستوية. العثار: التعثر، والسقوط على الأرض، بسبب عوائق في الطريق. فالأرض المعبدة، التي لا حجارة فيها، ولا أخاديد، تسهل سير الإنسان عليها فيصل إلى هدفه دون أن يتعرض إلى عوائق قد تسقطه، أو تؤخره.

والمثلان يضربان في معنهما الحقيقي، كما يضربان في طلب العافية.

-**التناص:** مقوم لفظي: السير على الطريق المستوي المعلوم.

3- المثل الشعبي: «أزرق عينيه، لا تحرث و لا تسرح عليه»⁽³⁾.

أزرق عينه: له عينان زرقاوان. هذا المثل وظفه الطاهر وطار في روايته: "اللاز". ويُذكر في إطار التشاؤم باللون الأشقر، وأعاد ذلك إلى أن المحتلين الرومان كانوا شقرا زرق العيون، وذلك الذي حملهم على إرسال مثلهم الشعبي. وفي المثل رمز مكنون يورث وراءه

(1) -عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص23.

(2) -المليداني، مجمع الأمثال، ج2، ص339.

(3) -عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في (اللاز)، دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، ص12.

اضطهادا كان على الجزائريين مصوبوا. ولا يستبعد عبد المالك مرتاض أن يكون مثل هذا المثل قد عُرف في الجزائر منذ الاحتلال الروماني، ثم عُرِبَ من بعد ذلك.

غير أنني أرى أن هذا المثل أصله عربي، ذكره العسكري في الجمهرة. وأعيد توظيفه أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ حيث استولى المعمرون الأجانب - الذي أتوا من الدول الأوروبية مع الجيش الفرنسي - على أراضي الجزائريين الخصبة، وصار أصحاب الأرض الأصليين رعاة وعمالا عندهم. والمثل ينصح بعدم التعامل معهم؛ لأنهم أعداء، فأزرق العينين، هو الرومي العدو؛ الآتي من أوربا.

-المثل العربي: «قولهم: أزرق عينيه»⁽¹⁾

يضرب مثلا للعدو، ويقولون في معناه: هو أسود الكبد، وهم صُهْبُ السَّبال، وهم سود الأكباد، يَعْنُونَ الأعداء.

-التناص: مقوم لفظي: في أزرق عينيه.

4-المثل الشعبي: «عاش من عرف قدره»⁽²⁾

يقال في الرجل يحترم نفسه، بمراقبة أقواله وتصرفاته، فلا يقول ولا يفعل ما يضر الغير، ولو كان مازحا. ولا يخالط الأراذل والسفهاء؛ لأنهم يجرون إليه البلاء. فإن عمل بنصيحة هذا المثل عاش مدة حياته سالما من أذى الناس.

-المثل العربي: «لن يهلك امرؤ عرف قدره»⁽³⁾.

وقد أورد الميداني رواية تتعلق بقائل هذا المثل، فقال: «قال المفضل: إن أول من قال ذلك، أكثم بن صيفي، في وصية كتب بها إلى طيء، كتب إليهم: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، وإياكم ونكاح الحمقاء؛ فإن نكاحها غرر، وولدها ضياع، وعليكم بالخيل فأكرموها؛ فإنها حصون العرب. ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها؛ فإن فيها ثمن الكريمة... ولن يهلك امرؤ عرف قدره، والعدم عدم العقل، لا عدم المال...»⁽⁴⁾.

(1) - أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص286.

(2) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص136.

(3) - الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص172.

(4) - المصدر السابق، ص172.

-التناص: مقوم لفظي: عاش: أو لن يهلك من عرف قدره.

5-المثل الشعبي: «كُونُ كِي السَّمَار إِذَا جَاءَ السَّيْلُ ائْسَنْدْ وَإِذَا رَاحَ السَّيْلُ ائْبِنْدْ»⁽¹⁾.

السمار نبات في طول نبات الحلفاء، أوراقه طويل مجوفة و مدببدة، تصنع منها السلال، ينبت في مجاري المياه، كحواف الوديان، وكثيرا ما تتساقط الأمطار فيجري الوادي بغزارة، ولكن هذه المياه لا تقتلعه؛ لأنه ائْسند: أي ينحني ويستند إلى الأرض، أي يتكئ عليها؛ فلا تجرفه السيول. وعندما ينقطع الماء، ائْبند: أي يقوم منتصبا كما كان من قبل. ويضرب في الرجل يواجه مصاعب في حياته العملية أو الاجتماعية، فلا يقاومها بشدة، بل عليه أن يلجأ إلى اللين، وضبط النفس والتنازل، وعندما تمر هذه المصاعب، يعود إلى حالته.

- المثل العربي: « تَطَاطَأْ لَهَا تُخْطِئُكَ »⁽²⁾

إنها الحادثة، اخفض رأسك لها تجاوزك، وهذا مثل قولهم: دع الشر يعبر: يُضرب في ترك التعرض للشر.

-التناص: مقوم معنوي: عدم التعرض للشر.

6-المثل الشعبي: «المحلوبة حليب والمعصورة دم»⁽³⁾.

الحلب: هو الضغط قليلا على ضرع الشاة أو البقرة أو غيرها لاستخراج ما فيه من حليب. لكن إذا خرج كل الحليب؛ وبقي الحالب يضغط ؛ فإن ضغطه الشديد يتحول إلى عصر، وقد يتأذى الحيوان فيخرج الدم.

يضرب هذا في المعاملات التجارية؛ حيث يطلب الشاري من البائع مساعدته بتخفيض سعر السلعة، فيخفض البائع؛ ولكن المشتري يلح في طلب المزيد من التخفيض حتى يصل البائع إلى الخسارة؛ فيقال المثل: تعبيرا عن الضرر الذي يصيب البائع. وعن عدم الرضا.

(1) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(2) -أبو يعقوب يعقوب يوسف بن طاهر الخوي، فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق عبد الرزاق حسين، د/ط، دار النفائس، الأردن، 2000م، ص 115.

(3) -الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

-المثل العربي: « لَتَحْلُبَنَّهَا مَصْرًا »⁽¹⁾.

الحلب تقدّم؛ والمصر -بالفتح والسكون- حلب جميع ما في الضرع، حتى لا يبقى شيء. والتَّمَصَّر حلب بقايا اللبن. وشاة أو ناقة مَصُورٌ بطيئة خروج اللبن. وهذا المثل يضرب في توعّد العدو؛ وكأنك تقول له: إنك لا تتال منّي شيئاً، وإنما أنت بمنزلة من يحلب الشاة الممصورة، فوضعت المصدر موضع المفعول، : لتحلبنّها مصورة لا لبن فيها. فالشاة الممصورة لا يأتي منها حليب، وإنما قد يأتي منها دم- إذا عصره الحالب بشدة- وهو لا يفيد.

-التناص: مقوم لفظي: حلب الشاة، وعصر الممصورة.

7-المثل الشعبي:«الهدرة غليّ والمعنى غليّ جارتِي»⁽²⁾.

ومعناه: الكلام غنيّ والمقصود جارتِي. يذكر هذا المثل تأكيداً على التلميح المستعمل دائماً عند العائلات للتنديد على فعل السوء، أو على عيب يتصف به الغير حتى يشعر الأطفال الذين يسمعون ذلك الكلام بأنهم معنيون به، ويستفيدون منه. مثال ذلك: "فلان وسخ لا يعرف كيف ينظف أنفه"، أو "يبول في فراشه"...

-المثل العربي: «إياك أعني، واسمعي يا جارة»⁽³⁾.

هذا مثل مشهور الاستعمال عند التعريض، بإظهارك شيئاً، وأنت تريد شيئاً. وهو لنهشل بن مالك الفزاري في شعر له. وسببه أنه خرج يريد النعمان بن المنذر، فمرّ ببعض أحياء طي؛ فسأل من سيّد الحي؟ فدلّ على حارثة بن لأم الطائيّ، فقصد رحله، فلم يصبه حاضراً. فقالت له أخت حارثة: انزل على الرحب والسعة حتى يلحق حارثة. فأنزلته وأكرمت مثواه، وأحسنّت قراه. ثمّ إنه رآها وقد خرجت من خباء إلى خباء. فرأى جمالا باهرا، وحُسنا فاتتاً. وكانت عقيلة قومها، وسيّدة نساء حيّها. فوقعت من قلبه كلّ موقع، وجعل يقول:

يا أخت خير البدو والحضارة == كيف ترين في فتى فرّارَه

أصبح يهوى حرّة معطاره == إياك أعني واسمعي يا جارة

(1) -الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج2، ص 129.

(2) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص55.

(3) -الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص140.

فعرفت أنه يريدّها، فقالت: ما هذا بقول ذي عقل أريب، ولا رأي مصيب، ولا أنف نجيب، أقم ما أقمت مكرما، وارحل إذا ارتحلت مسلما. فاستحي وقال: واسوأته، فقالت: صدقت.

وارتحل و أتى النعمان، فأكرمه وحباه؛ فلما رجع، نزل على أخيها حارثة، وتبعته نفسه الجارية، وكان جميلا محبوبا، فأرسلت إليه الجارية: إن كانت لك حاجة فاخطبني إلى أخي، فإنني سريعة إلى ذلك. فخطبها وتزوجها، فسار بها إلى أهله⁽¹⁾.

-التناص: مقوم لفظي ومعنوي: التلميح في: الكلام لك أو عني و المعنى للجارة.

8- المثل الشعبي: «قال لك: الذيب ما ياكلش العظم حتى ايقيسو على طوبتو»⁽²⁾.

ايقيسو من القياس، وطوبتو: استه. فالذئب لا يأكل العظم، حتى يقوم بقياسه على استه إذا كان يخرج أما لا.

يضرب المثل للرجل يتصرف تصرفا خطيرا، ولا يفكر في نتائج تصرفاته التي قد تكون وبالا عليه. فعليه أن يفكر في نتائج أي تصرف قبل أن يقوم به. كما فعل الذئب قبل ابتلاع العظم.

-المثل العربي: «قولهم: الضبُع تأكل العظام ولا تعرف قدر استها»⁽³⁾.

يضرب مثلا للرجل يعمل العمل، و لا يعرف ما في عاقبته من المضرّة، وذلك أن الضبُع إذا أكلت العظام عسر عليها الخِزاة.

-التناص: مقوم لفظي: أكل العظام، الإست. التفكير في العواقب قبل الإقدام على العمل.

9- المثل الشعبي: «العروس يشكرها فُنها وإلا أمها»⁽⁴⁾.

لا يمدح المرأة مثل نفسها أو أمها. يشير هذا المثل إلى ما تتصف به النساء من ميل شديد إلى الثناء على عروسهنّ، ورفع شأنها، حتى ولو كانت قليلة الخصال. وإذا كان أقرباء الزوج، أو من يعرفها، على رأي غير رأيهنّ، فعند ذلك يعبرون بهذا المثل عن عدم اقتناعهم. وبورده قادة بوتارن: «مدّاحات العروسة أمها و خالتها»⁽⁵⁾.

(1) -المرجع السابق، ص 141.

(2) -الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(3) -أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص10.

(4) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(5) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص167.

المثل العربي: «من يمدح العروس إلا أهلها»⁽¹⁾

يضرِب في اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض وعجبهم بأنفسهم قيل: لأعرابي: ما أكثر ما تمدح نفسك! قال فإلى من أكل مدحها؟ وهل يمدح العروس إلا أهلها؟
التناص: مقوم لفظي: من يمدح العروس إلا أهلها.
10- **المثل الشعبي:** «ما حَكَّ جلدك مثل ظفرك»⁽²⁾.

ومعناه: أنت الذي تحس بالألم في جسمك، وأنت من يعرف مكانه، وأنت الذي تقدّر درجة الحك، لا غيرك. ويضرِب هذا المثل للتعبير عن عدم قيام الغير بقضاء حوائجك؛ إذا لم تكن أنت الحريص عليها.

- **المثل العربي:** «ما حَكَّ ظهري مثل يدي»⁽³⁾.

يضرِب في عدم الاتكال على الناس.

- **التناص:** مقوم لفظي: يد الإنسان هي التي تحك جلده.

11- **المثل الشعبي:** «خُذْ راي اللي ايبكيك، وما تَخُذْ راي اللي اِيضَحَكْ»⁽⁴⁾.

وعند قادة بوتارن: «دير راي اللي ايبكيك، لا تُدير راي اللي يَضَحَكْ لَكْ، راه يضحك بِيك»
دير راي: اعمل برأي. النصائح المفيدة كثيرا ما تكون في مظهر لاذع. أما الضارة فتأخذ مظهر المجاملة والرافة.

- **المثل العربي:** «قولهم: أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك»⁽⁵⁾.

يقول: اتبع أمر من يخوفك عواقب إساءتك لتحذرها فتتجو، ولا تتبع أمر من يُؤمّنك المخوف فيورطك. ومثل ذلك قول الحسن: إن من يخوّفك حتى تلقى الأمن أشفق عليك ممن يؤمّنك حتى تلقى الخوف.

أما الميداني⁽⁶⁾ فيورد قصة هذا المثل بقوله:

(1) -الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص346.

(2) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(3) -الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص289.

(4) -ينظر: رايح خلدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص52. وقادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص120.

(5) -العسكري، جبهة الأمثال، ج1، ص76. وفي مجمع الأمثال، للميداني، ج1، ص43.

(6) -الميداني، مجمع لأمثال، ج1، ص43.

قال المفضل: بلغنا أن فتاة من بنات العرب كانت لها خالات وعمّات، فكانت إذا زارت خالاتها ألهيّنها، وأضحكنها، وإذا زارت عمّاتها أدبّنها، وأخذن عليها. فقالت لأبيها: إن خالاتي يلفظنني، وإن عمّاتي يكيّنيني. فقال أبوها - وقد علم القصة -: أمر مبكيّاتك أي الزمي، واقبلي أمر مبكيّاتك. ويروى أمر بالرفع، أي أمر مبكيّاتك أولى بالقبول والاتباع من غيره.

-التناص: خذ رأي من أبكاك: (خوفك)، لا رأي من أضحكك.

12-المثل الشعبي: «اعمل الخير و انساه، و إذا عملت الشر اتفكرو»⁽¹⁾

هذا المثل شائع جدا، ومعروف لدى أغلب الجزائريين، وهو قد ضمّنه المطرب الجزائري "رابح درياسة" في إحدى أغانيه. وفحواه دعوة صريحة إلى فعل الخير، مع نسيانه، أي عدم ذكره لسببين: أولها: أن المَنّ يبطل الصدقات كما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى...﴾⁽²⁾؛ و لأنّ التحدّث به إلى الناس أو للمحسن إليه، قد يسبب له الأذى. والسبب الثاني: أن المحسن إليه -في الغالب- يحاول رد الإحسان أو الاعتراف به، دون أن يحتاج إلى من يذكره.

أما الشطر الثاني من المثل: ففيه نهى غير مباشر عن فعل الشر؛ لأنه يشترط، إذا وقع الإنسان في الخطأ بفعله الشرّ، فعليه أن يتذكره لسببين: أولهما، أن يصلح خطأه ويرد المظالم، ويتوب إلى الله عن فعله. وثانيهما: أن يتقي انتقام من أساء إليه.

ووقع المثل الشعبي في النفوس، وفي التوجيه، أشد تأثيرا وإرشادا؛ لأنه يدعو إلى الخير، وينهى عن الشر. أما المثل العربي الآتي، ففيه دعوة إلى ترك المن إذا فعل الخير وتشّي (إذا) الشرطية بقلّته.

-المثل العربي: «إذا اتخذتم عند رجل يدا فانسوها»⁽³⁾.

أي إذا كان لكم فضل على أحد بإحسان أو مساعدة، وبخاصة المساعدة المادية فعليكم، أن تنسوها ولا تذكروها للغير، ولا تذكروا بها المحسن إليه.

(1) -الذاكرة الشعبية في الجزائر.

(2) -سورة البقرة، آية 264.

(3) -الميداني، مجمع لأمثال، ج 1، ص 41.

وفي مجمع الأمثال، قال بعض حكماء العرب لبنيه. قال أبو عبيدة: أراد حتى لا يقع في أنفسكم الطول على الناس بالقلوب، ولا تذكروها بالألسنة. وقال:
أفسدت بالمنّ ما أصلحت من يسر == ليس الكريم إذا أسدى بمنّان
-التناص: انس إعانتك الغير، ولا تذكرها.

خلاصة:

رأينا في هذا الفصل أن قضية التأثير والتأثر، تطال مختلف عناصر الحياة وأشكالها؛ فهي قد ظهرت على البشر وأفعالهم وعلومهم، وعلى كل ما يتعلق بهم، وظهرت على الطبيعة، سواء أكان التغير والتطور بفعل الإنسان، أم كان بفعل الطبيعة نفسها؛ كالذي تحدثه الزلازل، والبراكين، والسيول، والرياح... والإنسان هو أكبر مخلوق مؤثر في هذا الوجود؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى كرّمه بالعقل. وسخر له جميع ما في الحياة لخدمته؛ فهذه الميزة استطاع أن يطور حياته، باستفادته من تراكم التجارب، والمعارف التي توصل إليها بنو جنسه قبله. وبتكاثر البشر وانتشارهم في الأرض عبر الزمن، احتاجوا إلى التعاون فيما بينهم. والتعاون يتطلب التواصل. وأهم وسيلة للتواصل هي اللغة؛ سواء أكانت في شكلها الطبيعي الصوتي، أم في شكلها الرمزي المكتوب أم المرسوم أم المنحوت؛ فهي وعاء العلوم والأفكار، وهي التي تنقلها إلى الغير عبر الزمان والمكان. ومما تحمله اللغة، هذه الأشكال المتنوعة من فنون التعبير، وبخاصة التعبير الأدبي الراقي،

كما رأينا في هذا الفصل أن الحضارات تأثر بعضها ببعض؛ حيث تأثرت الحضارة العربية الإسلامية بحضارتي الشرق والغرب، منذ الفتوحات الإسلامية، واحتكاك العرب بغيرهم من الأجناس. ولمّا هضم المسلمون حضارات من سبقهم، أضافوا إليها وأعادوا صياغتها في شكل جديد. وصاروا مؤثرين بعد أن كانوا متأثرين. اعترف بهذه الظاهرة الكثير من العلماء الغربيين والعرب؛ ومثال ذلك: الباحثة الألمانية " زيغريد هونكة " في كتابها: شمس العرب تشرق على الغرب. و"مالك بن نبي" في بحوثه: مشكلات الحضارة. كما أن الأدباء والمفكرين تأثر بعضهم ببعض؛ ظهر ذلك -على سبيل المثال- في الدراسات المقارنة التي قام بها: محمد غنيمي هلال في كتابه: الأدب المقارن، والطاهر أحمد مكي في كتابه: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة.

ومن أجناس الأدب التي لاحظ بعض الدارسين، أنها خضعت للتأثير والتأثر: الأمثال الشعبية؛ حيث تطرق إليها "محمد بنشريفة"، في بحثه: التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية.

وإذا كان "بنشريفة" قد اطلع على كتاب: أمثال العوام في الأندلس - لأبي يحيى الزجاجي القرطبي (617-694هـ) - وقارنها بالأمثال العربية القديمة والحديثة، ثم بالأمثال الإسبانية، واكتشف التأثير العربي في هذه الأخيرة؛ فإن الكثير من الأمثال المتشابهة بين اللغة العربية واللغات الغربية التي لا حظتها - في المعنى خاصة - تدل على انتشار الأمثال بين الشعوب وعلى التأثير المتبادل؛ يظهر ذلك من خلال التشابه في الألفاظ أو المعاني أو فيهما معا، وإرجاع بعض الأمثال إلى أصولها الأولى كما فعل: Jean-Loup Chiflet في شرحه للمثل:

-الكلاب تنبح والقافلة تمر/ (1) Les chiens aboient La Caravane passe
قال: « في الواقع يشير المثل إلى قافلة من الجمال تسير في الصحراء العربية، تقودها جمال مُسِنَّة، تسير من غير إحساس بالمهاري التي تتجاوزها، أو الكلاب التي تنبح و تواصل سيرها لتجتاز الصحراء». فهو يُرجع المثل إلى أصوله العربية؛ مع أنه مستعمل في الثقافة الفرنسية.

أما المثل: - كل الطرق تؤدي إلى روما/ (2) Tout les chemins mènent à Rome
فيقول شيفلي: هذه العبارة مشهورة منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وهي كانت صالحة قبل سقوط روما سنة 476م. وصار الناس يوظفون هذا المثل للتعبير على أن هناك طرقا و وسائل كثيرة توصل إلى الهدف. ونحن ما علينا إلا اختيار الطريق أو الوجه الأحسن.
فهو يشير إلى أصل المثل الإيطالي، عندما كانت روما في أوج قوتها، كما يشير إلى تاريخ اشتهاؤه. ونحن العرب نستعمل هذا المثل باللغة الفرنسية وبنترجمته العربية كما يستعمله غيرنا بلغات مختلفة.

(1) Jean-Loup Chiflet, op, cit, p 14.

(2) -Ibid, p 32.

أما المثل: - للقط الجيد فأر جيد/ A bon Chat bon Rat⁽¹⁾

فيقول شفلي: القط الذي يصطاد فأراً؛ هي قصة مصرية قديمة، كانت في عهد
الفرعون. هو القط الذي يحمي مخازن الحبوب في المرافئ، ويصطاد فئران السفن. ثم تطور
إلى مثل في القرن السادس عشر. والفأر قد طوّر وسائل دفاعه.
فالكاتب يشير إلى الأصول المصرية لهذا المثل. مع أن المثل يستعمل في الثقافة
الفرنسية؛ مما يدل على التأثير.

ومن خلال ما تقدّم نستنتج أنه يصعب تحديد المؤثر الأول؛ لأن أمثال الشرق كالتى
جاءت في كتاب كليلّة ودمنة مثلاً، انتقلت إلى الغرب عبر العرب. كما أن الكتب الدينية
التي سبقت القرآن كانت تستند في توجيهاتها إلى الأمثال؛ كما هو الحال في الأمثال التي
ذكرتها من إنجيل العهد الجديد في الفصل الأول من هذه الأطروحة. بالإضافة إلى أن كلّ
الشعوب كانت لها أمثالها، وأخذت تدونها منذ عهد بعيد؛ يقول ابن أبي شنب: «منذ العصور
الوسطى، شرّع في جمع الأمثال الفرنسية، ولا تزال إلى يومنا هذا تتوالى المنشورات المتعلقة
بهذه المادة»⁽²⁾.

أما تأثير الأمثال الشعبية الجزائرية بالموروث الثقافي العربي الإسلامي، فدرسته ضمن
مصطلح التناص؛ لأنها تعدّ امتداداً للثقافة العربية الإسلامية، تحمل المعاني نفسها، وتتشكل
من الألفاظ ذاتها، مع بعض التعديل والتصرف بالزيادة أو النقصان، أو اللحن، أي عدم
الخضوع للقواعد النحوية. رأينا ذلك من خلال النماذج التي أدرجتها في هذا الفصل،
للاستدلال لا للحصر.

(1)-Ibid, p12.

(2) -ابن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، ص13.

الفصل الثالث

تأثير الأمثال الشعبية في مجالات الحياة

تمهيد

تأثير الأمثال في المجال الأدبي

تأثير الأمثال في المجال النفسي

تأثير الأمثال في المجال الاجتماعي

خلاصة

تأثير الأمثال الشعبية في مجالات الحياة

تمهيد:

كما رأينا في الفصل السابق من خلال الدراسة التنصّية أن الأمثال الشعبية الجزائرية قد تأثرت - في شكلها وفي مضمونها - بالموروث الثقافي العربي الإسلامي؛ فإنها قد أثّرت كذلك ومازالت تؤثر على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات في الحالات العادية أو الاستثنائية؛ عندما لا يمكن التصريح بالآراء أو بمكنونات النفس. وتؤثر في السلوكات الأخلاقية، وكذا في الحياة النفسية للفرد والمجتمع. كما يظهر تأثيرها واضحا في النتاج الأدبي الرسمي و الشعبي، نثرا وشعرا. «ولما عرفت العرب أنّ الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جلّ أساليب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ؛ ليخفّ استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجلّ الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله؛ لقلّة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائداتها.

ومن عجائبها أنها - مع إيجازها - تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب. والحفظ موكل بما راع من اللفظ، وندر من المعنى»⁽¹⁾ ولعلّ هذا التأثير نابع من كونها عصارة تفكير جمعي، قبلته الجماعة بعد صقله وتهذيبه، ونقلته إلى أجيالها بالتواتر الشفهي، قبل أن تكون الكتابة وبعدها.

والأمثال الشعبية تعد أحد عناصر الأدب الهامة، التي يبحث فيها علم الاجتماع و علم نشوء الشعوب والأجناس و الأنثروبولوجيا؛ وذلك لأن الأمثال الشعبية تعتبر سجلا لعادات وطبائع الشعوب؛ فهي تحمل تجاربهم وثقافتهم وعاداتهم، وتدل على نفسيّاتهم، كما أنها تنظم علاقاتهم الاجتماعية، وتوحي بأخلاقهم ومثلهم. هذا من ناحية المضمون.

أما من ناحية الشكل، فالأمثال قد تكون مرسلة، وقد تكون مسجوعة، وهي في بعض أشكالها تشبه الشعر، ولعل هذا ما ينطبق عليه قول بن خلدون: «... وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع، والتزام التقفية... وصار هذا المنثور إذا تأملته، من باب الشعر وفنّه، ولم يفترقا إلا في الوزن»⁽²⁾.

(1) - أبو هلال العسكري، جوهرة الأمثال، ج 1، ص 14.

(2) - ابن خلدون، المقدمة، ص 1094.

أولاً-تأثير الأمثال في المجال الأدبي:

1-تعريف كلمة أدب:

أدب في اللغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: أدب، الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس؛ يسمى أدبا؛ لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مدعاة، ومأدبة. والأدب: أدب النفس والدرس. والأدب: الظرف وحسن التناول. وأدب-بالضم- فهو أديب من قوم أدباء. وأدبه فتأدب: علّمه. ويقال للبعير إذا ريض وذُلِّل: أديب، ومؤدب، والآدبُ الداعي إلى الطعام. و الأدب: العجب.⁽¹⁾

أدب في الاصطلاح: أما في الاصطلاح: فكلمة أدب كثرت تعاريفها واختلفت باختلاف المدارس الأدبية النقدية في رؤيتها لهذا المفهوم، وما يحتويه من عناصر فكرية ولغوية، وما يؤديه من وظائف نفسية، سياسية جمالية، اجتماعية، اقتصادية... و مدلولها قد عرف تطورا كبيرا تبعا لتطور حياة الأمة العربية، وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية والحضارة عبر التاريخ والثقافات.

يقول شوقي ضيف: « إذا رجعنا إلى العصر الجاهلي ننقب عن الكلمة فيه، لم نجدها تجري على ألسنة الشعراء؛ إنما نجد لفظة: (آدب) بمعنى الداعي إلى الطعام، فقد جاء على لسان طرفة بن العبد: نحن في المشتاة ندعو الجفلى == لا ترى الآدبَ فينا يَنْتَقِرُ*»⁽²⁾ فطرفة، يفتخر بكرم قومه؛ فهم في الشتاء عندما يدعون إلى طعام، فإن دعوتهم تكون عامة، وليست خاصة بأناس دون آخرين؛ فالداعي عندما ينادي، ينادي الجميع، ولا ينتقر أي لا يختار أو يقصد بدعوته أشخاصا معينين. وهو معنى حسي.

ويرى شوقي ضيف-أيضا- أن ليس وراء بيت طرفة أبيات أخرى تدل على أن الكلمة انتقلت في العصر الجاهلي من هذا المعنى الحسي إلى معنى آخر، غير أننا نجدها تستخدم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، في معنى تهذيبي خلقي؛ ففي الحديث:

(1) - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص-ص 206-207

(2) - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط8، دار المعارف، مصر، د/ت، ص7.

*- المشتاة: الشتاء أو المكان الذي يقضون فيه الشتاء. الدعوة الجفلى: الدعوة العامة. ينتقر: لا يختار أناسا دون آخرين.

« أدبني ربِّي فأحسن تأديبي ». ويستخدمها شاعر مخضرم، يسمى : سهم بن حنظلة - بنفس المعنى إذ يقول: لا يمنعُ الناسُ منِّي ما أردتُ ولا == أعطيهُم ما أرادوا حُسْنَ ذا أدبا⁽¹⁾ و لعل معنى البيت: إما أنه يقهر الناس، فيمنعهم ما يريدون منه، ولا يمنعونهُ ما يريد منهم، لعزته. وجعله أدباً حسناً. أو أن الشاعر أنكر على نفسه بأن الناس يعطونه ويمنعهم، ثم قال: حُسْنُ ذا أدباً، أي: ما أحسن هذا الأدب! على سبيل الإنكار والتهكم. وربما استخدمت الكلمة في العصر الجاهلي بهذا المعنى الخلفي؛ غير أنه لم تصلنا نصوص تؤيد هذا الظن.

أما طه حسين فيقول: « هو أننا لا نعرف نصاً عربياً جاهلياً صحيحاً ورد فيه لفظ أدب، والشيء الذي لا شك فيه أيضاً هو أننا لا نعرف أن لفظ الأدب قد ورد في القرآن. وكل ما نعرفه أن هذه المادة قد وردت في حديث، مهما يكن رأي المحدثين فيه، فليس هو بالحجة القاطعة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استعمل هذه المادة، وهذا الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: « أدبني ربي فأحسن تأديبي » هذا الحديث لا يُثبت حكماً لغوياً إلا إذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك، أو كان الراجح على أقل تقدير أنه صادر بلفظه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- «⁽²⁾ ، ويقول في موضع آخر: « إذا لم نجد مادة الأدب في لغة قريش ولا في العبرانية ولا في السريانية، فليس ما يمنع أن تكون هذه الكلمة قد دخلت في لغة قريش إبان العصر الأموي، انتقلت إليها من إحدى اللغات العربية التي ضاعت »⁽³⁾

ويتفق -طه حسين وشوقي ضيف- في رفض رأي الأستاذ (نلينو) الذي يقول: بأن كلمة أدب مشتقة من « الدَّاب » وهو العادة، أو السنة والسيره ، ويرى أن هذه الكلمة لم تشتق من المفرد، وإنما اشتقت من الجمع؛ فقد جمعت « دَاب » على « أدَاب » ثم قلبت فقليل: آداب كما جمعت « بئر » و « رئم » على « أبار » و « آرام » ثم قلبت فقليل: « أبار » و « آرام ». ويعتبرانه رأياً يعتمد على الفرض؛ فليس لدينا من النصوص أو القرائن العلمية الواضحة ما يبيِّن أن لفظ الأدب قد اشتق من الأدب بمعنى الدعوة إلى اللوائم، أو اشتق من الأدَاب جمع دَاب⁽⁴⁾

(1) - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ص 8

(2) - طه حسين، الأدب والنقد 1، دار الكتاب اللبناني، ط 1 بيروت، 1973م، ص 25.

(3) - طه حسين، المرجع السابق، ص 27.

(4) - ينظر طه حسين، المرجع السابق ، ص 25. و شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ص 7.

و في عصر بني أمية صارت تدور في المعنى الخلقي التهذيبي، يضاف إليه معنى ثانيا جديدا، وهو معنى تعليمي؛ فقد وجدت طائفة من المعلمين تسمى بالمؤدبين، كانوا يعلمون أبناء الخلفاء ما تطمح إليه نفوس آبائهم فيهم من معرفة الثقافة العربية، فكانوا يلقنونهم الشعر والخطب، وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام. وأتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة الأدب أن تصبح مقابلة لكلمة العلم، الذي يطلق حينئذ على الشريعة الإسلامية، وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم⁽¹⁾ وقريب من هذا المعنى يراه طه حسين إذ يقول: «وكان الناس يقولون: "أدب فلانا" فيفهمون منها هذين المعنيين: علّمه الأدب، وهو هذا النوع من العلم الذي أشرنا إليه، وأخذه بالأدب، وهو هذا النوع من الحياة التي ذكرناها. وظل لفظ الأدب يدل على هذين المعنيين طوال العصر العربي الفصيح»⁽²⁾

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي وجدنا المعنيين التهذيبي والتعليمي يتقابلان في استخدام الكلمة؛ فقد سمى ابن المقفع رسالتين له تتضمنان ضربا من الحكم والنصائح الخلقية والسياسية باسم: «الأدب الصغير» و«الأدب الكبير» وبنفس هذا المعنى سمى أبو تمام (ت232هـ/846م) الباب الثالث من ديوان الحماسة، الذي جمع فيه مختارات من طرائف الشعر، باسم باب الأدب...

وفي هذه الأزمنة أي في القرنين الثاني والثالث للهجرة وما تلاهما من قرون كانت الكلمة تطلق على معرفة أشعار العرب وأخبارهم، وأخذوا يؤلفون بهذا المعنى كتباً سموها كتب أدب مثل: البيان والتبيين للجاحظ (ت255هـ) وهو يجمع ألوانا من الأخبار والأشعار والخطب والنوادر، مع ملاحظات نقدية وبلاغية كثيرة، ومثله الكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت285هـ) وقدّم فيه صورا من الرسائل النثرية التي ارتقت صناعتها في تلك العصور. جاء في مقدمته: «هذا كتاب ألّفناه يجمع ضربا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر، وموعظة بالغة واختيار من خطب شريفة، ورسالة بليغة»⁽³⁾

(1) - ينظر: شوقي ضيف، المرجع السابق نفسه، ص8.

(2) - طه حسين، المرجع نفسه، ص28.

(3) - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص9.

أما ابن خلدون فقد قال: «الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف»⁽¹⁾

وأخذت الكلمة (الأدب) منذ أواسط القرن الماضي تدل على معنيين: معنى عام يقابل معنى كلمة (Littérature)⁽²⁾ الفرنسية التي يطلقها الفرنسيون على كل ما يكتب في اللغة، مهما يكن موضوعه، ومهما يكن أسلوبه، سواء أكان علما أم فلسفة أم أدبا خالصا؛ فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدبا. ومعنى خاص هو الأدب الخالص الذي لا يراد به إلا مجرد التعبير عن معنى من المعاني، بل يراد به أيضا أن يكون جميلا بحيث يؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف في صناعاتي الشعر، وفنون النثر الأدبية مثل: الخطابة والأمثال والقصص والمسرحيات والمقامات.⁽³⁾ واستقر في آخر المطاف على التالي:

الأدب، هو ذاك الكلام الفني الراقي من المنظوم والمنثور، الذي تجود به قرائح الأدباء في كل عصر وحين. قال ابن خلدون: «وإنما المقصود منه -أي من علم الأدب- عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم»⁽⁴⁾. فابن خلدون يرى أن الإجابة في الفنين هي سبب سموهما، والإجابة هي ثمرة علم الأدب؛ فالشاعر والكاتب لا يجيدان إلا إذا تحكّما في أساليب العرب ومناحيهم.

والأدب هو: «الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعرا أم نثرا»⁽⁵⁾.

يقول طه حسين: «ألست إذا سمعت كلمة الأدب الآن فهمت منه مآثر الكلام نظما ونثرا، وما يتصل به من هذه العلوم والفنون التي تعين على فهمه من ناحية وتذوقه من ناحية أخرى»⁽⁶⁾.

(1) - ابن خلدون، المقدمة، ص 1069.

(2) - Micro Robert. Dictionnaire du français Primordial. Le Robert. Paris 1984.P 618.

(3) - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 10.

(4) - ابن خلدون، المقدمة، ص 1069.

(5) - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 7.

(6) - طه حسين، الأدب والنقد، ص 30.

فالمنظوم من الكلام هو ما يسمى بالشعر؛ لخضوعه للوزن و القافية. أما المنثور فهو الكلام المرسل غير المعتمد على الوزن و القافية. ويقسمه صاحب كتاب البرهان في وجوه البيان أربعة أقسام هي: الخطابة والترسل والاحتجاج والحديث قال: « فأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه »⁽¹⁾. و يقول في موضع آخر - مقارنا بين المنثور والمنظوم « اعلم أن سائر العبارة في لسان العرب، إما أن يكون منظوما أو منثورا، والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام »⁽²⁾.

غير أن الكلام تسع دلالاته لتشمل الشعر والنثر معا عند بعض القدامى؛ فهذا أبو الفتح الموصلي يقول: «اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقد إلى آلات كثيرة»⁽³⁾ فالتأليف في الأدب عدّه صناعة تحتاج إلى آلات وخبرة؛ فالآلات هي علوم ومعارف كثيرة، تتعلق بالشكل والمضمون.

يقول محمد سعيدي: « الأدب هو ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى من شعر أو نثر، صادر عن أديب، كاتب أو شاعر، وخاضع لمنطق لغوي وفني معين »⁽⁴⁾ والأمثال جنس أدبي يمتاز بالإيجاز وإصابة المعنى، وهو متداول شفها بين طبقات الشعب لما يحمله من تجربة الأسلاف وحكمتهم، الملخصة في هذه العبارة الموجزة المؤثرة؛ فهي تعد رافدا من روافد ثقافة الأمة، التي من الضروري الحفاظ عليها؛ بتوظيفها في الخطاب العادي اليومي، أو الخطاب الأدبي الشعري. وما دام الأدباء جزءا من هذا الشعب الموظف لهذا النوع من الأدب؛ فلا غرو أن يتأثر إنتاجهم به، ويظهر في كثير من شعرهم و نثرهم في إطار ما يسمّى بالتضمين أو الاقتباس-كما سمي قديما- أو التناص كما تسميه الدراسات النقدية الحديثة. ففي القديم- عندما ساد الشعر على النثر لأسباب ثقافية؛ حيث البيئة الأمية التي تعتمد الذاكرة للحفظ، ويناسبها الكلام الموزون المقفى(الشعر)- سادت الأمثال كذلك للسبب نفسه.

(1) - الكاتب، أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1969م، ص 150.

(2) - الكاتب، المصدر السابق، ص 127.

(3) - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص3.

(4) - سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق. د.ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1998، ص 9.

يقول طه حسين: « والأمثال بطبيعتها أدب شعبي مضطرب متطور، يصح أن يؤخذ مقياسا لدرس اللغة، ومقياسا لدرس الجملة القصيرة، كيف تتكون، ومقياسا بنوع خاص لعبث الشعوب بالألفاظ والمعاني...»⁽¹⁾

وإذا كان الشعر يمتاز بتكثيف المعنى و تركيزه، فإن الأمثال تضاهيه في هاتين الميزتين؛ ولهذا احتاج الشعراء -في بعض الأحيان- إلى ترصيع أشعارهم وتوشيتها بأمثال تقوي معانيهم، وتدل على صحة أفكارهم. قال السيوطي في التضمين: « هو إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى، أو ترتيب النظم »⁽²⁾. كما لجأ الخطباء والروائيون إليها دعما لمعانيهم، وتأثيرا في سامعيهم أو قارئ آثارهم.

2- تأثير الشعر بالأمثال:

لقد تأثر الشعراء بالأمثال؛ لما تحمله من حكمة مركزة في قول موجز، كما أن المجتمع يحتفظ في ذاكرته بفكرة الأمثال، أو بمغزاها، مما يسهل عملية التواصل بين الشاعر والمتلقي، ولذلك يلجأ إليها الشاعر ليضمّن فيها شعره، أو يشير إليها في تعبيره عن أفكاره ومقاصده؛ لأنها تمثل تجارب الأمة وفكرها الاجتماعي والثقافي والنفسي على مر العصور. ولهذا فالأمثال قد سايرت الشعر العربي منذ العصر الجاهلي. ومن شعراء ذلك العصر الذين وظفوها في أشعارهم نجد:

النابغة الذبياني⁽³⁾ الذي نظم قصيدة معذرا إلى النعمان بن المنذر مادحا إياه. وهذا مطلعها: أتاني أبيت اللعن أنك لمتني == وتلك التي أهتم منها وأنصب إلى أن يقول: ولست بمستبق أخا لا تلّمه == على شعث، أي الرجال المهذب فإن أك مظلوما، فعبد ظلمته == وإن تك ذا عُنْبَى، فمِثْلُكَ يُعْتَبُ*

فالنابغة عبر عن موقفه بحكمة. وهي: ليس في الدنيا من خلا من العيوب؛ فإذا لم تقبل صداقة صديق على ما به من عيب، فلن تجد صديقا، ولا تستبقي لك أخا. ثم استفهم استفهاما دلالاته الإنكار. بمعنى لا يوجد الرجل المهذب كامل الأوصاف. وهو قد وظف

(1) - طه حسين، الأدب والنقد، ص333.

(2) - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج2، ص243.

(3) - النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقدم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة1996م، ص28.

المثل: «أي الرجال المهذب» ، ليختصر به كلاما كثيرا، ويستشهد به على صحة رأيه وحسن نواياه، ونبل سريرته، ويستعطف ممدوحه ليعفو عنه.

وهذا زهير بن أبي سلمى، قد ضمّن معلقته الكثير من الحكم، التي صارت أمثالا شائعة بين الناس يتداولونها في أحاديثهم العادية أو في إنتاجهم الأدبي. ومنها:

و من يغترب يحسب عدوا صديقه = ومن لم يكرّم نفسه لم يكرّم⁽¹⁾

يقول: من سافر واغترب حسب الأعداء أصدقاء؛ لأنه لم يجربهم فتوقفه التجارب على ضمائر صدورهم. و المثل: ومن لم يكرّم نفسه بتجنب الدنيا لم يكرّمه الناس. أما بشار بن برد فيقول:⁽²⁾

بني وائل إن الصغير بمثلـه === كبير فلا تستعجلوا بمُهيـب
على أهلها تجني براقش فاتقوا === جناية عبد واسعدوا بقلوب
صغير الأذى يدعو كبيرا لأهله === وتفترض القربى بذنب قريب

وهو في هذه الأبيات يهجو أبا هشام الباهلي، فيحذر وائل؛ لأن باهل تنتسب إليه؛ فعلى وائل أن تتجنبه وتحذر منه، وإلا جنت على نفسها كما جنت براقش على أهلها.

فبشار قد وظف المثل: " على أهلها تجني براقش" *⁽³⁾، وهو مثل يضرب لمن أتاه الشر من نفسه، ولمن عمل عملا يعود بالضرر عليه، أو على ذويه. وهو هنا قد استعان بعنصر التراث العربي في تحذير أعدائه وزرع الخوف في قلوبهم بإحالتهم إلى قصة براقش مع أهلها، فمنها يأخذون العبرة.

ويقول أيضا:⁽⁴⁾ حملتني الشوق وباعدتني == ما هكذا الربُّ لمربوب *

رضيت ميعادك يا سيدي == إن لم يكن ميعاد عرقوب

* - مستيق: من استيقى: عفا عن ذويه. الشعث: الفساد، العيب. أي الرجال المهذب: أي الخالي من كل عيب. العتي: الرضا. مثلك يعتب: مثلك يعفو ويصفح.

(1) - الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 121.

(2) - بشار بن برد، ديوان بشار، قرأه وقدمه إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط1، سنة 2000، ص130.

(3) - الميادني، مجمع الأمثال، ج1، ص337.

** - جاء في مجمع الأمثال، ج1، ص337، براقش: كناية لقوم من العرب... وقد أغار عليهم أحد الأتوم، ومعهم براقش، وكانت تـج في أثناء هروبعهم، فاستدل القوم على آثامهم، عن طريق نباح براقش، فهجموا عليهم، فكانت براقش سبب هلاكهـم.

ولها روايات أخرى.

(4) - بشار بن برد، ديوان بشار، ص133.

* - يريد بهذا القول إثبات الزندقة على حماد.

فبشار قد ضمّن بيته المثل العربي (مواعيد عرقوب)⁽¹⁾، وهو مثل يضرب لمن يعد فيخلف وعده، وقد ذكر هذا المثل في هجائه - لحمد عجرد - فهو يستنكر إخلاف الوعد؛ لأنه راض بالوعد، بشرط أن لا يكون مثل مواعيد عرقوب؛ لأن الميعاد في نظره لا يمكن تحقيقه، فهو يؤنب مخاطبه بذكر هذا المثل، وبحثه على إنجاز الوعد.

و من خلال ما جاء في هذه الأبيات وفي غيرها؛ نجد أن بشار قد اعتمد على الموروث الثقافي العربي باستغلاله الأمثال لتقوية حججه. وتوشية شعره، ومخاطبة متلقي شعره بما يفهمون.

ومن الأمثال التي استعملها «أبو تمام» في شعره، المثل: (كالمستغيث من الرمضاء بالنار)⁽²⁾. وهو مثل يضرب للرجل يفر من أمر خطير إلى ما هو أخطر منه. قال الشاعر: المستغيث بعمرو عند كربته ++ كالمستغيث من الرمضاء بالنار⁽³⁾ قال أبوتمام⁽⁴⁾ :

بِعَقْلِي هَذَا صِرْتُ أُحْدِثُ الرِّكْبَ + وَقَدْ كُنْتُ فِي سَلَمٍ فَأَصْبَحْتُ فِي حَرْبٍ
لَعَمْرُو مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَلِظِي + أَرْقُ وَأَحْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ**
أشار أبو تمام إلى هذا المثل في قوله السابق؛ ليعبر من خلاله عن معاناته مع من يحب، فأفاد منه دلالات القلق، والاضطراب اللذين يعتريانه، وبهذا المثل جسّد المعنوي في صورة الحسّي، فلا خلاص له من هذا الألم النفسي؛ لعدم امتلاكه حلاً لمشكلاته مع من يحب؛ فهو بين خيارين_ الفراق أو الصبر_ وكل واحد منهما أسوأ من الآخر.
والمثل الثاني: (برق الخُلب)⁽⁵⁾. و هذا المثل يضرب لمن يعطي شيئاً لا قيمة أو لا حقيقة له.

(1) - الميادني، مجمع الأمثال، ج 2. ص. 193.

(2) - أبو هلال العسكري، جبهة الأمثال ج 2. ص. 133.

(3) - أبو هلال العسكري، المصدر السابق، ص 133 _ جاء في هامش الصفحة: البيت في اللسان (دعص)، وفي فصل المقال: «وقال أبو الفرج الأصبهاني»: إن قائدا من قواد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف هرب إلى عمرو بن الليث، وهو يومئذ بخراسان، فغم ذلك أحمد وأقلقه، فدخل عليه أبو نجدة لحيم بن ربيعة بن عوف من بني عجل، وكان شاعرا فأنشده: = أبياتا منها :

يا من تيمم عمرا يستجير به ++ أما سمعت بيت في سيار . . . المستجير بعمرو عند كربته ++ كالمستجير من الرمضاء بالنار.

(4) - أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام، تحقيق: محيي الدين صبحي، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، سنة 2009م، ج 2، ص 409

** - جاء في المعجم العربي الأساسي، ص 335. أحفى: من حفا يحفو، حفوا، الحافي، حفاه، أكرمه، أحفى: أكرم. ص، 1034. لاكُزب: حزن وغم.

(5) - العسكري، جبهة الأمثال، ج 1، ص. 183.

و البرق الخلب هو البرق الذي لا مطر معه، وقد ضمّن أبو تمام هذا المثل في إحدى مدائحه مصورا المعنوي بالمحسوس، ومختصرا تعبيره في كلمتين قائلاً⁽¹⁾:

وَبَرَقَتْ لِي بَرْقَ الْيَقِينِ وَطَالَمَا ++ أَمْسَيْتُ مُرْتَقِبًا لِبَرْقِ الْخُلْبِ *

فهو يشيد بممدوحه؛ وذلك بمقارنة وعد ممدوحه بوعود غيره من خلال هذا المثل، ويقول: بأن برقه، أي وعده كان صادقا؛ بينما - في السابق - كنت أنتظر المواعيد الكواذب من غيرك.

والمثل نفسه (كالمستجير من الرمضاء بالنار) يوظفه الشاعر أحمد مطر في الشعر الحديث بعد تغيير بعض ألفاظه. يقول في إحدى قصائده، (دفاعا عن ضميري):⁽²⁾

أنا لا أخشى مصيري

فأنا أحيا مصيري

أي شيء

غير إغفائي على صبرة القر

وصحوي فوق رمضاء الهجري

إلى أن يقول: يستجيرون من الطغاة بالطاغي الأجير

فهم يستجيرون من الطاغية الظالم، بطاغية آخر ماجور، فهو أشد خطرا من الأول.

ولم يشذ شعراء الملحنون الحاليون عن شعراء الفصح السابقين في توظيف الأمثال

في شعرهم. فهذا الشاعر (توفيق ومان). قد وظف المثل الشعبي:

« إِذَا حَسَنْ صَاحِبُكَ بَلَّ أَنْتَ »⁽³⁾. ومعناه، إذا حلق صاحبك شعر رأسه، فبلل رأسك بالماء

تحضيرا له للحلاقة؛ لأن دورك بعده. قلت استعمل المثل في قصيدة عنوانها: بيروت.

ومطلعها:

قلبي راه اعْدِيمْ مَنْ كَثْرَةَ لَمَحَانْ = وَبَكَوْ عِيُونِي عَلَى جَهْلِ الْمَصِيرِ

دُمُوعُ الْحَسْرَةِ تَجْرِي عَلَى لَجْفَانْ = رُحِيقُ الْكَلَمَةِ حَفَّ وَ انْتَشَلَ التَّفَكِيرُ

(1) - أبو تمام، ديوان أبي تمام ج1، ص168.

* - جاء في المعجم العربي الأساسي، ص 183. الخلب: أصله من الخلالة، وهي الخداع. يقال: برق خلب، وبرق خلب. وقيل: الخلب: ما كان خلف برقه.

(2) - مقتطفات من حداثق الشعراء، أحمد مطر، نزار قباني، محمود درويش، دار البحار للطباعة والنشر، عمان الأردن، د/ت، ص70.

(3) - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

إلى أن يقول:

عيب الأمة إذا احْكَمَ فيها جبان = يَدْمَرُهَا بَقْفًا يَدُو فِي قَاعِ الْبِيرِ
هذا المرّة جَا الدَّورَ عَلَى لبنان = صَابَ الْأُمّةُ مَشْتَتَةً وَالْجُرْحُ كَبِيرُ
إذا حَسَنَ خوك بَلَّ عَلَى لَمَانٍ = وَجَدَ ذَقْنُكَ زَيْنَ لَمَؤَاسِ التَّنْصِيرِ⁽¹⁾

يدمرها بقفا يدو في قاع البير: قفا: بالقاف المعقوفة: ظاهر اليد، فالجبان يرفع يديه، رمز الاستسلام، فتسقط أمته ووطنه، وتذهب إلى المجهول، قاع البئر. لقد دُمِرَ الوطن العربي، دولة بعد دولة بسبب تخاذل حكامه، وارتمائهم في أحضان الغرب، وجاء الدور على لبنان. فالشاعر يُذَكِّرُ الدول -التي ما زالت لم تصلها شظايا التدمير- بمصيرها؛ فعليها أن تنتهياً له. مستعملاً المثل الشعبي الجزائري: <إذا حَسَنَ خوك بَلَّ أُنْتَ>. فكأن هذه الدول آمنة ومطمئنة على مصيرها. ولكن موسى التنصير ستصل ذقنها، وتذبحها مادامت متخاذلة. حسب الشاعر. والشاعر تتبأ بمصير الأمة قبل قوله القذافي في قمة الدول العربية بدمشق سنة 2008. عندما قال لهؤلاء الزعماء - بعد مقتل صدام حسين -: كيف تسمحون للأمريكان أن يعتقلوا صدام حسين ويحاكموه، ويذبحوه؟ - الدور الجاي عليكم.

3- تأثير الأمثال في الخطابة:

الخطابة: لغة: مصدر، فعله خطب، يخطب، خطب على القوم، ألقى فيهم خطبة، كخطب على المنبر. جاء في لسان العرب: ذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجّع، ونحوه. وفي التهذيب: والخطبة مثل الرسالة، التي لها أول وآخر⁽²⁾

الخطابة: اصطلاحاً: كلام منثور مؤلف يخاطب به الفرد الجماعة قصد الإقناع والاستمالة، وهي من الفنون الأدبية القديمة التي اعتمدها الساسة والدعاة، ومن خصائصها اعتماد المنطق والحجة، بتضمينها أقوال الحكماء والحوادث المنقولة، والأمثال والأخبار المروية عن حكيم أو عظيم، وفي الخطابة الإسلامية-إضافة إلى ذلك- يلجأ الخطيب إلى

(1) -توفيق ومان، في الشعر الشعبي المعاصر، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، د/ت، ص-ص 22-24. وفي صفحة 22 من المصدر السابق، التعريف بالشاعر: (توفيق ومان: من عرش بني ومان، شاعر جزائري معاصر، ولد بتاريخ 1964/11/03. ولاية بسكرة. له أربعة مجموعات شعرية: وعد لُغزال، خير كان، خُذْ قِصْدَ مَدَقٍّ، و23 قصيدة غزل، وله انطولوجيا تحت عنوان الصوت المكنون في الشعر الملحون. الصادر في إطار فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، عن المكتبة الوطنية الجزائرية. شارك في العديد من الملتقيات. كرم في لبنان جولية 2007م، عن حلقة الحوار الثقافي ببيروت، كما كرم من طرف المكتبة الوطنية الجزائرية في 2007/06/07. بمناسبة اليوم الوطني للفنان. هو عضو مؤسس للرابطة الوطنية للأدب الشعبي، وانتخب رئيساً لها في ديسمبر 2005م).

(2) - ابن منظور، لسان العرب ج1، ص-ص 360-361.

الاقتباس من القرآن والسنة.. مازالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالتحميد، ويستفتح كلامه بالتمجيد (البترء) ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - (الشوهاء)⁽¹⁾. يدمج الخطيب كل ذلك ببراعته، ويلقيها بعبارات تناسب المقام، ويخرجها في أسلوب مؤثر في سامعيه حسب طبقاتهم أو مستوياتهم الفكرية والعقلية.

من أشهر الخطباء في صدر الإسلام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ومن خطبه التي ضمنتها الأمثال، خطبته بعد التحكيم⁽²⁾ التي جاء فيها: «...وقد أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر**، فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة، والمناذرين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضمن الزند بقده**، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى == فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد⁽³⁾
حادثه التحكيم، عند مخالفة أصحابه - رضي الله عنه - يُعرف عظمها من قوله: (فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة. ***) والكل يعرف ما يصنع المخالف الجافي و المناذير العاصي على أميره، وهو ناصحه حتى ارتاب بنصحه.

وقوله - رضي الله عنه - : (وضمن الزند بقده) هذه كناية، أي لم يقدر أولم يعد

(1) - المحافظ، البيان والتبيين، ج3، ص293.

(3) - علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، راجعه: علي أحمد حمود، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، د/ط، 2002م، ج1، ص68.
**-قصير هو مولى جذبة المعروف بالأبرش، وكان حاذقا وقد أشار على سيده جذبة، أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة؛ لأنه كان قد وترها بقتله أباه؛ فخالفه، وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته، وأدركت ثأرها. فقال قصير: لا يطاع لقصير أمر. فذهب مثلا.

(4) - علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص68.

*-جاء في المعجم العربي الأساسي، ص778، ضمن: بخل، ص587. الزند: ما تقدح به النار أي تشتعل، ص969. قدح: الاشتعال. ص1181 نخل: غربل كما يغرل الطحين، وهو بمعنى اختار وأخلص النصح.

(3) - علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، الصفحة نفسها.

*** - ينظر علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص68، جاء في الهامش - وأخو هوازن هو الدريد بن الصمة والبيت من قصيدة له في الحماسة وقصته أن أخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن فغنم منهم واستاق إبلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال: والله لا أبرح حتى أخرج النقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة فقال أخوه: لا تفعل فإن القوم في طلبك وأبي عليه وأقام ونحر النقيعة ويات فلما أصبح هجم القوم عليه وطعن عبد الله بن الصمة فاستغاث بأخيه دريد فنهنه عنه القوم حتى طعن هو أيضا وصرع وقتل عبد الله وحال الليل بين القوم فنجا دريد بعد طعن وجراح، فأنشد القصيدة. ومطابقة المثل للمضرب ظاهرة.

- الحكومة حكومة الحكيم: عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري؛ وذلك بعدما وقف القتال بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان، في حرب صفين سنة37هـ. فإن جيش معاوية لما رأى أن الدبرة تكون عليه، رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم إلى كتاب الله، فارتاب علي - رضي الله عنه - في هذا التحكيم ورفضه، ونصح أصحابه برفضه؛ لأنها خدعة، وأنها كلمة حق يراد بها باطل. ولكن أصحابه خالفوه واختاروا التحكيم الذي انتهى بالتخادع أبي موسى الأشعري عن علي، لعمرو بن العاص.. وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية، ثم صعود عمرو بن العاص بعده، وإثباته معاوية وخلعه أمير المؤمنين، وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين علي وأصحابه.

لي بعد ذلك رأي صالح لشدة ما لقيت منكم من الإباء، والخلاف والعصيان... وهكذا المشير الناصح إذا أتهم و استُغش، عشت بصيرته، وفسد رأيه.

فالخطيب وظّف المثليين؛ لأن طبيعة المثل مركزة ولا تحتاج إلى حيز واسع، فأشار بهما إلى نتائج عدم الأخذ بالنصيحة، دون أن يشرح قصتي المثليين لأن المتلقين يعرفون ذلك. و لهم أن يعتبروا.

ومن خطباء بني أمية، الحجاج بن يوسف الثقفي، ومن أشهر خطبه- التي ضمنها الأمثال- في أهل الكوفة لما ولي العراق، خطبته التي مطلعها: أنا ابن جلاّ و طلاع الثنايا، متى أضع العمامة تعرفوني. إلى أن يقول: « إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق و النفاق، ومساوئ الأخلاق، ما يقعق لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين...»⁽¹⁾ فالحجاج قد وظف المثل: « لا يقعق لي بالشنان»⁽²⁾ والقعقة هي صوت الضرب على القرب اليابسة لإفزع الإبل، وتنفيرها. والشن هو الجلد اليابس أو القربة اليابسة، وهي المصنوعة من جلد العنزة. والمثل يضرب للرجل الشهم، لا يفزع بالوعيد، وقريب منه قول بعضهم: البغل لا تفزعه الجالجل؛ كما جاء في شرح المثل في الجمهرة.

وكثيرا ما يدرج السياسيون المعاصرون الأمثال الشعبية في خطبهم أو تدخلاتهم، وبخاصة عندما يخرجون عن الخطاب الرسمي المكتوب؛ لأنه عادة يكتب بالفصحى. فهذا الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، أثناء زيارته لولاية سطيف في ماي 2012م، بمناسبة أحداث ماي 1945. قال: جيلنا أو جيل الثورة « طاب اجنانو». وهو مثل شعبي نصه: « كي طاب اجنانو نايف جيرانو»⁽³⁾. ومعناه عندما نضجت غلته قاطع جيرانه. ويذكر هذا المثل للتنديد بالأنانية، و نكران الجميل. ولكن الرئيس استعمل جزءا من المثل: طاب اجنانو: ويعني فائدة هذا الجيل وصلت إلى نهايتها، مثله مثل غلة البستان عندما تنتضج فلا بد من قطفها و به تنتهي دورتها.

(1) - المحاظ، البيان والتبيين، ج2، ص-ص 381-382.

(2) - أبوهلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص316.

(3) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص80.

4- تأثير الأمثال في الترسل:

لقد تطور فن الكتابة في العصر العباسي تطوراً كبيراً عما كان عليه من قبل؛ حيث استعملوها في كل مجالات الحياة: العلمية والسياسية والأدبية.. وكان تشجيع الخلفاء والوزراء للأدباء وللكتاب باعثاً على النهوض بالكتابة، داعياً إلى ارتفاع شأنها. «وهكذا نجد الكتاب يتبعون المثل والحكمة، سواء أكانت في النثر أم في الشعر، وهذا للاستشهاد بها ولتزيين كتاباتهم، ولإظهار رصيد معارفهم، وقدرتهم على التصرف فيه، على حسب ما يوافق نسيج أسلوبهم، و فوق كل هذا - فيما يبدو لي - أن الإنسان يسوق المثل والحكمة للعبارة، وهذا تجنباً للورطات التي قد يسقط فيها»⁽¹⁾ إن هذين النوعين قد ترددا في الرسائل، لأن النقاد أو المنظرين لفن الرسائل، كانوا يشترطون من الكاتب النظر في كتب الأمثال الواردة نظماً ونثراً. كأمثال الميداني، والمفضل، و حمزة الأصبهاني وغيرهم، وأمثال المحدثين الواردة في أشعارهم، كأبي العتاهية، وأبي تمام، والمتنبي، وأمثال المولدين.⁽²⁾

وكمثال على استغلال الأمثال في التركيب البنائي للجمل و التعابير، في الرسائل، نأخذ المثال التالي: وهو قول في إحدى رسائل ابن خلدون إلى ابن الخطيب وهو «إني قمت المقام المحمود في استمالة الكافة على المناصحة، وما يطلع إليه فضلكم واهتمامكم من خاصيتها في النفس والولد؛ فجهينة خبره مؤدّي كتابي إليكم، ناشئ تأديبي، وثمرة تربيته؛ فسهلوا له الإذن حتى يؤدي ما عندي وما عندكم، و أتمنوه على ما تحدثون؛ فليس بظنين على السر»⁽³⁾.

أما المثل الذي ضمّنه فهو: «عند جهينة الخبر اليقين»، وهو يدل على معرفته بالشخص المبعوث معرفة يقينية، ويحيل إلى حكاية الأخنس الجهني مع حصين الكلبى. هذه الحكاية المعروفة في كتب الأمثال⁽⁴⁾.

(1) - الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، (في القرنين السابع والثامن)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص432.

(2) - النويري، نهاية الأدب، ج7، ص34. نقلاً عن الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص430.

(3) - ابن خلدون، تاريخه (التعريف)، م7، ق14، ص947-948. نقلاً عن محمد الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص432.

(4) - الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص623. (ومفادها أن رجلاً اسمه الأخنس بن شريق من جهينة، ترافق مع رجل اسمه حصين بن عمر بن معاوية من كلاب، لكن الأخنس غدر بحصين وقتله، وفي طريق العودة التقى بامرأته فسألته عن حصين، فأخبرها بأنه قتله، فلم تصدق، أنشد أبياتاً منها: تسائل عن حصين كل ركب - وعند جهينة الخير القين).

والجاحظ يطلعنا على بعض رسائل عصره، في كتابه البيان والتبيين، وهذه رسالة إبراهيم بن سيابة إلى يحيى بن خالد البرمكي يقول فيها: « وبلغني أن عامة أهل بغداد يحفظونها في تلك الأيام، وهي ما ترى أولها للأصيد * الجواد، الواري الزناد، الماجد الأجداد، الوزير الفاضل... و اعلم إن كنت تعلم أنه من يَرْحَم يُرحم ومن يَحْرِم يُحرم ومن يُحسن يَغْنَم ومن يصنع المعروف لا يعدم...»⁽¹⁾.

والمثل في هذه الرسالة هو بيت الشعر للحطيئة، الذي صار مثلاً. ونصه:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه = لا يذهب العرف بين الله والناس⁽²⁾ **

العرف: المعروف. ومضمونه دعوة إلى فعل الخير؛ لأن فاعل الخير سوف ينال جزاءه في الدنيا أو الآخرة. كما يقول المثل الشعبي:

« اعمل الخير وانسأه وإذا عملت الشر اتفكروا »⁽³⁾.

و الذي يفعل الخير لا ينتظر الخير ممن استفاد من خيره؛ بل عليه أن ينسأه و ينتظره من الله أولاً، ثم من الناس؛ لأن فعل الخير يجب أن ينتشر بين الناس؛ فأنت أعنت هذا، وهو يعين آخر، وأنت يعينك غيرهما.

5- تأثير الأمثال في الروايات:

وكما أثرت الأمثال الشعبية في الشعر العربي قديمه وحديثه، وفي الخطابة والترسل، فهي قد أثرت ومازالت تؤثر في الإنتاج الأدبي الحديث المتمثل في الروايات.

يرى (بوسماحة عبد الحميد) في كتابه: (الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة)، أن للأدب الشعبي بعدين أساسيين؛ أحدهما تعليمي ينمي أنواعاً من النشاط العقلي والديني والأخلاقي في الإنسان، والآخر جمالي يتمثل في تربية الشعور أو الذوق الفني والترويح عن النفس⁽⁴⁾.

(1) - الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 521.

* - الأصيد: من يرفع رأسه كبرا.

(2) - الحطيئة، ديوان الحطيئة، برواية وشح بن السكيت، دراسة وتويب مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 120.

** جاء في هامش صفحة 120، وقد نال هذا البيت الإعجاب؛ فتمثل به عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - انظر مجمع الأمثال للميداني 162/2. وفي الكامل للمبرد ص341، إنه أمير شعره. وفي الأغاني 172/2. عن أبي عمرو بن العلاء، أنه أصدق بيت قالت العرب.

(3) - الذكرة الشعبية الجزائرية.

(4) - بوسماحة عبد الحميد، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل الجزائرية، د/ط، سنة 2008م، ص103.

أ- الأمثال الشعبية في روايات عبد الحميد بن هدوقة:

وربما على الأساسين السابقين أو انطلاقاً من تأثر عبد الحميد بن هدوقة بثقافة بيئته الشعبية، كان توظيفه لكثير من الأمثال الشعبية في رواياته. « وقد قام المثل الشعبي عنده على الكشف عن أبعاد الشخصيات الشعبية، ومواقفها الأخلاقية والاجتماعية والفكرية من الحياة »⁽¹⁾ فهو قد وظّفه في مواقف متعددة. و من الأمثال التي ضمنها في رواياته أذكر:

1- رواية الجازية و الدراويش: ففيها نجد مجموعة من الأمثال الدالة على قيم ومشاعر متنوعة؛ فالمثل: «الملح ما ايدود»⁽²⁾، مثل يتكون من جملة اسمية واحدة، ساقته الجازية للتعبير عن مشاعرها الثابتة نحو الطيب من جهة، وإظهار وفاء امرأة الريف من جهة أخرى، ولتعبّر به عن التمسك بالأصول. وكل شيء أصيل: من بشر أو جماد أو نبات لا يحيل ولا يتغير بتغير الظروف؛ بل يحافظ على أصالته، عكس المقلد: كقطع الغيار، فهناك الأصلية وهناك المقلدة، كما يقال اليوم (قطع تايوان) عن كل مصنوع مقلد أو مغشوش؛ فهو سريع التلف.

و المثل: «الشجرة لا تهرب من عروقها»⁽³⁾، ساقه بن هدوقة ليدل على ارتباط الجبالي وزوجته بالذرة، وهو مثل يدل على الارتباط بالوطن. و الوطن ليس تراباً نعيش عليه؛ وإنما هو ذكريات من الماضي البعيد، إنه أهل وأحبة، وعادات وتقاليد، وتاريخ مشترك، إنه وسط ملائم لحياة الفرد مع جماعته. فالمثل جسد المعنوي في صورة المحسوس، ولخص المعاني السابقة، في جملة واحدة.

وكذلك المثل: « ماء الجبل ما ايسيل إلى أعلى »⁽⁴⁾ ويقال هذا المثل في منطقة بوسعادة « الواد ما يحمل من ذيلو »⁽⁵⁾. فالوادي له منبع أو مصدر، وعادة يكون في مكان مرتفع، وله مصب، وهو المكان الذي ينحدر إليه الماء (السيل). « تدل الدلالة الأولية في المثلين على ملاحظة الإنسان الشعبي، وتجربته التي اكتسبها من خلال احتكاكه بالطبيعة،

(1) - بوسماحة، المرجع السابق، ص 105.

(2) - عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدراويش (رواية)، د/ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 220.

(3) - المصدر السابق، ص 15.

(4) - المصدر السابق، ص 85.

(5) - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

فهو يعبر بملاحظته الطبيعة عن آرائه حول بعض القضايا الاجتماعية، وارتبط هذا المثل بتعبير الدرويش عن رفضه الزواج بين امرأة الريف، ورجل المدينة، ويدل هذا الرفض على العلاقة بين البيئتين القائمة على الصراع الاجتماعي، والاقتصادي والفكري⁽¹⁾ غير أن هذا المثل يستعمل في منطقة بوسعادة للدلالة على استحالة وقوع حدث من بعض الأشخاص؛ مثل ملاحظة شخص تعود على تلقي الصدقات، ولم يحدث أن تصدّق، فإذا قيل: إن فلانا أعطى أو تكرّم، أو ما شابه ذلك، قيل: هذا المثل، (الواد ما يحمل من ذيلو).

2- رواية ربح الجنوب: وفيها نجد-أيضا- مجموعة من الأمثلة التي وظّفها الكاتب، ومنها: المثل: « جرح الكبد لا يضر إلا صاحبه »⁽²⁾. يرى بوسمache أنه « يدل على تألم الأم- خيرة- من تصرفات ابنتها- نفيسة- حيث ترى أساليب ابنتها في المعاملة انحرافا عن المألوف؛ فهي لا تعد ابنتها كائنا مستقلا، بقدر ما هي في نظرها امتداد طبيعي لشخصها؛ ولذلك تقف عاجزة عن فهم كل ما يصدر عنها، من تمرد عن القيم الموروثة، ما عدا التبرير التقليدي المتمثل في العقوق »⁽³⁾ وكأنها تتمثل ما جاء في الأثر: أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض، فعبارة المثل الوجيزة لخصت معاناتها، وجسدتا للسامع كأنه يراها في جرح الكبد. وفيها نجد-أيضا- المثل: «إذا شَبَعَت الكرش اتَقُولُ للراس غَنِّي لي»⁽⁴⁾ يدل على حالة الجماعة النفسية التي وجدت في الموسيقى الوسيلة التي منحتها القدرة على التعبير بالحركة الحيوية، على حاجتها إلى الفرار من رتابة البادية وركودها بسبب قسوة الطبيعة، وظلم الإقطاع. و هو مثل يضرب لمن لا تفكير له إلا في نفسه؛ فإذا لُبِّيت مطالبه، نسي غيره، بل نسي مستقبله، لأن تفكيره منصب على اللحظة الحاضرة. والمثل يصور تفكير بعض الناس وتصرفاتهم.

وكذلك المثل: «لا تمشي الأرجل إلا حيث أيهَب القلب»⁽⁵⁾ ويقال في منطقة بوسعادة: « تَمْشِي الرَّجُلُ وَيْنِ أَيَهَبُ الْخَاظَرُ ». وهو يُفصح عن العلاقات الإنسانية بين البشر في

(1) -بوسمache، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص106.

(2) - عبد الحميد بن هدوقة، ربح الجنوب(رواية)، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط4، سنة1980م، ص28.

(3) - بوسمache عبد الحميد، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص197.

(4) -بن هدوقة، ربح الجنوب(رواية)، ص57.

(5) - المصدر السابق، ص31.

الريف، وتساهم القيم في توجيهها، إذا يقوم بعضها على إرضاء المصالح المحدودة، ويرتبط بعضها الآخر بالخير. ودلّ هذا المثل في الرواية على شخصية العجوز-رحمة- التي تميّزت بالعطف، والتطلّع إلى العمل الصالح بتقديم النصائح والإرشادات للناس، ومنهم عائلة ابن القاضي. وهذا المثل في منطقة بوسعادة، يدل على علاقة الحب بين المتواصلين، هذه العلاقة لا تربطها مصالح مادية، وإنما تربطها عواطف ودية بحتة.

3- رواية نهاية الأمل: ضمنها الكاتب مجموعة من الأمثال الشعبية أذكر منها: المثل: «**اللي خاف اسلم**»⁽¹⁾، «وهو عبارة عن نصيحة الأب أو الأم الحنون، يوصيان بذلك أولادهما بالاحذر والتريث حتى يتفادوا الأخطار والكوارث»⁽²⁾، وكشف هذا المثل طبيعة العلاقة بين بن الصخري والسكان في ظل الوضع الإقطاعي السائد في الريف؛ حيث يسيطر ابن الصخري على الثروة والسلطة، ويلجأ غالبا إلى استعمال العنف من أجل حماية امتيازاته. وقد أدّى هذا السلوك إلى تكريس الصمت، والخوف بين أفراد القرية الذين شعروا بالظلم والاستغلال؛ ولكنهم عجزوا عن تشكيل فعل ثوري يمكنهم من الانتقال إلى حياة أفضل. وعندما يُظهر أحدهم ضجره، أو تبدو عليه مظاهر الاحتجاج ينصحه بهذا المثل. كي لا يعرض نفسه للانتقام. ويسود هذا المثل أو معناه بين الشعوب التي تحكمها الدكتاتوريات. ويضاف إلى هذا المثل في منطقة بوسعادة: (**اللي خاف اسلم، واللي اسلم سَدَتْ أَيَّامُو**) فإذا سلم الإنسان من الأذى عاش سعيدا. فالجزء الثاني نتيجة للجزء الأول.

أما المثل: «**يد الزائر في يد المزار**»⁽³⁾، فمعناه «أن الضيف يترك أمره لمضيفه، يخدمه ويستجيب لطلباته؛ لأن المزيد من العناية بالضيف ناتج عن المزيد من الكرم»⁽⁴⁾ فالمثل تضمّن قيمتين: إكرام الضيف والعناية به، كما أنّ هذا المثل يقوله الزائر عندما يُسأل؛ ليشعر المزار بأنه ليس من حقه أن يشترط مكان الجلوس، أو نوع الأكل، أو وقته... كل هذه الأمور تُترك للمزار أي المضيف صاحب الدار.

(1) - عبد الحميد بن هدوقة، نهاية الأمل (رواية)، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، سنة 1978م، ص208.

(2) - رابع خدوسي، موسوعة الجزائر في المثل الشعبية، ص140.

(3) - بن هدوقة، نهاية الأمل (رواية)، ص27.

(4) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص113.

والمثل: « **اللي في عُمرُو مدّة ما تُقْتَلُو شِدّة** »⁽¹⁾، يدل على أن الإنسان الذي كتب الله له أن يعيش مدّة طويلة، لا تقتله شِدّة مرض أو أزمة طارئة؛ « ومعنى ذلك أن المشاكل والصعوبات العارضة التي نواجهها لا توقف عجلة الزمن عن الدوران »⁽²⁾، « ويكشف هذا المثل الشعبي الشعور باليأس الذي دفع العجوز (ريحة) إلى التعلل بالقضاء والقدر، بسبب حالة البؤس التي منعته من إنقاذ فريدة من الموت »⁽³⁾. وغالبا ما يقال هذا المثل عند عيادة المريض، لبعث الأمل في نفسه بالشفاء. أو يقال لمن اعترضته مشاكل أو أزمت اقتصادية أو اجتماعية، تطمينا له، وإشعاره بالفرج القريب.

ب- الأمثال الشعبية في رواية - اللاز - للطاهر وطار:

الطاهر وطار من الأدباء الجزائريين الذين ضمّنوا رواياتهم الأمثال الشعبية؛ ففي رواية - اللاز - بلغ عدد الأمثال الشعبية بها أحد عشر مثلاً، يكرر توظيفها أحيانا في حوارات شخصيات الرواية، لما لها من أهمية في التبليغ والتعبير، وبالتكرار يبلغ العدد تسعة وعشرين مثلاً.

يرى عبد المالك مرتاض: « أن الأمثال التي وردت في نص -اللاز- وظُفّت توظيفا فنياً لائقاً بمقامها، ملائماً في معظم الأطوار لموقعها في الخطاب: سواء أكان سرداً أم حواراً. و واضح أن ورود هذه الأمثال كان في الحوار أكثر من السرد. وذلك كيما يتلاءم مع المستوى الثقافي للشخصيات المستشهد بها، وقد كانت في معظمها أمية أو شبيهة بذلك »⁽⁴⁾ كما يرى أن الأمثال المذكورة قد تناولت أحد عشر موضوعاً أو فكرة⁽⁵⁾ هي:

الموضوعات أو الأفكار	الأمثال التي تمثلها	التهميش
1-البقاء للأصلح	ما يبقى في الواد غير حجاره	الطاهر وطار، اللاز، ص35-43...
2-الاختيار	الشامي شامي والبغدادي بغدادي	اللاز، ص39

(1) - بن هدوقة، تحاية الأمس، ص165 .

(2) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص12.

(3) - بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، ص112.

(4) - عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د/ط، سنة 1984م، ص36.

(5) - ينظر: المصادر السابق، ص-39 - 50.

3-التجربة	اسأل مجرب ولا تسأل طبيب	اللاز، ص 28_34
4-المصادفة	كي تُجي تجيبها شعرة، وكي اتروح تقطع السلاسل	اللاز، ص 94-
5-عدم التبذير	اعطيها بالدين، وما اتلوحهاش في الطين	اللاز، ص 16
6-التزهيد في غير المجدي	لوكان يحرث ما يُبيعوه	اللاز، 16
7-التشاؤم	أزرق عينيه، لا تحرث ولا تسرح عليه	اللاز، ص 142-148
8-تأثير الزمن في تغيير الرأي	الدوام يثقب الرخام	اللاز، ص 220
9-التفكير في العواقب	زواج ليلة تدبيره عام	اللاز، ص 19
10-الحاجة مجلبة للمذلة	النخالة تجلب الكلاب	اللاز، ص 68
11-حدوث المحتوم	مذبوح للعيد، و الا للعاشورا	اللاز، ص 94

أما لبيان دلالات الأمثال التي وردت في الرواية فتم الاختصار على ثلاثة منها

المثل الأول: « ما يبقى في الواد غير حجاره ». والوادي هو مجرى مياه الأمطار عادة؛ وإذا جلى الوادي؛ فإنه يجرف معه كل ما يصادفه في طريقه كالأشجار والأخشاب. وقد يلقي في الوادي بعض ما لا يحتاجه الإنسان، وقد يجرف معه بعض أثاث من يسكنون بجواره، وقد تترسب بعض الأشياء على جنباته، وقد يجيش مرة ثانية ويكون أقوى، فيحمل كل شيء إلا حجارته، تتشبث بموقعها فيه؛ لأنها منه.

وقد كُرر هذا المثل في نص رواية - اللاز - ثلاث عشرة مرة، واستشهد به من دون سواه ثلاث شخصيات هي: اللاز، وحمو، و زيدان. والغاية من توظيف هذا المثل، هي البقاء

للمثل، وأن الحق لا بدّ أن يدمغ الباطل، وأن الأصالة الثورية هي التي تفوز في نهاية المطاف فوزاً محققاً⁽¹⁾

وأرى أن السارد أراد من تكرار هذا المثل، أن يركز على حتمية اندحار الاستعمار وبقاء أهل الأرض الأصليين؛ لأنهم هم أصحاب الحق، هم الصبح، « سيأتي يوم، ولا يبقى في الوادي إلا الحجارة، إلا الصبح، إلا الحق »⁽²⁾؛ لذلك جعل هذا المثل كلمة السر، يردها الثوري ثلاث مرّات؛ ليتعرف عليه أخوه المناضل.

و عند العامة، يضرب هذا المثل ليدل على الارتباط بالأصل، أو الوطن، أو القيم، أو الدين. لأن كل من يصطنع أفعالا، أو يتظاهر بصفات، فسرعان ما تزول، وتعود الأمور إلى أصلها. و مثال ذلك: لو مرض أحد أفراد الأسرة، فلا شك أن يهبّ كثير من الناس لمساعدته في بداية الأمر؛ غير أن هذه المساعدة تكون ظرفية؛ لأنه عندما يطول به المرض يتخلّى عنه الناس إلا الخاصة من أقاربه. ولذلك قيل: « اللحم إذا انتنّ ليّه أماليه »⁽³⁾ أي أهله، وهو كناية عن وجوب تولّي الأقارب (الأصول، الفروع، الحواشي..) شؤون من تعرض لصعوبات، أو مشاكل مهما كان نوعها.

المثل الثاني: « كي تجي تجيبها شعرة، كي تروح تقطع السلاسل »⁽⁴⁾.

وقد كرّر مرتين، مرة استشهد به قدور حين رضيت عنه حبيبته، فقدمت له الشاي ليرتشفه على مقربة من باب دارها، كما استشهد به اللاز في مناجاة له داخلية. [استعمل عبد المالك مرتاض الفعل ليحسّوه، مع أن الطاهر وطار استعمل الفعل ليرتشفه؛ وأراه الأصح]. ويرى عبد المالك مرتاض: « أن هذا المثل يجسّد بعدا اعتقادا شعبيا عميقا؛ حيث كثير من الناس يؤمنون بالحظ والمصادفة. والنص هنا يوظف هذا المثل فعلا، بمثل هذا المعتقد الشعبي القائم على الإيمان بمفعول المصادفة؛ وذلك أننا نُعِنَت النفس إعاناتا شديدا في سبيل نيل غاية من الغايات دون تحقيقها؛ على حين أن السعادة حين تُرخي أذيالها، وترسل سربالها، تبتسم لنا على بغتة، تراها تُقبِل دون عناء، وترضى بدون عنت. أما

(1) — ينظر: عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، ص39.

(2) — الطاهر وطار، اللاز (رواية)، ص37.

(3) — الذكرة الشعبية، في منطقة بوسعادة.

(4) — الطاهر وطار، اللاز (رواية)، ص25.

التصديقون والمؤمنون من الناس، فيَعُدُّون مثل ذلك ببساطة قضاء وقدرًا، ويستريحون، فلا أحد ينال إلا ما سطر له في اللوح، وكتب عليه في الكتاب»⁽¹⁾

أما قصة المثل في المخيال الشعبي، كما رواها لي الشيخ الدخيلي⁽²⁾ - رحمه الله - فتعود إلى زمن هارون الرشيد مع البرامكة، حيث أن أحد الحكماء تنبأ للأمير برمكي قائلاً: ستهان وتذل وتفتقر في سبع سنين، فاختار الأمير أن يقضيها في الصغر، فحمل بغلته كنوزاً من الذهب، وبكل ما يتزود به، وغادر قصره، متجهاً إلى الصحراء، وفي طريقه صادف بركة، فقدم بغلته لتشرب؛ فلاحظ أرجلها بدأت تغوص في البركة، حاول جرّها وإنقاذها إلا أنّ اللجام والسلاسل قطعت، وغاصت، فترك البركة وانصرف هائماً في الصحراء، عمل أعمالاً شاقة. ولما انقضت السنون السبع، عاد أدراجه من حيث أتى، وعندما وصل البركة انكب على الماء ليشرب، فصادف شعرة، جذبها ليزيلها من مشربه، وكلما جذبها ثقلت في يده؛ حتى خرجت البغلة بكامل حملها. ففيل المثل.

وهو مثل يدل على وجوب الأخذ بالأسباب، (جذب الشعرة)، وترك الباقي على الله، أي على الإنسان المؤمن أن يتوكل على الله في كل أعماله؛ وذلك بالعمل الجاد، أما النجاح وتحقيق المبتغى فيتولاه العليم القدير. وهذا يخالف المثل: «اخدم يا التاعس للناعس»⁽³⁾.

الذي أورده عبد المالك مرتاض في هذا السياق؛ لأنه مثل يحث على الكسل، وعلى عدم الأخذ بالأسباب، وترك الأمر للخالق، وهذا ما يسمى بالتواكل.

وقصة هذا المثل⁽⁴⁾ : أن أحدهم كان جادا في العمل، وكان بخيلاً، وكان يخزن كل المال الذي يدره عليه عمله في جذع شجرة خاوية، أما الآخر فكان دائم النوم، وعيشه على زوجته التي تكد وتتعب. وفي أحد الأيام نزل المطر وجلخ الوادي، فطلبت المرأة من زوجها الناعس أن يخرج إلى حاشية الوادي، ليلتقط بعض الأخشاب التي يرمي بها الماء، فخرج ووجد جذع شجرة، فجرّه إلى خيمته، ولما شقه وجد بداخله مخزون ذلك الشقي التاعس. ففيل هذا المثل: اخدم يا التاعس للناعس.

(1) - عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، ص 41.

(2) - الشيخ الدخيلي حليتم مرجع سبق ذكره.

(3) - عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، ص 41.

(4) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

المثل الثالث: «النخالة تجلب الكلاب»⁽¹⁾. ويقال بصيغة أخرى: (القمح الّ لحباب، والنخالة الّ لكلاب)⁽²⁾ النخالة هي قشور حبات القمح بعد طحنه، وغربلته، ليفصل الدقيق عن النخالة، وهذه النخالة تجلب حاليا من المطاحن، وتباع لمربي المواشي، وقديما، كانت تعجن وتخبز للكلاب، كلاب مربي المواشي، فهي غذاؤها، وهي التي تشدهم، وتجلبهم إلى بيوت أصحابها.

ويضرب المثل لتشبيه حالة بعض الناس في تهافتهم على المال، ولو كان زهيدا، و دوسهم على شرفهم مقابل ذلك، بحالة الكلاب، وانجذابها إلى هذه النخالة. هذا المثل ساقه السارد على لسان الضابط الفرنسي. ويرى عبد المالك مرتاض أنه يترجم الطوية الخبيثة لهذا الضابط المغرور، ترجمة صادقة؛ وذلك قياسا على ما عرفناه من سلوك رجال الاستعمار ورؤوسهم منذ أن أُلِّمُوا على الجزائر إلى أن غادروها مكرهين؛ إلا أنه لا يتلاءم مع واقعية الشخصية التي اصطنعتها؛ من حيث لم تك إلا فرنسية لا تتقن العربية بله الآداب الشعبية، فتضرب الأمثال وترسلها في المواقف؛ فهي سقطة لا تلائم، في رأيينا على الأقل، اللغة الفنية التي كانت تصطنعها شخصية الضابط الفرنسي⁽³⁾.

غير أنني أرى أن السارد عندما أجرى هذا المثل على لسان ضابط فرنسي، لم تكن سقطة منه؛ بل تُقْبَل على إحدى الطريقتين: إما أن يكون الضابط الفرنسي قد درس الثقافة الشعبية الجزائرية، ليتعرّف على الحياة النفسية والاجتماعية لهؤلاء الأهالي؛ فيسهل اقتيادهم والتعامل معهم. كما ذكر الدكتور عبد الحميد بورايو في دراسته، التي أشار فيها إلى أن الاهتمام بالثقافة الشعبية الجزائرية، قد بدأ منذ الربع الثاني من القرن التاسع عشر، من قبل ضباط فرنسيين؛ قاموا بتسجيلها من أفواه أهلها، وحلّلوها ودرسوها، عن طريق أكثر المناهج استجابة للغرض النفعي المقصود من طرف الإدارة الاستعمارية؛ وهو إحكام السيطرة على الأهالي⁽⁴⁾.

(1) - الطاهر وطار، اللاز(رواية)، ص68.

(2) -الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(3) -عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، ص48.

(4) - ينظر: عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، د/ط، سنة 2007م، صص8-20.

وإما أن يكون الكاتب يعبر بالمثل على لسان حال الضابط الفرنسي الذي كان يحتقر الجزائريين، ويتعالى عليهم، ويعتقد أنه يستطيع شراءهم بالمال الزهيد؛ لأنهم في حاجة إلى هذا المال، وبالتالي لا يعيرون أي اهتمام للعزة أو الشرف، فحالهم هذه كحال من يعبر عنهم المثل.

ج- الأمثال الشعبية في روايات نجيب محفوظ:

لم يقتصر توظيف الأمثال الشعبية على روايات الأدباء الجزائريين؛ بل هو موجود عند غيرهم؛ فها هو نجيب محفوظ، وهو من أشهر الروائيين المصريين قد ضمن أغلب رواياته الكثير من الأمثال الشعبية؛ فهي موجودة في ثمان وعشرين (28) رواية من أصل خمس وثلاثين (35). حسب دراسة: سعيد شوقي محمد سليمان، في كتابه: توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، وبلغ عددها مائة وستة وستين (166) مرة. وهذا نموذج مما وظفه نجيب محفوظ:

ففي رواية: «زقاق المدق، نجد المثل: «يتمسكن حتى يتمكن»، يدل على أن السامع «ليعجب لرقه محدثه، ولطفه حتى ليحسبه الجاهل صديقا ودودا وهو في الحقيقة نمر يتوثب، يتمسكن، ويتمسكن حتى يتمكن، والويل لمن يتمكن منه»⁽¹⁾ وفي الرواية نفسها نجد المثل: «كول ما يعجبك والبس ما يعجب الناس»⁽²⁾، ومعناه المباشر يتعلق بالأكل الخاص بالشخص نفسه، لأنه هو الذي يتذوقه، وهو الذي يضره أو ينفعه؛ أما اللباس، فإنه يتعلق برؤية الآخرين فيجب أن يكون ساترا نظيفا، ملائما للذوق العام، فلا يمكن أن يسير الإنسان مثلا بلباس السباحة في الشوارع العمومية. أما المعنى الذي يستفاد في بعض السياقات فإنه يدل على بعض التصرفات، أو الأقوال التي يجب أن تكون ملائمة في بعض المواقف. و مما يلاحظ أن المثلين متداولان بين أفراد المجتمع الجزائري بالصيغة نفسها. ودلالاتهما مباشرة و واضحة.

ويرى سعيد شوقي محمد سليمان: أن نجيب محفوظ يستدعي لغة المثل الشعبي في كثير من الأحيان - في السرد والحوار دون تسمية، أو إشارة إلى كونها مثلا، «ولكن يخرطها

(1) - نجيب محفوظ، زقاق المدق (رواية)، دار مصر للطباعة، القاهرة، د/ت ص 70.

(2) - المصدر السابق، ص 74.

في أسلوبه خرقا، دون فاصل أو توضيح، وفي بعض الأحيان يحدد تسميتها بالمثل: قالوا في الأمثال، على رأي المثل، يقول المثل، والمثل القائل، وفي أحيان يحدد أنها قول فقط، مثل: وقالت المرأة لنفسها. أو يسميه غمغمة، أو غمغمة سافرة»⁽¹⁾

ومن هنا نلاحظ أن توظيف نجيب محفوظ للمثل في رواياته، وكذلك الطاهر وطار، وعبد الحميد بن هدوقة، يشبه استعمال المثل في اللغة الشفوية، في الحياة اليومية عندنا في الجزائر.

يقول سعيد شوقي: «وربما وضح للكاتب في رواياته التاريخية، أن استخدام المثل الشعبي - بما يحمله من دلالات شعبية، في السرد الروائي أو على السنة الشخوص - يمكن أن يخرج بالجو الروائي من التاريخية، التي تظهرها اللغة المحددة، غير المحملة بدلالات مسبقة، إلى المعاصرة، التي تظهر في استخدام المثل الشعبي، بما يحمله من حس شعبي»⁽²⁾

و استعمال الأمثال الشعبية في روايات هؤلاء الأدباء يدل من جهة - دلالة واضحة على انتمائهم للبيئة الشعبية، كما يدل على تأثرهم بثقافتها، وتأثيرها في إنتاجهم. فالمثل الشعبي تفرضه الطبيعة الفنية للغة الروائية، بقدر ما تفرضه الطبيعة التكوينية للغة الكاتب، بالإضافة إلى قصدهم إعطاء بعد شعبي للشخوص في رواياتهم، لأن الأمثال الشعبية ترتبط غالبا بالجانب الاجتماعي.

وبدل هذا التوظيف من جهة أخرى على أهمية الأمثال ودورها في حياة الناس. يلاحظ مما سبق، أن الأمثال الشعبية وظّفت في أهم أشكال الأدب، قديما في الشعر والخطابة، والترسل وحديثا في الروايات. وقد وظفها أكبر الشعراء والخطباء والروائيين. «ولا مرأ في ذلك؛ إنها كما يقول العرب: "المنارات التي تضيء الخطب". بالاستعانة بمثل يتم إسكات ثرثار، وإنعاش محادثة، والتوليف بين القلوب، واجتتاب الخطب الطويلة، وتوبيخ ضال وتفنيد حجة و إصلاح خطأ والاستجابة لدعوة»⁽³⁾.

(1) - سعيد شوقي محمد سليمان، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ط1، القاهرة، إتراك للنشر والتوزيع، سنة 2000م، ص-ص 338-340.

(2) - المرجع السابق، ص-ص 341-342.

(3) - محمد ابن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، ص13.

ثانيا - تأثير الأمثال الشعبية في المجال النفسي:

لا ريب أن الكثير من المكونات النفسية يمكن تلمسها في شخصية الفرد من خلال تصرفاته، أو من خلال تغيرات تظهر على وجهه أو على أجزاء من جسمه، أو من خلال كلامه في مختلف المواقف. و ملامح الشخصية هذه يمكن أن تكون فردية، تختلف من فرد إلى آخر في المجموعة نفسها، وقد تكون جماعية؛ أي أن يكون تعبير الجماعة بالأسلوب نفسه، الذي يعبر به الفرد. و مادام هناك اختلاف ملاحظ بين الأفراد والجماعات في سمات الشخصية؛ فلا شك أنه بتأثير خارجي؛ لأنه لو كان فطريا لما كان هناك اختلاف؛ هذا المؤثر الخارجي يتمثل في الثقافة.

أثر الثقافة في سمات الشخصية:

لقد قسم فرويد الحياة النفسية ثلاثة أقسام أو (مناطق).

- 1_ الهو (id(fr:le ça): هو كل موروث يظهر مع الميلاد، أو كل ما هو مثبت بالجلبة، أو هو مجموع الدوافع والغرائز الفطرية؛ التي تحتاج إلى إشباع.
- 2_ الأنا (ego(fr:le moi): ويمثل ما يطرأ على جزء من الهو، بتأثير العالم الخارجي؛ أي هو ما يتوسط الهو والعالم الخارجي، وهو الذي يسيطر على الحركات الإرادية؛ ليحدث التوازن المطلوب بين الدوافع والغرائز الفطرية، وبين العالم الخارجي.
- 3_ الأنا الأعلى (super ego(fr:sur moi): ويمثل رواسب تأثير الوالدين وما يصاحب ذلك من عادات وتقاليده؛ أي ما يتلقاه الأنا الأعلى للطفل -إبان تطوره الفردي- من إضافات جديدة من خلفاء الوالدين، ومن يقوم مقامهما كالمعلمين والشخصيات البارزة، في الحياة العامة، والمثل العليا الموقرة في المجتمع.

ومن ثمة تكون الأنا مصيبا في فعله إذا استطاع إشباع مطالب الهو، والأنا الأعلى والواقع، في نفس الآن. ومن البين أن الهو والأنا الأعلى - على تباينهما الأساسي - يتفقان في أنهما يمثلان الماضي؛ فالهو يمثل آثار الوراثة، ويمثل الأنا الأعلى -في جوهره- ما أخذ

عن الآخرين أمّا الأنا فمُحدد - في المحل الأول- بما يخبره بالذات؛ أي الأحداث العرضية الفعلية⁽¹⁾.

فرويد بتقسيمه هذا، يشير إلى أثر الثقافة في تكوين شخصية الفرد. هذه الثقافة التي تأتي بعد ولادة الطفل، وليس معه؛ «غير أن نظرية التحليل النفسي لديناميات الشخصية تعتبر الهو والأنا و الأنا الأعلى، جوانب من الشخصية، تشترك في الصراع. ذلك أن الهو غير عقلاني مندفع، يسعى للإشباع المباشر؛ بينما يؤجل الأنا الإشباع؛ بحيث يمكن تحقيقه على نحو مُرض، وبطرق يقبلها المجتمع؛ أما الأنا الأعلى فيفرض دستوره الخلقى»⁽²⁾. وللتدليل على أثر الثقافة على الشخصية، قدّم الدكتور أحمد بن نعمان عيّنة من الدراسة التي قامت بها (روث بنيديكت) في كتابها: - نماذج من الثقافة- الذي بينت فيه بوضوح موضوع الأنثروبولوجيا النفسية، والمنهج العلمي الذي يجب تطبيقه في دراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية.

فقد قامت هذه العالمة بدراسة تحليلية مقارنة لثقافة ثلاث مجموعات من قبائل الهنود الحمر؛ استنتجت من خلالها أن كل ثقافة من تلك الثقافات قد طبعت الأفراد الواقعين في مجموعتها بسمات معيّنة؛ يتميز بعضها بالعنف وشدة الانفعال، ويتميّز البعض الآخر (على عكس منها) بالاتزان، وقلة الانفعال. و قد ربطت بين تلك السمات الظاهرة في شخصيات تلك القبائل، والأنماط الثقافية لدى كل منها، بالنسبة لطرق تربية الأطفال، وطرق العقاب المتبعة في تلك النظم...⁽³⁾

وقبل أن يقول هؤلاء أو يكتشفوا أثر الثقافة في تكوين الشخصية، أو تكون الاتجاه الديني والعاطفي لدى الإنسان، قالها القرآن في الآية الكريمة: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾⁽⁴⁾، وفي تفسير البغوي⁽⁵⁾ : على أمة، على دين وملة. قال مجاهد: على إمام. ﴿إنا على آثارهم مهتدون﴾، جعلوا أنفسهم باتباع آباءهم مهتدين. وفي

(1) - ينظر: سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود، وعبد السلام القفاش، جمعية الرعاية المتكاملة، مصر، سنة 2000، ص-ص 25-28

(2) - جابر عبد الحميد جابر، وآخرون، مقدمة في علم النفس، دار النهضة العربية، مصر سنة 1985م، د/ط، ص 326.

(3) - أحمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع الجزائر، ط2 سنة 1997م، ص 39.

(4) - سورة الزحرف، آية 22.

(5) - البغوي، تفسير البغوي، ج 7، ص 201.

ظلال القرآن ، ل سيد قطب: «إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد، بلا تدبر ولا تفكر، ولا حجة ولا دليل، وهي صورة مزرية تشبه صورة القطيع؛ يمضي حيث هو منساق، ولا يسأل أين يمضي، ولا يعرف معالم الطريق..»⁽¹⁾ وفي هذا دلالة على تمسكهم بثقافة آبائهم الدينية و الاجتماعية.. وتكذيبهم للرسول. كما أن الحديث النبوي، عن أبي هريرة؛ أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة*، فأبواه يهودانه و ينصرّانه و يمجّسانه، كما تُتَنَجّ البهيمةُ بهيمةً جمعاء. هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة وقرأوا إن شئتم: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله..﴾»⁽²⁾ يشير الحديث، إلى أن الأصل في الإنسان هو الإيمان بالله المعبر عنه بالفطرة، والتي يوحى أصلها اللغوي بأنه شيء خلق مع الإنسان وركب فيه كما يركب سائر أعضائه، والإنسان يخرج عن مقتضى فطرته بمؤثرات خارجية من تربية، وثقافة الوالدين، أو من يقوم مقامهما، كالمعلمين والبيئة، في تكوين شخصية الفرد واتجاهه الديني والعاطفي، وسلوكه الاجتماعي. وقد مثّل الرسول - صلى الله عليه وسلم - لحالة الإنسان حين ولادته على الفطرة بحالة البهيمة، جمعاء، أي مجتمعة الأعضاء، سليمة من نقص، لا توجد فيها جدعاء - بالمد - وهي مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء، ومعناه أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث الجذع والنقص بعد الولادة. أي إذا كبرت قطعوا آذانها أو شقوا أنوفها - قصد تمييزها - أو غيّروا خلقتها، فكذلك ما يتعرض له الإنسان من انحراف في فطرته، هو بتأثير خارجي. فلو قدر أن إنساناً نشأ وتربى وحده، دون مؤثر خارجي، لنشأ مؤمناً عارفاً بالله.

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1995م، ج5، ص24، ص3182.

* الفطرة: هي ما ركز في النفوس من الإيمان بوجود الله، والاعتراف بربوبيته، وقيل : الاستعداد والقابلية لقبول خطاب الإيمان. جمعاء: سالمة من العيوب، جدعاء: مقطوعة الأذن.

(2) - سورة الروم، آية 30.

(3) - مسلم، صحيح مسلم مجلد 8، ج16، ص169.

مظاهر المكنونات النفسية:

يخالف محمد قطب غيره في كيفية التعرف على المكنونات النفسية؛ فيقول: «فليس علم النفس وحده هو الذي يتحدث عن النفس، وليس حديثه هو أصدق حديث؛ وإنما الفن والأدب والاجتماع والتاريخ.. والحياة الواقعية بأكملها.. هي الحديث الصادق عن النفس؛ لأنها تتحدث عنها في بيئتها الطبيعية... بيئة (الحياة) ولا تنشئ لها بيئة مصطنعة لحيوانات المعمل الموضوعة تحت الاختبار»⁽¹⁾.

نستشف من قوله هذا، أن المكنونات النفسية يمكن أن تظهر في ما أنتجه أو ينتجه الإنسان أو يخلفه من أثر قول أو فعل. والأمثال جزء من الأدب الذي أنتجه الفرد وصقلته الجماعة. ومن عبّر به في المواقف المختلفة تعبيراً صحيحاً؛ دلّ ذلك على فهمه و تربيته لفحواه، كما دلّ على اكتسابه ثقافة شعبية؛ كما يدل استعمال المثل على التزام الفرد باتجاه معين، وهو ما قد يوحي بأن استخدام المثل في قياس القدرة على الفهم المجرد، تتدخل فيه عناصر نفسية متعددة: من مزاجية وانفعالية و خلقية.. ولعل هذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿...فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول﴾⁽²⁾ جاء في التفسير: أي لا بد أن يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بفلتات ألسنتهم؛ فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر⁽³⁾. و الآية جاءت بخصوص المنافقين، ففي التفسير المنير: لحن القول: أسلوبه ومعناه، أو إمالاته عن وجهه الصريح إلى التعريض والتورية؛ فإذا تكلموا عندك { أي المنافقون } عرّضوا بما يعيب أمر المسلمين..⁽⁴⁾

أما معنى، كلمة: اللحن، في لسان العرب، فقد ذكر لها ستة معانٍ: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفتنة، والتعريض، والمعنى.

1_ اللحن الذي هو الخطأ في الإعراب، يقال منه: لحن في كلامه، بفتح الحاء، يلحن لحناً فهو لحن، ولحانة، وقد فسّر البيت التالي:

منطق صائب وتلحن أحيا == نا، وخير الحديث ما كان لحناً.

(1) - محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، د/ط، دار الشروق، بيروت، 1974م، ص11.

(2) - سورة محمد، آية 30.

(3) - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، موسوعة الرسالة، دار المؤيد، ط3، سنة 2005، ص789.

(4) - وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1 سنة 1991م، ج26، ص 112.

وهو لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، بهذا المعنى أي الخطأ - في أحد وجوهه - وبالفتنة في الوجه الثاني، وبالتعريض في الوجه الثالث.

2_اللحن: الذي هو اللغة، كقول عمر - رضي الله عنه -: «تعلّموا الفرائض والسنن واللحن كما تعلّمون القرآن». يريد اللغة، وجاء في رواية تعلّموا اللحن في القرآن كما تتعلمونه، يريد تعلّموا لغة العرب، بإعرابها. و قال الأزهري: معناه تعلّموا لغة العرب في القرآن واعرّفوا معانيه كقوله تعالى: ﴿ولتعرّفنهم في لحن القول﴾ أي نحو القول، دل بهذا أن قول القائل وفعله يدلان على نيته، وما في ضميره، وقيل: في لحن القول، أي في فحواه و معناه.

3_اللحن: الذي هو الغناء وترجيع الصوت والتطريب. شاهدته قول يزيد بن النعمان:

لقد تَرَكْتُ فؤادَكَ مستجَبًا == مُطَوَّقَةً على فَنَنِ تَغْنَى

يَمِيلُ بها، وتَرْكِبُهُ بِلَحْنٍ، == إذا ما عَنَّ للمحزون أَنَا

فلا يَحْزُنُكَ أَيَّامٌ تَوَلَّى == تَذَكَّرُهَا، ولا طَيْرٌ أَرْنَا

4_ اللحن: الذي هو الفتنة. يقال منه: لحت لحنا، إذا فهمته وفطنته، وقد حمل عليه قول مالك بن أسماء كما تقدّم: وخير الحديث ما كان لحنا. و منه قوله - صلى الله عليه وسلم -

«لعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته» أي أفطن لها وأحسن تصرفاً

5_ اللحن: الذي هو التعريض والإيماء، وشاهده. قال القتال الكلابي:

ولقد لَحْنْتُ لكم لكيما تَفْهَمُوا== وَوَحَيْتُ وَحِيًّا ليس بالمُرْتَابِ

ويقال: جعل كذا لحنا لحاجته، إذا عرّض ولم يُصرّح. وقيل: كأن اللحن في العربية راجع إلى هذا؛ لأنه العدول عن الصواب.

6_ اللحن: الذي هو المعنى والفحوى. كقوله تعالى: ﴿ولتعرّفنهم في لحن القول﴾ أي في فحواه ومعناه، وروى المنذري عن أبي الهيثم أنه قال: العنوان واللحن واحد، وهو العلامة

تشير بها إلى الإنسان لِيَقْطُنَ بها إلى غيره. تقول لحن لي فلان:

وتعرف في عنوانها بعض لحنها == وفي جوفها صمعا تحكي الدواهي⁽¹⁾

قد يدخل استعمال الأمثال في معاني «لحن القول»، في الحديث العادي

(1) - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص-ص 380-382.

بين متخاطبين، أو في الحديث الرسمي في مواقف الخطابة وغيرها، ويُفهم منه في بعض الأحيان نفسية المتحدث، وتوجُّهه النفسي، وتوجيهه المقصود، بالتلميح لا بالتصريح. والأمثال مرآة النفس، كما قال الحكيم الترمذي في مقدمة كتابه: الأمثال من الكتاب والسنة⁽¹⁾. وهذا الوصف للأمثال يبيِّن دلالتها النفسية، ومن فُهم دلالات الأمثال وتدبرها سماه الله تعالى في كتابه عالماً؛ لقوله: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾⁽²⁾.

وللأمثال تأثير كبير على نفوس الناس؛ فهم يثقون فيها ثقة عمياء، كما قال "حنفي بن عيسى": «.. فقد صرنا في العصور الحديثة نمنح الكلمات ثقة مطلقة، ولا نفكر أحيانا في مضامينها؛ فأكثر الناس مثلاً يثقون بصحة الأمثال الشعبية، أو أقوال الحكماء من الشعراء؛ لذلك نراهم في بعض المواقف يطلقون الأحكام جزافاً. فعوض من أن يدرسوا الموقف، ويتفهّموه على حقيقته، نجدهم يفسرونه لك بكلمات مأثورة أو بيت من الشعر»⁽³⁾. وبهذا فالأمثال قد تسهم في تكوين الاتجاهات الفردية والجماعية، وتثبيتها لفترات طويلة، بفضل تأثيرها على النفس و تداولها .

والاتجاه Attitude: «يدل على توجه الفكر، والاستعدادات العميقة لوجودنا - اللاشعورية على الغالب- التي تقود تصرفنا. ويدل أيضاً على الوضعيات الجسمية والسلوكات الاجتماعية- الاتجاه الإحساني مثلاً - كما يدل على الحالة الذهنية، كحالتنا أمام بعض القيم: - قيمة الجهد و قيمة المال... فالاتجاه هو إذن على وجه الضبط حالة ذهنية تهيئ للعمل، قادرة على أن تجنّد كل منابع الشخص تبعاً للوضع...»⁽⁴⁾

وترى الدكتورة نبيلة إبراهيم الرأي نفسه في أثر الأمثال على نفوس الأفراد؛ حيث تقول: «إننا نعيش جزءاً من مصائرنا في عالم الأمثال. ولعلّ هذا يفسر لنا استعمالنا الدائم للأمثال، على عكس الأنواع الشعبية الأخرى مثل: الأسطورة والحكاية الشعبية والألغاز وغير

(1) - أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، الأنترنت 000680-pdf-000680 www.al-mostafa.com

(2) - سورة العنكبوت، آية 43

(3) - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1980م، ص180.

(4) - نوربير سيلاهي، بمشاركة مائة وثلاثة وثلاثين اختصاصياً، المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2001م، ج5، ص2118.

ذلك. فالأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ، نركن إليه حينما نود أن نتجنب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا. ونحن نذكرها بحرفيتها إذا كانت تتفق مع حالتنا النفسية؛ بل إننا نشعر بارتياح لسماعها، وأن نعيش التجربة التي يلخصها المثل»⁽¹⁾.

ولا يبتعد التلي بن الشيخ عن رأي سابقه؛ حيث يقول: « وما يمكن أن يقال عن المثل: إنه دقيق في التعبير والنفاذ إلى الحالات النفسية الكامنة وراء السلوك، فيعبر عنها بطريقة جيدة »⁽²⁾.

و الأمثال الشعبية تتضمن الكثير من الآليات النفسية الدفاعية من قبيل الكبت والتبرير والإسقاط والتعويض والتقمص. كما تتضمن الكثير من القدرات و الصفات والانفعالات النفسية للفرد والجماعة.

الآليات النفسية الدفاعية:

1 - الكبت En:Repression-F:Refoulement.

وهو إبعاد الأمور غير السارة عن الذاكرة أو إرسالها إلى اللاشعور⁽³⁾ ويعتبر الكبت أحد الحيل الدفاعية- للأنسا- تُطرح بواسطتها وتظل خارج ساحة الشعور، عواطف وأفكار وذكريات، مرتبطة بدافع غير مقبول. والكبت ظاهرة لا شعورية. و ينبغي أن يُميز من القمع، فعل شعوري وإرادي يتخلى الفرد بواسطته عن رغبة تدينها أخلاقه الشخصية. و الكبت لا يمارس على الحالة الانفعالية ولا على الدافع، بل على امتثال هذا الدافع. فالمرفوض إنما هو ترجمة الدافع إلى كلمات وأفكار أو صور...ومن نتائج اللاشعور: الحلم، زلات اللسان والقلم، حتى النكته..⁽⁴⁾

والكبت يلجأ إليه الإنسان حينما لا يستطيع أن يعبر عن أفكاره أو مشاعره، أو حينما لا يستطيع أن يتصرف بسلوك معين يرتضيه. وكلنا نلجأ إليه بمقدار معين، ولكن إذا أسرف الفرد في الالتجاء إليه كحل لمشكلاته ورغباته انتقل به إلى حالة المرض، ومن ثم الوقوع في

(1) - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص182.

(2) - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص159.

(3) - فاخر عاقل، معجم علم النفس، انكليزي- فرنسي- عربي- دار العلم للملايين، بيروت، ط1985، 4، ص97.

(4) - نوربير سيلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس، ج5، ص2118.

سلوكيات غير طبيعية. فالكبت المتصل يمنع الفرد من مواجهة مشاكله مواجهة موضوعية، وبالتالي عدم حلّها. وسبب ذلك قد يكون الدين أو المجتمع أو السلطة أو القوانين...

وقد يظهر الكبت من استخدام المثل الشعبي: «يا مُزَوَّقْ من بَرِّ واش حالك من داخل»⁽¹⁾. حيث يضرب هذا المثل في من يهتم بما يراه الناس فيزيئنه؛ برغم أنه لا يناسب رغباته، ولا يتماشى مع ميوله - سواء أكان ذلك في المباني أم الملابس أم الكلام .. أم غير ذلك - ويكتم أو يخفي ما يناسبه هو. و التعبير بهذا المثل يدل على أن قائله مطلع على أسرار من يُضرب في حقهم، عالم بما في نفوسهم. و في ضرب هذا المثل دعوة إلى ضرورة التناسب ما بين المظهر والمخبر.

كما تظهر الدعوة إلى الكبت في المثل: «اللي تَخْدُمُو طِيْعُو واللي ترهنو بيعو»⁽²⁾. ومعنى المثل: يجب أن تطيع من تقوم بخدمته أو تشتغل عنده، مهما كانت تصرفاته نحوك؛ إذا أردت أن تحافظ على عملك عنده. فهذا المثل يُقدم كنصيحة لكل عامل أو مَرُؤوس، بأن يتحمل كل إهانة أو سوء تصرف يصدر عن رئيسه تجاهه، ويدعوه إلى كبت كل شعور بالدفاع عن نفسه أو تأكيد ذاته. وهذا ما يفعله كثير من المروّوسين.

والأمور المكبوتة قد تظهر في فلتات اللسان، أو في المزاح، وقد تظهر عند الغضب والمثل الشعبي عبّر عن ذلك بقوله: «الزعاف يُخَرِّج السر»⁽³⁾. و معنى ذلك أن الفرد يكتم أشياء يعرفها عن أشخاص آخرين، أو يكبت كرهه لهم، أو حسدهم أو غيرته منهم، ولكن في حالة غضبه الشديد، قد تنفلت منه هذه المكبوتات دون أن يشعر، أو يتحكم في أقواله.

2- التبرير Rationalisation:

« آلية دفاعية يلجأ إليها الشخص لتفسير أعماله وأفكاره متجنباً بذلك معرفة الأسباب والدوافع الحقيقية، وبالتالي متخلصاً من القلق »⁽⁴⁾ أو « هو عبارة عن أَعذار وأسباب تبدو للنظرة العابرة مقنعة ومنطقية؛ ولكنها ليست الأسباب الحقيقية والدوافع الفعلية وراء السلوك وهي عبارة عن تبرير لسلوك الفرد ومعتقداته، الذي يعتقد هو في قرارة نفسه أنه مخطئ.

(1) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(2) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(3) - رايح خلدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص72.

(4) - فاخر عاقل، معجم علم النفس، ص95.

فضابط الشرطة الذي يقسو على المتهمين يخلق عيوباً تبرر سلوكه نحوهم. و من شأن هذا السلوك أن يحرم صاحبه من التبصر في أفعاله والتحكم فيها، ومراجعة أخطائه؛ ومن ثم قد يتورط في الجريمة. ومثال ذلك اعتقاد الفقير أن الفقر نعمة، وأن الثروة والغنى يجلبان له المشاكل والهموم»⁽¹⁾.

وقد يظهر التبرير من استخدام المثل: «القط كي تبعدو الشحمه ايقول أخ منتنها»⁽²⁾ ومعنى المثل: أن القط عندما يبعدون عنه الشحم، ولا يستطيع الوصول إليها، يعتبرها ننتة، لا تصلح للأكل. و هذا المثل يُضرب في من يفشل في الحصول على شيء؛ غير أنه لا يعترف بفشله للآخرين؛ فيبرر فشله بقوله: إن المطلوب لا أهمية له، أو أنه ليس جادا في طلبه، أو عرض عليه ورفضه، أو وجد أحسن منه.. أو غير ذلك. -وفي قرارة نفسه يُقر بأنه فشل- ولكن مستخدم المثل يعرف ما في نفس المضروب في حقه، من اهتمامه بالمطلوب؛ وبالتالي فهو لا يصدق.

كما يظهر التبرير في المثل: «تارك الصلاة ايقول: باب الجامع امبلع»⁽³⁾ أي مغلق. ويظهر كذلك في المثل: «اللي خانوها يديها تقول بي السحور»⁽⁴⁾ أي أن المرأة الكسولة تبرر عجزها وكسلها عن أداء بعض الواجبات المنزلية، بقولها: إنها مسحورة. ويظهر التبرير كذلك في المثل: «اللي ما يحب يتزوج، يقول من زهري لمعوج»⁽⁵⁾. والأمثال السابقة تطلق على من يقدم تبريرات غير منطقية أو غير مقبولة. كما يظهر التبرير على لسان الرجل البخيل: «لو كنت نملك الإبل نذبح حاشي، وكى عدت نملك الغنم ما نحكمشي»⁽⁶⁾*. لو كان يملك الإبل وهي أغلى من الغنم، لذبح جملا صغير السن؛ لأن لحمه يكون طيبا وسريع الطهو، أما الآن فهو يملك الغنم، وهي أرخص من الإبل فلا يستطيع؛ لأن القرار ليس بيده. وهو مبرر واه. وهكذا يبدو التبرير واضحا؛ حيث لا يريد الإنسان أن يعترف بعدم

(1) - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <http://ar.wikipedia.org/wiki> يوم 2013/12/18م.

(2) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(3) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 225.

(4) - رايح خلدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 143.

(5) - المرجع السابق، ص 150.

(6) - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص 172.

* - حاشي: ولد الناقة، الجمل صغير السن، ما له سنة أو سنتان.

قدرته-ببخله- أو بعجزه عن القيام بعمل، كان المفروض أن يقوم به.

3- الإسقاط، Projection:

« نسبة الإنسان حوافره وأفكاره إلى الآخرين؛ وذلك مثلاً كاعتقاد الغشاش أن الآخرين غشاشون، أو اعتقاد الإنسان أن الشر الذي يعرفه كامناً في ذات نفسه، موجود عند الآخرين»⁽¹⁾ وهو « حيلة دفاعية ينسب فيها الفرد عيوبه ورغباته المحرمة والعدوانية أو الجنسية للناس حتى يبرئ نفسه، ويبعد الشبهات عنه؛ فالكاذب -مثلاً- يتهم معظم الناس بالكذب. والموظف الذي يحمل مشاعر عدوانية نحو رئيسه قد يسقط هذه المشاعر عليه ويتصور أن رئيسه يكيد له ويتربص به لكي يؤذيه؛ ومن ثم يبادر بالهجوم والاعتداء عليه»⁽²⁾. وقدima قال الجاحظ في كتابه البخلاء: « وكانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمّة، فتأمل عيابا، فإنه يعيب بفضل ما فيه من العيب، وأول العيب أن تعيب ما ليس بعيب»⁽³⁾

وقد يظهر الإسقاط من استخدام المثل: « كل أجرب حكاك وكل خائن شكّاك»⁽⁴⁾

و المثل يتكون من جملتين: الأولى دلالتها محسوسة، فكل من أصيب بالجرب - وهو مرض جلدي معد - يداوم على حك جلده، ولو أخفى مرضه فإن الحك دالٌّ عليه. أمّا الثانية فدلالاتها غير محسوسة، فالخيانة صفة نفسية لا تظهر للعيان؛ ولكن يستدل عليها بالشك الذي يصاحبها. و بدأت كل جملة بلفظة: -كل- وهي كلمة تدل على العموم، دون استثناء، وفي الجملتين استعملت صيغة المبالغة (فَعَال) حكاك: كثير الحك، شكّاك: كثير الشك للدلالة على الكثرة. فكما أن مظهر الجرب الحك، وهو مرتبط به؛ فكذلك مظهر الخيانة الشك، وهو مرتبط بها. و يضرب المثل في من يكثر الشك في تصرفات الناس؛ فصفة الخيانة التي يتحلّى بها يُسقطها على غيره. فالمخيل الشعبي عبّر عن هذه الصفة الملاحظة في كل من يتصف بالخيانة بهذا المثل. و مستعمل المثل يُظهر ما في نفسه من شك نحو

(1) - فاخر عاقل، معجم علم النفس، ص88.

(2) - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <http://ar.wikipedia.org/wiki> يوم 2013/12/18م.

(3) - الجاحظ، البخلاء، تقديم وشرح وضبط وفهرسة يوسف الصميلي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ص5.

(4) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

الشكاك. وهذه الآلية الدفاعية يعبر عنها مثل آخر هو: «اللي فيه أيديرو في الناس»⁽¹⁾. يقال في من يتهم الآخرين بعيوبه.

وفي الموضوع نفسه، يستعمل المثل: «لا يظن السفية إلا ما فيه»⁽²⁾. أي يعتقد أن ما يفكر فيه أو ما يتصف به أو يميل إليه، هو موجود بالكيفية نفسها عند الآخرين، وبالتالي إذا كذب أو خالف وعدا، أو خان أمانة.. فهو يتصرف كما يتصرف الآخرون، ولا لوم عليه. فمستعمل المثل يفهم نفسية المضروب في حقه، وبالتالي لا يلومه؛ لأنه يرى أن تصرفه موافق لصفاته النفسية؛ وإنما اللوم يقع على من خدعه هذا السفية؛ لأنه لم يكن فطنا.

4- التعويض النفسي، Compensation:

«آلية نفسية يُخفي الإنسان بواسطتها صفة غير مرغوب فيها عن طريق إظهار صفة مرغوب فيها، ثم المبالغة في إظهار هذه الصفة الأخيرة»⁽³⁾ وهو «حيلة دفاعية يحاول صاحبها إخفاء ما يشعر به من نقص جسماني أو عقلي أو اجتماعي أو علمي؛ سواء أكان هذا النقص حقيقيا أم متوهما. والشعور بالنقص قد يكون شعوريا أو لا شعوريا: والأول شائع ومعروف لدى الأسوياء، أما الثاني فيظهر في أساليب سلوكية شاذة وملتوية؛ نتيجة لفشل الفرد في فهم نقائصه ومصادرها، ونتيجة لضعف إمكانياته، وضعف ذاته في التغلب على مشاعر النقص عنده.

ومن أشكال التعويض، العناد والمكابرة والاستبداد بالرأي. كذلك يرجع الكثير من السلوك الإجرامي لدى الصغار والكبار إلى مشاعر دفينية بالنقص أو العجز، ومن أشكاله التعدي على الغير بالقول أو الفعل، السرقة، التخريب، التمرد على السلطة. وكل ذلك لكي يثبت المرء لنفسه أنه قوي وقادر»⁽⁴⁾. «ويمارس التعويض في بعض الأحيان حصرا على المستوى المتخيل؛ فلبعض أفكار العظمة، وبعض التصرفات التي تتصف بهوس الكذب

(1) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 192.

(2) - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(3) - فاخر عاقل، معجم علم النفس، ص 26.

(4) - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <http://ar.wikipedia.org/wiki> يوم 2013/12/18م.

وبعض الهذيان، المسماة تعويضية، وظيفة مفادها أن تخفف من أثر الإخفاقات التي عاناها الفرد في حياته»⁽¹⁾

ويعبر عن ذلك بالمثل: «كل منقوص منحوس»⁽²⁾ كما يقال: كل ناقص ناحس؛ أي أن إحساسه بالنقص يدفعه إلى القيام بتصرفات فيها ضرر للغير، ليعوض عن نقصه. و قد يظهر التعويض النفسي من استخدام المثل: «معزة ولو كان طارت»⁽³⁾.

وقصة المثل أن شخصين رأيا شيئاً أسود من بعيد؛ فقال أحدهما: تلك معزة. وقال الآخر: ذلك غراب. ولما اقتربا منه، طار ذلك الشيء. فقال الثاني لقد قلت: إنه غراب. فردّ الأول: معزة ولو كان طارت. وهذا يدل على عناد الأول ومكابرتة، وعدم اعترافه بالخطأ؛ لأنه يعدّ اعترافه بالخطأ نقصاً. ويضرب المثل في حق كل من اتصف بهذه الصفات. و ضارب المثل يفهم نفسية المضروب في حقه؛ وعليه يمكن تجنب جداله؛ لأنه لا يقتنع بالحقيقة.

ومن مظاهر التعويض أن ينتسب المرء إلى من هو أرفع منه شأنًا وبخجل من مصارحة واقعه؛ ف قيل في هذا الشأن :- «من هو أبوك يا البغل؟ قال: خالي الحصان»⁽⁴⁾ فالإجابة تدل على التهرب من الواقع، وعدم القدرة على مواجهته؛ فالسؤال موجه إلى معرفة الأب. و البغل لم يجرؤ على أن يقول: إن أباه حصان أو حمار، واضطر إلى الانتساب إلى خاله. فالتعبير بهذا المثل يراد منه إظهار سلوك الإنسان حين يواجه موقفاً، ولا يملك القدرة على الإفصاح عنه بالحقيقة. و هو نقص في الشخصية، يجب تجنبه؛ لقول المثل: «ما ينكر أصله غير البغل»⁽⁵⁾.

5- التقمص -دمج- Fr.Identification:

التقمص في التحليل النفسي عملية عقلية، تعبر عن ذاتها على شكل صلة انفعالية بأشخاص آخرين، أو أوضاع أخرى، بحيث يتصرف الفرد وكأنه الشخص الآخر المتصل به؛ لأن له نفس المشكلات، وهو يعتبر النقد الموجه للشخص الآخر نقداً له⁽⁶⁾.

(1) - نورير سيلاحي، المعجم الموسوعي في علم النفس ، ج2، ص659.

(2) - قادة بوتارن ، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص34.

(3) - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(4) - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، ص172.

(5) - رابع خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية ، ص164.

(6) - فاخر عاقل، معجم علم النفس ، ص55.

يظهر التقمص في المثل: «الخادم تُعاشي بِشُبُوبٍ لالّاها»⁽¹⁾. فالخادم أو العاملة في منازل الأغنياء، قد لا تكون جميلة؛ فتراها عندما تتحدث النسوة عن الجمال، تراها تُعاشي أي تتباهى بجمال لالّاها، أي سيدتها التي تشتغل عندها، وكثيرا ما ترى بعض الكتاب في الإدارات العمومية يتقمصون شخصيات مديريهم، فيتصرفون تصرفاتهم، ويظهرون بمظهرهم. فهم يقلدونهم في اللباس وفي الكلام، وقد يذهب بهم الحال إلى أن يعتبروا كل نقد موجه لمديريهم هو نقد موجه لهم، وكل ما يصيب رؤساءهم يصيبهم، فيتألمون بدلهم. وهذا ما عبّر عنه المثل الشعبي بقوله: «الدجاجة تبيض والديك يوجعو قاعو»⁽²⁾ أو بعصو. أي أن الدجاجة التي تضع البيضة التي قد تؤلمها، لا تظهر الألم، بل تواصل التبييض كل يوم. أما الديك، فإنه لا يبيض، ومع ذلك يحس بالألم في مؤخرته (قاعو) فيضجر، ويشكو.

6- إلقاء اللوم على الآخرين Processus de bouc- Emissaire:

«عملية إيجاد شخص أو جماعة تكون كبش الفداء Scape goat يلقي عليه اللوم من أجل خطأ حقيقي أو خيالي. إيجاد بديل يوجه إليه الإنسان هجومه؛ وذلك في مثل حالة الزوج الغاضب من زوجه، حيث يهاجم أولاده أو مستخدميه»⁽³⁾

عبّر المثل الشعبي عن ذلك بقوله: «كرعين اليتيم قطاعين الحصير»⁽⁴⁾.

وقوله: «إذا تصاكت الخيل اتجي في الضعيف»⁽⁵⁾ ففي المثل الأول، كرعين أي رجلا اليتيم تمزق الحصير، والحصير فراش مصنوع من نبات الحلفاء عادة، وإذا تمزق الحصير، يلقي اللوم في ذلك على اليتيم؛ لعدم قدرته على الدفاع عن نفسه، وفي المثل الثاني، تصاكت الخيل؛ أي صك بعضها البعض الآخر، والصك هو استعمال الأرجل الخلفية في الصك، أي الضرب، ويقع الضرر على الضعيف من الخيل. ومنه قول المثل: «فلان امسح في صاحبو الموس»⁽⁶⁾ أو امسح فيه الموس، أو امسحت فيه الموس، أو تَمَسَحَ فيه الموس، بالبناء للمجهول، والموس هي الموسيقى، أو الخنجر والموسى هي آلة للحلاقة أو الذبح أو القتل

(1) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 142.

(2) - رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 58.

(3) - فاخر عاقل، معجم علم النفس، ص 101.

(4) - رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 124.

(5) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 50.

(6) - رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 1560.

وعند استعمالها تنتشوه بالدم، فيقوم الجاني بمسحها في ثياب آخر بريء ليلصق به التهمة فالمثل يضرب في كل عمل سيئ يقوم به شخص -كالسرقة مثلاً- ويتهم به غيره. وكم من الجرائم يقوم بها الأقوياء وتنسب إلى الضعفاء. وهذه الأمثال توظف في حالة التهرب من تحمل المسؤولية، بإلقاء اللوم على الآخر. وهذه النزعة النفسية ذكرها القرآن الكريم، ونهى عن الاتصاف بها في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾⁽¹⁾.

ومن القدرات و الصفات النفسية التي تتضح من تعبير الأمثال الشعبية:

7- الذكاء: Intelligence : وتعني القدرة على اكتساب المعارف واستخدامها في التكيف مع المواقف المستجدة، أو مرونة التكيف مع الأوضاع الجديدة أو المشكلات التي يواجهها الفرد⁽²⁾. و يستدل على الحالات النفسية، والقدرات العقلية للفرد، من خلال تصرفه عندما تواجهه مشكلات في الحياة. و يعبر عن ذلك بالمثل: «الحاذق كيما يلقي و الجايح كيما اتوصيه»⁽³⁾. فالحاذق-الذكي- يتكيف مع الوضع الجديد، بتوظيف خبراته ومكتسباته السابقة بكيفية جيدة لحل المشكل، ولا يلتزم بما طلب منه حرفياً، إذا كان لا يتناسب مع المستجدات.

أما الجايح* - الغبي- فإنه يلتزم بما طلب منه ولا يُعْمَلُ فكره، ولا يلجأ إلى خبراته أو مكتسباته؛ لأنه لا يستطيع تقدير الموقف الجديد. ومثال ذلك: لو طلب الأب من أحد أولاده في مساء يوم رمضان، الذهاب لشراء خبز دائري به السينوج. لكن الولد لم يجد هذا النوع من الخبز في المخبزة، فلم يشتري، وعاد ليستشير أباه مع أذان المغرب. فهذا الولد لم يستطع التكيف مع الموقف الجديد -عدم وجود الخبز الدائري مع وجود غيره- أما لو اشترى الخبز الموجود مادام لم يجد الخبز المطلوب- لأن المهم وجود الخبز على المائدة- فهنا نقول: إنه تكيف وتصرف حسب الموقف، وحسب ما لقي. فهو الحاذق الذكي.

8- الاستدلال - Raisonement :

(1) - سورة النساء، آية 112.

(2) - فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص5.

(3) - من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

فعل من أفعال الذهن يكمن في تسلسل منطقي للقضايا بغية الوصول إلى نتيجة. نميز على وجه العموم شكلين من الاستدلال:

1- الاستنتاج: الذي يمضي من المبادئ إلى النتائج (كل الناس فنانون، خليل إنسان إذن خليل فنان).

2- الاستقراء: الذي يمضي من الحوادث إلى القانون.

فالاستدلال حركة الفكر التي تدعمها الوجدانية كلها. وتؤثر فيه العواطف (حب/كره) والانفعالات (غضب)، والأهواء (غيرة)، وتوجهه.⁽¹⁾

و الأمثال الشعبية لا تخلو من الاستدلال؛ فالمثل: « الغنم إذا كان قَائِدَهَا عَثْرُوسٌ امْقِيلَهَا سَدْرَايَةً »⁽²⁾. فالعثروس هو التيس، ذَكَرُ العنزة، فإذا كان التيس هو قائد قطيع الغنم فإن مكان قيلولتها هو شجر السدر، المعروف بشوكه، وإذا كان التيس يستطيع أن يأكل أوراق السدر ويستظل بظلها؛ لأنه مكسو بالشعر، فإن الغنم تتأذى من شوكه لأنه يمسك بصوفها ويشل حركتها. والتسلسل المنطقي واضح في هذا المثل. ويضرب هذا المثل في تصرف القائد الفاشل، أو المعلم الفاشل أو... الذي تكون نتيجة قيادته أو تعليمه الفشل. كما جاء في كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم: (إنك لا تجني من الشوك العنب)⁽³⁾، أي أنك لا تحقق الصلاح من الفساد؛ كمن يغرس شجرة شوك وينتظر ثمارها عنباً.

ومن الاستدلال المثل: « إذا أَحْمَرَّتْ الْعَشِيَّةُ هِيَئُ دِبَابِيكَ لِلْمَشْيَةِ، وإذا أَحْمَرَّتِ الصَّبَاحُ رَجَّعْ دِبَابِيكَ لِلْمَرَاخِ »⁽⁴⁾. ومعنى المثل: إذا احمرت السحب في الأفق عند مغيب الشمس، فإن حالة الطقس في اليوم الموالي تكون حسنة. فما على الرعاة إلا أن يهيئوا أغنامهم للخروج للرعي. وإذا احمرت السحب عند طلوع الشمس في الصباح؛ فإن حالة الطقس تكون سيئة فما على الرعاة إلا الرجوع بأغنامهم إلى المراح، وهو الزريبة أو مكان

* - جاء في المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط25، 1973م، ص108. الحاذق من حَذَق، حِزَق، حَذَقًا، حَذَقًا - الكتاب تعلمه، حَذَقَ كان ماهراً، حَذَقَ العمل: مهر فيه. وتعني في المثل: الذكي.

وفي ص123. الجائع، من جاح، جوحاً: عدل عن الطريق إلى غيرها، سنة جائحة: سنة جديده. جائحة، جائحات: البلية، التهلكة، الداهية. وتعني في المثل: الغي.

(1) - نوريير سيلاهي، المعجم الموسوعي في علم النفس، ج1، ص181.

(2) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(3) - اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج1، ص127.

(4) - المرجومة حمية سديرة، عاشت بين 1924-1981م، أم صاحب هذا البحث.

تجمع الأغنام الذي ترتاح فيه وتنام أو تلحف. وفي المثل استدلال، فالاحمرار في تلك الأوقات يدل على حالة الطقس. فمن المقدمات تستنتج النتائج.

ومن الاستدلال-أيضا- المثل: «**العام ايبان من خريفو**»⁽¹⁾. يقصد بالعام الموسم الزراعي؛ أي أننا نستطيع معرفة الموسم الزراعي الجيد بهطول الأمطار الغزيرة في بدايته أي في فصل الخريف، وهو أوان البذر والحرث. و ربما لم يستعمل الفلاحون عندنا في الجزائر كلمة موسم؛ لأن حصاد القمح والشعير -وهو غالب قوت الجزائريين- لا يتم إلا مرة في العام. وتعتمد أغلب الأراضي الفلاحية على المطر؛ فالمخيل الشعبي استدل على جودة الموسم أو رداءته بمقدمات الموسم في الخريف، ولو أن هذا ليس مقياسا؛ لأن الجودة تتوقف على تواصل هطول الأمطار طوال الموسم، غير أن مطر الخريف ضروري للحرث، وعلى ضوء هذا الاستنتاج يُقدّم أغلب الفلاحين على حرث الأرض في الخريف أو تركها بورا. والمثل يضرب «**في بواذر نبوغ الطفل**»⁽²⁾. ومن الاستدلال قول المثل: «**الترفاس يصطاد بالقصيص**»⁽³⁾. والترفاس يسمى الكمأ وهو نبات يشبه حبة البطاطا، ينمو في الصحراء عادة بعد موسم الأمطار، ويبحث عنه في الجزائر في بداية الربيع. ويستدل عليه بنبته تجاوره تسمى القصيص. و قد يراد بالمثل معناه المباشر، أو يراد به الإشارة إلى ظاهرة الاستدلال التي تعني: وجود شيء، دلالة على وجود شيء آخر لعلاقة بينهما. كما جاء في الأثر العربي: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير.

9- الترابط Association :

اتحاد حادثين نفسيين أو عدة حوادث، أو ارتباطها، أو تقاربها. فلغناصر الحياة الذهنية، العقلية الوجدانية، على حد سواء خاصية ارتباط بعضها ببعضها الآخر، حتى دون أن نكون شاعرين بها، وبصورة مستقلة عن إرادتنا. فأرسطو (384-322 ق.م) بيّن، إذ لاحظ أن استدعاء الذكريات كان ميسورا بفعل تذكر انطباعات أخرى، أن ثمة بين بعضها وبعضها الآخر علاقات تشابه (الأبيض يستدعي الثلج، الحليب..) أو تضاد أو تقابل (الأبيض

(1) - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص174.

(2) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص198.

(3) - المرجع السابق، ص115.

يستدعي (الأسود) أو علاقات اقتران مكاني أو زماني (الأبيض يجعلني أفكر بالشتاء وكمومات الثلج الألبينية...)... حياتنا دون شك مصنوعة من ارتباطات لا يحصى عددها بين الأفكار والعواطف والإحساسات والكلمات و الارتكاسات النفسية الجسمية...أففى تثير الخوف ... فهناك تحويل ممكن لانطباع دلالي من كلمة إلى أخرى تحت تأثير الاقتران، كما يحدث ذلك في تجارب الإشرط.⁽¹⁾

يظهر الترابط في المثل الشعبي: «الملدوغة من الحنش من جرّ الحبل تدوى»⁽²⁾؛ الحنش هو الثعبان، وتدوى من دوى الرعد، أو الانفجار؛ فصورته القوي يثير الرعب. ومعناه أن الحيوان كالنحلة مثلا إذا لدغها (لسعها) ثعبان أو أفعى، فإنها تدوى أي تصاب بالذعر وتهرب، إذا جرّ حبل بجوارها، وهذا لارتباط صفة الحبل وحركته على الأرض، بصفات الثعبان (الحنش) وحركته. ويضرب المثل في اتصاف الفرد بصفة الحذر والخوف، من مثل ما سبب له أو لغيره مشاكل.

ومن الارتباط : المثل: « إذا لدغْتُ شُوفَ تحت رجلك»⁽³⁾. ومعناه، إذا لسعتك أو لدغتك عقرب مثلا، فانظر تحت رجلك، لأنها قريبة منك. ويضرب المثل في ما يحدث بين الأقارب من خيانة أمانة، أو سرقة أو قتل.. نتيجة حسد أو غيرة أو كره؛ لأن ما يحدث للشخص من المصائب يكون في كثير من الأحيان بفعل الأقربين إليه، أو بمساعدتهم الغير عليه. و هذا ما يجعل التحقيقات الأمنية والقضائية تتطلق من محيط الضحية، لأن هذا المحيط هو المطلع على أسرارها.

10- الحسد en/ envy-f/Envie:

« شعور أو موقف اجتماعي غير سار، يثيره في الإنسان امتلاك إنسان آخر لشيء يرغب هو في امتلاكه»⁽⁴⁾. وهو أن يتمنى إنسان زوال نعمة عن غيره وتحويلها إليه وهو صفة نفسية ذميمة. ولتفادي صفة الحسد أو اتقاء شر الحساد قال المثل:

(1) - نورير سيامي، المعجم الموسوعي في علم النفس، ج2، ص-ص563-564.

(2) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة .

(3) - رايح خلدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص24.

(4) - فاخر عاقل، معجم علم النفس، ص40.

﴿ كُولٌ وَدَرَفٌ وَإِلَّا كُولٌ وَفَرَفٌ ﴾⁽¹⁾ * ومعنى المثل أن الإنسان إذا أتى أسرته برزق، كالفاكهة واللحم أو غيرهما مما يؤكل، وكان له أقارب أو جيران يشاهدون، ولا يستطيعون الحصول على مثل ما أتى به؛ فعليه أن يأكل و يُسَهِّمَهُم منه، أو يخبئ ما أتى به عنهم؛ فليس من المروءة، ولا من الذوق إظهار ما تستلذه الأعين أو تشتهيه الأنفس؛ لما في ذلك من أثر على النفوس من الغيرة والحسد، وبخاصة لدى النساء والأطفال.

و يدعم المثل السابق مثل آخر، يقول: ﴿ إِذَا كُنْتُ زَيْنَ اسْتُرَّ رُوحُكَ مِنَ الْعَيْنِ، وَإِذَا كُنْتُ شَيْنَ اسْتُرَّ رُوحُكَ مِنَ الْفُضَائِحِ ﴾⁽²⁾. و معناه حاول إخفاء ما تمتاز به عن غيرك، ولا تتباهى به؛ لأن ما تراه العين هو سبب الحسد. وإذا ابتليت بصفات قبيحة، أو تصرفات سيئة فحاول إخفاءها أيضا؛ لكي لا تتعرض للفضائح، وتصبح على كل لسان. يقول ابن خلدون في شأن العين: «ومن قبيل هذه التأثيرات النفسية الإصابة بالعين، وهو تأثير من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مُدركا من الذوات أو الأحوال، ويُفَرِّط في استحسانه، وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عمّن اتصف به؛ فيؤثر فساد. وهو جبلة فطرية، أعني هذه الإصابة بالعين»⁽³⁾. والحسد معروف، وبخاصة بين الأقارب ولا أدل على ذلك من قصة يوسف وإخوته، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾⁽⁴⁾

كما يظهر الحسد من استعمال المثل: ﴿ اللَّحْمُ يُجِي لِئِي مَا عَنْدُوشِ سَنَيْنِ ﴾⁽⁵⁾ أي أن اللحم يأتي للإنسان الذي ليس له أسنان أو أضراس يستطيع أن يمضغه بها، يضرب المثل في من يحسد من أنعم الله عليه برزق، ويتمناه لنفسه؛ لأنه يعتبر نفسه أحق به، ولا يتذكر أن الله تعالى هو الذي يقسم الأرزاق بين عباده، بواسع علمه وحكمته، لقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾⁽⁶⁾.

(1) - عدلاوي علي بن عبد العزيز، الأمثال الشعبية ضوابط وأصول، منطقة الجلفة نموذجاً، ط1، دار الأوراسية، الجلفة، ط2010، ص75.

* - كُول: كل، دَرَف بمعنى خبئ. فَرَف بمعنى وزع. أى وزع على الأقارب أو الجيران.

(2) - عدلاوي علي بن عبد العزيز، المرجع السابق، ص58.

(3) - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص 503.

(4) - سورة يوسف، آية 5.

(5) - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(6) - سورة النساء، آية 54.

11- الغيرة: En/Jealousy :F/ Jalousie

هي أفكار وأحاسيس وتصرفات تحدث عندما يعتقد شخص أن علاقته القوية بشخص ما تهدد من قبل آخر منافس، والغيرة انفعال مركب، يجمع بين حب التملك، والشعور بالغضب. جاء في المعجم الموسوعي في علم النفس: الغيرة « خشية من أن يجد المرء نفسه محروما، منزوع اليد. ونفهم من كلمة غيرة، على نحو أكثر تحديدا، انشغال البال المرتاب الناجم عن فكرة: أن شخصا محبوبا يمكنه أن يؤثر عليه شخص آخر»⁽¹⁾

وللغيرة عدّة معانٍ: أ- قد تكون الغيرة من الآخر- زميل في الدراسة أو المهنة مثلا- تفوق علينا أو نافسنا في موارد رزقنا، كما تكون بين الإخوة- صغارا أو كبارا- وبخاصة عندما يميل الأبوان بحنانهم وكرمهم إلى البعض دون البعض الآخر. يقول المثل في هذا: **« قَالُوا وَاشْكُونْ اَعْدُوْكَ. قَالُوا صَاحِبْ مَهْنَتِكَ »**⁽²⁾. والمعنى قيل له: من عدوك ؟ قال: صاحب مهنتك، والمقصود بالعداوة هي الغيرة؛ لأنها مقدمات العداوة بين أصحاب المهن الواحدة لأن بعضهم قد يحتكر السوق، ويقلل من رزق الآخرين. ويقول مثل آخر في شأن الإخوة: **« اللَّيْ اَعْطَاهُ بُوْهَ مَا يَفْكُلُوْ خُوْه »**⁽³⁾ أي الذي أعطاه أبوه مالا مثلا- ليس من حق أخيه أن ينتزعه منه. وفي المثل دلالة على تذمر وغضب (غيرة) الأخ الذي لم يستفد مما استفاده أخوه من أبيهما. وهذا الانفعال قد يولد العداوة والأحقاد بين الإخوة؛ ولذلك يطلب العدل بين الإخوة.

ب- غيرة المرأة على زوجها من امرأة أخرى حفاظا على أسرتها ومركزها، أو غيرة الأم من كنفها (زوجة ابنها)، أو غيرة الكنة من حماتها على زوجها. وهي غيرة ناتجة عن التنافس والصراع و حب التملك، فالأم تشعر أن كنفها أخذت ابنها منها، فتعاديها، والعكس بالنسبة للكنة، قال المثل في هذا: **« إِذَا اتَّفَاهَمَتْ الْعَجُوزُ وَالْكَنَّةُ يَدْخُلُ ابْلِيسُ الْجَنَّةَ »**⁽⁴⁾. يستحيل أو يندر التفاهم بينهما بسبب الغيرة. وقد يصحب الغيرة كثير من مظاهر الثورة التشهير، والمضايقة، العناد، العصيان، والتخريب. مما قد يُسبب مشاكل اجتماعية بين

(1) - نوربير سيلاهي، المعجم الموسوعي في علم النفس، ج4، ص1944.

(2) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(3) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(4) - رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص36.

الأسر: كقطع صلات الرحم بين الرجل وأمه أو أخته، أو غير ذلك. وفي هذا قال المثل: **«الغيرة اللي قتلت ميرة»**⁽¹⁾ أي قد تتسبب غيرتها في مقتلها أو مقتل غيرها؛ بسبب أخطائها أو وشايتها، وللمحافظة على علاقة الود بين عناصر الأسرة، والتغلب على الغيرة، قال المثل: **«اللي ابغات خوها تصحب امراؤو»**⁽²⁾. من أرادت أن يحبها أخوها أو أن تحافظ على صلته بها؛ فما عليها إلا أن تحسن لامراته، وتحاول أن تكسبها في صفها، وهذا يدل على قدرة المرأة على قطع صلات رحم الزوج دون أن يردعها رادع ديني، أو يزعمها وازع إنساني لفرط أنانيتها. والمرأة قد تغار من كل امرأة تجدها أجمل منها، أو أكثر حظوة عند زوجها. أو أكثر مالا أو أولادا. عبّر المثل الشعبي عن ذلك بقوله: **«لو كان ما لعناد ما تجيب النساء لولاد»**⁽³⁾. والعناد في العامية، التنافس، أن تنافس المرأة المرأة؛ بأن تكون مثلها أو أحسن منها. و يكون التنافس على إنجاب الأولاد، وتتعرض الأنثى في هذه الوظيفة الطبيعية إلى متاعب صحيّة، ومخاطر قد تُفضي بها إلى الموت؛ ومع ذلك تُقبل على هذه الوظيفة غير مبالية بنتائجها. و قد تظهر غيرتها بتقليد ما تفعله المرأة التي تغار منها؛ فمثلا إذا كانت كبيرة في السن، تحاول لبس ما تلبسه الصغيرات، أو التزيّن بزینتهن، أو حتى تقليد تصرفاتهن أو طريقة كلامهن. وفي هذا يقول المثل الشعبي **«الغيرة تُرد لعجوز صغيرة»**⁽⁴⁾.

-ج- الغيرة على الدين والعرض والوطن. وهي غيرة محمودة، ومن لا يغار على دينه فليس بمؤمن، كما أن الذي لا يغار على أهله يعد ديوثا؛ ولذلك قال المثل: **«القلب اللي ما يغير ولا ايحيز يستاهل قفة اشعير»**⁽⁵⁾.

كانت المرأة عند العرب قمة شرفهم وذروة عرضهم فقد تفننوا في الدفاع عنها. فالرجل الذي لا يغار على أهله يعدّه المثل الشعبي حمارا، ليس له شعور بالكرامة؛ فهو للأكل والعمل. ولذلك فجزاؤه قفة شعير. و من لا يغار على وطنه كمن لا يغار على عرضه. و الغيرة هي التي دفعت آبائنا وأجدادنا إلى التضحية بكل غال ونفيس من أجل

(1) -المصدر السابق، ص108.

(2) -المصدر السابق نفسه، ص136.

(3) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(4) - الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(5) - رايح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص117.

استرداد وطننا الحبيب وإعادة بعث لغتنا وديننا الحنيف.

12-الانطواء: Fr/ Introversion : مصطلح يستعمل للدلالة على اتجاه الاهتمام نحو العالم الداخلي وليس إلى العالم الخارجي (عالم الأشياء والأشخاص). نموذج من نماذج الطبع والشخصية، يميّز الأشخاص الذين يتجه اهتمامهم إلى أفكارهم الخاصة ومشاعرهم الذاتية بدلا من اتجاهه إلى العالم المحيط بهم.⁽¹⁾

يرى "أحمد بن نعمان": أن سمة الانطواء على الذات لدى الفرد الجزائري، والميل إلى التفرد وعدم التفتح، والابتعاد عن الأضواء، والعزوف عن العيش ضمن التجمعات الكبرى تعود هذه السمة إلى أسباب جغرافية، واجتماعية وثقافية. فمن الناحية الجغرافية لعب عامل اللاتجانس في المناخ والطبيعة على دفع أفراد المجتمع إلى العيش في شكل جماعات متوقعة على أنفسها، ومنغلقة اقتصاديا وثقافيا، في مناطق جبلية أو صحراوية أو ساحلية... إلى جانب السياسة الاستعمارية التي ظلت تسعى إلى تفتيت المجتمع الجزائري إلى طوائف عرقية ولغوية، عملا بمبدأ فرق تسد... بالإضافة إلى سياسة التجهيل، التي اتبعتها الاستعمار مع أفراد المجتمع الجزائري؛ فقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى تكريس الانطواء على الذات. ومن الأمثال الشعبية التي تعكس سمة الانطواء، والانغلاق على الذات: «الْخُلْطَةُ اِثْرَدِّي وَالْجَرْبُ يَغْدِي»⁽²⁾. والخلطة معناها الاختلاط بالغير أو بالآخرين من الناس، و اِثْرَدِّي معناها تُهلك أو تُمرض، فهو من الردى، وهو الهلاك أو الموت؛ لأنها تشبه الجرب، والجرب مرض معد، و لا يتم إلا بالاحتكاك بالمرضى. فالمثل يدعو إلى تجنب الاختلاط بالآخرين وبخاصة الأجانب. وإذا كان الأجانب يتعاونون ضمن شركات مختلطة وحتى متعددة الجنسيات، فإن أفراد الشعب الجزائري يحبذون العمل الفردي المستقل والمؤسسات الخاصة. ولسان حالهم يعبر عنه المثل الشعبي: «الشركة هلكة». وهو مثل مصدره الفلاحون، كما يرى عبد المالك مرتاض، حيث يقول: «فإننا نحسب أنه ابن بيئة زراعية لأن كثيرا من الفلاحين الفقراء أو أنصاف الفقراء كانوا مضطرين إلى الاشتراك،

(1) - فاخر عاقل، معجم علم النفس ، ص60.

(2) - أحمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري، ص-ص138-139.

بعضهم مع بعض في الزراعة والحصاد و الدرس..»⁽¹⁾. فقله: مضطرين إلى الاشتراك يؤكد دلالة المثل على التنفير من الشركة، وفيه دلالة على الانطواء على الذات. وسمه الانطواء يؤكد أنها أكثر مثل آخر: «داري تستر عاري»⁽²⁾ ففي المثل دعوة إلى الالتزام بالمنزل، وعدم مشاركة الآخرين في أفراحهم، أو نشاطاتهم الاجتماعية، فمهما كانت عيوبه (الجسمية أو العقلية أو الأخلاقية أو المادية..) ؛ فإنها لا تظهر إذا ابتعد عن الناس ولم يخالطهم. ويقول مثل آخر: «اللّي عرسو في قلبو واش اللّالو بعراس الناس»⁽³⁾ ، أي أن الإنسان المرتاح نفسيا السعيد في منزله - كأنه في عرس - واش اللالو أي لا يبحث، ولا يسعى إلى أعراس الناس؛ فالأفضل له أن يبقى في سعادته وارتياحه في منزله. لأن الاختلاط بالناس في هذه المناسبات قد يلاقيه بأشخاص لا يحب أن يراهم؛ لأنه يعتبرهم كالشياطين، لقول المثل: «أَقْعِدْ وَحْدَكَ مَا تُشُوفْ شَيْطَانْ مَا تَسْمِي مَنُو»⁽⁴⁾ ومعنى المثل: لا تخالط حتى لا ترى إنسانا كالشيطان في تصرفاته أو سلوكاته - ما تسمي منو -: تضطر أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم؛ وهذه التسمية عند العامة تقال بدل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ عندما يرى هذا الشخص. وفي المثل دلالة نفسية على تفضيل الانطواء والعزلة.

الاتجاهات والقيم:

لا شك أن شيوع الأمثال وتداولها بين أفراد المجتمع، تدل على اتجاهات مستعملها النفسية، نحو مضمون تلك الأمثال، ومعانيها، كالاتجاه الديني مثلا.

1- الاتجاه الديني:

فالاتجاه الديني من أبرز سمات الشعب الجزائري، كما يرى أحمد بن نعمان⁽⁵⁾ حيث يقول: تعتبر سمة التدين من أبرز سمات الشخصية الجزائرية، كما تدل عليها العديد من الشواهد الثقافية، ومن أهمها: تمسك المجتمع الجزائري بالدين الإسلامي اعتقادا وتطبيقا ويدل على ذلك صموده الشديد والثابت أمام عمليات التمسح التي استهدفتها طوال عهد

(1) - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص105.

(2) - من الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(3) - أحمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري ، ص-ص138-139.

(4) - المرجع السابق، ص140.

(5) - المرجع السابق نفسه، ص-ص161-163.

الاستعمار الفرنسي.. التفاني في بناء المساجد والمؤسسات التعليمية الدينية، بماله وجهده دون انتظار دعم الدولة.. حب الجهاد والتضحية في سبيل تحرير الوطن من المستعمر الكافر. كما أن الجهاد يتم رغبة في دخول الجنة. ومن الأمثلة الشعبية الدالة على الاتجاه الديني: « **اللي صَلَّى وَخَلَّى أَوْصَلَ لِلْجَنَّةِ أَوْلَى** »⁽¹⁾. ومعنى المثل أن الذي يصلي ثم يترك الصلاة أو يتخلى عنها؛ فمثله كمن وصل إلى الجنة ثم عاد منها ولم يدخلها. وفي المثل حث على مداومة الصلاة في وقتها. ويدعم هذا المثل مثل آخر يقول: « **اللي يُصَلِّي وَيَتْرَكْ يَدْخُلُ النَّارَ مُفْتَرِكًا** »⁽²⁾ ومعنى مفترك في العامية، منهوك القوى، خائر الجسم. فقد يعذبه الله في الدنيا، ثم يعذبه في الآخرة. وفي المثل ترهيب من جهنم لمن يستهزئ بهذه العبادة؛ فهو يقوم بها في فترات ويتركها في فترات أخرى، فكأنه غير مؤمن بوجوبها. وللتغريب في هذه العبادة التي تبدأ بصلاة الصبح، قال المثل: « **ثَلَاثَةٌ اتَّحَمَّرَ الْوَجْهَ: صَلَاةٌ لِفَجَارٍ، وَ ارْؤَا جُ لِبَكَّارٍ، وَمَعْرِفَةُ النَّاسِ لِكُبَّارٍ** »⁽³⁾. فحمرة الوجه-على الغالب- دلالة على صحة الجسم بعكس الصفرة والسواد اللتين تدلان على المرض. وفي تداول هذه الأمثلة وغيرها دليل على التوجه الديني الإسلامي للمجتمع الجزائري.

ومن السمات الحسنة التي تظهر في الأمثال الشعبية الجزائرية:

2- الوفاء والصدق:

الوفاء أن يلتزم الإنسان بما عليه من عهود وعقود، وواجبات، والوفاء صفة نفسية لا تتأتى إلا لمن طهر قلبه. و صَفَتْ نفسه، و هو صفة حميدة وخلق كريم، ينبغي أن يتحلّى بها كل إنسان؛ لأثرها النفسي الإيجابي على المتعاملين، فهي تبعد الشك والاضطراب عن نفوسهم. فيقبلون على واجباتهم الاجتماعية والاقتصادية بجد لا يخامرهم تردد. و الوفاء ابن الصدق، فمن كان صادقا كان وفيا، وصفة الوفاء من أهم الفضائل التي عني بها القرآن الكريم، وحث عليها واعتبرها ضربا من التقوى، ووعد الله تعالى المتصفين بها، بالأجر العظيم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فسنؤتيه أجرا عظيما ﴾⁽⁴⁾. والأمثال

(1) - أحمد بن نعمان، المرجع السابق ص163.

(2) - من الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(3) - من الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(4) - سورة الفتح، آية، 10.

الشعبية حثت على هذه الصفة. قال المثل: «**اللي خرجت من الفم تسمى دين**»⁽¹⁾. أي أن كل التزام أو تعهد يتخذ- ولو مشافهة- يجب أدائه، كما لو كان ديناً؛ ومن ثمّ وجب ألاّ يلتزم الإنسان بدون روية؛ لأن المثل يقول: «**المومنين عند أقوالهم**»⁽²⁾. أي أن المؤمن الحقيقي قوي الإيمان، هو الذي يقف عند أقواله والتزاماته، فلا يتخلى عنها. وتعتبر الأمثال الرجولة متوقفة على الوفاء بالعهد والوعد، ومن ينكثهما فهو مذموم. قال المثل: «**راس مال الراجل كلمتو**»⁽³⁾. وتمثل الأمثال لخروج كلمة الوعد من الفم، بخروج البارود من البندقية، لا يمكن إرجاعه؛ كما لا يمكن التراجع عن العهد أو الوعد. قال المثل: «**الكلام كي البارود إذا أخرج ما يؤليش**»⁽⁴⁾. فكلمة الرجل هي شرفه وهي الميزان الذي يوزن به بين الناس.

وللحث على الوفاء بالعهد، وذم نقضه، أو عدم الوفاء به، قال المثل: «**قالت موكة: أنا خير من ثلاثة: اللي قال كلمة وما وفاها، واللي دار قصعة وما املاها، واللي كبرت بنتو وما اعطاها**»⁽⁵⁾. المراد بهذا، الحث على التزام ما جرت به العادة في هذه الثلاثة. كما يقال أيضاً بمناسبة الحديث عن واحد منها. فالوفاء بالعهد واحترام الكلمة، تفرضها العادات والأخلاق و الأديان في كل المجتمعات. فعدم احترام الكلمة نقص في كمال الرجولة و رذيلة، ودليل على النذالة. وإطعام الطعام خلق من الأخلاق الجزائرية، وسجية من سجايا مجتمعنا. وقد جرت العادة أن تملأ الجفان، (لُقْصَاع) ومن العار أن تقدم غير ممتلئة؛ لأنه دليل على الشح. أما فيما يتعلق بالجزء الثالث، فإن الناس في الجزائر وفي المجتمعات العربية الإسلامية التقليدية، يرون أن تزويج البنت إذا بلغت سن الزواج يحفظ لها كرامتها، وكرامة أهلها. فهم يقولون: «**من عنده في الدار بنت عنده بونبة Bombe**»⁽⁶⁾. أي قنبلة لا يدري أحد متى تنفجر.

و موكة: هي البومة، وهي من أحقر الطيور، وأنتنها، ولا تظهر إلا في الليل؛ ترى البومة أنها أحسن من هؤلاء الثلاثة المذكورين في المثل. وقد سيق المثل على لسان البومة

(1) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص59.

(2) - قادة بوتارن، المرجع السابق، ص 60.

(3) - عبد الحميد بن هديقة، أمثال جزائرية، ص84.

(4) - المرجع السابق، ص172.

(5) - المرجع السابق نفسه، ص153. وقادة بوتارن، مرجع سبق ذكره، ص 63.

(6) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

لتأكيد أهمية الأشياء التي يشتمل عليها. وإلا كان المخالف لها أحقر من البومة. كما أن الغاية من سَوِّق الأمثال على لسان الحيوان والطيور، تَرْسِيخُهَا في أذهان الناس. وفي الموضوع نفسه يقول المثل: «اللي يُوَلِّي على قِيَّة غَيْرِ الكلب»⁽¹⁾. أي لا يلحق قيئه إلا الكلب. يشبه هذا المثل الشخص الذي يسترد ما قد أعطاه، أو الذي يخلف وعده، بالكلب الذي يعود لما قاءه فيأكله.

وفي التهكم على الذي يخلف الوعد، يقول المثل: «كلامك زبدة كي يطلع النهار يذوب»⁽²⁾. ويقال هذا المثل في منطقة بوسعادة: كلام الليل مدهون بالزبدة عندما تطلع الشمس يذوب. والمثل يضرب للكذاب، يعد بالشئ، ثم يخلفه من يومه أو من غده.

فالوفاء بالعهود هو صفة مكتسبة، بها يلجم المرء شهواته النفسية، هذه الشهوات التي تدفعه إلى عدم الوفاء بغرض تلبية مطالبها ولو بطرق غير مشروعة أو بوسائل غير شريفة. قلت شهوات نفسية لقوله تعالى: ﴿زَيْنَ للناسِ حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾⁽³⁾

إن الوفاء بالعهد يكتسب أهمية كبيرة؛ كونه أساس التعامل بين الأفراد والجماعات، بل بين الدول، وهو القاعدة لبناء المجتمعات الفاضلة، التي تسودها المحبة والتعاون والرحمة. وإذا احترمت العهود والمواثيق، عاش الناس في خير وأمن واستقرار، وعندما تنقض العهود ولا تحترم الوعود، تدب الفوضى، وتتحول الإنسانية إلى بهيمة، يظلم بعضهم بعضا ويأكل القوي الضعيف. فكثيرا من النزاعات الفردية التي تصل إلى المحاكم، سببها عدم تطبيق العهود والمواثيق. لذلك حثت الشرائع والقوانين والأمثال على التحلي بهذه الصفة لخير الجميع. والأمثال الشعبية تحمل الكثير من الاتجاهات والسمات النفسية، التي لا يمكن الإحاطة بها جميعا في هذه العجالة. فالدكتور أحمد بن نعمان ذكر مجموعة كبيرة منها في كتابه: نفسية الشعب الجزائري.

(1) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 63.

(2) - عز الدين جلاوي، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف، ص 89.

(3) - سورة آل عمران، آية 14.

وأخيرا رأينا من خلال تحليلنا للأمثال المذكورة في هذا المبحث، أنها تعبّر عن حالات نفسية، وتنشئ بمكنونات في اللاشعور، تبرز من خلال استعمال المثل في المواقف المناسبة فمستعمل المثل يُظهر -لا شعوريا- إحساسه تجاه موضوع معين؛ كما يُشعر بفهمه لحالة المخاطب النفسية. كما أن هذا النوع من الأمثال ينبئ بالاتجاهات والقيم التي يتمسك بها المجتمع الذي تسود بين أفرادهِ قديما أو حديثا. فهو قد ركّزها و حفظها في هذا القول الموجز بعد تجارب و ملاحظات لمدة طويلة.

ثالثا - تأثير الأمثال في المجال الاجتماعي:

أ- الإنسان مخلوق اجتماعي:

الإنسان لا يستطيع أن يعيش منفردا منعزلا عن غيره من أبناء جنسه؛ « فرغبته في الاجتماع بالآخرين والميل إليهم والخضوع للمجتمع هي حقائق نابعة من داخل النفس وليست مفروضة عليها من خارجها، هذه الرغبة تجعل الإنسان يضحى -أحيانا- ببعض رغباته وملذاته الفردية في سبيل الوجود في مجتمع، وهي رغبة فطرية موجودة في داخل النفس، ولا تملك قوة في الأرض أن تتشئها إنشاء -بمجرد الضغط- لو لم تكن موجودة بالفعل...»⁽¹⁾. بالإضافة إلى أنه لا يستطيع أن يلبي كل حاجاته، المادية والنفسية، الفطرية أو المكتسبة؛ وعليه، فتعاونه مع غيره ضروري لبقائه. يعبر عن ذلك مثل شعبي: «الخارجة من فريقها ناشف ريقها»⁽²⁾، أي الخارجة من أصلها ومجموعتها، ينشف ريقها بمعنى تتعب وتموت. وهذا يطابق ما تراه النظرية البنائية من أن الذات الإنسانية لا يمكنها أن تكون مستقلة تماما. وعليها أن تدخل مع غيرها في علاقات تؤدي إلى التفاعل. و التفاعل هو المبدأ الأساس في أي بناء اجتماعي، به يقاس الوجود الاجتماعي⁽³⁾. لقول ابن خلدون: «إن اجتماع الإنسان ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع. أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران. وبيانه أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهده إلى التماسه بفطرته وما ركّب فيه من القدرة على تحصيله؛ إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه»⁽⁴⁾ ويدلل ابن خلدون على ذلك بما يتطلبه خبز يوم من بذر وزرع، وحصاد وطحن، وعجن وطبخ، وما يتطلب ذلك من آلات متعددة ومواعين تحتاج إلى صناعات أخرى. و قس على ذلك ما يحتاجه من ملابس ومسكن ودفاع عن النفس، فهذه الحاجات لا تحصل إلا بالتعاون؛ فهذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني. ويرى آخرون أن الحاجات -Les Besoins- في أساس نشأة الجماعة؛ لأن

(1) -محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ص19.

(2) -رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص54.

(3) - سعد ضاوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، ط1، دار الفكر، بيروت، 1994م، ص 176-177.

(4) -ابن خلدون، المقدمة، ص69.

الجماعة لا تظهر عادة، إذا لم يكن في وجودها إشباع لحاجات لا يتم خارجها. وعلى هذه الحاجات يتوقف بناء الجماعة و استمرارها.. كما أن الحاجات تتزايد وتتطور، فتختلف حاجات اليوم في عددها وكيفية إشباعها عن حاجات الأمس، وهناك حاجات جديدة تظهر باستمرار؛ بينما حاجات قديمة تتضاءل أهميتها؛ فالحاجات الأساسية والثانوية في حركة دائبة، والحاجات التي تؤمن بها الجماعة بعضها مادي، ويختلف من جماعة إلى أخرى وبعضها نفسي، كالحاجة إلى السيطرة أو الظهور، ولفت الأنظار، أو الحاجة إلى الانتماء الذي يعطي الثقة في النفس، والإحساس بالقوة والدعم⁽¹⁾. ولكي يقع التعاون بين الأفراد والجماعات، ويحقق بعضهم للبعض الآخر حاجاته المختلفة، فلا بد أن تكون هناك ضوابط تنظم العلاقات بينهم. قال ابن خلدون: «ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض؛ لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم»⁽²⁾ هذا الوازع يحصره ابن خلدون في الملِك أو الحاكم الذي يكون له السلطان عليهم، وهو واحد منهم. فالحاكم هو الذي يشرع لتنظيم العلاقات بينه وبين الأفراد داخل الجماعة، اعتمادا على آراء الفلاسفة والمفكرين، وعلى خبرة وتجارب الأفراد والجماعات، التي كانت تُكتنز في نصوص شفوية أو مكتوبة.

ب- الأخلاق في التراث:

إن الشرائع السماوية جاءت لتنظم العلاقة بين الخالق وعباده، وبين العباد بعضهم مع بعض. «والدين إذا كانت له مهمة يؤديها في هذه الحياة، فليست هي هداية الإنسان إلى العمل من أجل الحصول على نعيم الآخرة. إذ هذا النعيم ليس مقصودا لذاته؛ وإنما هو مجرد جزاء لما نفعه في هذه الدنيا. إن مهمة الدين الحقيقية هي هداية الإنسان إلى استكمال إنسانيته العقلية بالسيطرة على حيوانيته الغريزية»⁽³⁾. وفي هذا المجال تُذكر كلمة الأخلاق التي تحتوي القيم والتوجيهات التي تنظم هذه العلاقات. يقول الدكتور عبد الله شريط، في معرض حديثه عن تعقد مادة الأخلاق: «على أن الأمر الذي لاشك فيه، هو أن مفهوم

(1) - سعد ضاوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، ص 179.

(2) - ابن خلدون، المقدمة، ص 71.

(3) - عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، ص 178.

الأخلاق نفسه، لم يكن محددًا واضحًا في تراثنا الفلسفي، فهو أحيانًا سلوك يؤخذ من الشريعة، وحينًا آخر اسم ثان من أسماء التصوف، وهو عند البعض لا يختلف موضوعه عن موضوع الأدب، وعند البعض الآخر هو الفلسفة نفسها ⁽¹⁾ ومهما تعددت هذه المفاهيم فالتهذيب أو التأديب بمعناه التهذيبي أو بمعناه الحامل للقيم الأخلاقية، يجمعها.

يرى عبد الله شريط: أنه يمكن العثور على ما يتفق مع التعاريف السابقة في التراث القديم وفي فلسفتنا الإسلامية؛ غير أنه لا يحمل اسم الأخلاق، بل يحمل اسمًا فلسفيًا هو: الحكمة العملية، التي لا يُقصد بها شيء آخر غير الأخلاق. «فقد جاء في (كشف اصطلاحات الفنون) الذي يرجع عهد تأليفه إلى القرن الثاني عشر الهجري أن الحكمة العملية، ثلاثة أقسام: لأنها إما علم بمصالح شخص بانفراده، ويسمى تهذيب الأخلاق، وعلم الأخلاق والحكمة الخلقية، وفائدتها تنقيح الطباع؛ بأن تعلم الفضائل وكيفية اقتنائها، وتعلم الرذائل وكيفية توقيها. وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل، ويسمى تدبير المنزل؛ وفائدتها أن تعلم المشاركة التي ينبغي أن تكون بين أهل منزل واحد لتنظم بها المصلحة المنزلية. وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة، ويسمى السياسة المدنية، ويسمى أيضًا علم السياسة، والحكمة السياسية، والحكمة المدنية، وسياسة الملك؛ وفائدتها أن تعلم كيفية المشاركة التي بين أشخاص الناس؛ ليتعاونوا على مصالح الأبدان، ومصالح بقاء النوع الإنساني» ⁽²⁾.

و أخيرا ينتهي هذا التعريف بفكرة نجدها أساسية في علم الأخلاق الحديث، وهي فكرة الهدف، أو المثل الأعلى. «ثم اعلم أن موضوع الحكمة العملية، هو الأفعال الاختيارية.. والأفعال الاختيارية لا بد لها من غاية وفائدة، وتلك الفائدة عائدة إلى كمال القوة إلى الشخص أو الاجتماع» ⁽³⁾ و لا شك أن قيم المجتمع ومبادئه واتجاهاته مبنوثة في أدبه؛ فهو يلقتها أبناءه في المدرسة أو خارجها، فمبادئ التربية يجب أن تكون واحدة، لكي لا يكون هناك تناقض بين ما يتلقاه الفرد في الفضاء بين- المدرسي وخارج المدرسة- فالمبادئ التي

(1) - المرجع السابق، ص150.

(2) - المرجع السابق، ص151.

(3) - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ترتكز عليها التربية في آراء (جون ديوي) الاجتماعية هي: « أنه لا يمكن أن يكون هناك صنفان من المبادئ الأخلاقية، تختص إحداها بالحياة المدرسية، والأخرى بالحياة خارجها؛ لأن السلوك وحدة لا تتجزأ»⁽¹⁾

ولو عدنا إلى الأدب العربي، وبحثنا في أقدم ما عُرف له من نماذج لوجدنا الغرضية الاجتماعية بأبرز مظاهرها - سواء في ذلك الشعر الجاهلي، والنثر المتمثل في الخطابة؛ فالقصيدا الجاهلية، مع كل ما فيها من فيض وجداني يرافقها من مطلعها إلى بيت قصيدها إنما هي رسالة هادفة؛ تقال لتسمع، تتناولها الركبان .. إلى أن تصل إلى الأذن المعنية، وما تحمله هذه الرسالة، على ما فيه من انفعالات شخصية؛ تتمثل في نسيب أو مدح أو هجاء أو فخر.. هو اجتماعي الباعث واجتماعي الفعل. إن الفخر مثلا، نادرا ما يقتصر على الفرد.. فخر بالجماعة التي بها يقوى الفرد، وفيها يجد الحماية والأمن، وكذلك الهجاء.. هكذا كان الشعر يقال فيُردد ويُنشر. والخطابة هي الفن النثري الوحيد الذي عرفه الجاهليون في غياب انتشار الكتابة والقراءة على نطاق واسع. والخطابة بطبيعتها خطاب يتوجه إلى جمهور؛ يُفصل بمقياس مشاكله واهتماماته، يتوقع أن يحدث في الجمهور تأثيرا فوريا؛ فيشفي بعض عله، أو يؤزم بعض انفعالاته، أو يوجه فكره وخياله⁽²⁾. و هنا تدخل الأمثال؛ لأن الشعراء والخطباء كثيرا ما يضمنون أثرهم الأدبي الأمثال للتوشية أو الاستشهاد أو الحجاج... قال فائز الداية: « .. وتبدو الأمثال مصدرا هاما للشعراء في هذا المجال، ذلك أنها تعد بنية رمزية، فتجمع بين الإيجاز وتكثيف تجربة إنسانية، ثم نجدها ترتفع إلى مرحلة الشمول عندما تغادر رقعة الواقعة الجزئية، فهي تصلح لإشعاع قيم شعورية، وقيم اجتماعية أو فكرية في حركة الحياة وتجارب الناس »⁽³⁾. و الأمثال جنس أدبي متداول بين الخاصة والعامة من أفراد المجتمع؛ بسبب تأثيره في نفوسهم، هذا التأثير الذي يظهر في علاقة الفرد بنفسه أو بغيره.

(1) - جون ديوي، المبادئ الأخلاقية للتربية، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966م، ص 19.

(2) - ينظر: سعد ضاوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، ص 296.

(3) - فائز الداية، جماليات الأسلوب - الصورة الفنية في الأدب العربي - ط2، دار الفكر، دمشق، 1996م، ص 190.

و الأمثال تتجه في تناولها للأخلاق، الفردية والجماعية اتجاها يخالف اتجاه الشعر؛ ذلك أن الأمثال حكمة الأمة أو الشعب، والحكمة تتوخى الموعظة والنصيحة دائما، وتحت على الفضائل وتتفر من الرذائل. أما الشعر - إذا استثنينا منه شعر الحكمة والأمثال - فإن وظيفته الأولى تهيج العواطف، وإثارة الانفعالات، بغض النظر عن الحق والباطل، والخير والشر، ومن ثم وجدنا معظمه يقوم على الكذب، والمبالغة والتحويل، وتزييف الواقع، حتى قيل: (أعذب الشعر أكذبه).⁽¹⁾

فإذا درسنا خلقا كالجود عند العرب، وجدنا أمثالهم تدعو إليه، وتبين عوائده على الفرد والجماعة، ثم تدم البخل، وتحذر من عواقبه الوخيمة، كل ذلك في أساليب هادئة، تبدو فيها آثار التدبر والتعقل والفكر العميق. مثل قولهم: «إن الرثيئة* تفتأ الغضب» وأصله أن رجلا غضب على قوم، وكان مع غضبه جائعا، فأتاهم ليوقع بينهم، فسقوه رثيئة، فسكن غضبه، وكف عنهم⁽²⁾.

كما أن توجيهات الأمثال تخالف -أيضا- توجيهات النصوص الدينية، فإذا كانت النصوص الدينية تلزم بوجوب القيام بالفعل كتطبيق الفرائض، أو وجوب عدم فعله، كتجنب المحرمات، عن طريق الترغيب والترهيب؛ لأنها تقرر لذلك جزاءات أو عقوبات عاجلة أو آجلة. فإن الأمثال تقدم نقدا لوضع اجتماعي وتترك حرية الاختيار للفرد. «فالمثل الشعبي ينظر إلى العلاقات الاجتماعية من زاوية إرادة الإنسان ووضعه أمام امتحان ذاتي، وليس على أساس أسلوب الوعظ والإرشاد الخارجي، القائم على الترغيب أو الترهيب، وهي طريقة يمكن أن نسميها طريقة النقد في الأمثال الشعبية من ذلك قولهم: «أنا نقول لك يا سيدي وأنت أعرف مربطك»⁽³⁾ وتُتطرق في جهات أخرى: وأنت أعرف منزلتي. أي قَدري، وقيمتي. وكلمة منزلتي أكثر تهديبا من كلمة مربطك؛ لأن المربط يكون للحيوان الذي يربط. كالحمار مثلا، وتعني الزم حدودك. وتقال مربطك عند الغضب.

(1) - ينظر: عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، ص 301.

* الرثيئة: لبن حامض يصب عليه حليب فيخثر. وتفتأ: تكسر وتسكن.

(2) - ينظر: عبد المجيد قطامش، المرجع السابق، ص 329.

(3) - التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص 174.

و الإنسان يكتسب قيمه وميوله واتجاهاته منذ طفولته في مؤسسات متخصصة في التربية كالأسرة والمدرسة - تربية مقصودة- كما يكتسبها في مؤسسات غير متخصصة كالنوادي ودور العبادة، وحتى في الشوارع والأسواق وغيرها - تربية غير مقصودة- بفضل الاختلاط والتواصل اللغوي. « وبفضل العرف اللغوي والرصيد يغدو الفرد قادرا على الانتظام في المجموعة البشرية المنتمي إليها، فهو يتصل بالآخرين متلقيا ومرسلا الكلمات ومنظما الاستجابات وفق فهمه لمساحتها الدلالية؛ كما نلاحظ أن حيازة مقدار أكبر وأدق من الرموز تتيح مشاركة أوسع، وأكثر عمقا وتخصصا في الحياة اليومية والعملية والفكرية »⁽¹⁾.

و في هذه الميادين توظف الأمثال الشعبية الحاملة لقيم المجتمع واتجاهاته، وبتكرارها الشفوي أثناء التفاعل بين الفرد ومحيطه الاجتماعي تترسخ هذه القيم، وتدفع إلى تبنيها والعمل بها، وتداولها لتتقل إلى الخلف.

والقيمة: « طريقة في الظهور أو التصرف، يراها الشخص أو الجماعة، نموذجية وهي بالتالي تجلب التقدير للشخص الذي يراعيها أو للتصرف الذي يصب في اتجاهها.. إنها تنتمي إلى التنظيم المثالي لا إلى نظام الأشياء الملموسة أو الأحداث. فهذه يمكن لها أن تعبر عن قيمة أو أن تمثلها، ويمكن لها أن تذكر بها أو تستلهمها؛ إنما لا قيمة لها بحد ذاتها. إنها لا تستدعي الاحترام وتستحقه إلا بانتسابها إلى القيم أي إلى التنظيم الخلقي الجمالي أو الفكري، الذي يكون قد ترك عليها طابعه.. فالجوع الذي يحفز إليه (الرجيم) ويحافظ على جمال الشكل، هو أمر ذاتي بل أناني؛ لكنه إذا كان بسبب إثارة الآخرين بالطعام غدا كرما، وانتمى إلى التنظيم المثالي، أي إلى عالم القيم »⁽²⁾.

ج- توجيهات الأمثال:

والأمثال الشعبية عندما تستحسن صفات أو تصرفات فهي تُرشد إلى التحلي بها دون إجبار، أي عن طريق اختيار الفرد بعد اقتناعه بصوابها. وعندما تستهجن صفات أو مواقف فإنها تحث على تجنب الاتصاف بها، عن طريق اختيار أيضا، وفي كلا الحالتين فهي

(1) - فائز الداية، جماليات الأسلوب - الصورة الفنية في الأدب العربي، ص 175.

(2) - سعدي ضاوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، ص 245.

موجهة للفرد بصفته عنصرا في علاقة مع جماعة، يؤثر فيها ويتأثر بها. ومن السلوكات التي فصلت الأمثال القول فيها : استعمال اللسان.

1- استعمال اللسان:

اللسان هو قطعة لحمية في الفم تساعد على مضغ الطعام وتذوقه وبلعه، وهو عضو النطق لدى الإنسان، ولذلك سميت اللغة والكلام به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾⁽¹⁾ فاللسان يدل على اللغة. و اللغة كما هي وسيلة تواصل، فهي وعاء الأفكار والعواطف. فكلام الفرد له أثر على الفرد نفسه، كما له أثر على غيره. فيمكن أن يوظفه الإنسان في الخير كما يمكن أن يوظفه في الشر، فهو سلاح ذو حدين. فكم من مشاكل وقعت بين الأفراد والجماعات، وكم من حروب اندلعت بين الشعوب بسبب كلمات، وكم من مشاكل حُلَّت بفضل كلمات؛ فبكلمة تقوم الحروب، وبكلمة تهدأ وتخمد، وبكلمة تُدخل السرور على شخص، وبكلمة تدخل الهم والضيق على آخر. فبكلمة يتم الزواج، وبكلمة يتم الطلاق. والمرء مخبوء تحت لسانه؛ فإذا تكلم ظهر ما في قلبه. قال الشاعر:

وفي الصمت ستر للعيي وإنما = صحيفة لب المرء أن يتكلما⁽²⁾.

هذا فيما يتعلق بالكلام الشفوي؛ أما المكتوب، فيقول الجاحظ: « وقال موسى بن يحيى بن خالد: قال أبو علي: " رسائل المرء في كتبه أدلّ على مقدار عقله، وأصدق شاهد على غيبه لك، ومعناه فيك من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة" »⁽³⁾

جاء في الأثر: إن تكلم الرجل عرف في حينه، وإن لم يتكلم عرف في نهاره. أي من خلال كلامه تُعرف ثقافته، واتجاهاته، وقيمه. وهنا تحضرني حادثة شعبية في هذا الموضوع. قيل: دعيت مجموعة من الرجال البدو إلى وليمة، وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث في مواضيع شتى، وكل منهم يدلو بدلو، ويبيدي رأيه، إلا واحدا، كان غير معروف ذا هيئة حسنة، تبدو عليه المهابة؛ ولكنه لم يشاركهم الحديث، وظل صامتا؛ فأراد أحدهم أن

(1) - سورة النحل، آية 103.

(2) - المحافظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 138.

(3) - المرجع السابق، ص 139.

يستفزه، فطرح السؤال التالي: إذا تجمعت الزبدة في الشكوة، فكيف يخرجها الراعي وقم الشكوة ضيق؟ (الشكوة: جلد نعجة مدبوغ، ومهياً إما لوضع الطحين فيه وإما لمخض اللبن وإخراج زبدته)؛ فنطق الساكت قائلاً: يَفُكُ خُلَّالَهَا أي يفتح قاعدتها. والخلال هو قطعة خشبية تستعمل في ربط الأوعية المصنوعة من الجلد أو الشعر والوبر كالغرائر. فعرفوا مهنته.

والأمثال الشعبية حرصت على حسن استعمال هذا العضو؛ لأنه سبب شقاء الإنسان أو سعادته. قال المثل: « لسانك حصانك إن صنته صانك، وإن هنته هانك»⁽¹⁾ شبه اللسان بالحصان، المعد للسباق مثلاً؛ فإن حافظ عليه واعتنى به صاحبه: من تدريب وأكل ونظافة استطاع صاحبه أن يسبق به، لكنه إذا لم يعتن به، وأهانته؛ فإن الحصان لا يسبق غيره. وكأنه أهان صاحبه. فكذلك الإنسان إذا حافظ على لسانه، واختار ألفاظه، واستعمله في ما يفيد، حافظ على نفسه و على كرامته، لكن إذا استعمله في الإضرار بالغير عرض نفسه للنقد، والإهانة والخطر. والإنسان محاسب على كلامه أمام الله. لقوله تعالى: ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾⁽²⁾

والاستعمال السيئ- كأن يسب المرء شخصاً أو يتناول عرضه، أو يهينه بكلام جارح- يعرض صاحبه للكره والحقد، وربما للانتقام، وبهذا تقسد العلاقة بين الأفراد، قال المثل: « اللي جرح القلب و أدماه، واش من عين تلقاه »⁽³⁾ فمن جرح القلب بالكلام، فإن ذا الجرح لا يندمل، وبالتالي لا يمكن ملاقاته، ومصادقته مرة أخرى.

ولذلك توحى الأمثال بتجنب الكلام الجارح، وتحبذ الكلام الحلو؛ لأن به تصفو القلوب، و تنشأ المحبة بين الناس. قال المثل: «اللسان الحلو يرضع اللبّة»⁽⁴⁾. اللبّة هي أنثى الأسد. فعلى شراستها و قوة اقتراسها؛ فاللسان الحلو يمكن أن يرضعها، أي باللين يمكن ترويضها. و هو تمثيل لأثر الكلام الطيب في إنشاء المودة بين الناس. فكثيراً ما يُنصح الشباب بهذا المثل لقضاء حوائجهم باللين، دون اللجوء إلى العنف اللفظي الذي قد يضيّعون به مصالحهم.

(1) - رابح خلوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص150.

(2) - سورة ق، آية 18.

(3) - رابح العوي، أنواع النثر الشعبي، ص53.

(4) - المرجع السابق، ص60.

و الأمثال تنصح الفرد بأن يتكلم إذا كان كلامه فيه خير؛ وإلا عليه بالصمت، لكي لا يقول كلاما فيه مضرة له أو لغيره. قال المثل: «قل كلام الخير أو اسكت خير»⁽¹⁾. وهو مثل يدعو الإنسان إلى التروي والتفكير قبل أن يتقوه بأي كلام؛ فإذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب. وهنا يحضرني مثل فرنسي يقول:

« Il faut tourner sept fois sa langue dans sa bouche avant de parler »⁽²⁾

وترجمته: يجب أن يدير لسانه سبع مرات في فمه قبل أن يتكلم. وهو دلالة على وجوب التفكير والتروي قبل التحدث إلى الغير أو إصدار الأحكام. وهي حكمة إنسانية لحفظ اللسان من الخطأ.

يدعم المثل السابق مثل آخر هو: « الصمت حكمة تخرج منه لحكاييم، لوما تَصْمِصِيم ولد الحجلة ما يجي لحنش هاييم »⁽³⁾. الصمت أبو الحكيم، وهو أفضل من الحديث المضر، والدليل: أن ابن الحجلة - وهي طائر صغير في حجم الحمامة - لو لم يحدث صوتا، وهو في عُشّه، لما أتاها الحنش أي الثعبان، وأكله؛ فسبب هلاكه، هو صوته الذي نبه به الحنش. وللحث على الصمت -أيضا- يقول المثل: « الفم المزموم ما تدخلو ذبّانة والفم المحلول تعشش فيه »⁽⁴⁾. يقال في مدح الصمت والتحذير من الثثرة.

و إذا تكلم الإنسان فعليه أن يكون صادقا في أقواله، و أن يتحمل تبعات كلامه، وأن يفي بوعوده. لقول المثل: « اللي خرجت من الفم تسمى دين »⁽⁵⁾. كل التزام أو تعهد يُتخذ؛ و لو مشافهة، يجب أدائه؛ كما لو كان ديناً. ومن ثم وجب ألا يلتزم الإنسان بدون رؤية.

2- الغيبة:

ومن أضرار اللسان الغيبة، وهي أن يذكر المرء شخصا آخر بما يكره - سواء أكان صادقا أم كاذبا- وفي هذا يقول المثل: « كل شيء يبيرا يا هبرة * غير كلام العيب »⁽⁶⁾.

(1) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 121.

(2) - Jean-Loup Chiflet. Op ,ct. P 81.

(3) - رابح العوي، أنواع النثر الشعبي، ص 53.

(4) - رابح خلدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 111.

(5) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 59.

(6) - المرجع السابق، ص 146.

* - ذكر قادة بوتارن في المرجع نفسه، ص 56. المثل: « شرط المجاهر على هبرة. المجاهر وهبرة قبيلتان في الغرب الجزائري، كانتا في خصام دائم لمتاخمة أراضيهما، قامت حرب بينهما، فانتصرت المجاهر على هبرة، فاشتراط الغالب على المغلوب للمصالحة شروطا بالغوا فيها، حتى ضرب بها المثل، ويذكر في كل اتفاق، تكون شروط أحد الطرفين جد تعسفية.

الهبرة: قطعة اللحم. إن العامة تنسب هذا الكلام للأسد. وكان قد واطأ امرأة، فوجدت رائحته كريهة، فأخبرت الناس بذلك. و قبل أن ينتقم الأسد منها، قال لها هذه العبارة. و قد صارت عند العرب أصلا من أصولها: أن لا يغتاب الإنسان أخاه، ولا يذكره بسوء. لأن الغيبة سلوك سيئ يؤدي إلى العداوة بين الناس. وأصحاب المروءة يتجنبون الوقوع في الغيبة، مهما كانت المغريات. قيل: أن قوما من البدو دعوا قوالا، بالقاف المعقوفة، (شاعرا) فأكرموا إكراما لا مثيل له، ثم طلبوا منه أن يُمَجِّدَهُمْ (يمدحهم)، وَيَمْعَرَ (يهجو أو يذم) قوما آخرين. فقال لهم:

مَانْعَتَبَ فَا نَجُوعُ غَتْبَةٍ = لَحْدِيثٌ عَنِّي يَتَعَادُ*

نُتْمًا مَدِينَةً رَحْمَةً = وَهُمَا ابْطَالٌ وَاجْوَادٌ⁽¹⁾

الغتبة هي الغيبة، وأنجوع: يقصد بها بيوت الشعر، والبدو الرحل الذين يتنقلون طلبا للكلاء، فيقيمون في المنتجع، أو المستنقع، موضع الكلاء⁽²⁾. نُتْمًا في العامية بمعنى أنتم. فهذا الشاعر الشعبي أبى أن يغتاب أو يذم قوما آخرين، لأن قوله سوف يصلهم، فينتقمون منه. ثم ساوى بينهم في المدح؛ حيث اعتبر من ضيقوه وأكرموا مدينة رحمة. أما الآخرون فيمتازون بالبطولة والجود. وفي المثل تنفير من الغيبة.

كما أن الله تعالى قد حرّم الغيبة، ونعت المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتا. وهي صفة تشمئز منها الأنفس الكريمة. قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾⁽³⁾. كما تحت الأمثال على عدم تتبع عيوب الناس ومساوئهم، وأخبارهم. بغية إفشائها للناس - بعلم أو بغير علم - قال المثل: «كثرة التنباش تجرح السنين»⁽⁴⁾. والتنباش من النبش وهو الحفر أو البحث لإخراج شيء مستور، كمن ينبش قبراً لاستخراج رفات ميت لينكل به. والتنباش: أي البحث عن أسرار الناس، يضر صاحبه. والتنباش في العامية: حفر المرء باستعمال أظافره، أو نبش اللحم أي نهشه و أخذه قطعاً صغيرة باستعمال الأسنان. ومن بالغ في هذا الفعل تتعرض

(1) - رواه المرحوم حليتم الدخيلي، أب صاحب الأطروحة، (1911-2005م).

* - النجوع، مفرداها: نجع: وهو مكان انتجاع البدو، أي المكان الذي يجدون فيه الكلاء. ثم صارت تطلق على البدو الرحل.

(2) - ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، ط25، دار المشرق، بيروت، 1975، ص792.

(3) - سورة الحجرات، آية 12.

(4) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص164.

أسنانه للجرح أو الكسر، وهو كناية عن مضار التنباش.

3- النميمة:

و من آثار اللسان النميمة، وهي نقل كلام بين طرفين -سواء أكان صحيحا أم كذبا- بغرض الإفساد بينهما. و من مضارها التفريق بين المتحابين، وخلق العداوات بين أفراد المجتمع، وقطع الأرزاق.. والمثل الشعبي يُقَرَّ منها بقوله: « **اللي ما يَقْدَرْشْ عليه الشيطان في عام، يديره القَرَّاضُ في ساعة** »⁽¹⁾. القراض بالقاف المعقوفة، هو النمام؛ فالمثل يقارن بين فعل الشيطان في التفريق بين الناس وخلق الأحقاد والعداوات، وبين فعل القراض، أي النمام؛ ويرجح كفة النمام. لخطورة نميته التي تتم في ظرف قصير، بكلمة أو كلمتين. فتحدث فتنة تدوم زمنا طويلا، وقد تترتب عليها جرائم، لا يمكن علاجها. والأمثال الشعبية تدم الإنسان الذي ينشغل بعيوب الناس وينسى عيوبه، وتنتعه بأقبح الأوصاف. قال المثل: « **الخرا في لحيتو وهو يقول: وين ريحتو** »⁽²⁾. وين في العامية: هي أين. يضرب المثل في من يثلب أعراض الناس؛ وعرضه محل تغامز من الناس وتفكههم. يقول مثل آخر: « **الجمال لو كان يشوف حدبته تنقطع رقبتو** »⁽³⁾، أي أن الجمال لا يرى حدبته-سنامه- ولكنه يرى حدبات غيره. و كذلك الإنسان لو اكتشف عيوبه وفكر فيها واهتم بها لنسي عيوب الآخرين.

والقرآن قد حرم النميمة كما حرم الغيبة. لما تسببه من إضرار بالمجتمع. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ** ﴾⁽⁴⁾ جاء في تفسير البغوي: « لا تطع كثير الحلف بالباطل، فهو مهين: ضعيف حقير. قيل من المهانة، وهي قلة الرأي والتمييز. هَمَّازٍ: أي مغتاب يسعى بين الناس بالنميمة ليفسد بينهم. مناع للخير: بخيل بالمال. مناع للخير: أي يمنع الناس من الدخول في الإسلام. معتد: ظالم. أثيم: فاجر »⁽⁵⁾.

(1) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص54.

(2) - عبد الحميد بن هديقة، أمثال جزائرية، ص126.

(3) - من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(4) - سورة القلم، آية 10-11.

(5) - البغوي، تفسير البغوي، م8، ج29، ص192.

4-الضيافة:

ومن السلوكات والقيم التي تقوي روابط المحبة بين أفراد المجتمع، وتمتن نياط العلاقات الاجتماعية، الضيافة. فإكرام الضيف من القيم الاجتماعية في المجتمع العربي منذ العصر الجاهلي. فكل فرد يحب أن يوصف بالكرم. و لا يحب أن ينعت بالبخل. وفي الأدب العربي يُمدح الأفراد والقبائل بالجود والكرم، ويهجون بالبخل والشح.

ففي الكرم والجود، قال أبوتمام⁽¹⁾ مادحا (المعتصم بالله):

هو اليم من أي النواحي أتيتَه = فلجته المعروف والجود ساحله

تعوّد بسط الكفّ حتى لو أنه = ثناها لقبض لم تجبه أنامله

ولو لم يكن في كفّه غيرُ روحه = لجاد بها، فليثق الله سائله

فهو يشبه ممدوحه بالبحر في الكرم، و جوده موجود في ساحله، أي في متناول كل من يصل إليه. والجود أصالة فيه، فلا يستطيع أن يمنع جوده ولو أراد؛ فكأن الجود فيه سلوك لا إرادي. ولو تحولت نفسه إلى محسوس يُجاد به ، لجاد بها. والإكرام في حالة العسر أهم من الإكرام في حالة اليسر.

أما البخل فمن أسوأ أساليب الوصف فيه، قول الأخطل⁽²⁾ يهجو جريرا في قصيدة مطلعها:

مازال فينا رباط الخيل معلمة = وفي كليب رباط الذل والعار

إلى أن يقول:

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم = واستوثقوا من رتاج الباب والدار

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم = قالوا لأهمهم: بولي على النار

فتمنع البول شحا أن تجود به = وما تبول لهم إلا بمقدار

فالشاعر يهجو بأسلوب ساخر وبصور مقززة، منفرة من هذا السلوك المهين؛ حيث

يقول عنهم: إنهم عند أكلهم يخفضون أصواتهم، لكي لا يسمع كلامهم من يمر ببابهم، كما أنهم يستوثقون من سد الباب بالمزلاج، حتى لا يفاجئهم أحد بالدخول عليهم وهم في حالة الأكل. وللايمعان في الهجاء جعلهم لا يملكون إلا كلبا واحدا لا ينبج فهو يشبههم في البخل

(1) - الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ج2، ص15.

(2) - الأخطل، غياث بن غوث بن صلت بن طارقة بن عمرو أبو مالك، ديوان الأخطل، دار البدر للطباعة والنشر، الجزائر، د/ت، ص142.

إلا إذا أخرجهم الأضياف القليلون - استعمل الشاعر جمع القلة، أفعال - لقلتهم وندرة طروقهم بيت هؤلاء القوم. و للمبالغة في إهانتهم، جعلهم يقولون لأهمهم: بولي على النار لتطفئها بالبول بدل الماء -لعزة الماء ولشحمهم - ولكي لا يرى الأضياف النار، فيحسوا أن في البيت طعاما. غير أن أهمهم كانت أشد بخلا منهم؛ فهي تشح حتى ببولها. فلا تبول إلا بمقدار.

و البخل قد تحدث عنه الجاحظ في كتابه البخلاء، بأسلوب ساخر؛ حتى يصل تأثيره إلى قلوب الناس جميعا، فيتفطنوا إلى هذه الظاهرة السيئة المضرة بالمجتمع ويتجنبوها. ومن طرائف الجاحظ في كتابه البخلاء « قال أصحابنا: يقول المروزي* للزائر إذا أتاه، وللجليس إذا طال جلوسه: تغذيت اليوم؟ فإن قال: نعم، قال: لولا أنك تغذيت لغذيتك بغذاء طيب، وإن قال: لا، قال: لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة أقداح؛ فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير»⁽¹⁾.

فالبخل خلق ذميم يناقض تماما طبيعة الإنسان الذي يعيش في جماعة؛ يحتاج بعضها بعضا؛ فإعانة الآخرين وبذل المال والجهد لهم هو الذي يجعل المجتمع متضامنا غير متفقت. وهذا لا يعني ترك العمل من أجل جمع الثروة التي بها ينهض الاقتصاد؛ وإنما المقصود ألا يكون الهدف الجمع من أجل الجمع. وألا تبقى الثروة في يد جماعة قليلة فقط. وهذا ما حاربه الإسلام. قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾⁽²⁾. أي مال الفيء أو الغنائم يوزع على الفقراء والمساكين، كي لا يبقى متداولاً بين الأغنياء دون الفقراء. بل مدح القرآن الكريم الذين يعينون المحتاجين، ولو كانوا هم في حاجة إلى ذلك المال. قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽³⁾. أي يساعدون المحتاجين بالطعام والمال. بل يفضلون غيرهم على أنفسهم ولو كانت بهم فاقة وحاجة إلى المال.

فالكرم والبخل سلوكان متناقضان، وكلاهما يظهر في الضيافة، والأمثال الشعبية وجّهت إلى كيفية التعامل مع الضيف. فكثيرا ما ينزل الإنسان ضيفا على غيره؛ سواء أكانت

(1) -الجاحظ، البخلاء، تقدم وشرح وضبط وفهرسة يوسف الصميلي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ص19.

* المروزي: نسبة إلى مدينة مرو بخراسان.

(2) - سورة الحشر، آية 7.

(3) - سورة الحشر، آية 9.

الضيافة بدعوة من المضيف أم بغير دعوة. و في هذه الحالة نظّمت الأمثال العلاقة بين الضيف ومضيفه، وحددت صفات من الضروري أن يتحلّى بها كل منهما.

5- صفات المضيف:

قال المثل: «الضيف ضيف، ولو كان يقعد شتاء وصيف»⁽¹⁾. فالمثل يحث على احترام الضيف وإكرامه، مهما طالّت مدّة ضيافته- من الشتاء إلى الصيف- فلا يمكن تكليفه ببعض الأعمال لصالح المضيف، أو مطالبته بالمساهمة في نفقات الأكل مثلاً. و هذه مبالغة في الإكرام، وهي طريقة في التعبير شائعة في الدارجة؛ لأن المثل يقول في العادة: «ضيفة النبي ثلاثة أيام»⁽²⁾. أي يجب أن يُحترم الضيف ويُكرم، على الأقل ثلاثة أيام، لا يُسأل خلالها عن أصله إذا كان غير معروف. و بعد الثلاثة أيام يمكن سؤاله عن أصله وعن رغباته وغيرها. و هذه الطريقة في إكرام الضيف تقوّي الروابط الإنسانية بين الناس.

وكان من عادة العرب، في الحفاوة بالضيف، أن يتلقوه بالحديث والبشاشة وطلاقة الوجه. يقول الجاحظ: «لأن العرب تجعل الحديث والبسط و التأنيس والتلقي بالبشر، من حقوق القرى، ومن تمام الإكرام به، وقالوا: من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المؤكلة، وقال شاعرهم:

سلي الجائع الغرثان* يا أمّ مُنذر = إذا ما أتاني بين ناري ومَجْزري
هل أبسط وجهي إنه أول القرى = وأبذل معروفني له دون مُنْكَري»⁽³⁾

والأمثال تحت على العناية الجيدة بالضيف. يقول المثل:

«رَذْلَةُ مَسْرَهْدِهِ، وَلَا ضَيْفَهُ مَرْمَدَةٌ»⁽⁴⁾.

ردلة: تعني عدم القيام بواجب الضيافة، و ردلة مأخوذة من رذل، رذيلة وهي عكس الفضيلة، فعدم التضييف يعد رذيلة، ومسرهدة تعني في العامية واضحة ومكشوفة. يقولون:

(1) — عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 271.

(2) — المرجع السابق، ص 271.

* — الغرثان: شدة الجوع.

(3) — الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 13.

(4) — من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

* مسرهدة: جاء في المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق بيروت، ص 331، سرهد السنان: قطعه. وسرهد الصبي: أحسن غذاءه. والسرهدة: شحم السنام، ماء سرهد: غزير، المسرهدة: السمين. وربما استعمل البدو كلمة مسرهدة بمعنى الوضوح والبروز، كسنام الجمل.

ليلة مسرودة ، ليلة لا سحاب فيها فهي مكشوفة للجليد. أما مرمدة ، فتعني مُهانة لا قيمة لها؛ فهي من الرماد وهو بقايا النار، فكأن المضيف قد ضيّف ضيفه على مَلّة: وهي العجينة التي توضع في رماد النار الساخن لتتضج وتصير خبزة صالحة للأكل. فالمثل الشعبي يفضل رذيلة عدم التضييف، على إهانة الضيف بهذه الطريقة. و المثل يحث على أن يكرم الضيف أحسن إكرام، ويقدم له ما لذ وطاب، ولو تكلف ذلك، واستدان من أجله، أو لا يقوم بقبول الضيوف ولا بدعوتهم. وعندها يوصف بأنه: رَدَل، أي تغلب عليه الشح، أو لم يجد الشجاعة للتغلب على نفسية البخل عنده. ومع ذلك فالرذيلة أفضل من ضيفة لا تقي بمقام الضيف. وفي المعنى نفسه يقول مثل آخر: « زَعَاكَ ضَيْفَةً، وَلَا عَرَّازَ بِهِ »⁽¹⁾. ومعنى المثل: أن يصرف الإنسان ضيفه أو يطرده، أفضل من أن يغرر به أي يمسكه ولا يكرمه. هذا بالنسبة لمن له مال وهو بخيل. أما الفقير أو قليل المال فالأمثال تطالبه بأن يجود أو يكرم الضيوف حسب طاقته؛ أو حسب ما يملك. المهم ألا يبخل أو يتأخر عن هذه الفضيلة؛ فتقول له: « الجود من الموجود »⁽²⁾، أي دون تكلف، أو استدانة. فلا يشترط أن يكون الإنسان غنيا ليكون كريما.

ومن علامات البخلاء الذين لا يحبون الضيوف؛ غير أنهم في بعض الأحيان يكونون مرغمين - اجتماعيا أو خلقيا - على التظاهر بالكرم أمام الناس، فيستقبلون بعض الضيوف على مضض، وتظهر مؤشرات الضجر والبخل في تعاملهم مع الضيوف؛ فهم لا يطرحون أفرشة لهم، بل يُجلسونهم على التراب، ولا يجلسون معهم لكي يحادثوهم، فيجعلونهم كأنهم غرباء، وإذا تكلم الضيف أو قص قصة، أو أورد خبرا، كذبوه. والمثل لخص هذه التصرفات في قوله: « الضيف اللي ما تُحَبُّو تَرْبُو، وَغَرْبُو، وَإِذَا تُكَلِّمُ كَذِبُو »⁽³⁾. يضرب المثل في الرجل لم يعن بضيفه، كما يتمثل به من لم يجد إكراما من مضيفه. هذه التصرفات يعالجها المخيال الشعبي بالمثل التالي: « أعطني عبستك، ما أردت خبزتك »⁽⁴⁾. إن المرء عزيز النفس - حتى ولو كان فقيرا - لا يقبل الضيافة أو الهدية إلا إذا كانت عن طيب قلب.

(1) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص111.

(2) -السابق، ص 110.

(3) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص272.

(4) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص103.

وأسلوب التصرف في ذلك يهمله كثيرا. فالهدية لا تشفع لعبوس الوجه، أو الكلام الجارح. و المقصود بـ (عبستك). ألا يكون عبوسا، بل طليق الوجه ، قبل الخبزة أو الهدية. و لذلك على الإنسان الذي يحترم نفسه ألا يقبل أن ينزل ضيفا على مثل هؤلاء الناس الذين لا يحبون الضيف؛ لأنه يعرض نفسه للإهانة. و بخاصة إذا كان غير مدعو. لقول المثل: «اللي جاء بلا عَرَضَة يقعد بلا فراش»⁽¹⁾. بلا عرضة: بلا دعوة.

ومهما كان إكرام المضيف ضيفه، فإن الإنسان لا يستريح في مكان أحسن من استراحته في بيته. ولذلك قال المثل: «اللي لقى بيت خَيْر من بيتو، يدعي على بيتو بالخلا»⁽²⁾. يدعي: يدعو الله. و معناه أن الذي يجد بيتا يستريح فيه، أحسن من بيته، فما عليه إلا أن يدعو على بيته بالخلاء أو الخراب. وفي المثل نفي لراحة الإنسان في بيت غير بيته. يقال المثل في الضيف الثقيل لا يكاد يرتحل.

6- سلوكات الضيف:

ومن السلوكات التي يجب أن يتحلى بها المرء المدعو إلى طعام، أن يُقدّر حالة الداعي، فقد تكون الدعوة من باب المجاملة، أو يكون الدافع إلى الدعوة حياء الداعي؛ في حين أن إمكاناته لا تسمح بذلك، أو أن طعامه غير مهيا، أو غير موجود. كمن تزوره في منزله لقضاء حاجة أو مصلحة وقت الغداء؛ فيعرض عليك الدخول لتناول الطعام، وربما كان هذا الطعام قليلا، أو لا يليق بالضيف، أو غير ذلك، فإن قبلت أخرجت الداعي، وكلفته الطهو من جديد. فعلى المدعو ألا يقبل مثل هذه الدعوة، حفاظا على كرامة الداعي والمدعو.

ومن صفات الضيف ألا يشترط على المضيف مكان جلوسه، أو نوع أكله، أو شربه بل يترك ذلك للمضيف الذي سوف يسعى في راحة الضيف، وإكرامه حسب إمكاناته. وفي هذا يقول المثل: «الضيف ما يتشترط ومول الدار ما يفرط»⁽³⁾. ويقول مثل آخر: «يد الزائر في يد المزار»⁽⁴⁾.

(1) - رايح خلدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص194.

(2) - عبد الحميد بن هلوقة، أمثال جزائرية، ص117.

(3) - رايح خلدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص91.

(4) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

أو « **لحية الضيف في يد المضيف** »⁽¹⁾. و بتطبيق فحوى هذه الأمثال لا يُحَرَج أيّ من طرفي الضيافة، مما يساعد على استمرار التحلي بصفة الكرم، وتمتين علاقات الود بين عناصر المجتمع.

و مما يريح المضيف ألا يكون الضيف مُمِلًا ثقيلا، يواصل الجلوس في بيت المضيف، بعد إكرامه؛ مما قد يضيع عنه مصالحه؛ بكونه ملزما بالبقاء مع الضيف تقديرا له. وهنا يُذَكَّر المثل الضيف بضرورة مغادرة المنزل فور قضاء حاجته. فيقول: « **الله يرحم من زار وخفف** »⁽²⁾.

وعلى الإنسان ألا يكثر التردد على من ضيّفه وأكرموه، كي لا يملّوا زيارته، ويكرهوه، فكلما تباعدت الزيارات كان صاحبها عزيزا. وفي هذا يقول المثل: « **ضيف عام يُلْزَمُ لَهُ الدُّبِيحَة، وضيف شهر له مأكلة امْلِيحَة، وضيف كل يوم أعطه اطْرِيحَة** »⁽³⁾. والمثل كما ترى يرتب الضيوف حسب عدد زياراتهم الكريم؛ فمن باعد بين زيارته - من العام إلى العام - مثلا؛ يُهيأ طعامه باللحم، وهو أعز ما يقدم للضيف. وفي البوادي يقوم المضيف بذبح خروف إكراما للضيف. و من كانت المدة بين زيارته قصيرة كالشهر مثلا؛ فهذا يقدم له مأكلة مليحة، مقبولة ليس فيها تكلف. أما من كانت زيارته يوميا، فهذا جزاؤه الضرب . والطرْد. اطْرِيحَة: أي يضربونه، فكأنهم طرّحوه أرضا.

7- التعاون:

مادام قيام المجتمع يعتمد على تعاون أفرادهِ؛ بل لا يكون هناك مجتمع إذا لم يتعاون أفرادهِ - راغبين أو مرغمين - ولكن الناس أصناف فمنهم من يعين غيره تطوعا، ومنهم الأناني الذي لا يحب الخير إلا لنفسه. وهنا تتدخل الأمثال الشعبية لتعديل هذا السلوك؛ لأن انتشاره يقضي على تضامن المجتمع، وعلى توفير حاجاته. يقول المثل: « **الناس بالناس والناس بربي** »⁽⁴⁾. يقال في الحاجة إلى التعاون، وضرورته الاجتماعية؛ فلا بد أن يعين الناس بعضهم بعضا، والله يعين المتعاونين. جاء في الحديث الشريف « ... و الله في عون

(1) - رايح العوي، أنواع النثر الشعبي، ص58.

(2) - رايح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص199.

(3) - المصدر السابق، ص90.

(4) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص36.

العبد ما كان العبد في عون أخيه»⁽¹⁾. فالتعاون يسهل الصعب، ويريح الجسم، ويطمئن النفس؛ فما كان الفرد لينجزه في شهر مثلاً؛ فبالتعاون يمكن أن ينجزه في يوم. وهناك أعمال لا يستطيع فرد أن يقوم بها وحده. تجد الفلاحين - مثلاً - في موسم الحصاد، يقومون بالحصد جماعات؛ فما أن يتموا حصد حقل أحدهم حتى ينتقلوا إلى حقل آخر، يؤدون هذا الواجب الاجتماعي في جو يسوده الحب والمرح، تتخلله الأهازيج. من مثل:

الله الله آ بوطيبة داوْنِي = حالي مَضْرُوراً قُولُو يَعَزَم وَيَجْنِي

شُبَّانُ اصْغَاراً طَاحُو فِي فَمَحِ امْسَبَلْ = حَطُّوهُ أَقْمَاراً وَالصَّلَاةَ عَلَ النَّبِيِّ⁽²⁾

ولسان حالهم يردد مضمون المثل: «لَمَحَامِيَّةُ تَغْلِبُ السَّبْع»⁽³⁾. والمثل يقال في أهمية التعاون والتكاتف في كل شيء. فالسبع لا يغلبه الرجل وحده، ولكنه مع غيره يستطيع ذلك وأكثر. و السبع يمثل الصعوبات التي تعترض الفرد. ولذلك قالوا: «يد وحدها ما تصفق». والأمثال تؤكد لنا أن العمل المنفرد في أكثر الأحيان لا يحقق المرغوب، لا للفرد ولا للجماعة. قال المثل:

«عُودٌ وَحْدُو مَا اقْدَا وَفَارِسٌ وَحْدُو مَا اغْزَا»⁽⁴⁾. عود: قطعة من الخشب. اقْدَا: أوقد ناراً. اغزا: قام بالغزو والإغارة. فكما أنه لإشعال النار يلزم مجموعة من الأعواد، فكذلك الغزو على الغير، لا بدّ له من مجموعة من الفرسان لأن الإغارة، أو الحرب تتطلب التعاون وتوزيع المهام.

ولأهمية الجماعة وتعاونها ونجدة بعضها بعضاً - وبخاصة في المسكن أو السفر - تتصح الأمثال بضرورة السكن مع الجماعة، أو السفر معها. قال المثل: «الرفاقَةُ اشْرِيهَا وَلَا اَكْرِيهَا وَلَا اَرْحَلْ وَحَطْ اَعْلِيهَا»⁽⁵⁾. الرفاقَةُ: الرفقة من الرفيق، فالمثل يطلب من الفرد التضحية بماله في سبيلها، أو تحمل المشاق من أجلها، فالرفقة نافعة والوحدة مضرّة.

(1) - أبو داود، سنن أبي داود، ج4، ص287.

(2) - من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(3) - بن هديوقة، أمثال جزائرية، ص66.

(4) - من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

(5) - من الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

وإذا ركن الفرد إلى أنانيته، وتخلّى عن إعانة غيره المحتاجين إلى إعانته؛ فإنهم سوف يتخلون عنه إذا احتاجهم عند الضيق. يقول المثل: **«اللي ما يعاون خوه في الضيق، ما يلقى في الشدة رفيق»**⁽¹⁾. يقال هذا المثل في الحث على معاونة الآخرين، كما يقال في التنديد بمن لا يساعد غيره، ولا تهمة إلا مصلحته. فعندما يجرب الناس شخصا ويرون أنه لا يحب الخير إلا لنفسه؛ فبرغم مساعدتهم إياه في مواقف كثيرة؛ إلا أنه لا ينظر إليهم ولا ينهض لمساعدتهم إذا احتاجوه؛ ففي هذه الحالة ينقطعون عن مساعدته وهم يرددون المثل: **«من عندي ومن عندك تنطبع، أما من عندي برك تنقطع»**⁽²⁾. وهو مثل يقال في الرجل لا يبادل صاحبه الجميل، أو الإنفاق، أو غير ذلك من أنواع العلاقات والمعاملات. (تنطبع: تحلو وتستمر، أي تصبح طبعاً وعادة). برك: فقط.

وتذهب الأمثال الشعبية بعيداً في تحبيب التعاون بين الناس، ونجدة بعضهم بعضاً سواء كانت الإعانة في جوانب مادية، أو معنوية، أو عملية، أو حتى دفاعية. يقول المثل: **«اللي ناداك نادية، ولو كان عمرك فيه»**⁽³⁾. ناديه: هنا بمعنى استجب لندائه. يقال هذا المثل في الاستجابة لمن استغاثك، ليلاً أو نهاراً. ولا تتأخر بذريعة الخشية من أن يكون سارقاً، أو يريد بك شراً، لأن من يريد بك شراً لا ينجيك منه تخلفك عن مواجهته. تتأكد هذه الاستجابة أكثر إذا كان المنادي في خطر. فكثيراً ما سمعنا عن أناس ضحوا بأنفسهم من أجل إنقاذ آخرين من غرق أو حريق أو فك خصومات أو غير ذلك.

وكل ما جاء في الأمثال السابقة دعوة إلى التعاون بين أفراد المجتمع في السراء والضراء؛ لأنه بالتعاون يتغلبون على مصاعب الحياة، وعلى مشاق العيش، فيحققون الراحة الجسمية والسعادة النفسية. وكثير من الناس يطبقون مضمون هذه الأمثال دون تردد. وإذا تخلّى بعض الأفراد عن التعاون، ولم يعاملوا غيرهم بمثل ما عوملوا به من مودة ومحبة، وبذل وعطاء، وجهد؛ فإن الأمثال الشعبية قد قررت قواعد للتعامل مع هؤلاء.

(1) - بن هذوقة، أمثال جزائرية، ص 197.

(2) - المرجع السابق، ص 215.

(3) - المرجع السابق، ص 198.

8- المعاملة بالمثل:

كثيرة هي المناسبات التي يتلقى فيها الفرد بعض الهدايا، كمناسبات الزواج، و الختان و النجاح... وكثيرا ما يدعونه لولائم يتكرمون فيها عليه. غير أنه لا يبادلهم الكرم نفسه، فإذا أُولِمَ لا يدعوهم، أو إذا زوّج أو ختن -مثلا- لا يولم؛ فهو سلبي يتلقى دون أن يعطي؛ فهذا الإنسان تتصححه الأمثال بقولها: « **اللي اكلا خرفان الناس يُوجَدُ خَرْفَانُو** »⁽¹⁾. والمثل يقال في من يحاول التهرب ممن أحسن إليه، كما يقال في الرجل يقوم بواجبه مع من أحسن إليه؛ ففي المعنى الثاني تأكيد على لزوم ذلك، وفي الأول تحذير من مغبة ذلك السلوك وتتنيد به. يدعم المثل السابق مثل آخر: « **اللي اتعشى مع الضياف يُوجَدُ اغداهم** »⁽²⁾. يقال في عدم التملص من الواجب إزاء المحسن، كما يقال في من يقبل هدية أو غيرها دون أن يفكر في ما يترتب على ذلك من واجبات. و يقال أيضا في معناه الأصلي: من دعاك إلى العشاء مع ضيوفه، وجب عليك أن تدعوهم إلى الغداء. فتلك هي عادة الناس في الأرياف والبادي. المعاملة بالمثل.

و تذهب الأمثال أبعد من ذلك في التشديد على المعاملة بالمثل؛ لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي ترد الجانحين إلى صوابهم، وتلزمهم بقيم الجماعة التي تهدف إلى مصلحة الجميع في تماسك المجتمع وتواده. قال المثل: « **اللي باعك بالبلوط ، بيعو بفشور** »⁽³⁾. بيعو: بعه. البلوط: ثمر الشجر المعروف في الفصحى بهذا الاسم. وإذا كان البلوط لا قيمة له في نفسه، فأحرى وأولى ألا تكون لقشوره قيمة. و المثل يقال في من استبدلك أو تخلى عنك في سبيل شيء تافه، تفاهة البلوط، أو فضل غيرك عليك؛ فعليك أن تتركه، وتتخلى عنه في سبيل شيء أرخص منه أو أقل قيمة، وأن تفضل ممن هو أقل منه عليه. كأنه يتمثل في هذا المعنى قول عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي في معلقته⁽⁴⁾ :

ألا لا يجهلن أحد علينا = فنجهل فوق جهل الجاهلينا

إلى أن يقول: بأي مشيئة عمرو بن هند = تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

(1) -المرجع السابق، ص183.

(2) - المرجع السابق ، ص190.

(3) -المرجع السابق نفسه، ص184.

(4) - الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص-178-179.

أي لا يسفهن أحد علينا فنفسه عليهم فوق سفهم، أي نجازيهم بسفهم جزاء يريو عليه فسمي جزاء الجهل جهلا لازدواج الكلام، وحسن تجانس اللفظ. وفي البيت الثاني، يقول: - معاتبا- كيف تشاء أن تطيع الوشاة بنا إليك وتحتقرنا. أي أي شيء دعاك إلى هذه المشيئة؟ أي لم يظهر منا ضعف يطمع الملك فينا حتى يصغي إلى من يشي بنا إليه، ويغريه بنا فيحتقرنا.

و الأمثال تحبذ أن تكون العلاقات بين أفراد المجتمع علاقات حب متبادل. هذا الحب لا تراعى فيه الطبقات الاجتماعية أو الرتب الوظيفية؛ وإنما تراعى فيه الأحاسيس والمشاعر المتبادلة بين الفرد وغيره. يقول المثل: «اللي حبك حبو ولو كان أبوه أوصيف، واللي كرهك أكزمو ولو كان أبوه شريف»⁽¹⁾. أوصيف: معناها عبد، رقيق. كان الرق سائدا في زمن مضى؛ فابن الرقيق يكون رقيقا مثل أبيه. أما الشريف، فهو الذي ينتمي إلى سلالة الأشراف كسلالة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وابنه يرث شرفه. فالمعاملة بالمثل تقتضي أن يحب الإنسان من يحبه ويكره من يكرهه؛ وبهذا، فمن أراد أن يُحَبَّ، فما عليه إلا أن يبادل الناس الحب لا أن يتعالى عليهم؛ لأنّ التعالي على الآخرين يقضي على الروابط الاجتماعية التي يدعو إليها الدين وتتضمنها الأمثال.

كما أن عدم إحسان المرء إلى غيره مثل ما يحسن ذلك الغير إليه، يعد نكرانا للمعروف، يؤلم المحسن و يدفعه إلى عدم الإحسان. يقول المثل: «دير يدك على قلبك، كما توجعك توجع صاحبك»⁽²⁾. يقال المثل للرجل يعمل عملا فيه مضرة للآخرين، فالمثل دعوة إلى اعتبار مصلحة الغير في ممارسة أي عمل؛ إذ بدون ذلك لا تنتظم أي حياة اجتماعية سليمة. ويستعمل العامة المثل: «حك لي انحك لك»⁽³⁾. في تبادل المنافع، وهو مثل مأخوذ من ملاحظة بعض الحيوانات كالخيل، البغال، الحمير، يحك بعضها رقاب بعض. و معناه: فإن نفعتي نفعتك. و إلا فلا.

(1) - رابح العوي، أنواع النثر الشعبي، ص52.

(2) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص80.

(3) -الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

9- المصاهرة:

ومما ينشئ علاقات اجتماعية جديدة بين أفراد المجتمع ويوطدها، التصاهر والتصاهر هو العلاقة السببية الناتجة عن الزواج. قال الله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾⁽¹⁾. وجاء في تفسير المراغي: «أي وهو الذي جعل الماء جزءا من مادة الإنسان ليقبل الأشكال المختلفة، والأوضاع المنوعة، وقسمه قسمين: ذوي نسب ينسب إليهم وهم الذكور، وذوات صهر يصاهر بهن، وهنّ الإناث، كما قال تعالى في سورة القيامة آية 39: ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾»⁽²⁾

والأصهار هم أهل الزوجة، وصارت كلمة أصهار عند العامة تعني أقارب الزوجة أو الزوج. و يستعملون أحيانا كلمة أنساب بدلها؛ فيقولون: هذا نسبي زوج ابنتي. وهذا نسبي أب زوجتي. والأنساب هم الأقارب، أو هم من ينسب المرء إليهم. جاء في القرآن: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾⁽³⁾. جاء في تفسير الشعراوي: الصور: البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل، والمراد هنا النفخة الثانية للبعث. و الأنساب: جمع نسب وهو الالتقاء في أصل مباشر، كالتقاء الابن بالأب، أو الأب بالابن، أو التقاء بواسطة كالعمومة والخوالة. و النسب هو أول لحمة في الكون تربط بين الناس في مصالح مشتركة. و هو الالتقاء الضروري الذي يوجد لكل الناس؛ فقد لا يكون لك أصدقاء، ولا أصحاب ولا زملاء عمل؛ لكن لابد أن يكون لك نسب وقربة وأهل.

فحين ينفي الحق سبحانه وتعالى ، النسب بقول: ﴿فلا أنساب بينهم﴾ فليس النفي لوجود النسب، فإذا نفخ في الصور منعت البنوة من الأبوة أو الأبوة من البنوة؛ إنما النسب موجود حقيقة؛ لكن لأن النسب المعروف فيه التعاون على الخير، والتآزر في دفع الشر فالنفي هنا لهذه المنفعة، في هذا اليوم بالذات؛ حيث لا ينفع أحد أحدا. فالنسب موجود لكن دون نفع، فالنفع من أمور الدنيا، أن يوجد قوي وضعيف؛ فالقوي يعين الضعيف، ويفيض عليه، أما في هذا الموقف فالكل ضعيف.⁽⁴⁾

(1) - سورة الفرقان ، آية 54.

(2) - المراغي، أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط3، دار الفكر، دمشق، 1974. م7، ج19، ص26.

(3) - سورة المؤمنون، آية 101.

(4) - ينظر: الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد 16، ص 10150.

فعلاقة القرى توثق سلوك التعاون والتآزر -عادة- في الدنيا. ولكنها لا تنفع يوم القيامة. ورياط الزوجية الذي يتم بين الزوجة والزوج، الأصل فيه الدوام. وفي الدين الإسلامي يُشترط قبول الولي، وفي العرف لا يتم هذا العقد إلا برضى الأسرتين. لأن العلاقة بهذا الزواج تصير علاقة متعدية، و علاقات متعددة، بين أقارب الزوجين. وقد تتوسع إلى القبيلتين. وعلاقة الزواج ليست نزوة لإشباع الغريزة الجنسية فحسب، بل هي رباط مقدس لحفظ النوع والدين، وحفظ النوع يعني التكاثر بفضل هذه العلاقة التي ينشأ عنها أبناء لهم امتداد عرقي في أسر متباعدة. قال أبو حامد الغزالي في شأن الزواج: « وفيه فوائد خمس: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن... والولد هو المقصود بالفطرة، و الحكمة. والشهوة باعثة عليه »⁽¹⁾

و في الترغيب في الزواج بالمرأة الولود، قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - «... تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثر بكم »⁽²⁾. أخرجه النسائي في النكاح - باب كراهية تزويج العقيم - لذلك اهتمت الأمثال بهذه العلاقة، وذكرت مجموعة من الصفات المطلوبة في الزوجة أو في الزوج لتتم المصاهرة، ولا تنفقت عراها بسبب سوء الاختيار.

10- صفات المرأة المطلوبة للزواج :

جرت العادة في المجتمعات العربية الإسلامية أن يقوم الرجل بخطبة المرأة، وعليه فالخيار له، بحكم القوامة والنفقة. لذلك يفضل توفر بعض الصفات فيها. وفي هذا المجال مجال الاختيار، يقول المثل:

« ما يعجبك نوار دفلة - في الواد داير ظلايل +

ما يعجبك زين طفلة - حتى تشوف الفعايل »⁽³⁾.

في المثل تشبيه تمثيلي؛ فنوار الدفلة يمتاز بانعدام رائحته، وبمرارة مائه عند لمسه، بخلاف منظره الجميل. فكذا، على الرجل ألا يغتر بجمال المرأة الظاهري، إذا لم يطابق المظهر المخبر في الأخلاق الحميدة، وفي الأعمال الصالحة، والقدرة على تولي مسؤولية البيت.

(1) - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، د/ط، لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، 1996م، ج2، ص 27- 29.

(2) - النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، شرح جلال الدين السيوطي، د/ط، دار الفكر، بيروت، د/ت، المجلد3، الجزء6، ص 66.

(3) - عبد الرحمن رباحي، قال المجذوب، ص67.

فالرجل إذا لم يراع هذه الجوانب قبل الزواج، فقد يقع المبعوض، وتنفصم العلاقة بين الزوجين، وقد تؤثر على الأسرتين أو حتى على بقية الأقارب لكليهما.

ولهذا فالأمثال تحت على التريث، والبحث الجيد عن المرأة الصالحة أو الرجل الصالح قبل الإقدام على الزواج؛ لأنه رباط، المفروض فيه أن يكون دائماً؛ لما يترتب عليه من أثر مادي ومعنوي. قال المثل: «زواج ليلة يحتاج لو تدبير عام»⁽¹⁾. يقال في التآني والتفكير الجيد، لا المدة .

وللناس مشارب في الصفات المطلوب توفرها في المرأة المراد التزوج بها؛ فبعض الناس يرون في المصاهرة توسيعاً لعلاقاتهم الاجتماعية، التي سوف تمدهم بقوة مادية تجعلهم أفضل حالاً مما هم عليه، أو ترفع نسبهم - إذا كان وضعياً - وتجعلهم ينتمون إلى إلى رجال لهم مكانة في المجتمع، يمكن أن تحميهم، أو توفر لهم سبل الارتقاء في سلم الطبقات الاجتماعية. و منهم من يفضل المرأة ذات الأخلاق الحميدة، بغض النظر عن مستوى أهلها الاجتماعي أو المادي؛ لأنها هي التي تحفظه في ماله وعرضه.

و الأمثال الشعبية تفضل ذات الدين على غيرها من الصفات المرغوبة لدى الرجال حسب المثل: «اللي يتزوجها على مالها يموت فقير، واللي يتزوجها على رَجَالِهَا يموت حَقِير، واللي يتزوجها على دينها يُحِبُّ رَبِّي والنَّبِيَّ البَشِير»⁽²⁾. وهذا المثل يقترب في معناه من حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- القائل: «تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت * يداك»⁽³⁾. فالإسلام يفضل اختيار الزوجة المتدينة، ذات الأخلاق الفاضلة، والسلوك الحميد مع الزوج، ومع بقية الأقارب. وتأخر ذكر الدين في الحديث الشريف؛ لأن اختيار الرجل منذ الوهلة الأولى ينصب في كثير من الأحيان على العناصر المذكورة قبل الدين، مع أنها قد لا تديم العشرة بين الزوجين، إذا ذهبت الأخلاق والتضحية، والصبر، ولذلك كان هذا الدعاء على من فضل غير ذات الدين في هذا الاختيار.

(1) - عبد الحميد بن هديوقة، أمثال جزائرية، ص 91.

(2) - رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 139.

* تربت يداك: التصقت بالتراب، وهو دعاء بالفقر على من لم يكن الدين من أهدافه.

(3) - العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، م 9، ص 132.

والزواج إذا كان بين الأقارب فهو لتمتين العلاقة بين الأسر، بفضل التعاون الذي سوف ينشأ أو يزداد، لتقارب المستوى الاجتماعي، بالإضافة إلى أن هذا الزواج يساهم في القضاء على العنوسة بين الأقارب مما يساعد على حفظ الشرف. ولهذا فبعض الأمثال نظرت من هذه الزاوية، وفضلت التزوج بالقريبات، ومنها: «مَلْسٌ مِنْ طِينِكَ يَسْجَى لَكَ»⁽¹⁾. «بنت عمك تَرْفَدُ هَمَّكَ»⁽²⁾.

يقول المثل على لسان المرأة: «بن عمي بَحْلَاسُو خَيْر من البرَّاني بَلْبَاسُو**»⁽³⁾.

و لا شك أن لهذه الأمثال تأثيرا كبيرا على طائفة من المجتمع وبخاصة القروي منه، على تفضيل الزواج بالقريبات. وإذا كان للأمثال السابقة مبرراتها في هذا التفضيل؛ فإن هناك أمثالا أخرى تفضل الزواج بالغريبة أو البعيدة عن المسكن ومنها: «امرأة غريبة ودمنة قريبة»⁽⁴⁾ ويقال بصيغة أخرى: «عليك بالسَّانِيَةِ القريبة والمرأة الغريبة»⁽⁵⁾

يفضل الزواج بالأجنبية عن عائلة الزوج، أو البعيدة عن مسكن أهلها؛ لأن هذا يقلل من زيارات أهلها لها التي تسبب الملل، والإحراج للزوج وأسرته، مما ينشأ عنه سوء التفاهم بين الزوجين أو بين الأسرتين؛ فالبعد يساعد على التكيف مع الوضع الجديد دون تدخل من أهلها، كما أن نسل الأجنبية قد لا يضوى. وبالمقابل يفضل الأرض الفلاحية أو عين الماء القريبة، ليسهل الانتفاع بها دون عناء التنقل، ويؤكد هذا الرأي المثل التالي:

(1) — قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص158.

*جاء في المنجد في اللغة و الإعلام، ص 773. ملْسٌ بضم اللام و كسرهما، ملوسة، وملاسة، ضد خشن، وملْس الشيء صيره أملسا، وملس الأرض سواها، وفي العامية: ملس القدر أو الطاجين: صنعه من الطين. وإذا كان من طين بلدك، فأنت تعرفه، وتعرف كيف تصنع منه، و يسجى: في العامية بمعنى يصلح لك، وهو كناية عن تفضيل الزواج بالقريبة.

(2) —عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص49.

(3) — رايح خلدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 30.

** — حلاسو: كساء يوضع تحت بردة الحمار أو الحصان، وفي الغالب يكون من الأفرشة القديمة، ونسبته إلى الإنسان دلالة على الفقر.

(4) — عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص213.

(5) — قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص155.

« لا تُكْبِ لُغْرَارَةً * عَلَى فُمْهَآ، وَلَا تُسَامِي الْبَنْتَ لَمْهَآ »⁽¹⁾. وهذه الأمثال الأخيرة قد أثرت على طائفة من المجتمع في رباط الزواج؛ حيث تتراهم يتزوجون من أجنبيات عن الأسرة أو القبيلة، وباختيارهم هذا، أنشأوا علاقات مع أسر بعيدة.

وسواء أوقع الاختيار على القريبة أم على الغريبة، فإن الأمثال توسع مجال الاختيار إلى أهل الزوجة، وتحبذ أن يكون ممن يمتازون بالحسب والنسب. قال المثل: «خُودُ بَنْتِ النَّاسِ إِذَا مَا لُقِيتَ لَهْنًا تَلْقَى لَخْلَاصَ». إذا كانت بنت حسب ونسب، فإذا لم يجد ما كان يرنو إليه من سعادة وهناء معها؛ فإنه يجد معها ومع ذويها التفهم والخلاص بالحسن؛ إذا وصلت الأمور إلى الافتراق؛ بينما الأنذال لا خلاص معهم.

خوذ: خذ. و في الدارجة لها معان عديدة: شد، امسك، تناول، استلم، اتبع الطريق، تزوج، والمعنى الأخير هو المقصود.

11- صفات الرجل المقدم على الزواج

لم تشترط الأمثال في الرجل المقدم على الزواج إلا شرطين : المال والشهامة: أما المال فهو الذي يقيم به البيت وينفق به على زوجته وأولاده، وفي كثير من الأحيان لا يشترطون توفره، وإنما القدرة على توفيره، كأن يكون عاملاً، أو قادراً على العمل قال المثل: «الراجل عيبو في جيبو»⁽²⁾ أي إذا كان فارغ الوفاض. أو كسولاً لا يشتغل فإنه لا يستطيع أن يبني أسرة.

و أما الشهامة فتعني ألا يكون نذلاً. قال المثل: «فَعَادَ بَيْتَ بُوْهَآ وَلَا زَوَاجَ لَفْضَايَحَ»⁽³⁾. يقال في التحذير من مصاهرة سيئ السمعة، وكل نذل و رذيل من الرجال؛ لأن هذا النوع من الرجال لا يهتم بحقوق المرأة، وقد لا يعاملها بالحسن أو يحترم أهلها. فالمثل يفضل أن تبقى عانساً، دون زواج على أن تتزوج نذلاً يهينها، ويفضحها في الوسط الاجتماعي أو أمام المحاكم.

(1) -الذاكرة الشعبية بوسعادة. غرارة مفرد. جمعه: غراير، هي ظرف مصنوع من الشعر والصوف تنقل فيه الحبوب. وهو مخاط من الأسفل، ومفتوح من الأعلى عندما تملأ بالحبوب تخلل أي تغلق بضم حواشيها بواسطة أعواد كأثنا مخاطة بهم، يقول البدوي : إنه حللها أي أحكم غلقها بالخلال، وهو هذه الأعواد أو القطع الخشبية الصغيرة؛ فيجب ألا تغلق على فمها كي لا يستقط ما بداخلها عندما تحمل على الجمال. تسامي: تجاوز.

(2) - الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(3) - عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص151.

وهناك بعض الرجال يمتازون بكثرة الزواج وبالتالي كثرة الطلاق، فهم يُؤثرون سلباً على حياة من تتزوج بهذا النوع من الرجال، الذين يوصفون بالدواقين، أو يقال عنهم: - مزواج مطلق - يقول المثل: «البُيُوتُ يَخْلُوهَا الزَّغَارِيْتُ وَالْأَلْمَسَالِيْتُ»⁽¹⁾. فالبيوت أي الأسر، تدمرها الزغاريد، وهي كناية عن كثرة الزواج، التي تعني إنفاق كثير من المال إلى حد الإفلاس، وتشريد المرأة المطلقة مع أولادها. فالزواج والطلاق لغير ضرورة ينتهي بصاحبه إلى الإفلاس، وإلى تحطيم أسرته. فالمثل دعوة إلى التبصر وعدم التزوج والتطليق إلا بحكمة، ولضرورة.

أما المساليت؛ جمع، مفردة: مَسْلُوتٌ. وهو العصا الطويلة الرقيقة. وهذه العصا لا تصلح إلا للضرب. وفي الضرب مضرة؛ فيقال: ضربه بمسلوت. وهذه العصا عبارة عن غصن سُلِّتَتْ، أي نزعته منه أوراقه، وثماره. فصار لا فائدة منه. وهو كناية عن الأبناء الكسالى الذين لا يتكسبون، ينفون أموال والديهم مهما طالت وكثرت. إلا أن بن هذوقة يرى أن (مساليت) من سُلِّت بضم السين، وسكون اللام، جمع أسلت، وهو من قطعت أنفه فكأن الذي لا يعمل لا كرامة له؛ لأن الأنف عند الناس كناية عن الشرف والكرامة. غير أنني أرى أن (أسلت) : تعني منزوع الشعر، مثل أمرد، أصلع.

فتزويج الناس ذا الخلق الحسن واجب لنكاح ناجح. قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»⁽²⁾.

و من هنا فاختيار الزوج الصالح واجب ديني وأخلاقي، واجتماعي ونفسي؛ لما يترتب عليه من صلاح الأسرة وتضامنها أو فسادها وتفككها، وتشرذم أفرادها.

12- العمل و أداء الواجب:

مما يؤثر على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع العمل و أداء الواجب. يقول السيوطي في معرض حديثه عن نشأة اللغة بصفتها اجتماعية: «إن الإنسان لما لم يكن مكتفياً بنفسه في معاشه، ومقيمات معاشه، لم يكن له بد من أن يستترد المعاون من

(1) -المرجع السابق، ص 50.

(2) - الترمذي، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، ج 3، ص 394.

غيره؛ ولهذا اتخذ الناس المدن ليجتمعوا ويتعاونوا... وتوزعت الصنائع وانقسمت الحرف على الخلق، فكل واحد قصر وقته على حرفة يشتغل بها؛ لأن كل واحد من الخلق لا يمكنه أن يقوم بجملة مقاصده»⁽¹⁾. فالناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتم التعاون في هذا المجال إلا بقيام كل واحد بعمله أحسن قيام، و بإتقان صنعة أحسن إتقان؛ لأنه لو تخلى بعض الناس عن وظائفهم في المجتمع، أو تركوا واجباتهم، أو خلدوا إلى الراحة والكسل، وآثروا الأثرة وحب الذات عن العمل، لاختل توازن المجتمع، ودب إليه الفساد، وفشت فيه الرذائل والجرائم - جرائم السرقة والقتل، وغيرهما - من أجل تحقيق مكاسب للعيش؛ برغم وجود قوانين وشرائع تنظم حياة الاجتماع. فلا بد أن يعمل كل فرد من أجل نفسه، و من أجل غيره؛ لأن غيره يعمل من أجله، لقول الشاعر⁽²⁾ :

و الناس بالناس من بدو وحاضرة == بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم.

و كل عضو لأمر ما يمارسه == لا مشي للكف بل تمشي بك القدم

وفي هذا السياق تأتي الأمثال الشعبية لتربي النشء و تحثه منذ الصغر على وجوب القيام بواجب العمل. قال المثل: « **العُودُ ولد كراعته، والراجل ولد اذراعته** »⁽³⁾. العود: الحصان. مما يعطي قيمة للحيوان أو للإنسان هو مقدار الفائدة التي يقدمها للغير؛ فالعود أو الحصان، قيمته في رجله، أي في سباقه، وما يقوم به من حرث أو حمل أثقال. أما الإنسان فقيمته في عمله المعبر عنه بالذراع، وهو أداة العمل، و الذراع : ما بين الكف و الساعد، وأحيانا ما بين الكف و الكتف. وعندما ينعتون رجلا بالعمل، يقولون: **فلان مُوَلّا ذُراعُ**. أي عامل قوي. وفي المثل حث على العمل، يسمعه الفرد منذ صغره.

ويقول المثل: « **صنعة في اليد خير من دينار في الجيب** »⁽⁴⁾. ويقال بصيغة أخرى في منطقة بوسعادة: « **صنعة في اليد خير من عقد في الجيد** ». وفي المثل حث على تعلم المهن والصنائع، والعمل بها لكسب الرزق. والأمثال بلغ بها حد الحث على العمل ومحاربة

(1) - السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص23.

(2) - أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، د/ت، ج2، ص 277.

(3) - رايح خلدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص101.

(4) - المصدر السابق، ص87.

الكسل، أن أجازت العمل مع النصارى الكفار «الخدمة مع النصارى، ولا لُقْعَاذُ اخْصَارَى»⁽¹⁾. ويعني المثل العمل مع النصارى (الفرنسيين) ولا القعود والتكاسل. كان التعاون مع الغزاة في بداية غزوهم للجزائر حراماً؛ على الرغم من ذلك، فالمثل يفضل على البقاء دون عمل، وهو في الحقيقة حث على العمل.⁽²⁾

وترشد الأمثال إلى فائدة العمل بالنسبة للأسرة فتقول: «اللي اتَّكَلْ عَلَى اللَّهِ وَادْرَاغُو، أولادو ما جاعو»⁽³⁾. ومعنى المثل واضح وموافق للتعاليم الإسلامية؛ فالله هو الرزاق وما على الإنسان إلا أن يأخذ بالأسباب؛ فيتوكل على الله، ثم يبادر بالعمل أو بالبحث عنه؛ وبذلك يضمن لأسرته رزقا حلالا. يدعم المثل السابق المثل التالي: «سَبَبْ يا عبيدي وأنا انْعِينْكَ»⁽⁴⁾. أي المطلوب من الإنسان اتخاذ الأسباب وانتظار الإعانة من الله. يقال في الحث على العمل وعدم التواكل. فهو استتكار للكسل، واستتكار من ينتظر السماء أن تمطر عليه دَهَبًا. و في المعنى نفسه يقول مثل آخر: «الرزق بالعمل لا بالأمل»⁽⁵⁾ والأمثال تمدح القوي الذي يستعمل قوته في إفادة نفسه والآخرين، و بهذا يمكن أن يفخر. قال المثل: «السَّبْعُ يَفْخَرُوهُ اَزْنُودُو»⁽⁶⁾ و الزنود هما اليدان.

تلح الأمثال على العمل، وتفضل العمل بأجر زهيد على البطالة والكسل: «اخْذُم بِصُورْدِي وحاسب البَطَال»⁽⁷⁾. يقال في الحث على العمل، مهما كانت الأجرة المتقاضاة؛ لأن البطالة خسارة كاملة ماديا وأديبا. و الصوردي هو التسمية الجزائرية للخمس سننيمات من العملة الفرنسية سابقا- أيام الاستعمار - ويرى ابن هذوقة في شرح المثل: أن أصل الكلمة إيطالي . لعله مأخوذ من التسمية اللاتينية: (صوليدوس).

والعمل الذي تلح عليه الأمثال يجب أن يكون دائما. قال المثل: «الصَّابَةِ غَوَامْ والحرث نَوَامْ»⁽⁸⁾. والصاباة تعني المحصول الزراعي الجيد، ومفهوم المثل أن الصابة لا تأتي

(1) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص198.

(2) - قادة بوتارن، المرجع السابق، ص198.

(3) - رايح خلوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 136.

(4) - عبد الحميد بن هذوقة، أمثال جزائرية، ص95.

(5) - رايح خلوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص66.

(6) -المصدر السابق، ص79.

(7) - بن هذوقة، أمثال جزائرية، ص 69.

(8) - أحمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري، ص122.

كل عام؛ وإنما حسب سقوط المطر؛ لأن زراعة الحبوب تعتمد عليه. فيمكن أن يكون العام جيّداً (صابة) أو قحطاً؛ بسبب انعدام سقوطه. لكن على الفلاح أن يداوم على الحرث كل عام، وينتظر رحمة الله وفضله.

وفي تحبيب العمل، والحث عليه، قال المثل: « اخدم على روحك تعجب الناس »⁽¹⁾. ولا شك أن العمل هو أساس كل تقدم للأفراد والجماعات على السواء. فالتخلف والفقر لا ينزلان من السماء؛ وإنما من الكسل والبطالة و الخلود إلى الراحة التي لا تريح. ومن ثمة كان الحث على العمل في الأمثال وفي القرآن والأحاديث النبوية مما لا يحصى. و الحياة الجماعية تفرض على الإنسان أن يساهم مع الآخرين لأنه يعيش معهم وينتفع من مجهودهم. تقول له: « اعمل كما يعمل جارك وألا حول باب دارك »⁽²⁾. يقال في العمل مثل الآخرين ومجاراتهم لما تفرضه الحياة الاجتماعية من انسجام، ولو كلف ذلك صاحبه تكليفا زائدا.

تحذر الأمثال من الاعتماد على مال الوالدين دون عمل لتنميته؛ لأنه سوف يفنى بالإنفاق ولا يبقى للفرد إلا مجهوده الذي يعد هو رأس ماله الحقيقي. قال المثل: « يفنى مال الجدين، وتبقى حرفة اليدين »⁽³⁾.

وفي ذم الكسل، ومد اليد إلى الغير طلبا للمساعدة، يقول المثل: « اليد اللي تمذ خير من اليد اللي تشد »⁽⁴⁾. أي اليد التي تمد، وتعطي الغير أفضل من اليد التي تأخذ الصدقات. وهذا يطابق قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، و اليد العليا خير من اليد السفلى »⁽⁵⁾. رواه مسلم. والمقصود بالعلو علو المجد والثواب. وتمثيلا للمعنى نفسه سمعت أُمي -رحمها الله- تقول: « اللي ما يمد بيّدو ما يحمار خدو »⁽⁶⁾. ومعناه أن الذي يعطي

(1) - بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 70.

(2) - المرجع السابق، ص 134.

(3) - رايح خلوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 192.

(4) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 105.

(5) - النووي، أبو زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط 1، دار بن الهيثم، مصر، 2010م، ج 2، ص 997.

(6) - حمية سديرة (1924-1981م) أم صاحب هذه الأطروحة.

بيده، ويساعد غيره، ينور الله وجهه، جاء في الأثر أن الصدقة تدفع الأذى والكروب وتحفظ البدن وتدفع عن صاحبها البلى والأضرار. وفي الحديث: (حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء)⁽¹⁾.

كما أن الذي يستجدي الناس يوميا يملأه الناس ويكرهونه، وقد يقطعون عنه إعاناتهم؛ وبخاصة إذا كان قادرا على العمل. قال المثل: «كلمة أعطيني ما خلّات من يبغيني»⁽²⁾. فهكذا الأمثال الشعبية حثت ومازالت تحث على العمل، وأداء الواجب، وتتفر من الكسل؛ لأن بالعمل يكسب الإنسان معيشته، وبالعالم يحقق الفرد منافع له ولغيره؛ بسبب تبادل الإنتاج والخدمات، والعمل يملأ فراغ الفرد، ويكسبه قيمة اجتماعية و به يعين الناس بعضهم بعضا، ويحققون حاجاتهم، فتزهو حياتهم، وتحلو معيشتهم.

خلاصة:

ومما تقدم في هذا الفصل نستشف أن الأمثال ما هي إلا حكمة المجتمع، ونتائج تجاربه ركزت في قول موجز، تلقت طباقة، وأذاعتها عن طريق التداول التواصل. تأثر الشعراء والخطباء بشكلها وبمضمونها، فأدرجوها في آثارهم الشعرية والنثرية منذ العصر الجاهلي؛ لأنها تحمل تجارب وحكم مجتمعهم، ولكي يوشوا بها إنتاجهم، ويقوّوا معانيهم، ولا أدل على ذلك من معلقة زهير بن أبي سلمى.

وإذا كانت الخطابة هدفها الإقناع والتأثير في المتلقين، ولا يكون ذلك إلا بالحجة والدليل، فالمثل يعد من أهم وسائل الحجاج، لذلك اعتمده أشهر الخطباء كالإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وغيره، مما زاد الأمثال قوة وانتشارا.

ولما تطورت الكتابة واعتمدت في المراسلات الإدارية و السياسية، التجأ الكتاب و المترسلون إلى الأمثال، للاستشهاد بها على صحة أفكارهم، أو لإبراز قدرتهم اللغوية،

(1) - الطبراني، المعجم الأوسط، ج2، ص274.

(2) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 107.

أو لإظهار اطلاعهم، وحفظهم تراث الأجداد؛ بل كان الحكّام يحثون الكتاب على الاطلاع على كتب الأمثال، والإلمام بمحتوياتها.

أما في العصر الحديث فقد ضمنها أشهر الروائيين رواياتهم، كنجيب محفوظ في مصر، والطاهر وطار في الجزائر، وغيرهم كثير؛ ليدلّوا بها على أنهم على اطلاع على الثقافة الشعبية؛ بل تأثروا بها، فأدرجوها في رواياتهم خدمة لهذا الشعب؛ لأن لها تأثيرا كبيرا في نفوس الناس.

والأمثال عندما يُعبّر بها شخص؛ فإنها تنم على حالته النفسية، حول المتلقي، كما تشير إلى أن المرسل على علم بنفسية المتلقي، حول فكرة، أو موضوع، أو سلوك ما. فبعض الأمثال تصف الحالات النفسية لبعض الأفراد، من خلال تصرفاتهم أو أقوالهم. فالمثل: (كل أجرب حكاك و كل خائن شكاك)، المُعبّر به متأكد من أن كل خائن ينتابه الشك في الآخرين، ويعتقد أنهم مثله في الخيانة. كما يدل المثل على أن المُعبّر به على علم بنفسية من يخاطب، وأنه يفرق بين الخائن و الأمين من خلال تصرفاته، أو أقواله.

يوظف الناس الأمثال في مختلف مواقف الحياة، مبددين من خلالها أحاسيسهم ومشاعرهم، نحو القيم والاتجاهات التي تحملها، داعين إلى العمل بها موجهين النشء إلى الالتزام بها؛ وبخاصة أن الأمثال الشعبية تعد من الأدب الإسلامي؛ لأنها تتبنى قيما دينية وأخلاقية في الآن نفسه، هذه القيم التي بدت بوضوح في المجتمع الإسلامي في مختلف العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على حد سواء. بحكم أن مجمل العبادات التي أقرها الدين الإسلامي الحنيف، موجودة في مختلف مظاهر الحياة، ليست مقتصرة على المسجد فقط⁽¹⁾.

والأمثال بعد أن تنشأ وتذاع، يُستشهد بها في نهاية التجربة أحيانا، ويوجه بها قبل التجربة أحيانا أخرى؛ فهي إما لتوكيد حالة وقعت، أو للتنبيه على حالة يمكن أن تقع. فالمثل الواحد يتحدد هدفه حسب المقام؛ فالمثل: (اللي تخدمو طيعو واللي ترهنو بيعو). يكون للتنبيه إذا كان في نهاية التجربة؛ إذا قاله أب لابنه بعد أن طرده رب العمل لعدم تنفيذه بعض التعليمات. أما إذا أوصاه به قبل مباشرته العمل، فيكون تعليما و تنبيها. فالمثل شكل

(1) - فتحي بوخالفة، نظرية القيم في الأدب الإسلامي، المجلة العلمية حوليات الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، العدد الأول، ص 237.

أدبي أثر في نفوس الناس فوظفوه في تمتين علاقاتهم الاجتماعية. ومن القيم والصفات الحميدة التي تدعو الأمثال الشعبية الجزائرية إلى التحلي بها: الكرم، الضيافة، التعاون، العمل... كما أن هناك صفات ممقوتة، تنبه الأمثال إلى تجنب الاتصاف بها منها: حفظ اللسان وعدم استعماله إلا في الخير، نبذ الغيبة والنميمة، لمضارهما الأفراد والمجتمعات. وهكذا رأينا أن الأمثال الشعبية لها أثر كبير في تقويم السلوك، من خلال توظيفها في مختلف مجالات الحياة.

الفصل الرابع

دراسة أسلوبية دلالية على المثل الشعبي

تمهيد

الأسلوب والأسلوبية

أسلوبية المثل الإنشائية

دراسة تطبيقية على بنية المثل الشعبي

خلاصة

دراسة أسلوبية دلالية على المثل الشعبي

تمهيد:

يعد المثل جنسا أدبيا له مميزاته، وخصائصه التركيبية المرتبطة بطبيعته الخطابية الأدبية، وبتوجيهاته الاجتماعية الأخلاقية، وبتأثيراته النفسية. لذلك فهو يختلف لطبيعته الموجزة عن الأنواع الأدبية الأخرى شعرا كانت أو نثرا.

ولعلّ بنيته التركيبية لها دور في استقلالية جملة المثل وفي اكتمالها؛ فظاهرة الإيجاز التي تسم الأمثال الشعبية هي ظاهرة تركيبية؛ تنتج عنها أبعاد دلالية وإيقاعية؛ فكل زيادة أو نقصان، وكل تجانس أو اختلاف، له أثره في المعنى؛ لأن لكل زيادة في المبنى، زيادة في المعنى. ومن هنا تتنوع أساليب الأمثال التركيبية، ككل الأنواع الأدبية الأخرى؛ فهي تختار ما يوائمها من أنماط تركيبية، قادرة على حمل دلالاتها وإحياءاتها، وأبعادها الوجدانية؛ ولعلّ خاصية الانتقاء والتأليف تعدّان من أهم المعايير التي تعتمد عليها الدراسة الأسلوبية.

فالتركيب المفرد قليل الاستخدام، لا يستوقف هذا المنهج، بينما يتم الوقوف عند الأنماط المكررة، التي تشكل ظاهرة أسلوبية واضحة، فالأسلوبية تعنى بخصوصية التركيب، من ناحية كيفية استخدامه؛ لأن التركيب قالب عام يستوعب تحويرات، وتنويعات شتى، وفق مقتضى الكلام و الحال.

يرى نور الدين السد: أن « كل تركيب أسلوبى يتضمن أبعادا دلالية تخصه، وأن أي تغيير في بنية التركيب بتقديم أو تأخير في بعض وحداته اللغوية، أو تعريف أو تنكير، أو إظهار أو إضمار، كل ذلك يكون بهدف، و يتقصده المنشئ عن وعي وإدراك، ولا يمكن أن تظهر خاصية أسلوبية في التركيب دون قصد؛ فمهما كان التغيير طفيفا في التركيب؛ فإنه يأتي استجابة لنسق، ويتطلبه السياق؛ فإحلال المضارع محل الماضي أو الأمر، أو إحلال الاسم محل الفعل؛ إنما هي ظواهر لغوية يتطلبها الأسلوب، ويستدعيها المقام والسياق، ومن المؤكد أن ذلك يعطي صورة تركيبية مختلفة و يترتب عن ذلك معاني مختلفة »⁽¹⁾.

وإذا كانت بنية المثل تدخل ضمن الدراسات الأسلوبية. فما الأسلوب ؟ وما الأسلوبية؟

(1) -نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، 1997م، الجزء 1، ص 172.

هذا ما أحاول مقارنته من خلال هذا الفصل.

أولاً- الأسلوب والأسلوبية:

أ- الأسلوب: مشتق من الأصل الثلاثي س،ل،ب .

جاء في لسان العرب لابن منظور: سلب: سلبه الشيء يسلبه سلباً وسلباً ، واستلبه إياه. والاستلاب الاختلاس. والسلب ما يسلب ، وكل شيء على الإنسان من اللباس فهو سلب والسلب ثياب سود تلبسه النساء في المآتم... ويقال للسطر من النخيل : أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والوجه ، والمذهب، أو كل فن من القول. يقال: أخذ فلان في أساليب من القول (1) .

والأسلوب: بمصطلحه المتداول اليوم في العربية، يعني مذهباً معيناً من الكلام، غالباً ما يكون مطبوعاً بطابع شخصي، أو اكتساب طريقة محدّدة في تدبيج القول. يقول عبد المالك مرتاض: « لم نر أحداً من مؤلفي المعاجم القديمة، ما عدا ابن منظور، أوماً إلى الأسلوب بمعناه الاصطلاحي الراهن؛ مما يدل على أن استعماله بمعنى اكتساب طريقة محددة في تدبيج القول، جاءت متأخرة، وحتى إشارة ابن منظور لا تعني شيئاً كثيراً» (2).

وبداً الاهتمام بدراسة الأسلوب منذ القرن الثاني الهجري، في مباحث الإعجاز القرآني، التي استدعت - بالضرورة- ممن تعرضوا للتفسير أن يتفهموا مدلول لفظة "أسلوب" عند البحث الموازن بين أسلوب القرآن الكريم، وغيره من أساليب الكلام العربي، متخذين ذلك وسيلة لإثبات ظاهرة الإعجاز للقرآن الكريم. انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (3). قال الزمخشري: « معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم... لأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب والكلام » (4).

أما إذا بحثنا في الأسلوب عند البلاغيين القدامى، فإننا نجد ابن طباطبا العلوي

(1) - ابن منظور ، لسان العرب، ج1، ص-472-473 .

(2) - عبد المالك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2007م، ص127.

(3) - سورة البقرة، آية 23.

(4) - الزمخشري، الكشاف، م1/ ص242.

(ت 322هـ) من الأوائل الذين التمسوا للأسلوب مفهوما، رغم عدم تسميته لفظا بالأسلوب؛ حيث نجده يشير إلى ذلك عند حديثه عن طريقة الشاعر إذا رغب النظم، «فمخاض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه، فكره نثرا، وأعدّ له ما يلبسه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقها، والوزن الذي يسلس له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه، أثبتته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني، على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يتعلق كل بيت يتفق نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله. فإذا كملت له المعاني، وكثرت له الأبيات وقّق بينها بأبيات تكون نظما لها، وسلكا جامعا لما تشتت منها»⁽¹⁾.

ومن ثمّ نجد أن الأسلوب هو أساس صناعة الشعر، يجمع بين الرؤية التي يمتلكها الشاعر، والاحتراف اللغوي والإيقاعي والجمالي.

أما الأسلوب عند ابن خلدون، فيظهر في رأيه في صناعة الشعر ووجه تعلمه. «ولنذكر هنا مدلول لفظة الأسلوب عند أهل هذه الصناعة، وما يريدون بها في إطلاقهم فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي تتسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه... فالصناعة الشعرية ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة، باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، وبصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال»⁽²⁾. وبذلك ندرك أن الأسلوب - حسب تصور ابن خلدون - هو صورة ذهنية تغمر النفس وتطبع الذوق، الأساس فيها الدربة النابعة عن قراءة النصوص الإبداعية ذات البعد الجمالي الأصيل، وبمثل ذلك تتكون وتتألف التراكيب التي تعودنا على نعتها بالأسلوب؛ وإذا كانت التراكيب التي يكون الأساس الأول فيها اللغة، هي الأداة المثلى لتشكيل الصورة الذهنية "الأسلوب"، فإن الوظيفة الشعرية للأسلوب تعمل على تحقيق التجانس بين مختلف التراكيب المنتظمة في بنية أساسها اللغة، ولا يتحقق ذلك إلا بالتوفيق بين التراكيب النحوية والبلاغية من ناحية والذوق من ناحية أخرى.

ومما سبق يتبيّن أن الباحثين العرب قد تطرقوا إلى الأسلوب في لفظه أو في معناه بصورة

(1) - ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، ط 1، لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت 1983م، ص 11.

(2) - ابن خلدون، المقدمة، ص 1100.

لم تكن واضحة كل الوضوح. وفي هذا يقول نور الدين السد: «وتحدّث في الأسلوب أغلب البحاثة العرب، وتناولوه في حقول معرفية لها علاقة بالخطاب وكيفية نظمه وصوغه وترتيبه، وبخاصة نظم القرآن، ونظم الشعر. لعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا: بأننا نجد في الموروث العربي النقدي البلاغي، وفي الدراسات القرآنية ملامح الدرس الأسلوبي للخطاب الديني-القرآني بخاصة- والخطاب الشعري بعامة، إننا لا نذهب إلى الادعاء بأن هذه الإنجازات تدخل في مجال الدراسات الأسلوبية المتخصصة؛ ولكننا نقول: بأنها إرهاصات في هذا الميدان، وأنها تتوافر على ملمح من ملامح التحليل الأسلوبي للظاهرة اللغوية في الخطاب القرآني والشعري»⁽¹⁾.

أما الأسلوب عند الغرب فقد ولد متأخرا، حيث لم يعرف في فرنسا مثلاً، إلا في منتصف القرن الرابع عشر، وفي سنة 1346م على وجه التحديد⁽²⁾. وللغربيين كلف شديد بتحديد الأسلوب، وتبيان خصائصه، وقيّمته الفنيّة، لأنه يجسد البناء المنسجم بالقياس إلى اللغة التي هي أصلاً، أشتات من الألفاظ، مقرها المعاجم. فالأسلوب نهاية لجهد عقلي يقوم على ثلاث عمليات تمر بثلاث مراحل:

- التفكير في الموضوع، والمقصود بالموضوع هنا "الرسالة".

- انتقاء الدوال، أي اختيار التعبير الملائم.

- التنسيق بين الدوال والتعبير، أي تحديد العلاقة بين الدال والمدلول.

ويرى عبد المالك مرتاض: «أن التفكير ينشأ عن إيجاد لمحتوى ما، أو خلق لأفكار أي مدلولات Signifies وهذه الأفكار غير مرئية، ولا مسموعة، فيستعان على إبرازها لتصبح منطوقة بألفاظ أي دوال Signifiants تجسم القيمة الفكرية والماديّة لمحتوى الكلام لكن الدال والمدلول، لا يكتسبان القيمة الفكرية إلا إذا نسّق الباث Emetteur بينهما في صورة نهائية ليقدمها إلى المتلقي Récepteur أو Destinataire»⁽³⁾.

(1) -نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص130.

(2) - عبدالمالك مرتاض، الألفاظ الشعبية الجزائرية، ص128.

(3) -المرجع السابق، ص128.

والأسلوب يختلف من كاتب إلى آخر، ويختلف تبعا للقدامى والمحدثين، وتبعا للمعاصرين والمحدثين، وتبعا للمعاصرين التقليديين والمجددين، وغيرها. ففولتير Voltaire يرى « بأن الناس يحملون على وجه التقريب، الأفكار نفسها، وهو شيء في متناول الجميع، وإنما التعبير والأسلوب، هما اللذان يحددان الفرق تحديدا دقيقا.. إن الأسلوب ليفرد أكثر الأشياء عمومية، فيقوي الضعيف، ويضفي العظمة على الشيء البسيط»⁽¹⁾.

وقول فولتير، يذكرنا بنظرية الجاحظ "الأسلوبية" التي تتمثل في كون « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير »⁽²⁾.

والمعاني هي الأفكار، وكأني بفولتير والجاحظ يلتقيان على فكرة واحدة، هي: أن المعاني مطروحة في الطريق، أوفي متناول الجميع، وإنما الفرق في الأسلوب والتعبير أوفي تخيّر اللفظ، وإقامة الوزن، وسهولة المخرج، وكثرة الماء. ويفهم من كلامهما أن الأسلوب مراس وصناعة.

أما عبد السلام المسدي فيقول: « وهكذا تنتزل نظرية تحديد الأسلوب منزلة لوحة الإسقاط الكاشفة لمخبات شخصية الإنسان، ما ظهر منها في الخطاب وما بطن، ما صُرح به وما ضُمّن. فالأسلوب جسر إلى مقاصد صاحبه، من حيث إنه قناة العبور إلى مقومات شخصيته، لا الفنية فحسب، بل الوجودية مطلقا»⁽³⁾. ففيه إشارة إلى شخصية صاحب الأسلوب

(1) -نقلا عن عبد المالك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائرية، ص128 . Voltaire.Dictionnaire philosophie(Style)

(2) - الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج3، ص132..

(3) -عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص68.

« ولا تزال مفاهيم مصطلح "الأسلوب" في تطور، صاحب تطور مفهوم الكلام في علم اللسانيات الحديثة إلى أن نجد من يذهب إلى أن الأسلوب: إنما هو خلق للمعاني، أو هو عمل لهيكل الدال ولنتاج المدلول»⁽¹⁾.

وقد أدى الاهتمام بالأسلوب - من حيث هو ظاهرة لغوية نشأت عن استعمال اللغة، وتقليبها وتحميل ألفاظها بالمعاني الجديدة في كثير من الأطوار - إلى التوصل إلى مصطلح الأسني جديد وليد القرن العشرين، هو الأسلوبية Stylistique - «على الرغم من أن هذا اللفظ، كان قد عرف في ألمانيا منذ سنة 1872م»⁽²⁾.

ب - الأسلوبية:

الأسلوبية مصدر اصطناعي مأخوذ من لفظة أسلوب؛ ليدل على العلم الذي يهتم بدراسة الخصائص الفنية الجمالية، التي تميّز النص عن آخر، أو الكاتب عن كاتب آخر، من خلال اللغة التي يحملها خلجات نفسه، وخواطر وجدانه، قياسا على هذه الأمور مجتمعة تظهر الميزات الفنية للإبداع؛ إذ منها نستطيع تمييز إبداع عن إبداع، انطلاقا من لغته الحاملة له. ومن ثمّ فالأسلوبية تحاول الإجابة عن السؤال: كيف يكتب الكاتب نصا من خلال اللغة؟ إذ بها، ومنها يتأتى للقارئ استحسان النص، أو استهجانه، كما يتأتى له أيضا الوقوف على ما في النص من جاذبية فنية، تميّزه عن غيره. وهي الأسلوبية الوصفية التي تهتم بالناحية الوظيفية، أي كيف أثر النص في القراء؟

والأسلوبية بشكل عام، منهج يقرأ النص، ويدرسه من خلال لغته، وما تعرضه من خيارات أسلوبية على شتى مستوياتها: نحويًا، ولفظيًا، وصوتيًا، وشكليًا، وهي تترصد مكامن الجمال والفنية في الآثار الأدبية، وما تحدثه من تأثيرات شتى في نفس القارئ، لمّا تسمو هذه الآثار عن اللغة النفعية المباشرة، إلى لغة إبداعية غير مباشرة، فنية وأكثر إحياء وتلميحا.

(1) - نقلا عن عبد الملك مرتاض، الألفاظ الشعبية الجزائرية، ص 130.

Cohen(Jean).Strcture du langage poétique.Flammarion.Paris.1966.p20.

(2) - عبد الملك مرتاض، الألفاظ الشعبية الجزائرية، ص 130.

وتعتبر الأسلوبية منهجا نقديا، يعمل من أجل الكشف عن أسرار اللغة الأدبية في النص الإبداعي من خلال عناصره المكونة له.

يقول الدكتور نور الدين السد: « ترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسه، ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية، تركيبا يفضي إلى إفراز الصورة المنشورة، والانفعال المقصود»⁽¹⁾.

أما "جاكسون"، فيرى أن الأسلوب هو إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع، وصورة ذلك أن مقومات الاختيار في الخطاب الإنشائي، تدعّن لمقتضيات العلاقات الركنية؛ ففي الجملة التالية: (إذا جاء نصر الله)، الأداة: "إذا" أختيرت على حساب: (إن، عندما، لما حينما) وكذلك الفعل: (جاء) قد أختير ضمن (قدم، حل، أطل، أتى) إلا أن في (جاء) انسجاما مع (إذا) ليس لغيره من تلك الأفعال؛ بما أنه يحتوي على الهمزة الخاتمة، التي هي في (إذا) ابتداء، وينبني على فتحة طويلة في مقطعه الأول، وهي الموجودة في المقطع الثاني من (إذا)⁽²⁾.

وغالبا ما ينصب نقد النقاد الأسلوبيين على مقومات ثلاثة:

- **الاختيار:** اختيار الأديب مفردات نصه، وأسباب هذا الاختيار، لأنه يميز خاصية من خصائص البحث الأسلوبي.

- **التركيب:** إن سلامة التركيب في جميع نواحيه، معجميا ونحويا وصرفيا ودلاليا، تستدعي انطلاقه من عملية سابقة عليه، وهي الاختيار، فكلما كان الاختيار دقيقا، يخدم الكاتب والنص والقارئ.

- **الانزياح:** وهو انحراف الكتاب عن النمط المألوف، والطقوس المتداولة في الكتابة في سياق نصوصهم الإبداعية. وهو محمود، تنزع النفس إليه، ما دام يحمل جمالا فنيا. كقولنا: (هذا نهر طويل) ونعني به مجرى مائي يمتد طويلا، وهذه الجملة أخبرتنا بمعناها المعجمي دون انزياح، ودون أن نعمل الفكر في فهمها، كما أنها لم تثر فينا أي شعور بالاستغراب أو الدهشة مثلا. بينما لو قلنا: (نهر يفور لها)، فقد انحرفنا بدلالة النهر الأصلية إلى دلالة

(1) - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص169.

(2) - ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص141.

أخرى لم تخلق لها في اللغة، وتحولنا من خلال هذا التركيب الأسلوبي للجملة بصفات الماء إلى صفات النار. وهنا يتم التفكير في المعنى، و يتم التخييل ، وهذا موضع الجمال. وإذا أردنا دراسة أسلوب الأمثال الشعبية ، فإننا نعني بذلك التراكيب الصوتية لأسلوب المثل، ثم نعني تحديد العلاقات بين المفردات والمركبات، أي بين الألفاظ والجمال، ومدى تأثير بعضها على بعضها الآخر؛ « لأن الكلام لا يكون إلا جملا، وهذه الجمل تخضع لنظام كلامي معيّن، وهذا النظام الكلامي المعيّن هو الذي يشكل البنية Structure المادية له وهذه البنية هي التي تحدد طبيعته أي تبرز خصائص أسلوبه، وكل بحث علمي في خصائص الأسلوب ينضوي تحت الأسلوبية»⁽¹⁾.

ج-ألفاظ الأمثال الشعبية الجزائرية:

من الأدباء الذين درسوا الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة أسلوبية،"عبد المالك مرتاض"، في كتابه "الأمثال الشعبية الجزائرية"، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري. وفي هذا الكتاب تحدّث عن اللغة المستخدمة في الأمثال الشعبية فقال: « ألفاظ الأمثال الجزائرية، تأتي في الغالب على ثلاثة أصناف:

أ- صنف يمثل المادة الأولى في التعبير والتبليغ (التبليغ عن معان ومضامين في الذهن) وهذا الصنف يضرب في الفصحى بسهم وافر. حيث أنه لم يجد في المجموعة التي درسها وعددها مائة وخمسون مثلا، لم يجد إلا ستة وعشرين لفظا عاميا صريحا: إما بالدلالة وإما بالوضع. ويعني هذا أن لغة الأمثال الشعبية الجزائرية في معظمها فصيحة. والفصاحة التي يرمي إليها في هذا المقام: أن يكون اللفظ آتيا من أصل معروف في وضع اللغة بفصاحته؛ بصرف النظر عما اعتوره من نحت أو تحريف: إما في نطقه وإما في صيغته. وهذا ما قاله قبله "محمد بن أبي شنب"، في كتابه: "أمثال الجزائر والمغرب": « تقترب لغة الأمثال كثيرا من اللغة الفصيحة، وكثيرا ما تسمع أميا يذكر مثلا بعربية خالصة، تختفي في بعض الأحيان علامات الإعراب فقط»⁽²⁾.

(1) - عبدالمالك مرتاض،الألغاز الشعبية الجزائرية، ص132 .

(2) -محمد بن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، ص14.

ب- صنف يتصل بالألفاظ المستخدمة، ليس لغاية تعبيرية خالصة، بمعنى ابتغاء تبليغ مضمون ما، بواسطة لفظ أو ألفاظ ما؛ وإنما كان لغاية تقنية تتصل بأسلوبية الأمثال الشعبية الجزائرية؛ ويعني به الألفاظ الخارجية للوحدات أو الجمل. أي الألفاظ التي تمثل الخواتم والفواصل. ووجد بعض هذه الألفاظ قد وضع وضعاً رمزياً للدلالة على شيء بعيد. وكانت الغاية من إخراج هذه الألفاظ عن دلالتها القريبة الظاهرة، صوتية.

ج- صنف من الألفاظ وجده يتبوأ من المثل موقعا على الحقيقة، أي يحمل دلالة ظاهرة قريبة لا غير.

ويؤكد عبد المالك مرتاض أن معظم الأمثال الشعبية في المجموعة التي تناولها بالدراسة، ذات دلالات أخرى بعيدة، تفهم لدى ضرب المثل. فكل مثل له معنى ظاهر قريب ومعنى خاص خفي بعيد، ويستدل على ذلك بهذا المثل: " **الشبعة للقمح واللذة للملح** "، فهذا المثل لا يحمل دلالة اقتصادية، من حيث أن للقمح قيمة اقتصادية عالمية، نتيجة لقيمتها الغذائية الغنية بفضل ما فيه من طاقات وحراريات، فحسب، وإنما يحمل دلالة أخرى أبعد لدى إرادة التعبير عن عمل قام به رجل في الظل، وبذل في ذلك جهوداً مضنية، حتى إذا أنجزه، جاء آخر فعُرف به ونُسب إليه، فواحد عمل ونصب، وآخر استبد بسمعة هذا العمل وفضله⁽¹⁾.

ودراسة الكاتب الأسلوبية للأمثال الشعبية الجزائرية، انصبت على مستويين اثنين في إطار هذه الأسلوبية:

- المستوى البنيوي، والمستوى الصوتي ولم يتناول المستوى الدلالي السيمانتقي، لاعتقاده أن هذا المستوى متضمن - ولو بالإشارة من بعيد - في دراسة المستويين المذكورين.

- المستوى البنيوي والدلالي:

كل جنس أدبي له مضمون يتحدث عنه، وله شكل يمثل فيه الهوية الفنية، ويعكس النظام الكلامي له، ومعرفة النظام تعرفنا بمفتاح سر أسلوب هذا الجنس من الأدب الشعبي

(1) - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص-ص 111-112.

«ومما يدل على أصالة الذهنية الشعبية، وصدق إبداعاتها الفنية، أن أسلوب الأمثال الشعبية، يشبه أسلوب الألغاز الشعبية... والمبدع الشعبي يجد صعوبة في التعبير عن حاجته بأسلوب غير متوازن، ولا موقع، بل كان يعتمد إلى نظام من الكلام يقوم على الملاءمة اللفظية المنسجمة، أي على الموازنة بين عدد الألفاظ في كل جملة يتألف منها اللغز أو المثل ، وكلما تقارب عدد ألفاظ الجملة كان عددها أكثر»⁽¹⁾.

ولقد درس عبد المالك مرتاض (150) مثلا ، في كتابه الأمثال الشعبية الجزائرية و وجد أن عدد الجمل أو الوحدات الكلامية القصيرة المتوازنة المتوازنة معا ، أكثر من الجمل الطويلة غير المتوازنة، من حيث عدد ألفاظها التي تشكل كنهها. ولكن هذا لا يعني أي توازن وأي توازن، فإنه لم يعثر مثلا إلا على نص واحد في هذه المجموعة، يتألف من جملتين (وحدتين)، ليس في الجملة إلا لفظ واحد، وهذه الجملة هي هذا المثل: (الشركة هُلْكَة) ، والكاتب لا يريد إلى المفهوم النحوي قدر ما يريد إلى المفهوم الأدبي، بحيث أن المبلغ أو المرسل، يتوقف على ما بين اللفظين المسجوعين؛ مما يدل على أنه توهم أن المثل عبارة عن جملتين اثنتين، لا جملة واحدة. هذا التوقف ناتج عن صوت موسيقي تردد في حرفين متجانسين هما: "كة" هو الذي جعله يذهب إلى ثنائية هذه الجملة أدبيا⁽²⁾.

- تركيب المثل الشعبي

يتركب المثل الشعبي:

1- من جملة واحدة، تكون مرسله، أي خالية من التوقيع والسجع؛ (لأن السجع يفترض وجود وقفيتين من جنس صوت واحد، يتكرر مرتين أو أكثر) مثل: > وَئِي قَبْلُ مَا أَيَّجِيكَ السَّيْلُ <⁽³⁾.

ومعنى المثل: احفر نهيرا حول خيمتك قبل نزول الأمطار؛ كي يعترضها ويصرفها عن دخول الخيمة. (ما يُجِيكَ: ما مصدرية، فهي والفعل في حكم المصدر - مجيء-).

(1) - المرجع السابق ، ص-ص 120-121.

(2) - ينظر: عبد المالك مرتاض، المرجع السابق نفسه، ص-ص 121-122.

(3) -الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

2- أو تكون موقعة: مثل: «الخطاب رطاب»⁽¹⁾. تردد الصوت (طاب) مرتين. وتعني هذه العبارة أن يقدم هداياه، ويكون لنا في مواقفه، متظاهرا بقبول شروط أهل المخطوبة، مبرزا محاسن موكله. فالمثل فيه وصف، وفيه حث.

3- أو يتكون من جملتين مسجوعتين. مثل: «اللي ما اخذا رأي كبيرو، الهَم تدبيرو»⁽²⁾. (ما اخذا: ما أخذ، ما استمع، ما انتصح). يقال في التحذير من مغبة عدم الأخذ بنصيحة الكبير، أب أو قريب، أو صديق. فهو حث على الانتصاح، وتحذير في نفس الوقت.

4- أو من جملتين مرسلتين. مثل: «اللي ما شاورك، ما تدبر عليه»⁽³⁾. يقال في عدم فرض النصيحة على الآخرين، من القرابة أو الأصدقاء، أو غيرهم، لكنه غالبا ما يقال في القريب، كالأخ والابن، لم يستشر قريبه الأكبر. فالمثل فيه تبرئة لمن لم يستشر، وتخطئة لمن لم يستشر قريبه الكبير.

5- وقد يكون المثل مركبا من ثلاث جمل أو أكثر ولا تكون إلا مسجوعة. مثل:

«ما ربحنا و احنا نصلوا ان نربحوا واحنا نغو»⁽⁴⁾.

يقال في من يدعو إلى فعل مستقبح. فالمثل دعوة إلى الابتعاد عن الأفعال المستقبحة، المخالفة للأعراف والأخلاق.

يمتاز المثل بجمله القليلة والقصيرة؛ لأن طبيعة المثل تقتضي الإيجاز الذي يتيح له السيرة والذيق؛ وبالتالي ترفض كثرة الجمل وطولها. «.. ومن الواضح أن الجمل القصيرة أسهل على الفهم من الجمل الطويلة..»⁽⁵⁾.

والأمثال الشعبية بحكم طبيعتها الروائية، التي تستدعي الحفظ والنقل الشفوي، تقوم جملها على شيء من التوازي والتوازن معاً. الذي ييسر الحفظ والنقل.

فالمثل: «الزواج ستر». أو الخطاب رطاب. أو اللي خلف لبنات ما مات. أيسر نقلا وأسهل رواية، وأكثر قابلية للذيق والانتشار، من قولهم مثلا: زواج ليلة يستاهل تفكير عام، أو اللي

(1) — عز الدين جلاوي، الأمثال الشعبية بسطيف، ص42.

(2) — عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص194.

(3) — المرجع السابق، ص195.

(4) — المرجع السابق، ص207.

(5) — حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص254.

ما عندوش ابناات ماعرفوه وَيْن مات. أو المثل: أنا نجري له بالقمة لفمه، وهو يجري لي بالعود لوجهي.

على الرغم من أن المثل الأخير متساوي عدد الألفاظ في الجملتين المركب منهما، إلا أن كثرة الألفاظ (5+5) ، وخلو الجملتين من السجع، والإيقاع، جعل هذا المثل عسير الرواية نسبيا، على عكس المثلين قبله، فكأنهم يتحاشون الألفاظ الكثيرة في المثل الشعبي. « وعدد الألفاظ داخل جملة واحدة، أو داخل جملتين متقابلتين، أو أكثر، لا يعني شيئا كثيرا إذا اختلف في التقابل: لو كتب كاتب فكرة في جملتين متساويتي العدد من حيث الألفاظ، لما كان لهاتين الجملتين من الناحية الجمالية كبير وقع في النفس، إذا لم يكن هناك تآلف ومماثلة، بحيث يشبه القسم الأول الثاني، والثاني الثالث، والثالث الرابع. ويكون ذلك بتكرار بعض الألفاظ ذاتها طورا، وباختيار الألفاظ التي تتلاءم فيما بينها طورا ثانيا»⁽¹⁾.

و بالإضافة إلى مبنى المثل. فالمعنى عنصر أساس في توظيف المثل في الخطاب. كما يرى أحمد أمين، عندما حدد عناصر الأدب في: (العاطفة، الخيال، المعاني، نظم الكلام وتأليفه) - قال: « المعاني وهي أساس كل نوع من أنواع الفن إلا الموسيقى، وفي بعض أنواع الأدب يكون هذا العنصر أهم ما فيه كالحكم »⁽²⁾. والأمثال حكم سارت.

ومما زاد الاهتمام بالأمثال أنها تُشَبَّه المعاني المعقولة بالأشياء المحسوسة، فالمثل: «وَنِي قُبْل ما إيجيك السيل». الذي ذكرت معناه المباشر الحقيقي آنفا، له معنى آخر يفهم من المقام، فهو يُضرب في الاستعداد للأمر قبل حدوثه. ففيه تشبيه معنى معقول بحالة حسية، أو فيه معنى أولي يستخدم لمعنى آخر؛ كما تقول التداولية (البراغماتية)، «...حيث تُعنى الدلالة بتفسير الملفوظات وفق شروطها وقيودها النظامية، وتحدد المعاني الحرفية لها مع الإشارة إلى أدنى مقاماتها، خدمة للنظام اللغوي، لا لمقاصد المتكلمين... وتُعنى التداولية بما وراء ذلك؛ فتربط مقاصد المتكلم أو الكاتب بالبحث عن المقام المناسب، والشروط التي

(1) - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص132.

(2) - أحمد أمين، النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، لبنان، 1967م، ص44.

تضمن نجاح العبارة..»⁽¹⁾ فالمثل: «وَيَّ قُبْل ما ايجيك السيل»، لا يفهم قصده من معاني كلماته، وإنما يفهم من المقام الذي قيل فيه.

4- أنواع الجمل في المثل الشعبي:

لقد تطرق "حليتي لخضر" في كتابه: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، إلى 190 مثلا. ويتبعه لبنائها، وجد أن الجملة الاسمية، أي المبدوءة باسم، من مثل: (الخطاب رطاب. الزواج ستر. الرجل عيبو في جيبو) هي الغالبة على ما في البحث، حيث بلغ عددها: 190/90 بنسبة: 47.36%.

والجملة الاسمية المبدوءة بالاسم الموصول (اللي)، الذي أصله الذي، من مثل: (اللي يُحِبُّ الزين يصبر لَغْذابو- اللي ما تُصبر على أقضاهم، ما تُعِيش امعاهم- اللي خَلَفَ لَبَنَات ما مات) بلغ عددها: 190/24 بنسبة: 12.63%.

وبجمع النسبتين يكون عدد الجمل الاسمية: 190/114 بنسبة مئوية: 60%.

وبهذه النسبة، تحتل الجملة الاسمية المرتبة الأولى في بنى المثل الشعبي، تليها في المرتبة الثانية الجملة الفعلية الطلبية، المبدوءة بفعل الأمر، من مثل: (بكر لحاجتك اقضيها، و اتصنت للفال- بنتك قبل الصوم اعطيها، قبل لا يكتر القيل والقال)- و خُوذ لَبَنَات على لُمَات، وخوذ القلم على السادات).

وعددها: 190/25 بنسبة: 13.15%. والمبدوءة بفعل مضارع مسبوق بنهي، من مثل: (ما يَعْجَبُك نوار دفلة، في الواد عامل اظلايل- ما يعجبك زَيْنُ طُفْلَة، حتى اتشوف لَفَاعِيل) - على اعتبار أن (ما) تستعمل للنهي في العامية «تستخدم دائما تقريبا (لا) الناهية الفصيحة أكثر من (ما) الناهية في لغة الحديث اليومي»⁽²⁾ - و(لا تُكَبِّ لَغْرَارَة عَلَى فُمُهَا ولا تُسَامِي البَنَّت لُمُهَا)، وعدد: 190/8 بنسبة: 4.21%. وجمع النسبتين يكون العدد: 190/33 بنسبة: 17.36%.

⁽¹⁾ -خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009م، ص-ص129-

130.

⁽²⁾ -ابن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، ص14.

والبنى الباقية تتوزع بين الماضى والمضارع المثبتين أو المنفيين. والاستفهام والشرط، والنداء والتعجب. وعددها: 190/51 ، بنسبة: 26.84%⁽¹⁾ .

ولعلّ المبدع الشعبي لجأ إلى الجملة الاسمية؛ لأنها في العادة أقصر من الجملة الفعلية حيث تتركب من عنصري المبتدأ والخبر.

والجملة الاسمية لا تحتاج إلى فعل بينما الفعلية تحتاج إلى اسم.

والجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت؛ لأنها تحمل وصفا وتمثل حكما، والحكم يأتي بعد تفكير وتريث، «..لأن الوصف يتطلب من الإنسان أن يترىث و أن يفكر في الأمر قبل أن يصدر حكما ما، بالسواد أو البياض، أو الجمال أو القبح، وما إلى ذلك»⁽²⁾ وكذلك لخلوها من عامل الزمن؛ بينما الجملة الفعلية الزمن فيها مسيطر، و به حدثها يتجدد.

وبهذا يمكن القول: إن المبدع الشعبي قد صاغ أمثاله في هذا القالب القصير من التركيب الاسمي؛ ليدوم استعماله، ويثبت وجوده بين الناطقين باللغة التي تحمله.

أما الرتبة الثانية فكانت من نصيب الجملة الفعلية الطلبية وبخاصة المبدوءة بفعل الأمر، أو الفعل المضارع المسبوق بنهي سواء بلا، أو بما. كما تستعمل في العامية الجزائرية. وحيث أن الأمر، والنهي لهما وظيفة تنبيهية إرشادية؛ وهذا ما يحقق الغرض من ضرب المثل الشعبي وهو التعليم غير المباشر، أو الإرشاد والتوجيه، بالإضافة إلى الحجاج والاستشهاد به عند ذكره في موضعه أو مناسبته.

-بنية المثل في التركيب الثنائي:

من يتأمل بنية المثل التركيبية، يتبدى له ميل الأمثال إلى التركيب الثنائي، فهذا النمط من التركيب يبدو واحدا من البنى الأساسية التي يعتمد عليها المثل باستمرار، بوصفه نمطا قادرا على حمل الدلالات والإيحاءات التي تكتنزها الأمثال، وقابلا للتوسع الدلالي في أكثر الألفاظ إيجازا، بل إن التركيب الثنائي يجعل جملة المثل جملة مكتملة مغلقة، تنفتح بالوحدة الأولى من التركيب، وتكتمل وتتغلق بالثانية.

(1) -ينظر: حليم خضر، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، ط1، المؤسسة الصحفية للنشر والطباعة والاتصال، المسيلة، الجزائر، 2010م، ص204.

(2) -حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص257.

وبإحصاء الأمثال التي جاءت في الفصل الثالث من هذا البحث، وعددها مائة واثنان وأربعون مثلاً، وجدت أن عدد الأمثال التي تتكون من وحدتين (جملتين) مثل: "العُود وَلَد اكراعو، والراجل وَلَد اندراعو". أو من جملة كبرى تتضمن جملة صغرى أو بتعبير آخر جملة مركبة أحد عناصرها جملة بسيطة. كالجملّة الواقعة خبراً لمبتدأ مثل: **الراجل عيبو في جيبو**. الرجل: مبتدأ. وخبره الجملة الاسمية: عيبو/ في جيبو. وجدت أن عدد هذا النوع من الجمل: اثنان وسبعون جملة. أي أكثر من 50% .

وهذا التركيب الثنائي يتيح للمثل تقديم جمل متعارضة، ودلالات متباينة، ومفارقات جلية في المثل ذاته؛ إذ نجد المثل يقدم الفكرة ويقدم تعليلاً. ولنأخذ نماذج من الأمثال التي جاءت في الفصل الثالث.

التعليل: بيان أسباب حدوث الأشياء.

المثل 1: ملّس من طينك، يسجى لك.

يتركب من وحدتين: ملّس من طينك/ يسجى لك

والأولى: دعوة إلى صنع الأواني الطينية من طين بلدك. وهو كناية عن الدعوة للزواج بابنة العم أي القريبة . هذه هي الفكرة المطروحة.

الثانية: يسجى لك؛ أي هذه الأواني تكون صالحة. وهو أيضاً كناية عن أن ابنة العم تكون أصلح للزواج بها. فالجملة الثانية تعد تعليلاً للجملة الأولى.

المثل 2: يتمسكن حتى يتمكن.

يتكون من وحدتين: يتمسكن/ يتمكن

فالجملة الثانية علة في حصول الأولى؛ لأن سبب وعلة التمسكن هو الرغبة في التمكن.

المثل 3: اخدم على روحك، تعجب الناس.

يتكون من جملتين: اخدم على روحك/ تعجب الناس.

فالجملة الثانية، لكي تعجب الناس وتُحترم، يجب أن تعمل وتنتج؛ لتستفيد وتقيد. ويمكن أن تكون الثانية نتيجة للأولى.

مقدمة نتيجتها منطقية: المقدمات تتبى بالنتائج.

المثل 1: اللي باعك بلبلوط، بيعو بقشورؤو.

يتكون من وحدتين إحداهما كبرى، الجملة الموصولة. والأخرى صغرى خبر الاسم الموصول: اللي باعك بالبلوط / بيعو بقشوررو. وقد تستعمل اللي بمعنى إذا. فالأولى: باعك بالبلوط، (البلوط ثمرة معروفة، وليس لها قيمة غذائية كبيرة). وهو كناية عن من يتخلّى عنك مقابل شيء زهيد. فالنتيجة المنطقية، أن تتخلّى عنه بشيء أزهد من البلوط وهو قشوره.

المثل 2: من عندي ومن عندك تنطبع، أما من عندي برك تنقطع،

يتكون من وحدتين: من عندي ومن عندك تنطبع/ أما من عندي برك تنقطع. فالأولى تعني أن علاقة تبادل المنافع تترسم وتصير طبيعية. نتيجة منطقية. والثانية: إذا تخلّى أحد الطرفين عن التزاماته تجاه الآخر؛ فالنتيجة المنطقية، انقطاع العلاقة. وفيه دعوة إلى تبادل المنافع.

المثال 3: الملدوغة من الحنش من جر الحبل تدوى.

يتركب من وحدتين: الملدوغة من الحنش/ من جر الحبل تدوى. عندما تعاد الصياغة: نعجة لدغها الحنش؛ تدوى من جر الحبل. فالوحدة الثانية نتيجة منطقية للوحدة الأولى.

التقابل: هي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب. والمقابلة في الكلام من أسباب حسنه، وإبراز معانيه؛ فالضد يظهر حسنه الضد، كما يقولون.

المثل 1: كي اتجي اتجيبها شعرة، وكى اتروح تقطع السلاسل.

يتركب من وحدتين:

الأولى: كي اتجي اتجيبها شعرة. أي إذا قدر الله للإنسان خيراً أو شراً، فإن مجيئه يكون بأبسط الأسباب.

الثانية: وكى اتروح تقطع السلاسل. أي إذا أراد الله زوال نعمة أنعمها على عبده، فإنها تروح أي تذهب، ولو كانت مربوطة بسلاسل حديد.

فالجملة الثانية تقابل الأولى في المجيء والذهاب وفي الضعف والقوة، وفيه دعوة للأخذ بالأسباب، وترك الباقي على الله.

المثل 2: يا امزوق من برّه واش حالك من داخل.

مكون من وحدتين: يامزوّق من بَرّه/ واش حالك من داخل.

وبين الوجدتين تقابل؛ التزيين من الخارج، يقابل عدم التزيين من الداخل، وفيه تهكم، على بعض الناس الذين يتزينون باللباس أو غيره، ولكنهم فقراء، أو يَطْلُون منازلهم من الخارج ولكن ما بداخلها قديم أو ليس به أثاث، أو يظهرون ما لا يبطنون..

المثل 3: لسانك حصانك؛ إن صنته صانك، وإن هنته هانك.

المقابلة بين الجملتين: صنته صانك/ هنته هانك (عن طريق الاختلاف).

طبيعي عندما يعتني الفارس بحصانه؛ فإنه يسبق به وقت السباق. أمّا إذا فرط فيه وأهانته فإنه سيضعف، ويخيّب ظنه عندما يحتاجه. وفي المثل تشبيه حالة بحالة حالة صاحب الحصان بحالة مستعمل اللسان. وفيه دعوة لاستعمال اللسان في الخير أو ما يفيد، لا في الإضرار بالغير.

التضاد أو الطباق: من المحسنات اللفظية، الموضحة للمعاني.

المثل 1: سال امجرب، و لا تسال طبيب.

مكون من وحدتين: سال امجرب/ لا تسال طبيب.

والطباق في اللفظتين: اسأل / لا تسأل . وهو طباق سلب.

المثل 2: الدجاجة اتبيض والديك يوجعو قاعو.

يتركب المثل من جملتين: الدجاجة اتبيض/ الديك يوجعو قاعو

الطباق في اللفظتين: الدجاجة/ الديك. وهو طباق إيجاب.

المثل 3: الحاذق كيما يلقي و الجايح كيما اتوصيه.

يتركب من وحدتين: الحاذق كيما يلقي/ الجايح كيما اتوصيه

والطباق بين اللفظتين: الحاذق/ الجايح.

ومعناه الحاذق أي الذكي، يتصرف حسب الوضعية التي يوجد فيها. أما الجايح أي

الغبي؛ فيتصرف حسب الوصية التي أوصي بها، ولو لم تكن لصالحه أو صالح من

أوصاه، دون إعمال فكره.

ثانيا- المثل والأسلوب الإنشائي:

وسواء أكانت الجمل التي يتركب منها المثل ثنائية الوحدات أم أكثر أم أقل؛ فإن الأساليب الإنشائية لها نصيبها في تركيبه، بالإضافة إلى التراكيب الشرطية. والأساليب الإنشائية تنقسم: إلى أساليب إنشائية غير طلبية وتشمل صور (المدح والذم، والقسم والتعجب). وأساليب إنشائية طلبية وتشتمل على أنماط تركيبية تتميز بوضوح أطرافها؛ فهناك طالب، ومطلب، ومطلوب منه، وفيها خمس صور معروفة هي: (النداء، الأمر، النهي، الاستفهام، والتمني)⁽¹⁾.

ويبدو أن الأمثال اعتمدت كثيرا في تركيبها على الأساليب الإنشائية الطلبية أكثر من غيرها من الأساليب، ونراها شديدة الوضوح في الأمثال، لأنها مناسبة وموائمة لطبيعة المثل حيث تتيح توجيه أمر أو خطاب. وهذا ما يسوغ الاكتفاء بالوقوف عليها في هذه الدراسة. تشيع الأساليب الإنشائية -الطلبية على الخصوص- في الأمثال شيوعا جليا؛ لأنها تركيب ينطوي على خطاب صريح؛ وأن المتلقي لا يكون حياديا إزاءها؛ لأنها توجه خطابها إليه: تأمر، وتنهى، تستفهم وتتادي. فيصبح شريكا لها في خطابها، بل إنها لا تتحقق إلا بشراكتها، وتدخله، وقد يتسع التفاعل، فيأخذ شكلا عمليا، أو رد فعل تكتمل به عملية التواصل بين طرفي الخطاب، وهذا ما يمنح جملة المثل خصوصية وهوية، تميزها عن غيرها من الخطابات الأدبية.

أما التمني، فلا يشكل سمة أسلوبية لقلة استخدامه مقارنة بالأساليب الأربعة الأخرى من أساليب الإنشاء الطلبي. كما يكثر التعبير عنه في الإطار الدلالي، من خلال الأساليب الأربعة؛ عندما يخرج الإنشاء عما وضع له، ويعدّل إلى معان تستفاد من السياق. وسأوضح- فيما يلي- كيفية توظيف الأساليب الإنشائية في تركيب نص المثل. أ-أسلوب النداء:

يعد أسلوب النداء واحدا من الأساليب الإنشائية التي تظهر بوضوح في الأمثال

(1) -ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص-ص 75-

بوصفه وسيلة لعقد الصلة بين المرسل والمتلقي، والنداء في الأصل هو: (طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه، بحرف نائب، مناب) (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء⁽¹⁾.

يكتسب النداء في الأمثال وظائف فنيّة تثريه بالدلالات والإيحاءات، مما يمكن تلمسه في السياقات التي يرد فيها، وفي القرائن المحيطة به، وتتبدّى خصوصية النداء في الأمثال من كون المنادى الفعلي و الحقيقي، عند ضرب المثل، لا يكون المنادى الملفوظ في نص المثل، ولذلك نجد النداء يتحرك، في كثير من الأمثال باتجاه المجاز.

المثل1: يا امزوق من برّة، واش حالك من داخل؟.

المثل مكون من وحدتين: يا امزوق من برّة/ واش حالك من داخل؟

فالمنادى هنا قد يكون شخصا، وقد يكون هيكلا. وهو نداء عام لكل من يتصف بهذه الصفة. هذا من ناحية الشكل. أما من ناحية المعنى فالياء للتنبيه لما يأتي بعدها: مزوق من برّة. يقابل جملة النداء، جملة استفهامية: واش حالك من داخل. لا تتطلب جوابا. وتركيب المثل بهذا الشكل يعبر عن شعور نفسي يتمثل في التهكم والاستهزاء والاستتكار.

والمثل2: يا معزة مكيش قادرة تولدي، أعلاه تطردي⁽²⁾ ؟

فالمثل مكون من وحدتين. أولاهما تبدأ بنداء، والثانية استفهامية.

ومعنى المثل: أن المعزة الصغيرة الحولية، مادامت لا تستطيع الولادة. لماذا (تطرد) أي تعرض نفسها للئيس وتحمل؟

والمثل يضرب في حق الرجل يقوم بتصرفات، أو يتخذ مواقف وقرارات، ولا يستطيع تحمل نتائجها. وفي المثل توبيخ و استتكار، بل إهانة واحتقار؛ عندما يصف من يخاطب بهذا المثل، بالمعزة التي: تطرد و لا تستطيع الولادة.

والمثل3: من هو أبوك يا البغل؟ قال: خالي الحصان.

والمثل مكون من وحدتين: استفهام في الأولى يتخلله النداء الذي حقه التقديم.

والثانية جواب الاستفهام. ومعروف أن البغل أمه فرس، وأبوه حمار.

(1) - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص105.

(2) -الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

ويضرب المثل لمن ينكر أصله، وينتسب إلى غير أهله؛ لضعف شخصيته، أو إحساسه بالنقص. كما يضرب في حق من يسأل عن شيء فيجيب بغير المسؤول عنه لجهل، أو لتهرب من الجواب المطلوب.

وفي توظيف النداء للبغل الذي لا ينادى، يُتلمّس امتعاض، وحنق المرسل. من المتلقي.

المثل 4: سَبَبْ يا عبادي وأنا انْعِينْكَ.

مكون من جملتين: الأولى: منادى مطالب بأخذ الأسباب. والثانية: نتيجة للأولى إعانة الله لمن أخذ بالأسباب. وأسلوبه أمر فنداء يشبه أسلوب الآية الآتية.

ومعنى المثل على الإنسان أن يأخذ بالأسباب، ويبادر بالعمل، ويتوكل على الله، وكل من كان هذا ديدنه، أعانه الله. والمثل يحمل توجيهات و معاني إسلامية سامية. حيث نجد في القرآن الكثير من الآيات التي ينادي الخالق عباده للقيام بعمل الطاعات، مثل: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾⁽¹⁾. وقال: ﴿يا عبادي فاتقوني﴾⁽²⁾.

أما بخصوص الأخذ بالأسباب فنجد في الآية: ﴿وهزي إليك جذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً﴾⁽³⁾. حيث أمر الله سبحانه وتعالى مريم بأن تهز جذع النخلة، وكيف تهزه امرأة في حالة مخاض؟ ولكنه أخذ بالأسباب، وأمر بتكليف الكسب في الرزق. والله هو الرزاق.

فالمثل يحمل معاني ما جاء في الآيات؛ عندما ينادي الله عباده بأن يأخذوا بالأسباب، وبياشروا العمل الصالح، يعينهم الله عليه، ويحقق لهم ما يرغبون فيه.

ب- أسلوب الأمر:

يعد أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تحفل الأمثال بها؛ إذ تشيع

(1) -سورة الزمر، آية 53.

(2) -سورة الزمر، آية 16.

(3) -سورة مريم، آية 25.

الأمثال المبدوءة بفعل الأمر، أو يتخللها فعل الأمر، كما يمكن أن يستخدم مكان الأمر، اسم فعل الأمر، أو المصدر النائب عن فعل الأمر، أو المضارع المجزوم بلام الأمر. كما يعد أسلوب الإغراء والتحذير من الصيغ التي تؤدي معنى الأمر.

والأمر بمعناه الصريح: هو طلب حصول الفعل من المخاطب، على وجه الاستعلاء واللزوم⁽¹⁾. فالأمر إذاً يحتاج لكي يتحقق إلى جهتين: مرسل يوجه الطلب. ومخاطب يراد منه القيام بتنفيذ فحوى الطلب. هذه هي الوظيفة الأصلية للأمر.

لكن صيغ الأمر في الأمثال كثيرا ما تخرج عن وظيفتها الأصلية (الوجوب، واللزوم) إلى الدلالات البلاغية التي تمنحها صفة الخاصية الأسلوبية، وهي دلالات ومعان تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال.

صيغة الأمر تتناسب مع الاستخدام الشفوي للغة، عندما تفترض وجود طرفي العملية الإبلابية (المرسل والمرسل إليه) مما يحقق عملية الاتصال التي تكتنز عادة بالشحنات الانفعالية، والوجدانية المتنوعة؛ لذا نجد أسلوب الأمر في الأمثال يتجاوز وظيفة الطلب الصريح، ليعبر عن معان ودلالات، وإيحاءات يحددها السياق، كالنصح والإرشاد والحض والتحريض، والاستهزاء واللوم والاستنكار والتحدي..

وإذا كان النصح والإرشاد من أكثر المعاني التي تخرج إليها أساليب الأمر؛ فإن هذا يدل على منحى التوجيه الاجتماعي الذي تسعى إليه كثير من الأمثال، ويؤكد على أهمية حضور التلقي للأمثال وأثرها في الناس، بوصفها نصا ثقافيا يكاد يداخل العقل الجمعي للناس، ويمارس سلطته عليهم، فيحركهم ويشكل انطلاقتهم.

وقد تنوعت تراكيب الأمثال التي احتوت على الأمر، فمنها ما اشتمل على فعل أمر وجواب الأمر (الطلب) كما في الأمثال التالية:

المثل 1:- «مّس من طينك يسجي لك». فيسجي لك "بمعنى يصلح"، يُعدّ جوابا للأمر: مّس من طينك. والأمر هنا معناه النصح والإرشاد.

المثل 2:- «اخدم على روحك تعجب الناس».

(1) - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 78.

فالمثال مكون من جملتين يتصدر كلا منهما أمر، والثانية منهما: (تَعَجَّبَ النَّاسُ) جواب للأولى : اخدم. والأمر هنا أيضا للنصح والإرشاد.

المثل 3:- «خُودْ بنت الناس إذا ما القَيْتَ لَهَا تَلْقَى لَخْلَاصَ».

يتكون من جملتين: الأولى جملة الأمر، خوذ (بمعنى تزوج). والثانية جوابه: الجملة الشرطية بطرفيها. وهو أيضا للنصح والإرشاد؛ فهو يوضح الفائدة من اختيار بنت الناس. وكأنه يشرح ما جاء في المثل الشعبي: زواج ليلة تدبيره عام. أو تفكيره عام. ومنها ما يأتي أمرا معطوفا على أمر، كما في المثال التالي:

المثل 4:- «كول وفرق وإلا كول ودرق». ومعنى: فرق، ودرق هو:

(فرق: بالقاف المعقوفة: وزّع. و درّق: بالقاف المعقوفة: خبئ)

المثل مكون من أربعة أفعال أمر كلها. فيهما عطف بين الأول والثاني. وبين الثالث والرابع. والمقطع الثاني استئناف للأول، أي إذا لم تطبق النصيحة الأولى؛ وهي أن تعطي من أَكْلِكَ جَارَكَ الذي يراك و أنت تأكل، أو يشم رائحة طعامك؛ فعليك أن تأكل في خفاء دون أن يطلع جارك أو يشعر بما أكلت. وفي تكرار الفعل: كول، تأكيد لفظي على استفادته من طعامه سواء أعطى منه أو لم يعط. وفي المثل استتكار و اشمئزاز ممن لا يطبق هذه النصيحة؛ فهو بعدم تطبيقها يؤدي جاره نفسيا.

المثل 5:- «كول ما يعجبك، والبس ما يعجب الناس».

المثل مكون من وحدتين: الأولى: كول ما يعجبك، والثانية: البس ما يعجب الناس. وأمر الثانية معطوف على أمر الأولى. وفي المثل نصح وإرشاد، غير أنك تحس بلوم من لم يمتثل للشرط الثاني من المثل، لأن اللباس غير الساتر، أو المتسخ، أو ذو الألوان التي تشمئز منها النفوس.. كل هذا يؤدي الناظر.

المثل 6:- «قل كلام الخير أو اسكت خير».

المثل أيضا مكون من جملتين: الأولى: قل كلام الخير. الثانية: اسكت خير. ربط بينهما بحرف العطف (أو) التخييرية. فالمثل ينصح المرء بالالتزام بأحد الأمرين على الخيار. إما أن يقول كلاما فيه خير. وإذا لم يستطع ، فعليه بالصمت، لأنه أفضل من

الكلام المؤذي، أو ما لا فائدة منه. وفي هذا المثل معنى وألفاظ الحديث النبوي الشريف.
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا، أو ليصمت...»⁽¹⁾.

وفي التركيب الشرطي، قد يتصدر الأمر جملة جواب الشرط في الأمثال، كما يلي:

7-المثل: «إِذَا أَحْمَارَتْ لَعَشِيَّةٌ هَيَّئْ دِبَائِيكَ لِلْمَشِيَّةِ، وَإِذَا أَحْمَارَتْ الصَّبَاحُ رَجَّعْ دِبَائِيكَ لِلْمَرَاخِ»⁽²⁾.

ومعنى المثل: إذا احمر الأفق عند غروب الشمس في فصل الشتاء ، فملاحظات الفلاحين تعتقد: أن اليوم الموالي سوف يكون صحوا، أو الطقس جميلا. وعليه فعلى الرعاة أو المسافرين أن يهيئوا مواشيهم للخروج للرعي أو السفر. أما إذا احمر الأفق في الصباح عند شروق الشمس، فقد يكون اليوم مغيمًا والطقس مضطربا، فما على الرعاة إلا الرجوع وإعادة المواشي إلى المراح، وهو مكان مبيت وتجمع الأغنام.

8-المثل: -«إِذَا الدُّعْتُ شَوْفَ تَحْتَ رَجْلِكَ»⁽³⁾.

ومعنى المثل إذا لدغتك (لسعتك) عقرب مثلا. فانظر تحت رجلك، أي أنها قريبة منك. ويضرب في الرجل، يصيبه الغير بمكروه كسرقة، أو تخريب أملاك، أو إفشاء أسرار... فليبحث عن المتسبب في ذلك من بين الأقربين إليه. وهذا ما تقوم به أجهزة التحري في كثير من الأحيان لتجد المجرم من بين هؤلاء.

والمثل مكون من تركيب شرطي، جوابه فعل الأمر: شوف. وغرضه التوجيه والتحذير من مكر الأقربين. وهو بهذا المعنى تعبير مجازي دلالاته مؤثرة ، عبر فكرة التمثيل والمشابهة التي تساوي بين لدغ العقرب، وضرر الأقرباء.

9-المثل: «إِذَا كُنْتَ زَيْنَ اسْتَرْ رُوحَكَ مِنَ الْعَيْنِ، وَإِذَا كُنْتَ شَيْنَ اسْتَرْ رُوحَكَ مِنَ الْفُضَائِحِ»
وهذا المثل مكون من جملتين شرطيتين، جواب كل منهما فعل أمر: استر. وغرضه النصيح مع الإحساس بشيء من غضب الناصح من تصرف المنصوح؛ لحضه وتحريضه على العمل بالنصيحة.

(1) - العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مجلد 11، ص308.

(2) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

(3) -الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

ومما يلاحظ على كل جمل الأمثال السابقة سواء أكانت كبرى أم صغرى، مركبة أم بسيطة، أن فيها شيئاً من الموازنة، وأن فيها انفتاحاً وانغلاقاً يشي باكتفائها واكتمالها.

ج- أسلوب النهي:

أسلوب النهي هو الوجه السلبي لأسلوب الأمر؛ فإذا كان الأمر طلباً بفعل أمر معيّن؛ فإن النهي طلبٌ بالامتناع عن فعل ما؛ فالمعنى الأصلي: (طلب الكف عن الفعل) والامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة هي المضارع المجزوم بلا الناهية⁽¹⁾.

والنهي كغيره من الأساليب الإنشائية الطلبية يأتي بصور نهى حقيقية، وأخرى مجازية، فتجده « يخرج عن معناه الحقيقي، إلى معان مجازية تفهم من سياق الكلام وبمعونة القرائن التي توحى بالمعنى البلاغي الذي يفهمه الأديب من تذوقه للنص، وهذه المعاني المجازية هي التي ترتفع بالأسلوب عن وظيفته التقريرية في مجرد الفهم والإفهام وتعطيه دلالات وإيحاءات فنيّة، تمتع الفكر وتثري الوجدان، وتفتح أمام الأديب مجال الخلق والابتكار»⁽²⁾.

ويلاحظ المطلع على الأمثال الشعبية أن قسماً منها جاء على أسلوب النهي؛ لما فيه من إمكانية تعبيرية ثرية؛ خصوصاً تلك التي يخرج فيها النهي عن المعنى الأصلي أو الحقيقي، فلا يعود أمراً بالكف والامتناع عن فعل ما، من مرسل إلى مثلق، بقدر ما هو محمولات ثقافية، تمثل ما يشبه القوانين، أو التعاليم التي لا يجوز خرقها، بل ينبغي التمسك بها، بوصفها معايير أساسية يراعيها المجتمع الذي تستخدم فيه الأمثال.

ويأتي النهي ب (لا) الناهية على صور، منها نهى المضارع بلا. أو يأتي مقترناً بالأمر كما في المثل:

المثل: 1- «سال امجرب لا تسال طبيب»⁽³⁾.

(1) — ينظر: محمود أحمد نخلة، البلاغة العربية، علم المعاني، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002م، ص 88.

(2) — ينظر: عبد الفتاح عثمان، دراسات في المعاني والبدیع، مكتبة الناشر حلوان، مصر، 1982م، ص 85.

(3) — رابع خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 77.

فهذا المثل مكون من وحدتين: أولاهما: أمر، طلب سؤال المجرب، والعمل بنتائج تجربته. وثانيتها: نهى، طلب الكف عن سؤال الطبيب، وعدم العمل بنصائحه. فالمجرب ثبت نجاح تجربته. أما الطبيب، فنصائحه من كتب قرأها.

وهذه القاعدة معمول بها في الأوساط الشعبية، وهي تتسحب على كل من يريد العمل في أي مجال: فلاح، ثقافي، اجتماعي.. فهو يستشير أصحاب التجارب والخبرات لا أصحاب النظريات المجردة. وفي المثل نهى، غرضه النصح لا الإلزام.

وقد يرد النهي مضاعفاً أي باستخدام أكثر من تركيب نهى في مثل واحد، نحو:

المثل: 2- «لا تَكُبْ الغَرَارَةَ عَلَى فُمِّهَا، وَلَا اتَّسَامِي البنت لَأُمِّهَا»⁽¹⁾.

و الغرارة: ظرف مصنوع من الشعر والوبر والصوف، تُحمل فيه الحبوب على الجمال، وعندما لا يجدون الوكاء الذي يربطون به فم الغرارة، يخللونها، أي يخيطنون فمها بأعواد صغيرة. والعود منها يسمى: أُخْلَلٌ. والجمال يحمل غرارتين على جنبيه، وفمهما إلى أعلى، لأن الغرارة لو كبت إلى أسفل لتسربت الحبوب من بين الأعواد التي خُلِّلَتْ بها. وكذلك البنت عندما يزوجونها، يجب أن تسكن بعيداً عن أمها. لأن قربها من أمها يجعل الاتصال دائماً بينهما. وهذا قد يفسد العلاقة بين المرأة وزوجها أو أهلها، بسبب كثرة التزاور. وفي المثل تكرار استعمال "لا" الناهية؛ لإيجاد التوازن، وتأكيد النهي الذي غرضه النصح المبني على تجربة. وفيه تشبيه حالة معنوية بحالة مادية لتقريب الصورة، وتوضيح الضياع الحاصل في الحالتين.

وقد يأتي النهي باستخدام (ما) بدل (لا) كما يستخدمها العامة في الأمثال الشعبية حيث يضعون -ما- مكان -لا- كما جاء في رباعيات المجنوب:

المثل: 3- ما يَعْجَبُكَ نُؤَار دَفْلة == في الواد دابر ظَلَّيل

ما يعجبك زين طفلة == حتى اتشُوف لَفْعَايل

ففي هذه الرباعية نهى بما، بمعنى: لا يُعجبُكَ، وفيه نصح وإرشاد لمن أراد الزواج؛ عليه أن يختار ذات العمل الصالح، والصفات الحسنة أولاً، ولا يغتر بالجمال؛ فقد لا يطابق

⁽¹⁾ - الذاكرة الشعبية ببوسعادة.

المظهر المخبر، كما هو الحال في نبات الدفلة الذي منظر زهوره جميل؛ لكنه دون رائحة، كما أن طعم عيدانه مر.

والمثل يشبه حالة بحالة، وكأنه يقدم الدليل على صحة ادعائه.

د- أسلوب الاستفهام:

يعد أسلوب الاستفهام أحد الأساليب المتميزة، التي تدخل في نطاق الدرس الأسلوبية وهو من التراكيب التي تحمل في ذاتها إمكانيات الاتصال بين المرسل والمتلقي؛ لما ينطوي عليه من مضمون وجداني ونفسي، ولما يتيح من وسائل تأثيرية، تفعل فعلها في المتلقي فالاستفهام أو السؤال من « أكثر التراكيب اللغوية الفنية استدعاء للمثيرات عند المتلقي؛ فهو يمارس إثارة الدهشة الناجمة عن قطع رتابة التلقي المستكين، ورضوخ المتلقي لخمول وطاة استقبال التراكيب الجاهزة، ويمارس فعل المفاجأة التي تنتهك جمود التوقع لتنشأ جدلية حيوية حركية بين المبدع والمتلقي عبر تركيب السؤال؛ ذلك الذي يجعل المتلقي فاعلا أصيلا في التجربة الإبداعية، بما تضمنه من جدلية لا تزول بين المبدع والمتلقي»⁽¹⁾.

والاستفهام في معناه الوصفي: طلب أحدهم العلم بشيء لم يكن معلوما قبل ذلك، بإحدى أدوات الاستفهام، وهو في معناه الأصلي معنى من المعاني يطلب فيه المرسل من المتلقي، أو المتكلم من السامع أن يعلمه بما لم يكن معلوما عنده من قبل.

يرد الاستفهام في الأمثال « بوصفه أحد الأساليب الإنشائية التي تتيح إمكانية واسعة للتعبير عن معان، ودلالات شتى، تخرج عن معنى الاستفهام الأصلي إلى معان بلاغية مجازية تفهم من السياقات التي يرد فيها الاستفهام، ويعد السؤال من الأساليب الثرية في الدلالات والإيحاءات التي يصعب تحديدها؛ فهي كثيرة غزيرة ومختلطة متشابكة»⁽²⁾.

والاستفهام قد يأتي في تركيب تنصده أداة استفهام، أو تتوسطه، وقد يؤدي بفعل أو بنغمة صوتية؛ فهو تعبير تأتي دلالاته في بعض الأحيان من خارج التركيب، بحيث يكون للسياق والموقف والانفعال، والمرسل والمتلقي، دور وأثر في تحقيق الدلالة. وفيه يمكن أن يتحول التركيب الخبري إلى استفهام.

(1) -عيد بليغ، أسلوبية السؤال: رؤية في التنظير البلاغي، ط 1، دار الوفاء، القاهرة، 1999م، ص 77.

(2) -عيد بليغ، المرجع السابق، ص 85.

وإذا خرج الاستفهام عن معناه الأصلي، فهو ينزاح مع طبيعة المثل المتضمن استفهاماً؛ فالمرسل لا ينتظر جواباً عن استفهامه من المتلقي. والأمثال الشعبية حفلت بأنماط مختلفة من التركيب الاستفهامي، الذي انزاحت دلالاته إلى دلالات أخرى، نحو:

المثل: 1- من هو أبوك يا البغل؟ قال: خالي الحصان.

فأداة الاستفهام تصدرت التركيب، والاستفهام هنا ليس الهدف منه معرفة الجواب؛ لأنه معروف. وليس الهدف منه التحدث عن أصل البغل. وإنما المستفهم قصد الاستهزاء بأفكار المتلقي، خارج موضوع هذا السؤال، والامتعاض من ردوده حول موضوع معين. بطريقة غير مباشرة.

ومن صيغ الاستفهام بغير الأدوات المعروفة في كتب اللغة، أذكر ما يلي:

المثل: 2- يا امزوق من برة، واش حالك من داخل؟

فصيغة الاستفهام: (واش حالك من داخل) بمعنى: كيف حالك من داخل. وهذه الصيغة (واش) في العامية الجزائرية يختلف معناها حسب السياق. فهي في هذا التركيب بمعنى: كيف. وهي بمعنى - ماذا - في التركيب: واش اتحوس: ماذا تريد؟ وقد تستعمل مكان حرف الجواب - نعم - عندما تنادي، يا فلان. يقول المنادي: واش... وهذه الصيغة جاءت ضمن التركيب، ويجوز أن تنصدره؛ فنقول: واش حالك من داخل، يا لمزوق من برة؟ على حسب الاهتمام بالمتقدم. وقد تستعمل: واش، بمعنى: مَنْ، للعاقل نحو:

المثل: 3- قالوا: واشكون عدوك؟ قال لو: صاحب مهنتك. أو صنعتك.

وهذا المثل مكون من جملة استفهامية وجوابها، أي أن السؤال أُسْتُؤْنِفَ بجوابه. فالسائل أجاب؛ فهو لا يبحث عن جواب. لا شك أنه يرشد المتلقي ويذكره بالعداوة الخفية والغيرة المستحكمة بين أصحاب المهنة الواحدة، كالتجار والحرفيين... بسبب الترويج لبضاعته، واحتكار السوق، أو بسبب إعجاب الناس بمقدرتهم والتحدث عنهم.. وأداة الاستفهام: واشكون: مركبة من: واش + كون. بمعنى: من يكون؟

وطبيعة المثل الإفهامية الإرشادية، تطلبت صياغته بشكل تنبيهي مع ما فيه من شعور بسخط نفسي، حول هذه الظاهرة السيئة.

ومن صيغ الاستفهام في الأمثال الشعبية أيضا، صيغة -أعلاه- التي تتكرر كثيرا في التعبير العامي، ومنه:

المثل: -4 يا معزة مكيش قادرة تولدي. أعلاه تَطْرُدي؟

وأداة الاستفهام هنا هي : (أعلاه). بمعنى: لماذا. ومعلوم أن المرسل لا ينادي المعزة، ولا يسألها؛ وإنما يلوم المتلقي عن تصرفاته التي لم يستطع تحمل نتائجها. فهو كالمعزة التي حَمَلت وهي صغيرة، لا تستطيع الولادة. فالاستفهام هنا خرج عن معناه الأصلي أي طلب المعرفة، وانزاح إلى معنى مجازي، هو اللوم والتوبيخ. وهو مثل يضرب في حق كل من اتصف بهذه الصفات.

ثالثا - دراسة تطبيقية على بنية المثل الشعبي:

1- التقنية البنائية:

التقنية البنائية التي تقوم عليها أسلوبية الأمثال الشعبية تعتمد التكرار، وليبيان ذلك لا بدّ من تحليل بعض الأمثلة الشعبية، وقبل التحليل نعرض على تعريف التكرار.

تعريف التكرار في اللغة:

هو من الكر، وهو الرجوع، يقال كَرَّه وكرَّ بنفسه، يتعدَّى ولا يتعدَّى، والكرّ مصدر: كَرَّ عليه، يكرّ كَرًّا و كرورا، وتكرارا، عطف وكرّ عنه: رجع، وكرّ على العدو يكرّ: ورجل كَرَّار ومكر: وكذلك الفرس، وكرّر الشيء و كركره: أعاده مرة بعد أخرى، والكرّة المرة والجمع كَرَّات، ويقال: كَرَّرت عليه الحديث وكركرته: إذا رددته عليه، وكركرته عن كذا : إذا رددته والكرّ: الرجوع عن الشيء ومنه التكرار.

قال الجوهري: كَرَّرت الشيء تكريرا وتكرارا. قال أبو سعيد الضرير: تَفْعَال، و تَفْعَال، فقال: تَفْعَال بالكسر اسم، و تَفْعَال بالفتح مصدر، وتكركر الرجل في أمره أي تردد. والكركرة من الإدارة والترديد. قال: وكركرة الرحي تردادها⁽¹⁾.

ولفظ التكرير أو التكرار - من الناحية الصوتية- يظهر في كل منهما حرف الراء مرتين، والراء بذاته حرف له صفة التكرار؛ لأنه عند النطق به ساكنا لتحديد مخرجه، لا

⁽¹⁾ -ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص-ص135-136.

يقطع صوته اللسان بالتقائه تماما مع مقابله من الفك العلوي، بل يظل مرتعشا به زمنا كأنه يكرره.

التكرار في الاصطلاح:

يعد التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي، وقد درسها البلاغيون العرب، وتنبهوا إليها عند دراستهم لكثير من الشواهد الشعرية والنثرية، وبينوا فوائدها ووظائفها⁽¹⁾. والتكرار مصطلح عربي كان له حضور عند دارسي البلاغة العربية. فتكرار الكلمة أو اللفظة أو الجملة: إعادتها أكثر من مرة في سياق واحد، أو إعادة وحدات صوتية وفق نظام معين. وقد يكون التكرار بتكرار اللفظ الواحد لفظا ومعنى، أو تكرار المعنى فقط. وهناك فرق بين التكرار والإعادة؛ فالتكرار يقع على إعادة الشيء مرة، أو عدة مرات. أما الإعادة فتكون للمرة الواحدة فقط⁽²⁾.

وفي التعليمية: تكرار الدرس، إعادته نفسه دون تغيير الأمثلة أو النماذج، وهذا يناسب من كان غائبا أو لم يسمع ما قُدم. أما من كان حاضرا ولم يفهم فهذا تناسبه الإعادة؛ وهي تكرار الدرس أو إعادته بشكل آخر، وبأمثلة أخرى، مع المحافظة على الهدف⁽³⁾. قال ابن فارس: «ومن سنن العرب التكرير والإعادة، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»⁽⁴⁾. ومن أوجه التعليم المفيد كما يرى ابن خلدون في مقدمته، قوله: «.. وهذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات. وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك، بحسب ما يخلق له، ويتيسر عليه»⁽⁵⁾.

والتكرار في الأمثال الشعبية، يعلم الحمار، أي مهما كان الفرد بليدا أو أقل ذكاء؛ فإن تكرار الأفعال أو الأقوال لا بد أن ترسخ في ذهنه، وتصبح عادة، كما هي عادة الكلام. وفي هذا يقول المثل الشعبي: «التكرار يعلم الحمار»⁽⁶⁾. يقول ابن أبي شنب: أي يجعله عالما.

La répétition apprend à l'âne; c'est-à-dire le rend savant.

(1) — ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ط5، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، 1981م، ج2، ص73.

(2) — العسكري، الفروق اللغوية، حققه وعلّق عليه، محمد إبراهيم سليم، د/ط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د/ت، ص39.

(3) — حنفي بن عيسى، محاضرة للطلبة المفتشين بالمركز الوطني لتكوين إطارات التربية، الجزائر، 1991م. حضرها صاحب هذه الأطروحة.

(4) — ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصحاح، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، سوريا، 1977م، ص341.

(5) — ابن خلدون، المقدمة، ص1030.

(6) — ابن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب، ص179.

Aforce d'exercice on fait les choses facilement et bien.

أي بكثرة التمارين ننجز الأشياء بسهولة وإتقان.

وال تكرار: « هو أسلوب تعبيرى يصور انفعال النفس بمثير ما، واللفظ المكرر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة؛ لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماما عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين، ممّن يصل القول إليهم، على بعد الزمان والديار»⁽¹⁾.

والتكرار « يضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة»⁽²⁾. وقد جاء التكرار في القرآن الكريم الذي هو أعلى مستوى للغة العربية.

يرى حضري جمال: أن حجاج التكرار يتمثل في توكيد الحمولة الدلالية لمضاعفة طاقة إقناعها، كما أنه وسيلة تنبيهية تسهل تلقي خطاب الحجاج وفهمه من متلقيه، وتقرأ صور التكرار بما يلائم سياقاتها أو بما ينسجم مع الدلالة العامة للنص القرآني؛ لكونها وسائل تمتص بها لغة النص لغة التخاطب العادية لتشحنها بالفعالية الحجاجية بما يحقق مراد المخاطب من مخاطبيه. فالتكرار في الآية: ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر⁽³⁾. [الآية الأولى تكررت مرتين، والثانية تكررت أربع مرات في السورة]. وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبا من أنباء الأولين أدكارا واتعاضا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه⁽⁴⁾.

التكرار في الأمثال الشعبية:

التكرار من الوسائل الأساسية التي يبنى عليها الإيقاع، خصوصا إذا حالفه التوفيق في تأدية الدلالة المرادة. والتكرار في الأمثال من الأسس الأسلوبية التي تقوم على تمثيل

(1) - السيد عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1986م، ص 136.

(2) - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ط3 منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1967م، ص 67.

(3) - سورة القمر، آية 39-40.

(4) - حضري جمال، جماليات الإقناع في الأسلوب القرآني، المجلة العلمية حوليات الآداب واللغات، الصادرة عن كلية الآداب واللغات بجامعة المسييلة، عدد 1، 2013،

ص 160.

الوحدة العضوية في المثل وتكثيف التماثل*، وتوفير أنواع مختلفة من التماثلات الصوتية التي تحقق إيقاع المثل وتسهم في إبراز دلالاته⁽¹⁾.

وصور التكرار تتنوع في الأمثال الشعبية، فمنها تكرار الحرف (الصوت)، وهو يقتضي تكرار حروف بعينها في الكلام مما يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعادا إيقاعية تشد السامع إليها، ومنها تكرار الألفاظ أو العبارات المتوافقة مبنى ومعنى؛ وهو تكرار يعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضمون تلك الألفاظ أو العبارات المكررة، باعتبارها مفتاحا لفهم المضمون العام الذي يقصده المتكلم، بالإضافة إلى ما تحققه من توازن في الأسلوب وتماسك في النص.

– مصطلحات الدراسة الصوتية:

وقبل إجراء دراسة تطبيقية على المستوى الصوتي، أحبّذ التعريف ببعض المصطلحات المستعملة في هذا النوع من الدراسة. وذلك أن الكثير من الأمثال الشعبية تستعير خاصية القافية والتوازن من الشعر، لأنهما الوسيلتان الصوتيتان المحققتان جمالية الشكلين الأدبيين، والمساعدتان على سهولة روايتهما الشفوية، وبقائهما.

«فالمقوم الصوتي الإيقاعي في الشعر يتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي:

(الوزن-والتوازن - والأداء).

1- الوزن: المجرّد القائم على المقاطع والتفعيلات-سواء كان منتظما أو حرا – مجاله الدراسة العروضية.

2- التوازن: أو الموازنات: ويتألف من عناصر لغوية مشخصة، فهو عبارة عن تردد الصوامت (التجنيس) ، والصوائت (الترصيع)، اتصالا وانفصالا في مستويات من التمام والنقص، حسب تعبير القدماء، وتشكل القافية جزءا من هذا النظام، باعتبارها تكرار صامت وصائت على الأقل، أما الاختصار على أحدهما، فيعتبر عيبا: "الإكفاء أو الإقواء" في الشعر.

*السيد عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، جاء في هامش، ص7 (إن الحرف أو اللفظ المنطوق أو المكتوب، قد ذهب بذهاب حيزه من الزمان والمكان، فليس هو ذاته العائد، وإنما العائد مثله في الشكل والصوت، فإن إطلاق لفظ التكرير أو المكرر أو عودة الحرف – ميناه المجازات المشهورة، فالتكرير وما مثله عائد على النوع باعتبار أفراد، وليس واقعا على شخوص الأفراد، لعدم قبولها إياه، وكان اللفظ الحق هو (التمثال)؛ إلا أني آثرت عليه المجاز المشهور، الذي أصبح في مكان الحقيقة العرفية.

(1) – السيد عز الدين، المرجع السابق، ص7.

3- **الأداء:** وهو عملية التجسيد الشفوية، حيث يقوم القارئ أو المنشد بتأويل العناصر الوزنية والتوازنية وما يقع بينها من انسجام واختلاف في تفاعل مع الدلالة، اتساقا واختلافا (التضمين) وهنا تدخل مباحث التنغيم والنبر والوقف»⁽¹⁾.

- **الجناس** التام أو المطابق أو المشاكلة: وهو ما اتفقت أصواته واختلف معناه، مثل: (الهوجل = الصحراء، الهوجل = الناقة . الساعة = القيامة، الساعة = الساعة الزمنية)

التجنيس: الخالص البسيط، غير المرصع بالحركات: ينطبق على:

- تجنيس الاشتقاق أي اختلاف البنية الصرفية، وبقاء أصوات الجذر (الصوامت).
- التجنيس السجعي.

الترصيع: الخالص البسيط (غير المجنس) :

- اتفاق البنية الصرفية واختلاف الصوامت، مثل: غالب/قائم/فاعل -حسود/قنوع/فعل.
-الترصيع السجعي. مثل قائم/نادم - حسود/حقود.
-التوازن المقطعي واختلاف الصوامت.

الموازنة والسجع:

الموازنة أعم من السجع؛ لأن السجع تماثل أجزاء الفواصل، لورودها على حرف واحد نحو: الغريب/ القريب/ النسيب. وما أشبه ذلك.
أما الموازنة فنحو: القريب/ الشديد/ الجليل، وما كان على الوزن، وإن لم يكن الحرف الأخير واحدا.

وكل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعا.

-«وقريب من هذا المفهوم، اعتبار الموازنة توازنا غير مسجوع، وهذا هو المفهوم الذي حدّد له عند البلاغيين المتأخرين.

-اعتبار الموازنة نوعا من المقابلة، حين تعتبر الأخيرة جنسا أعلى، كما هو شأنها عند ابن رشيق، وتضم جانبا من البناء الصوتي»⁽²⁾.

⁽¹⁾ -محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، المغرب: أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2001م، ص 9-11.

⁽²⁾ -المرجع السابق، ص 15.

«ومهما توسع مفهوم الموازنة والتوازن عند البلاغيين العرب، فإنه لا يعدو التعادل والتقابل، بين الأنساق الزمنية القائمة على الكم المجرد (الوزن العروضي). أو الكم الشخص المتجلي في الأنساق الترصيعية، القائمة على التقابل بين أنواع الحركات والمد، ولم يشمل جانب التماثل الجرسى التجنيسي إلا في نطاق ضيق، أي باعتباره حلية للترصيع والسجع»⁽¹⁾.

والتوازن يرجع إلى أحد أمرين:

- تكافؤ طرفين وتناظرهما في نوع الحركات والسكنات والمد، كلياً أو جزئياً (الترصيع)
- تكافؤهما وتناظرهما في أنواع الصوامت، مع تناظر الحركات أو عدم تناظرهما، كلا، أو جزءاً (التجنيس).

وإذا كان الشعر منظوماً، فإن الأمثال السائرة تشبه المنظوم في بعضها، وهما يقومان على تكرار من أنماط شديدة الاختلاف.

- تكرار وحدات تنغيمية (إيقاع) - تكرار أسجاع متماثلة في نهاية الوحدات الإيقاعية (قافية) وتكرار أصوات مجردة في النص (تجنيس).

المقابلة: تضم عناصر دلالية وعناصر صوتية.

ويقوم التناظر فيها على الموافقة والمخالفة، مع مراعاة الموقع في التقديم والتأخير. ويؤتى بالموافقة بما يوافق، وبالمخالفة بما يخالف. وأحلى صور المقابلة الدلالية ما كان بين الأضداد.

أما المقابلة الصوتية فتكون في الأوزان والازدواج، وخصت بمصطلح مميز ملائم لها هو: الموازنة.

وبعد هذه اللمحة عن بعض المصطلحات المستعملة في الدراسة الصوتية، يمكن القيام بإجراءات تطبيقية بتوظيف هذه المصطلحات.

- أهمية الإيقاع الصوتي:

جمال الأسلوب في اللغة العربية يقوم على «الإيقاع الصوتي؛ لأن اللغة العربية - الشاعرة - لغة فنية موسيقية، وإن عناصر الموسيقى الشاعرية تتجلي فيها أكثر من غيرها من

⁽¹⁾ - المرجع السابق، ص 18.

اللغات. ويرجع ذلك إلى سببين: هما الغناء. وبناء اللغة نفسها على الأوزان»⁽¹⁾ والقرآن الكريم قام بالدرجة الأولى على الإيقاع الصوتي العبقري، حيث نجد السورة تبدأ بإيقاع صوتي معيّن، فلا تكاد تعدوه إلى نهايتها. فعندما يكون الجو العام الذي أطلقت فيه الآيات جوا سريعا يأتي الإيقاع الموسيقي سريعا قويا، وعندما يكون الجو وانيا بطيئا يأتي الإيقاع مسترسلا رخيا.. ومثالا عن ذلك: سورة النازعات⁽²⁾، «حيث فيها إيقاعان موسيقيان متناسقان مع جوين عامين:

الأول: من أول السورة (والنازعات غرقا.. إلى قوله تعالى.. فإذا هم بالساهرة): حيث الإيقاع فيه متناسق مع الجو العام، فالإيقاع يظهر في هذه المقطوعة السريعة الحركة، القصيرة الموجة، القوة المبنى، وهو يتناسق وينسجم مع الجو العام؛ لأنه "جو مكهرب، سريع النبض، شديد الارتجاف".

الثاني: قصة موسى في السورة (هل أتاك حديث موسى... إن في ذلك لعلبة لمن يخشى) فالإيقاع الموسيقي يظهر في المقطوعة: "الوانية الحركة، الرخية الموجة، المتوسطة الطول" وهو يتناسق وينسجم مع الجو العام؛ لأنه جو قصصي هادئ مسترسل»⁽³⁾

والأدب العربي الشعبي ليس بدعا من صنوه الأدب العربي الفصيح ، «فهو يشبهه ولا سيما القديم منه، في كثير من خصائصه التاريخية (الحضارية) لأنه:

- 1- يقوم على الرواية الشفوية، كما كان أدبنا العربي القديم يقوم عليها.
- 2- يشيع في مجتمع تغلب عليه الأمية في معظم الأحوال.
- 3- يشيع في مجتمع تغلب عليه البداوة (وشطف العيش).
- 4- يجسد المطامح الساذجة لطبقة شعبية معيّنة، لا لشعب ينتظمه حبل واحد، ومبدأ واحد، وهدف واحد»⁽⁴⁾.

ولهذا كُتب عليه أن يخضع لكثير من الخصائص الصوتية، التي تيسر روايته وانتشاره، وتجعله ذائعا بدون عسر؛ لأنه بدون هذه المادة الصوتية في الرواية، تكون هناك

(1) - صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988م، ص94.

(2) - سورة النازعات ، من آية 1- إلى 14 .

(3) - صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق ، ص171.

(4) - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص138.

صعوبة كبيرة على ذاكرة الإنسان، في حمل هذه النصوص القصيرة وذكرها. « بالإضافة إلى أن المثل الشعبي يجب أن يكون استمرارا للمثل العربي القديم، في صورته البنائية، ومثاليته البيانية، وخصائصه الصوتية العامة، حيث أننا نجده يتوفر على معظم الخصائص الصوتية نفسها، والإيقاع نفسه»⁽¹⁾.

كقولهم: زوج من عود، خير من قعود. عيش المضر، حلوه مر مقر. بمثل جارية فلتزن الزانية. لا ماءك أبقيت، ولا حرّك أنقيت .

فهذه الأمثلة مسجوعة، وكل مقطع ينتهي بصوت يتكرر في المقطع الثاني من المثل ففي المثل الأول: الدال، وفي الثاني: الراء ، وفي الثالث: الياء والتاء المربوطة(ية)، وفي الرابع: القاف والياء والتاء المفتوحة.

وهذه الخاصية، خاصية الإيقاع الصوتي، هي التي اعتمدتها الأمثال الشعبية الجزائرية. ولأخذ فكرة عن تركيبة الأمثال الشعبية الصوتية، قام "حليّتم لخضر" بإحصاء الأمثال المدرجة في كتابه: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية. و حدد المرسلات منها، التي تتكون من وحدة واحدة، أو وحدتين. ثم الأمثال الشعبية المسجوعة والموقعة. ومن خلال هذا الإحصاء، وجد أن عدد الأمثال المرسلات غير المسجوعة اثنان وأربعون مثلاً. 190/42 بنسبة: 22.10% ومنها: الزواج سترة- البنات اعمارة الدار- اللي اعطى بنتو ينسى ارقادها- الله يستر الرجال اللي سترو اغيوب النساء .

وبعملية حسابية بسيطة نستنتج أن عدد الأمثال الموقعة أو المسجوعة هو 190/148 . بنسبة: 77.89% وهي نسبة عالية ، تمثل الأمثلة الباقية.

وهناك الأمثال المركبة من لفظين، ولكنها موقعة ، مثل: الخطاب رطاب . الضرة مرّة . ولكنها قليلة. « والمبدع الشعبي يعرف أن كل تباعد بين عدد ألفاظ وحدتين متقابلتين داخل نص مَثَل واحد، يُعَسِّر روايته ويعرقل سيرورته. يضاف إلى ذلك القطع الصوتي أو النشاز الذي يشوش على الإيقاع المنسجم، فيُضِلُّ من جماليته، ويصبح أسلوبه بعيدا عن تقاليد البلاغة العربية في أصالتها ورصانتها»⁽²⁾.

(1) - المرجع السابق، ص139.

(2) - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص141.

التشاكل الإيقاعي والدلالي:

ولنأخذ المثل: « اللي اسخف على ابرة اسخف على بقرة »⁽¹⁾.

المثل	التشاكل الإقاعي	التشاكل الدلالي
اللي اسخف على ابرة	اسخف على + رة	سرقة شيء صغير تماثل
اسخف على بقرة	اسخف على + رة	سرقة شيء كبير

وأثناء الأداء تنطق التاء المربوطة هاء عند الوقف في نهاية كل مقطع.

و التكرار إما أن يكون كلياً لجميع أصوات الكلمة، وإما أن يكون جزئياً لبعض

الأصوات منها؛ كما يظهر في الأمثال⁽²⁾ المختارة في الجدول الموالي:

المثل	التكرار الكلي لأصوات الكلمة	التكرار الجزئي أو السجع	الطباق أو المقابلة
1- اخدم آ الشاقي للباقي		بين الشاقي والباقي: (اقي)	
2- يموت النفاق ويبقى الرزاق		بين النفاق والرزاق (اق)	يموت/ يبقى
3- طاق على من طاق	طاق + طاق		طاق/ طاق
4- الجار قبل الدار		بين الجار و الدار (ال + ار)	
5- ماك تَلْ فيك الكسرة، ماك صحراء فيك الوسرة	ماك + ماك فيك + فيك	بين الكسرة والوسرة (سرة)	تل / صحراء الكسرة/ الوسرة
6- هيبْ لا تُعيبْ		بين هيب وعيب (يِب)	
7- اليد اللي تمد خير من اللي تشد	اللي + اللي	بين تمد وتشد (ت + د)	تمد/ تشد

ومعاني الأمثال السابقة هي:

(1) - سعيد محمد، التشاكل الإيقاعي في نص المثل الشعبي الجزائري، ص33.

(2) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية ص-ص (9-23-56-65-82-102-105).

المثل:1- اعمل أيها الشقي من أجل من سوف يبقى حيا بعد وفاتك. و يُضرب في من يعاني الكثير من المتاعب لجمع الثروة دون أن ينتفع بها لبخله؛ ناسيا أن هناك من ينتفع بها بعد موته دون أن يشقى. وفيه ذم للبخل ودعوة للإنفاق دون إسراف.

المثل:2- يموت المنفق على الشخص، ويبقى رازقه وهو الله عز وجلّ. وهذا القول بمثابة عزاء لمن توفي أبوه أو الوصي عليه. وفيه دعوة للصبر وللرضا بقضاء الله.

المثل:3- قَوِيّ هذا وقوي غيره عليه، يقال في شأن عراك ضارٍ لا يُرحم فيه أحد وهو عبارة عن قانون الغاب، الحق للأقوى، لا مبادئ ولا قوانين تحترم. وفحواه استتكار للحالة التي يصفها.

المثل:4- للعرب اهتمام كبير بالجيرة، والمحيط إلى درجة أنهم يمتنعون عن امتلاك بيت إذا كان المكان الذي يقع فيه غير مناسب، وفيه حث على احترام الجار ومساعدته.

المثل:5- لست تلا (منطقة الشمال الخصبة) فيك الكسرة (يعني القمح) ولست صحراء فيك الغنم. يستعمل هذا المثل للتعبير عن الاستخفاف الكبير الذي يبديه الإنسان تجاه الشخص الذي لا ترجى منه أيّ فائدة لصالح رفيقه. وفيه حث على مساعدة الغير.

المثل:6- كمن يرفع العصا ليشير بها أو يهدد، أو يهش، دون أن يستعملها في الضرب كي لا يحدث عيبا أو عطبا في المضروب. فهذا المثل كالوصية للوالدين أو المربين الذين يبالغون في العقاب كالضرب المبرح، والمجازاة الشديدة بصفة عامة. وفيه حث على التربية بكيفية رحيمة.

المثل:7- لأن الإنسان الذي يأخذ دون أن يعطي، يكون لا محالة مدينا لغيره. وهذا يتنافى مع عزّة النفس. وفيه حث على العمل من أجل الكسب، ثم التصديق على الغير.

تحليل بنيوي صوتي دلالي لنماذج من الأمثلة الشعبية:

من المعروف أن الأداء الصوتي له تأثير قوي على التعلق بالأمثال، حفظا وترديدا واستمعا. عبّر عنه ابن جنيّ في (باب الرد على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني) أنه قال: « .. ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذّ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديرا باستعماله، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النفس به، ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك، لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وُضع له، وجيء به من

أجله..»⁽¹⁾. فابن جني يشير إلى البعد النفسي في العلاقة بين المثل والسجع، إذ أن النفس تميل إلى المثل المسجوع فتحفظه، وتتلذذ بإيقاعه، ومن ثم فإن حفظه مدعاة لاستدعائه، واستعماله في مناسبة ما، ولولا السجع ما تحققت اللذة، ولا حصل الأئس، وما كان هناك حافظ لحفظ المثل واستعماله. وفي تحليل الأمثلة الآتية، يتضح أثر السجع والإيقاع الناتج عن تكرار الأصوات.

المثل: 1- «احسبها كرمة وفيها الكرموس - وجدها كرمة وفيها الناموس». ويقال: وجدها ذكارة وفيها الناموس؛ لأن كرم التين فيه المؤنث، وفيه المذكر الذي يتكاثر عليه الناموس. بنية هذا المثل متماسكة مؤتلفة، لدرجة أنه يمكن ضم كل لفظ إلى نظيره، مع وجود كل منهما في جملة.

ف: "احسبها" لفظ يوازي "ووجدها".

و "كرمة" لفظ يجانس "كرمة".

و "فيها" لفظ يجانس "فيها".

و "الكرموس" لفظ يوازي أو يوازن "الناموس".

فالتقنية المعتمدة في هذا المثل واضحة، فهي تعتمد على:

- التكرار الذي قام على ترديد لفظتين اثنتين مرتين بنسبة 50%.

- التماثل اللفظي: حيث أن الألفاظ في المثل تقوم على تشكيلتين:

تشكيلية: (احسبها + ووجدها) ؛ وهي ذات طبقة بنيوية واحدة.

تشكيلية: (الكرموس + الناموس)؛ وهي أيضا ذات طبقة بنيوية واحدة، مما يعطينا تفسيراً آخر للمعادلة التي يقترحها عبد المالك مرتاض⁽²⁾ في هذه الفقرة.

فهناك ثمانية ألفاظ في المثل موزعة بالتساوي على جملتين اثنتين؛ بينما نجد أربع بنى فقط، بحيث شكل كل لفظ مع صنوه في الجملة، وحدة بنيوية جعلته ينتمي إلى أسرته إما بالتكرار الصريح، وإما بإلحاقه عن طريق الملاءمة البنيوية. والجدول الذي أورده الكاتب يوضح نسبة التكرار التي بلغت في المثل 76.19% وهي ذات دلالة كبيرة.

(1) - ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق الشربيني شريدة، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة، 2007م، ج1، ص276.

(2) - عبد المالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص-ص132-134.

الثنائيان	احسبها،(ها)	كرمة وفيها	الكرموس،(ال+موس)
	ووجدها،(ها)	كرمة وفيها	الناموس،(ال+موس)
نسبة التكرار فيهما	33.33%	100%	71.45%

وبالتقنية نفسها يمكن تحليل الأمثال الآتية:

فالمثل: 1 - «اللي يبكي يبيكي حي، واللي يشبعني يشبعني شي»⁽¹⁾.

معناه، من يرد أن يبكي فليبكي وأنا حي، ومن يرد أن يطعمني فليطعمني سواء. و يضرب في من يريد أن يقدم خدمة، فعليه أن يقدمها في الوقت المناسب وبالطريقة اللائقة. ومن الناحية البنائية، يتركب المثل السابق من جملتين اسميتين، عدد ألفاظهما ثمانية، موزعة بالتساوي على الجملتين في كل جملة أربعة ألفاظ. وعدد البنى فيها أربعة هي: (اللي - يبكي - يشبعني - حي / شي) ونسبة التكرار حسب الجدول أدناه تفوق 87 في المائة.

المثل	التكرار الكلي لأصوات الكلمة	التكرار الجزئي
اللي يبكي يبيكي حي اللي يشبعني يشبعني شي	اللي + اللي - يبكي + يبيكي - يشبعني + يشبعني	حي + شي (ي)

تبدأ كل واحدة منهما بالاسم الموصول الذي (ينطق في العامية: اللي⁽²⁾)، وصلته في الجملة الأولى: يبكي، تتكرر لتؤدي وظيفة الخبر. وكذلك الحال مع الجملة الثانية، حيث تتكرر الصلة - يشبعني - لتؤدي الوظيفة نفسها. و الفعلان المكرران يتضمنان معنى الطلب - لام الأمر محذوفة، فليبكي، فليشبعني -

و من الناحية الدلالية، تتضمن لفظة البكاء: العطف والرحمة والحنان، وهي معاني نفسية، تظهر في المعاملات من خلال الجملة الثانية: اللي يشبعني يشبعني شي. والتكرار بالفعلين ليس الغاية منه تقوية جانب الخطاب في نص المثل فقط، وإنما مبعثه نفسي ومؤشره الأسلوبي دليل على أن هناك حاجات تحتاج إلى إشباع؛ فيتم التركيز على كلمة

(1) - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص86.

(2) - مادن سهام، دراسة تركيبية للعامية الجزائرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الأبيار، الجزائر، 2011م، ص79. تقول الكاتبة: ولقد تبين لنا من خلال تحليلنا للمدونة أن العامية لا تملك إلا اسما موصولا واحدا وهو "اللي" المستعمل في كل الحالات للمذكر والمؤنث في المفرد والمثنى والجمع.

بعينها. و استعمال الفعل يدل على الحركة و التغيير لأن الحدث فيه مرتبط بزمن، بعكس المصدر، وفي الفعلين المكررين-يبكيني، يبكيني- مقابلة ضمنية؛ لاقترانها بالموت والحياة، فالتعبير بالبكاء يكون على الميت، لكن المثل يريد على الحي. وكذلك الحال مع الفعل- يشبعني- لا يريد الشبع بأي شيء، إنما يريد الشبع بالشئ- واللحم المشوي أهم مأكول يقدم للضيوف- فهو يريد تغيير الفكرة السائدة، والانتقال من حال إلى حال. يعبر عنها المثل: «لَمَحَبَّةٌ بِحَكِّ الضُّرُوسِ، مَا شَيْ بِحَبِّ الرُّؤُوسِ»⁽¹⁾. حك الضرور كناية عن الأكل. وإسناد الفعلين إلى الغائب، جعلهما يؤديان وظيفة إخبارية، وقلصا دور الذات في النسيج اللغوي، غير أن وقوع الأفعال الأربعة على المفعول به (ياء) المتكلم أمداً المثل بشحنة انفعالية، فصار المثل يحمل قيمة خلقية اجتماعية عامة؛ و يتضمن إلحاحا على أداء الفعلين بالكيفية المناسبة؛ لما في ذلك من تمتين العلاقات الاجتماعية.

ومن الناحية الصوتية، فهو قد شكل إيقاعا جليا خصوصا أن اللفظتين متجاورتان ولعل انتهاء الألفاظ المكررة في جملتي المثل بياء المتكلم، و اختتام الجملتين بياء ساكنة أي بسجع، خلق توافقا صوتيا، جعل الإيقاع واضحا، والأسلوب متسقا؛ مما يسهم في جذب انتباه المتلقي للمثل، كما أن محتوى المثل يمتاز بالانسجام؛ لأنه يحيل إلى خلفية ثقافية تتمثل في تشابهه مع المثل: «كي كان حي شاهي تمرة، و كي مات علقو لُو عرجون»⁽²⁾. أي عندما كان حيا لم يجد من يساعده ولو بتمرة واحدة، وعندما مات، وصار في غير حاجة إلى المساعدة، أتوه بعرجون تمر. و هذا الانسجام يعين على فهم أبعاد التجربة التي يتضمنها المثل؛ كما يساعد على حفظه وذبوعه بسبب استعماله في المواقف المناسبة.

المثل: 2- «دسي زينك لا ينشاف، دسي شينك لا يعاف»⁽³⁾.

ينصح هذا المثل المرأة بأن تخفي جمالها وزينتها عن الناس، كما عليها أن تخفي عيوبها أيضا كي لا يعافها الناس.

(1) -قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص48.

(2) -الذاكرة الشعبية في منطقة بوسعادة.

(3) - رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ص786.

وبملاحظة بنية المثل نجده يتكون من جملتين فعليتين ألفاظهما ستة، موزعة على الجملتين بالتساوي، وبنية المثل متماسكة مؤتلفة، إلى درجة أنه يمكن ضم كل لفظ إلى نظيره، مع وجود كل منهما في جملة، ولو قمنا بتغيير الترتيب النحوي لأحد مكونات الجملتين، فإن المعنى لا يتغير إلا من حيث الاهتمام بالمتقدم، فلو قلنا: زينك دسي لا ينشاف، شينك دسي لا ينعاف. فإن الدلالة العامة لا تتغير.

كما نجد في هذا المثل أن كل لفظ يشكل مع ما يماثله أو يجانسه أو يقابله، وحدة بنيوية، جعلته ينتمي إلى أسرته. إما بالتكرار الصريح، أو بإلحاقه عن طريق الملاءمة البنيوية. حيث:

دسي - لفظ يجانس - دسي.

زينك - لفظ يوازي ويوازن ويقابل - شينك.

لا ينشاف - يوازي ويوازن - لا ينعاف.

ونسبة التكرار في هذا المثل تظهر في الجدول الموالي:

الثنائيان	دسي	زينك، (ينك)	لا ينشاف، (لا يذ + ف)
	دسي	شينك، (ينك)	لا ينعاف، (لا يذ + ف)
نسبة التكرار فيهما	100%	75%	83,33%

وبجمع النسب نجد أن التكرار بلغ 86,11 في المائة. وهي نسبة عالية.

ومن الناحية الدلالية فالتكرار ليس الهدف منه إرضاء فلسفة بنيوية لا تعدوه فحسب؛ ولكن للتأكيد على دلالة المكرر. فكلمة دسي مثلا، هي فعل أمر مسند للمخاطبة وظيفته وعظمية، ودسي معناها استري أو أخفي، ولكن المخيال الشعبي اختار دسي إمعانا في الستر لأن دلالة الدس أقوى من الإخفاء، فهو مربوط بالدس تحت التراب كما جاء في القرآن الكريم في شأن الموعودة، : ﴿.. أيمسكه على هون أم يدسه في التراب..﴾⁽¹⁾.

ولفظة " لا ينشاف" تقابل لفظة " لا ينعاف" لا من حيث المعنى المعجمي؛ ولكن من حيث المعنى الانزياحي، المعنى الدلالي المستنتج بعد نظر، فكلمة ينشاف، هي صيغة

(1) -سورة النحل، آية 59.

مطاوعة من الفعل شاف(شاهد أو رأى)، أي أن زينك ينكشف للغير، وهذا يجعل من يشوف أو يرى الزين يقبل عليه بطريقة شرعية أو غير شرعية، وهي المقصودة. وكلمة: ينعاف، هي أيضا صيغة مطاوعة للفعل عاف. أي تجعل الناظر إليه ينفر منه ويبتعد عنه؛ فدلالة اللفظين: "إقبال وإدبار"، وهذه هي المقابلة بالتضاد. والدلالة العامة للمثل، أنه يوجه المرأة إلى الستر والتحجب في كل حالاتها.

وهذه المقابلة- بالإضافة إلى التوازن- تمتاز بعلاقات ترصيعية، علاقات كمية: تناظر وحدات زمنية، وتمتاز بعلاقات تجنيسية، وهي علاقات تلوينية، ومن هنا يتكامل الجانبان عند التقائهما.

وألفاظ المثل منتقاة ، فلا يمكن أن تستبدل لفظة بأخرى دون أن يختل النظام الصوتي، أو دون أن تتأثر الدلالة. فلو قلنا: دسي جمالك ، فهي لا توازن شينك. كما أن زينك أقل أصواتا من جمالك ، وزينك أشرف منها دلالة. وفي القرآن:

﴿.. ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها..﴾⁽¹⁾.

ففي القرآن « الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب ، وذكر الزينة دون مواضعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر؛ لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها، إلا لمن ذكروا في القرآن»⁽²⁾.

والزينة: لفظة مكثفة ، فهي تطلق على كل ما يزين الإنسان. ففي العامية تنطق بفتح الزاي، وسكون الياء وفتح النون، و تدل على الجمال الطبيعي للمرأة، وعلى ما تزين به من حلي أو أصباغ أو لباس. كما أنها تدل على الصفات الخلقية الحسنة، و السلوكات الحميدة التي يتصف بها الرجل أو المرأة. وتقابلها لفظة شينك في الدلالات المذكورة .

ولو عدنا إلى لفظة: "دسي" فإنها أيضا منتقاة لا يمكن أن تعوضها كلمة أخرى وتعطي المعنى نفسه ، فدسي، أشرف من خبي، أو أخفي، لقوله تعالى: ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على

(1) - سورة النور، آية 31.

(2) - الزمخشري، الكشاف، م3، ص61.

هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون⁽¹⁾. فالدسّ أشد إخفاء لأنه يتعلق بالإخفاء تحت التراب، فاختيار المبدع الشعبي هذه الكلمة، يدل على شدة إمعانه في طلب الستر، وقد يكون هناك تعالق نصّي بين المثل والآية مقومه خوف العار.

ولو عدنا إلى **المثل**: « دسّي زينك لا ينشاف ، دسّي شينك لا ينعاف ». من الناحية الصوتية، لوجدنا عند قراءته وترديده عدّة مرات، أن الفنّان الشعبي قصد التأثير في نفس المتلقي بواسطة نظام صوتي عجيب؛ بحيث يمكن لمنشدين أن ينشد الأول منهما وحدة من المثل: (دسي زينك لا ينشاف) . والثاني الوحدة الثانية: (دسي شينك لا ينعاف). دون أن يختل الأداء أو يتكسر اللحن الشعري.

وهذا الإيقاع الصوتي لا يتصل بنهاية كل جملة (وحدة) فحسب، وإنما ينصب على سائر الألفاظ في الجملتين. بحيث أن كل لفظ في الجملة الأولى، يتحكم في لفظ يقابله في الجملة الثانية لا من حيث البنية فقط، وإنما من حيث الخصائص الصوتية نفسها. ومما يلاحظ أن الألفاظ ستة، و البنى أو القوالب ثلاثة - أما الدلالة فهي متغيرة تمثل خمسة من ستة - ولو طبقنا الميزان الصرفي المعمول به في اللغة العربية، لكان كالآتي - في الجملتين - (فِعْلِي فَعْلَكَ لا ينفعل)، (فَعْلِي فَعْلَكَ لا ينفعل).

- إذا راعينا الأصل الثلاثي لهذه الألفاظ - (دسّي، دسّ، دسس) - (ينشاف، شاف، يشوف) وبالإضافة إلى القالب الصوتي المذكور في الميزان الصرفي، فإن الصوت نراه متحكماً في الأسلوب أكثر من ذلك، بحيث لم يرض بالقالب العام، بل انصب على المجانسة الصوتية المطلقة في لفظة: (دسّي) ، والمجانسة النسبية في باقي الألفاظ: (زينك وشينك) ، (لا ينشاف ولا ينعاف) ، ولما قمت بإحصاء التكرار الصوتي، وجدت أن أصوات الجملة الأولى المركبة من ثلاثة ألفاظ مكررة في الجملة الثانية، ما عدا صوتين في الجملة الأولى لا يجانسان صوتين في الجملة الثانية، وهما (الزاي والشين) في الأولى، و (الشين والعين) في الثانية. وقد وجدت - عند دراسة هذا المثل بنيويًا - أن نسبة تكرار الأصوات بلغت فيه

(1) - سورة النحل، آية 58-59.

86.11% ، وهذه النسبة كبيرة جدا، جعلت أسلوب هذا المثل يرتقي إلى مستوى صوتي يقارب الشعر نفسه في مفهومه التقليدي أي "الكلام الموزون المقفى".

وبدت عبقرية المبدع الشعبي في أسلوب هذا المثل، في الملاءمة الرائعة بين الألفاظ التي رصّها داخل كل وحدة. في نظام كلامي صوتي بديع، دون أن يكون هناك حشو أو لغو، ودون أن يكون هناك ركافة أو إسفاف.

هذه الروعة استمدّها المثل من الموازنة المسجوعة المرصّعة، في كل لفظتين متناظرتين في وحدتي المثل.

ولشدة الانسجام و الملاءمة بين الألفاظ المركبة لوحدتي المثل؛ أنه يمكن تحويل عناصر الجملة، بتقديم المفعول به في الجملتين، فنقول: زينك دسي لا ينشاف، وشينك دسي لا ينعاف. وهذا التغيير لا يختل به النظام الصوتي ولا النظام الدلالي.

وقد يرفع من المستوى الجمالي لأسلوب هذا المثل، أنه ليس قاعدة لأصوات تتردد دون معنى. وإنما للصوت دلالته، فهو يجمع بين جمال الصوت وشرف الدلالة. وانظر صوت (السين) في لفظة: دسي. التي تدل على الإخفاء؛ ولأن هذا الدس يتم في خفاء الكلمة تنتهي بسين ممدودة، والسين صوت مهموس، فكأنه يعظ بصوت خافت لا يسمعه غير المعني بالوعظ - كأنه يهمس في أذنها - فمعنى الستر الشديد، جاء بطريقتين: الدلالة المعجمية للفظ، والدلالة الصوتية للسين المهموسة.

إذاً فكل لفظ له وظيفتان: وظيفة صوتية، ووظيفة دلالية. بالإضافة إلى الوظيفة البنيوية. فمثلا، لفظة: "زينك" تقابل لفظة: "شينك"، مقابلة صوتية: لهما الوزن نفسه - فلك - مع تكرار (ينك)؛ أي بسجع مسكون الحرف الأخير في التعبير الشفوي؛ مما جعل الإيقاع واضحا. واللفظان يتقابلان مقابلة معنوية، مقابلة التضاد. والمقابلة من المحسنات اللفظية بالإضافة إلى القيمة الإفهامية.

وقد يتضمن معنى المثل السابق : إخفاء الزين (الجمال) بسبب الخوف من العين. وإخفاء الشين (القبح) بسبب الخوف من الفضيحة.

وهذا المعنى الأخير، نجده صريحا ومباشرا في مثل آخر، موجه إلى الرجل في صيغته الظاهرة.

المثل 3:- «إِذَا كُنْتُ زَيْنٌ، اسْتُرْتُ رُوحَكَ مِنَ الْعَيْنِ. وَإِذَا كُنْتُ شَيْنٌ، اسْتُرْتُ رُوحَكَ مِنَ الْفَضَائِحِ»⁽¹⁾.

وبملاحظة بنية هذا المثل يطالعنا أسلوبه الشرطي، المتكون من جملتين شرطيتين، يربط بينهما الواو، وكل جملة تتكون من جملتين: جملة الشرط، وجملة جواب الشرط تربط بينهما -إذا⁽²⁾ - الظرفية الشرطية- التي تنطق في بعض الأحيان: (إلى)، مثل: «إلى أعطاك العاطي ما تشقى ما تُبَاطِي»⁽³⁾. وبهذا فبنية المثل متماسكة مؤتلفة. كما نجد في هذا المثل كل لفظ يشكل مع ما يماثله أو يجانسه أو يقابله وحدة بنيوية جعلته ينتمي إلى أسرته بواسطة التكرار الصريح الكلي أو النسبي.

فالألفاظ المتجانسة في جملتي المثل هي: (إذا- كنت- استر- روك- من-) مجانسة تامة. أما المجانسة النسبية والموازنة، فنجدها في (زين- شين). أما اللفظان الباقيان: (العين، الفضائح) فيختلفان في الشكل ويتفقان في الضرر. ونسبة التكرار في هذا المثل تظهر في الجدول أدناه:

النشائيان	إذا	كنت	زين	استر	روك	من	العين
	إذا	كنت	شين	استر	روك	من	الفضائح
نسبة التكرار بينهما	100%	100%	66,66%	100%	100%	100%	20%

وبجمع النسب نجد أن التكرار بلغ 83,80% ، وهي نسبة كبيرة، تضاهي نسبة التكرار في المثل السابق.

ومن الناحية الدلالية، لا يختلف هذا المثل عن سابقه إلا من حيث السياق، أو المقام؛ فهو موجه إلى الرجل، إذا توفرت فيه شروط الجمال أو شروط القبح، ليس الجمال جمال الشكل الطبيعي؛ لأنه لا يمكن أن يُستر. إنما المقصود، الجمال المكتسب، وجمال الكسب الذي يمكن أن يُحسد عليه فيصاب بالعين. وكذلك القبح ليس المقصود به قبح الخلقة؛ إنما المقصود قبح الصفات والسلوك السيئ الذي يعاب به ويفتضح. و لضرورة الستر في هذا

(1) -عدلاوي علي بن عبد العزيز، الأمثال الشعبية ضوابط وأصول، ص58.

(2) - مادان سهام، دراسة تركيبية للعامة الجزائرية ، ص108. تقول: ومن الملاحظ أن جملة جواب الشرط غير الجازم قد تقتزن باللام أو الفاء، وقد لا تقتزن، وكل الجمل الشرطية في عاميتها لم تقتزن بفاء أو بلام.

(3) - الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.

المجال كُرّر فعل الأمر (استر) ذو الدلالة الوعظية لخطورة ما يترتب على عدم الستر. و المخيال الشعبي اختار في توجيهه الرجل، الفعل: استر، المنتهي بالراء، وهي صوت مجهور مكرر. فكأنه يجهر بالنصيحة ويلح عليها، بتكرار اللفظ وتكرار الصوت؛ ليسمعها المعني بها وغيره. أما في توجيهه المرأة، فقد اختار الهمس بالنصيحة، اختار الفعل دسّي المنتهي بالسين قبل ياء المخاطبة وهو صوت مهموس ناسب المقام، مقام توجيه المرأة للإخفاء في خفاء.

ولكي ترسخ القيمة الخلقية التي يحملها هذا المثل في أذهان الناس، بثّها بأسلوب التكرار والإيقاع. الإيقاع الناتج عن تكرار الألفاظ، وتكرار الأصوات -السجع- في آخر الجمل الثلاث الأولى: الياء والنون (ز - ين / ع - ين / ش - ين). - وهو ما يسمى بالتسميط في الشعر، وهو أن يصيّر الشاعر البيت أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد - والوقوف على سكون النون، جذب انتباه السامع فردده وحفظه.

والقيمة الخلقية هي عين ما يدعو إليه الدين الإسلامي الحنيف، من وجوب الحذر من الثثرة بالنعم، وإظهار ما تفضل به الله على عبده من آلاء و خيرات، بطريقة تثير الآخرين؛ لأن ذلك مجلبة لحسدهم، وشر عيونهم. والعين حق كما ورد في تفسير آية ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾⁽¹⁾. أي نظرة العين. جاء في تفسير الألوسي: «.. ورب حاسد يؤذي بنظره بعين حسده نحو ما يؤذي بعض الحيات بنظرهن، وذكروا أن العائن والحاسد يشتركان في أن كلا منهما تتكيف نفسه، وتتوجه نحو من تريد أذاه، إلا أن العائن تتكيف نفسه عند مقابلة العين والمعاناة، والحاسد يحصل حسده في الغيبة والحضور، وأيضا العائن قد يصيب من لا يحسده من حيوان وزرع وإن كان لا ينفك من حسد صاحبه..»⁽²⁾. وفي تفسير الطبري «.. أن يستعيز من شر عينه وحسده»⁽³⁾.

(1) - سورة الفلق، آية 5.

(2) - الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د/ط، بيروت، 1414هـ.

1994م، 16ج، 29، ص507.

(3) - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1415هـ 1994م، 7م، ص585.

وفي السنة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُعوّذ الحسن والحسين يقول: «أعيزكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة و من كل عين لامة»⁽¹⁾.

وهامة: بالتشديد واحدة الهوام، ذوات السموم، وقيل كل ما له سم يقتل. وعين لامة: هي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء.

و يتضح مما جاء في تفسير الآية الكريمة، وشرح الحديث الشريف، اعتماد المثل المذكور على خلفية ثقافية إسلامية فيما يتعلق بإصابة عين الحاسد المحسودَ بمجرد النظر إليه.

أما الشرط الثاني من المثل، ففيه تحذير من المجاهرة بالسوء، والمكابرة بفعل المنكرات؛ لئلا يفتضح صاحبها، ويصير حديث الخاص والعام.

ومما يلاحظ أن سورة الفلق احتوت على التكرار والإيقاع، تكرار لفظ: (شر) ثلاث مرات. إطناب للتنبيه على قبح وشناعة هذه الصفات، وهو تكرار خاص بعد عام (من شر ما خلق)⁽²⁾. والتوقيع من خلال التنويع والتكرار في الفواصل، بالحرف (القاف) في نهاية الآية الأولى والثانية، وبالحرف (الدال) في نهاية الآية الرابعة والخامسة. وهي فواصل متماثلة في حرف الروي. ويبرز الإيقاع أكثر عند التزام الوقف، الوقف على السكون. وهذا له فوائد عديدة، منها: استراحة القارئ، وتدبره لما يقرأ، وكذلك إفهام السامع⁽³⁾.

و الفاصلة في علوم القرآن تعني أواخر الآيات في كتاب الله عز وجل، وهي بمنزلة قوافي الشعر؛ كما ذكر السيوطي: «الفاصلة: كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع.. وقال القاضي أبوبكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني... [ويكرر المعنى في موضع آخر] فيقول: .. فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافية البيت في الشعر»⁽⁴⁾. وفي شرح الآيتين: ﴿كتاب فصلناه...﴾. «آيات

(1) - الزحيلي وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج3، ص476.

(2) - المرجع السابق، ص 476.

(3) - ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، دت، ج1، ص224.

(4) - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج3، ص290.

مفصلات...»⁽¹⁾. يقول ابن منظور: « وكتاب فصّناه له معنيان: أحدهما تفصيل آياته بالفواصل. و المعنى الثاني: بيناه »⁽²⁾. ويقول: « وهي بمنزلة القوافي في الشعر »⁽³⁾ أي الفواصل.

وكذلك الحديث الشريف جاء أسلوبه محتويا على أصوات مكررة، (الألف، الميم، التاء المربوطة) أحدث إيقاعا داخليا مؤثرا في نفس المتلقي.

وهكذا لاحظنا أن التكرار والإيقاع الصوتي الذي جاء في أرقى أساليب اللغة العربية- القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف- جاء أيضا في الأمثال الشعبية الجزائرية التي تنتمي إلى التراث العربي. « ولقد ارتبطت وظيفته أكثر فأكثر بالجانب الدلالي؛ لأن الإيقاع يجاوز وظيفته الجمالية الخالصة إلى وظيفة أخرى أعمق غورا، وأبعد مدى، وهي الوظيفة الدلالية التي تجعل الإيقاع مجرد وسيلة لدعاية شعرية باردة فارغة»⁽⁴⁾.

خلاصة:

تطرقنا في هذا الفصل إلى أسلوب الأمثال الشعبية، ووجدنا أنها قدّمت في أسلوب جذاب مؤثّر. حيث:

- أن الأمثال تسجيل قولي قصير يلخص مآثر الإنسان ومواعظه.
- أن المثل يمتاز بجملة القصيرة التي أتاحت له الفهم و السيرة.
- أن جمل الأمثال يغلب عليها التركيب الاسمي الملائم لتسجيل الحكم ودوامها.
- أن الأمثال الشعبية جاءت بأساليب إنشائية طلبية مختلفة؛ للتأثير في نفوس السامعين وشدّ انتباه المتلقين. كما أن الأسلوب الخبري واضح في تركيبها الاسمي خاصة.
- أن الأمثال الشعبية الجزائرية تقترب كثيرا من اللغة الفصحى، مع اختفاء علامات الإعراب أحيانا. وكل مثل له معنى ظاهر مباشر، ومعنى آخر يفهم من السياق أو المقام.
- أن ألفاظ المثل مختارة؛ غير أنها قد تتغير في الشكل عبر الزمن وتبعا للبيئة، مع محافظتها على المحتوى الذي يبقى متشابها بين الشعوب التي تستعملها.

(1) - سورة الأعراف، آية 51. والآية 132.

(2) - ابن منظور، لسان العرب، مجلد 11، ص 524.

(3) - المصدر السابق، م 11، ص 525.

(4) - عبد المالك مرتاض، أ.ي- دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة " أين ليلاي"، لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص 158.

- أن الأمثال تُشبه المعاني المعقولة بالأشياء المحسوسة، ويتضح معناها من خلال المقام الذي قيلت فيه. مما يثير انفعال المتلقي ويجعله يحفظ المثل ويردده في المواقف المناسبة.
- أن الأمثال تعتمد على التكرار، على مستوى المعاجم والتراكيب؛ مما ينشئ التشاكل والتوازن والسجع، ويحقق الوحدة العضوية في المثل، كما يحقق تماسك نصه.
- أن تكرار بعض الحروف في الأمثال يعطيها أبعادا إيقاعية تشد السامع إليها.
- أن الأداء الصوتي المنبثق عن تكرار أصوات له تأثير نفسي قوي على التعلق بالأمثال حفظا وترديدا واستمتعا.
- أن الأمثال تحمل قيم المجتمع وحكمه وتوجيهاته، بل تعطينا فكرة عن الحياة النفسية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة بين الأسلاف، و تشي بمدى انسجامها مع الموروث الثقافي العربي الإسلامي.
- أن هذه الخصائص الأسلوبية ساعدت على حفظ المثل، ونقل هذا التراث، عن طريق الرواية الشفهية قياسا على حفظ القرآن والشعر، وبخاصة في البيئة الأمية. والنماذج المدروسة في هذا الفصل تؤكد ذلك.

خاتمة

إن انتشار الأمثال الشعبية، وتداولها بين أفراد المجتمع، وتوظيفها في مختلف مجالات الحياة، ووجود مُشابهات لها في ثقافات أمم أخرى، وبلغات شتى، يدل على أهميتها وتأثيرها على العلاقات بين الأفراد والجماعات. وهذا ما حدا بهذه الأطروحة إلى أن تعرّف بالأمثال، وتنشي بمدى تأثيرها وتأثيرها، وتتبيّن عن أسلوبية الأمثال ومميزاتها؛ فالمطلع على فصولها-على الترتيب- يخرج بالنتائج التالية:

ففي تعريفها:

- أن الأمثال جنس أدبي حي، يمتاز بالحماية الذاتية من الاندثار.
- أن الأمثال الشعبية موجودة عند كل الشعوب؛ لأنها تحمل تجارب الأجيال وخبراتهم، وتعبّر عن قيمهم واتجاهاتهم؛ ولذلك ركزوها في جمل قصيرة منغمة أحيانا؛ ليسهل حفظها وتداولها، ونقلها بالمشافهة من السلف إلى الخلف.
- أن الأمثال تمتاز بكثافة المعنى وإصابة المحز، ويتغيّر شكلها أحيانا حسب البيئة.
- أن المثل الشعبي يعتمد التشبيه والمجاز، و يأتي غير معرب، و تغلب عليه صيغة الإفراد.
- كالمثل: **اللي يحب الزين يصبر لَعَذَابُو**. لأنه موجه لشخص غير معين.(فهو يشبه حالة بحالة: حالة من يسعى لنيل امرأة جميلة بحالة من يسعى للارتقاء في سلم الحياة الاجتماعية، فكلاهما عليه أن يصبر لما يلاقيه من تعب).
- أن الأمثال الشعبية سواء أكانت موجزة أم قياسية، جاءت في الكتب السماوية، كما هو الحال في الإنجيل وفي القرآن. كما جاءت في الحديث النبوي الشريف.
- أن الأمثال الشعبية في التراث العربي لاقت اهتماما كبيرا؛ حيث بدأ جمعها منذ القرن الثاني الهجري. فأول كتاب مطبوع، للمفضل محمد بن الضبي (كتاب الأمثال) نحو '170هـ'.
- والأمثال الشعبية الجزائرية شرع في جمعها وشرحها منذ بداية القرن العشرين، ومن أوائل الجامعين محمد بن أبي شنب. في كتابه(أمثال المغرب والجزائر).

وفي تأثيرها وتأثيرها:

- أن التأثير والتأثر يمس مختلف عناصر الحياة، وأن الأفراد والمجتمعات يؤثر بعضها في بعضها الآخر بواسطة الاحتكاك، أو بسبب الحاجة أو الإعجاب.
- أن أمثال أية أمة تأثرت بأمثال أمم أخرى، وأثرت في أمثال غيرها عبر الزمان والمكان.

- أن الأمثال الشعبية تأثرت بما جاء في الكتب السماوية، وفي غيرها، وعبرت بها - بلفظها أو معناها - أو أحدثت بعض التغيير على الشكل أو المضمون. كما هو الحال في المثل الذي ذُكر في الإنجيل (العهد الجديد): « فأنت لا تجني من الشوك تينا ». ففي المثل العربي: « إنك لا تجني من الشوك العنب ». ويكاد يكون المثل العربي هو نفسه المثل الإنجيلي، بتغيير اسم الفاكهة فقط. التين/ العنب.

- أن الأمثال الشعبية متشابهة في أغلبها لدى الأمم المختلفة اللغة، بين الشرق والغرب. وهذا التشابه يظهر في المعنى. وأحيانا يظهر في اللفظ والمعنى معا. كما رأينا في هذه الأطروحة.

- أن التشابه بين الأمثال كان: إما بسبب التأثير والتأثير الناتج عن الاحتكاك المباشر بين الشعوب، و اطلاع البعض على ما عند البعض الآخر. أو بفضل تشابه تفكير البشر وخضوعهم في بعض الأحيان للظروف نفسها التي أنتج فيها المثل.

- أن وجود تشابه كبير بين الأمثال العربية، والأمثال الفرنسية أو الإنجليزية... أو غيرهما من اللغات المختلفة، يصعب تحديد المؤثر الأول؛ وذلك أن الأمثال قديمة قدم الكتب السماوية؛ وفي بعض الأحيان يُنشئ الناس أمثالا مقيسة على ما جاء في الكتب السماوية؛ فالمثلان الشعبيان العربيان، (حتى يشيب الغراب، أو حتى يُنور الملح) اللذان يعبران على استحالة حدوث الأمر، نجد أثرهما الدلالي في الإنجيل وفي القرآن. ففي الإنجيل - مرقس 10/25: (فمرور الجمل في ثقب الإبرة أسهل من دخول الغني إلى ملكوت الله). وفي القرآن قوله تعالى في سورة الأعراف، آية 40: ﴿...ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط...﴾. فالتعبير عن استحالة حدوث الأمر، في العبارات الثلاث استعملت فيه عناصر الطبيعة المرئية، الحيوان. للتدليل على الاستحالة.

- أن الأمثال الشعبية الجزائرية تمتاز بشكلها الوجيز الموقع، وبمضمونها المتأثر بالتوجيهات الإسلامية وبالموروث الثقافي العربي؛ كما رأينا من خلال الدراسة التناسلية؛ مما جعلها تلقى إقبالا لدى المتلقين، ورواجا بين مختلف طبقات المجتمع.

وفي تأثيرها:

- أن الأمثال لأهميتها وظفتها الكتب السماوية، والأحاديث النبوية، في التوجيهات الدينية والخلقية، وذلك بفضل خاصية التصوير التي تمتاز بها، حيث تجسد المعنوي في شكل المحسوس.

- أن الأمثال الشعبية وظفها كبار الأدباء والخطباء وكتاب الرسائل، والمفكرين والدعاة لتوضيح أفكارهم، وتوحيثها، وتدعيمها بالأدلة والحجج قصد إحداث تأثير في المتلقي. نفسيا جماليا، أو أيديولوجيا فكريا.

- أن الأمثال الشعبية لها تأثير قوي على سلوك الأفراد والجماعات، فهي توجه بصفة مباشرة وغير مباشرة؛ بما تحمله من دلالات نفسية واجتماعية. وبما تثيره من عبر وعظات في خلد المتلقين الوارثين حكم الآباء والأجداد، المرتبطة بعواطفهم تجاه البيئة الطبيعية والاجتماعية والدينية، والتاريخية.

- أن الأمثال الشعبية الجزائرية حملت الكثير من قيم المجتمع الجزائري واتجاهاته، وأساليب تعاطيه مع ما يصادفه من عقبات في علاقاته الفردية، أو الجماعية أو القومية.

وفي أسلوبها:

- أن لغة الأمثال الشعبية الجزائرية، تمتاز بغلبة الطابع العربي الفصيح على مفرداتها وتراكيبها، مع التخلي عن تطبيق قواعد النحو والصرف أحيانا.

- أن الأمثال الشعبية الجزائرية الموجزة أكثر رواجاً من الأمثال القياسية، لسهولة حفظ الأولى لقصرها وتنغيمها، وصعوبة الثانية لطولها وعدم تنغيمها.

- أن جمل الأمثال الشعبية يغلب عليها التركيب الاسمي الملائم لتسجيل الحكم ودوامها.

- تمتاز الأمثال الشعبية بتكرار أصوات في آخر وحدثها؛ مما يعطي الوحدات أبعادا إيقاعية تشد السامع إليها.

- تمتاز الأمثال الشعبية بالتكرار على مستوى المعاجم والتراكيب؛ مما ينشئ التشاكل والتوازن والسجع، ويحقق الوحدة العضوية في المثل، كما يحقق تماسك نصه،

- أن تكرار ألفاظ أو عبارات يدل على أهمية المكرر؛ فالتكرار يعد مفتاحا لفهم المضمون.

- أن الأداء الصوتي المنبثق عن تكرار أصوات، له تأثير نفسي قوي على التعلق بالأمثال حفظا وترديدا واستمتاعا،

- أن هذه الخصائص الأسلوبية ساعدت على حفظ المثل، ونقل هذا التراث عن طريق الرواية الشفهية، قياساً على حفظ القرآن، والشعر، وبخاصة في البيئة الأمية. وللدور الهام الذي يمكن أن تؤديه الأمثال في تحسين السلوك، وفي تمتين العلاقات بين أفراد المجتمع، وللدفع بالناشئة إلى العمل، وأداء الواجب الأسري والمجتمعي والديني والوطني، من الضروري أن توظف في النشاطات المدرسية، وفي النشاطات الترفيهية، عبر كل الوسائل الإعلامية، على أن تُنتقى وتهذب، بحيث تكون هادفة إلى التحسين. ولنا عبرة في وجودها في أهم الكتب السماوية، ألا وهو القرآن الكريم.

لعل هذا البحث قد أشار إلى التأثير والتأثير الموجود بين الأمثال الشعبية الجزائرية وغيرها من الأجناس الأدبية، كالأمثال العربية وغير العربية، من خلال النماذج المذكورة. غير أن التحديد الدقيق للأمثال المؤثرة الأولى، يحتاج إلى دراسة أعمق وأطول وأشمل يمكن أن تتم في مراحل لاحقة إن شاء الله.

ملخص الأطروحة

مما يلاحظ أن الكثير من الأمثال الشعبية الجزائرية، تتشابه مع أمثال قيلت بلغات أجنبية. كما أن شكلها أو مضمونها يقترب بنسب متفاوتة من الموروث الثقافي العربي الإسلامي. وعليه تناولت هذه الأطروحة الموسومة ب: الأمثال الشعبية الجزائرية بين التأثر والتأثير_ دراسة تناسية دلالية_ تناولت هذه الظاهرة، وعالجتها عبر مجموعة من الفصول. ففي الفصل الأول: تعريف المثل. وفيه تم التطرق إلى معنى التراث، ومعنى المثل عند اللغويين والأدباء، مع التعرّيج على مضربه ومورده، وتوضيح الفرق بينه وبين الحكمة، وتحديد أنواعه، ورصد كتب الأمثال القديمة المطبوعة.

والأمثال جنس أدبي هادف لم تخل منه النصوص الدينية، كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكذا الإنجيل، ففي هذه النصوص أمثال متنوعة منها الموجزة السائرة، ومنها القياسية، ومنها الكامنة. ولقد جاء في الأطروحة مجموعة من الشواهد.

أما المثل الشعبي الجزائري فلم يختلف كثيرا عن المثل العربي إلا من ناحية عدم احترام القواعد النحوية. تطرق هذا البحث إلى نشأة المثل وخصائصه ومميزاته ودوره، وختم بذكر مصنفات كتب الأمثال الشعبية الجزائرية.

أما الفصل الثاني فقد دُرِس فيه التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية، وبُدِئ بتعريف التأثير والتأثير مع التطرق إلى تطور العلوم والحضارات من خلاله؛ حيث أثرت الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الغربية في مختلف المجالات، ومنها المجال الأدبي. ثم تحول هذا التأثير من الأدب الغربي إلى الأدب العربي، وقُدِّمت بعض الشواهد لكلا التأثيرين. ولم تنأ الأمثال الشعبية عن هذا التأثير، فقد هيمنت اللغة العربية على مختلف مجالات الحياة الإسبانية في القرون الوسطى، ولا غرو أن تتأثر الأمثال الإسبانية -في الشكل وفي المضمون- بالأمثال العربية في الأندلس. والشواهد على ذلك موجودة في الأطروحة، كما أن التشابه بين الأمثال، لوحظ بين أمثال عربية وأخرى إنجليزية أو فرنسية والعينات المذكورة دليل عليه.

وأبرزت الدراسة التناسية تأثر الأمثال الشعبية بالموروث الثقافي العربي الإسلامي. حيث عالج البحث معنى النص و التناص عند القدماء والمحدثين، ثم أظهر هذا التناص من خلال الشواهد الكثيرة، في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وكذا في الشعر وفي الأمثال العربية.

وفي الفصل الثالث دارت الدراسة حول تأثير الأمثال الشعبية في مختلف مجالات الحياة. ومنها المجال الأدبي، والشواهد تبين أن الأدباء والخطباء والكتاب قد وظفوا الأمثال في مختلف الأجناس الأدبية كالشعر والرواية، والخطابة والترسل.

أما تأثيرها في المجال النفسي، ففي البحث حديث عن أثر الثقافة في سمات الشخصية، وفيه مظاهر المكونات النفسية التي تظهر من خلال الآليات الدفاعية النفسية التي تعبر عنها بعض الأمثال الشعبية.

أما تأثيرها في المجال الاجتماعي، فهو غير خاف. فالإنسان اجتماعي بطبعه والأخلاق في التراث العربي، عبّرت عنها الأمثال الشعبية بالتفسير من بعض السلوكات المضرة، أو بالترغيب في الاتصاف ببعض الصفات الحسنة.

وفي الفصل الرابع: تعلقت الدراسة بأسلوبية الأمثال ودلالاتها. فكان التعريف بمصطلح الأسلوب والأسلوبية أولاً، ثم التعرض لأسلوب المثل من حيث ألفاظه، ومستواه البنيوي والدلالي، وأنواع جملة، وتحليلها في التركيب الثنائي، مع التطرق إلى الأسلوب الإنشائي في بعض الأمثال، حيث خرج عن غرضه الطلبي إلى دلالات مجازية أخرى، كالتوجيه والإرشاد مثلاً. وعنيت الدراسة في جانبها التطبيقي بظاهرة التكرار في الأمثال. ومن خلالها تم شرح مصطلحات الدراسة الصوتية التي وُظفت في دراسة بعض الأمثال صوتياً ودلالياً حيث أبرزت أهمية الإيقاع الصوتي، التكرار، التشاكل الإيقاعي والدلالي من خلال تحليل بعض الأمثال.

ومما يستفاد من هذه الدراسة، أن الأمثال جنس أدبي يحمل تجربة أو حكمة ركزت في قول موجز سائر، يعتمد التشبيه والتعظيم أحياناً، وهو موجود في ثقافات كل الأمم بالخصائص نفسها، وهو قديم قدم الكتب الدينية، ولذلك فأمثال الأمم تتشابه. إما بسبب سرعة تنقل المثل بينها، وتأثير بعضها في بعضها الآخر عن طريق الاحتكاك، أو بسبب تشابه تفكير الناس؛ لأن النفس البشرية واحدة، مع اختلاف الظروف أحياناً. وعليه يصعب تحديد المؤثر الأول، إلا إذا كان المثل الثاني في لغة، يحمل الألفاظ والمعاني نفسها في لغة أخرى.

الكلمات المفتاحية:

- الأمثال الشعبية الجزائرية- التراث الثقافي- التأثير والتأثر- التشابه بين الأمثال -
- النص و التناص-الأسلوب -أسلوبية الأمثال ودلالاتها- التكرار-

Résumé de la thèse

Il est à remarquer qu'un nombre important de proverbes populaires algériens comportent des similitudes avec d'autres proverbes dans d'autres langues étrangères. Ils manifestent aussi des ressemblances dans leurs formes et leurs contenus à des degrés divers par rapport à la culture arabo islamique.

Et c'est pour cela que cette thèse intitulée : les proverbes populaires algériens , étude de l'intertextualité et de la sémantique - s'est penché sur ce phénomène et l'a traité à travers quatre parties.

Dans la première partie est défini le proverbe. Nous y traitons la signification de la notion de patrimoine culturel et du proverbe chez les hommes de lettres et les linguistes ,tout en signalant ses origines et son contexte d'utilisation ainsi que les anciens livres en rapport avec ce genre littéraire.

Les proverbes sont un genre littéraire à visée morale, où sont reproduits parfois des textes religieux tel que le coran , le hadith et même l'évangile. Les proverbes peuvent avoir plusieurs formes sur le plan structurel .Ils peuvent être succincts à usage courant, exprimer une comparaison ou enfin faire l'objet d'une certaine discrétion par rapport au genre. Nous en donnons dans cette thèse quelques exemples .

Quand au proverbe populaire algérien , il n'est pas très différent du proverbe arabe en dehors du fait qu'il transgresse les règles de la grammaire. Nous abordons aussi dans cette thèse l'apparition du proverbe , ses caractéristiques , ses fonctions et nous terminons par l'énumération des livres traitant du proverbe populaire algérien.

La seconde partie traite de l'influence exercée ou subie par le proverbe populaire. Nous l'entamons par la définition de la notion de l'influence des proverbes ainsi que l'évolution des sciences et des civilisations à travers ce genre. Nous faisons apparaître l'influence de la civilisation arabo-musulmane sur la civilisation occidentale dans les différents domaines et en premier lieu dans le domaine littéraire. Puis nous soulignons l'autre influence de la littérature occidentale sur la littérature arabe. Nous citons quelques exemples pour les deux formes d'influence. Le proverbe populaire n'est pas en reste par rapport à cette influence .La langue arabe véhiculaire alors de ce genre s'est introduite dans la vie des espagnols au moyen âge et le proverbe hispanique a subi cette influence dans sa forme comme dans son contenu . Nous en citons aussi quelques exemples .Par ailleurs nous relevons une similitude entre les proverbes arabes et d'autres proverbes français ou anglo-saxons . Nous en proposons aussi quelques exemples.

L'étude de l'intertextualité a fait apparaître l'impact de l'héritage culturel arabo-musulman sur le proverbe. Notre analyse prend en charge la sémantique du texte ainsi que l'intertextualité entre les anciens et les contemporains, de même qu'elle met en évidence l'intertextualité du proverbe avec le coran , le hadith, la poésie et les proverbes arabes.

La troisième partie étudie l'impact du proverbe populaire dans les différents domaines de la vie courante et en particulier le domaine littéraire. Des

illustrations montreront que les hommes de lettres , les orateurs et les écrivains ont investi le proverbe dans les différents genres littéraires tels que la poésie , la nouvelle, le discours

Quant à son impact psychologique , notre thèse traite de l'impact de la culture sur les signes de la personnalité et son contenu psychologique occulte qui se manifeste à travers des mécanismes défensifs traduits parfois dans certains proverbes populaires.

Sur le plan social , l'impact du proverbe est évident. Par sa nature , l'homme est social .les proverbes populaires font la promotion des valeurs morales en incitant à leur reproduction et condamnent les comportements nuisibles en appelant à s'en écarter.

La quatrième partie concerne l'étude de la stylistique dans le proverbe et sa sémiologie. Nous définissons d'abord la notion de style et de stylistique puis nous nous penchons sur le style dans le proverbe du point de vue du lexique ,de son niveau structural et sémiologique ,de ses types de phrases ,et leur analyse dans leur structure binaire, tout en abordant le style discursif dans certains proverbes qui s'écartent de leurs objectifs déclarés vers d'autres significations sous entendues telles que la recommandation et le conseil.

Dans son côté pratique , notre étude s'est intéressée au phénomène de la répétition dans le proverbe. Nous y expliquons la terminologie de l'étude phonologique mise en fonction dans l'étude de quelques proverbes sur le plan phonétique et sémantique. Celle-ci a fait apparaître l'importance du rythme , de la répétition , de la similitude rythmique et sémantique à travers l'analyse de quelques proverbes.

L'intérêt de cette étude réside dans la démonstration que le proverbe est un genre littéraire qui traduit une expérience sociale ou une sagesse exprimée dans un support succinct et courant bâti sur une comparaison ,avec parfois une musicalité.

Le proverbe existe dans toutes les cultures avec les mêmes caractéristiques .Il est aussi ancien que les anciennes écritures religieuses. Ce trait confère aux proverbes des similitudes quelle que soit la culture dont ils relèvent. Cela pourrait s'expliquer par la rapidité du transfert d'une culture à une autre et les échantillons qui s'opèrent entre elles ou par l'unicité de la pensée humaine malgré les changements contextuels. Ceci rend la détermination du facteur influent assez complexe , sauf si le second proverbe exprimé dans une langue comporte les mêmes termes et le même sens que celui exprimé dans une autre langue.

Mots-clés :

Proverbes populaires algériens- patrimoine culturel-L'impact et la vulnérabilité- similitudes entre les proverbes- Texte et intertextualité- style - la stylistique dans le proverbe et sa sémiologie- Répétition.

SUMMARY OF THE THESIS

It should be noted that a significant number of Algerian popular proverbs have similarities with other proverbs in other foreign languages .They also manifest resemblances in their forms and content at varying degrees according to the Arabo-Islamic culture .And this is why this thesis has been entitled : The Algerian Proverbs,a study of the intertextuality and the semantics by approaching this phenomena and treating it through four parts.

In the first part there is a definition of the proverb.We treat the meaning of the concept of cultural heritage and the proverb among men of letters and linguists, while noting its origins and context of use as well as old books related to this kind of literature.The proverbs are a literary genre referring to moral, which are sometimes propagated religious texts such as the Koran, the Hadith, and even the gospel.The proverbs can have multiple forms at the structural level.They can be succinct in the common use, expressing a comparison or they can be of some discretion in relation to genre.We provided some relevant examples in this thesis.

As for the Algerian popular proverb, it is not very different from the Arab proverb besides the fact that it violates the rules of grammar.We also discuss in this thesis the appearance of the proverb, its characteristics, functions ,then we finish by listing the books dealing with the Algerian popular proverb.

The second part deals with the influence exerted on or by the popular proverb We begin by defining the concept of the influence of proverbs and the evolution of science and civilization through this kind .We expose the influence of theArabo-islalimic civilization in the literary area .Then we highlight the other influence of Western literature on Arab literature .We have equally included examples for both forms of influence. .The popular proverb is not outdone by this influence. Arabic language as a medium of this genre has introduced it in the life of the Middle Ages Spanish and the Hispanic proverb has had the impact of this influence in its form as well as in its content .We have also cited some examples.In addition, we have revealed a certain similarity between Arab proverbs and other French or Anglo-Saxon.We do equally supply some relevant example proverbs .

The study of the intertextuality has also demonstrated the impact of the Arabo-Islamic cultural heritage on the proverb.Our analysis do take into charge the semantics of the text as well as the intertextuality between the old and the contemporary;and in the same time,it does even highlight the intertextuality of the proverb with the Koran, the Hadith, poetry and Arab proverbs.

The third part studied the impact of popular proverb in different areas of everyday life and especially the literary field.Some illustrations show that men of literature, orators and writers have invested the proverb in different literary genres such as poetry, short stories, speeches, etc ...

As to its psychological impact, our thesis deals with the impact of culture on signs of personality and psychological hidden content that could be manifested through defensive mechanisms which are sometimes translated into some popular proverbs .At the social level, the impact of the proverb is

evident. By nature, man is sociable, the popular proverbs do promote moral values by encouraging their reproduction and condemn the harmful behavior by calling to thwarting them.

The fourth part concerns the study of the stylistics in the proverb and its simiology. We first define the notion of style and stylistic, then we look at the style in the proverb from the perspective of the lexis, its structural and semiotic level, its types of sentences, and their analysis in their binary structure, while addressing the discursive style in some proverbs that deviate from their stated objectives to other meanings such as those heard in the recommendation and advice.

In its practical side, our study has focused on the phenomenon of repetition in the proverb. We have explained the terminology of the phonological study being put into operation in the study of proverbs at the phonetical and semantic levels of a set of proverbs. Such a study has tried to reveal the importance of rhythm, repetition and the rhythmical similitude and semantics through the analysis of some proverbs.

The advantage of this study is the demonstration of the fact that the proverb is a literary genre that reflects a social experience or wisdom expressed in a concise and current support built on a comparison, sometimes with some kind of musicality.

The proverb exists in all cultures with the same characteristics. It is as old as the ancient scriptures belonging to religions. Such a feature gives proverbs similarities regardless of the culture they belong to. This fact could be explained by the speed of the transfer from one culture to another and the exchanges that take place between them, or the uniqueness of human thought despite the difference between their contexts. Such change makes the determination of the influencing factor rather complex, unless the second proverb is expressed in a language which contains the same terms and the same sense as that expressed in the other language.

Key words :

Algerian Popular proverbs- cultural Heritage- The impact and vulnerability- similarities between proverbs- Text and intertextuality- The method- the stylistics in the proverb and its simiology- repetition.

ملحق الأمثال الشعبية المستعملة في هذه الأطروحة

أ_ أمثال الفصل الأول:

الصفحة	المثال	رقم
35	عَلَّةُ الفولة من جنبها	1
36	البرمة تكحال من جنبها	2
278-38	إذا عَطَاكَ العاطي ما تَشْقَى ما تَبَاطِي/ أو إلى عَطَاكَ العاطي	3
39	القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود	4
39	اصرف ما في الجيب يَأْتِيكَ ما في الغيب	5
41	ما يبقى في الوادي غير أحجاره	6
41	أحييني اليوم، واقتلني غدوة	7
246-244-44	وَنِّي قَبْلُ ما يَجِيكَ السَّيْلُ	8
45	اللي يركب جملين يَشْرَكَ	9
45	اللي تَتَلَقَّكَ عند السَّكَّة، تَتَلَقَّكَ عند المحراث	10
183-52-46	اللي تَخْدُمُو طِيعُو، واللي تَرْهَنُو بِيَعُو	11
46	شكرتني أُمَّ وخالتي	12
47	كلب سوء، يُجِيب اللعنة لُمُولَاة	13
134-47	خوك خوك لا يُعْرِكَ صاحبك	14
47	خوك من وatak موش خوك من أمك وباباك	15
49	اللي أعطى كلمته، أعطى رقبتة	16
199-49	الكلام كي البارود إذا خُرج ما يرجعش	17
49	اللي شَفْنُو راكب على قَصْبَة قُلْ لَهُ مبروك العَوْدُ أو الحصان	18
50	برة وردة وجوة قرده	19
50	تَنْهَكَمْ و الضحك عَلَيْهَا و تَنْوَحَمْ و الدم يُجِيهَا	20
50	النار تولد الرماد	21
51	إِدِّي يا إيدي واتعبي يا رجلي	22
52	ما يتفقو اثنين حتى يُعَوْدُ الدرك على واحد	23
98-52	العبد في التفكير والرب في التدبير.	24

ب_ أمثال الفصل الثاني:

25	اللي اسخف على ابرة اسخف على بقرة	270-86
26	إذا حسّن صاحبك بَلْ أنت	161-91
27	اللي جا أخلُو يَمْدُ رِجْلُو	92
28	اللي غاب عن العين ينسأه القلب (البعد ايجفي)	92
29	الملدوغة من لحنش من جر لحبل تدوى	250-192-92
30	قالو من عدوك؟ قالوا صاحب صنعتك	261-194-93
31	عين ما تشوف، قلب ما يوجع	93
32	يتعلموا لَحْسَانَة في روس لَيْتَامَة	93
33	كُب القدرة على فُمَهَا تَطْلُع البنت لُمَهَا	95
34	الجايح كيما أتوصيه والحادق كيما يلقي	95
35	الرجال تتلاقى والجبال ما تتَلَقَّشْ	97
36	ما انْعَدَّشْ بِفَرِيكْ حتى اَيُفُوتْ الطَّكُّوكْ/طَكَكْ يا طكوك ما في قلبك هم	97
37	بَن الكَلْب، ولا اخْلِيلُو	99
38	عشب الليل قاع أخضر	99
39	القشة التي قصمت ظهر البعير	100
40	عيش تشوف، وعيش تسمع	101
41	ما اتخلط روحك مع النخالة ما يُنْقَبُكْ الدجاج	102
42	اعقب على واد هدار وما تعقبش على واد ساكت	103
43	اللي خاف اسلم، واللي اسلم سَعَدَتْ أَيَامُو	168-104
44	حَبْنِي كِي خوك، وحاسبني كي عُدُوكْ	104
45	حِبْ الكلب من فَمُو حَتَّانْ تَقْضِي حاجتك مَنُو	105
46	جَا يسعي، وَدَّر تسعة	106
47	العجلة من الشيطان	106
48	عَدْ ارجالك واسقي الماء	120
49	الكلام الحلو يرضع اللبة/ أو اللسان الحلو يرضع اللبة	209-120
50	اللي ما عندو شاهد كَذَاب	121
51	اللي تَكَلَّ على الله و اذراعو أولادو ما جاعو	220-121
52	الصابر جابر ومن رَحْمَة الجواد يُنال	122
53	هَبُو خَيْر من صَبُو	122
54	الباجل للراجل	123

123	كيد النسا كيديين، وكيدهم يا خزوني - راكبة على ظهر السبع، ونقول لحدا ياكلوني	55
124	كلمة الصباح إذا تبدلت العشية تزد المسلمة يهودية	56
125	يقول للكلب هُشْ، ويقول للخائن خُشْ	57
125	شوية لربي، وشوية لقلبي	58
126	الإبرة تكسي غيرها وهي عريانة	59
126	اللي حَلَبَ حَلْبَةً ايدبرها في شَكْيُوتُو	60
270-231-127	اليد اللي تَمَدَّ خير من اليد اللي تَشَدُّ	61
127	الظالم ما ايروح سالم	62
128	ادفع ما في الجيب، ربي يُجِيبْ	63
128	اللي يديرُو السحار في عام يديرُو القراض في دقيقة	64
129	الصدقة شَجِي وتَنَجِّي وتُرِيدُ في العمر	65
130	مَكَانَشْ قَاعُ اللّٰي اخَذَاتْ بُوَهَا وَالْأَخُوَهَا غَيْرُ اللّٰي اخَذَاتْ اَعْدُوَهَا	66
130	إبليس قال: ما يَغْلِبُنِي غير اللّٰي يَشَاوِرْ	67
269-131	الجار قبل الدار	68
225-132	اللي يَزْوَجْهَا على مالها يُمُوتْ أَفْقِيرْ، واللي يَزْوَجْهَا على اَرْجَالِهَا يُمُوتْ أَخْفِيرْ، واللي يَزْوَجْهَا على دينها اِيْحَبُّ رَبِّي والنبي البشير	69
133	الحيا من الدين	70
134	الحيا يولد الحوليات	71
135	عند الشدة والضيق يظهر العدو من الصديق	72
135	اعْرِضَةَ الحَافِرِ في الخير اتَعَاَفَرْ	73
136	هربت من قَطَّاعِ الرُّؤُوس طحت في وِكَالِ بني آدم	74
136	كل شيء يبيري يا هبرة غير كلام العيب	75
137	الكلب ما ياكل خوه	76
137	الفارس من اركب اليوم	77
210-198-137	اللي خرجت من الفم تسمى دين	78
138	كل اجديد عَنْدُو لَذَّة	79
138	اَخْطِيْكَ من الشَّرْدِيْدْ وَمَاكَلْتُه الْقَدِيْدْ	80
139	اضْرَبْنِي وابْكِي، واسْبَقْنِي واشْكِي	81
139	خذ طريق العافية ولو دايرة، و بنت العم ولو بايرة	82

169-140	أزرق عينيه، لا تحرث و لا تسرح عليه	83
141	عاش من عرف قدره	84
141	كُونْ كِي السَّمَار إِذَا جَاءَ السَّيْلُ ائْسِنْدْ وَإِذَا رَاحَ السَّيْلُ ائْبِنْدْ	85
142	المحلوبة حليب والمعصورة دم	86
143	الهدرة عليّ والمعنى عليّ جارتني	87
143	قال لك: الذيب ما ياكلش العظم حتى ايقيسو علي طوبئو	88
143	العروس يشكرها فُمها وإلا أُمها	89
144	مداحات العروسة أُمها و خالتها	90
144	ما حكّ جلدك مثل ظفرك	91
144	حُدْ راي اللي ايبكيك، وما تَحْدُسْ راي اللي ايصحكك	92
164-146	اعمل الخير و انساه، و إذا اعملت الشر ائفكرو	93

ج- أمثال الفصل الثالث:

163	كي طاب اجنانو نايف جيرانو	94
165	الملح ما ايدود	95
166	الشجرة لا تهرب من عروقها	96
166	ماء الجبل ما ايسيل إلى أعلى-أو الواد ما يحمل من ذيلو	97
166	جرح الكبد لا يضر إلا صاحبه	98
166	إذا شبعن الكرش ائقول للراس غني لي	99
167	لا تمشي الأرجل إلا حيث ائهب القلب	100
168	يد الزائر في يد المزار	101
168	اللي في عُمرو مدّة ما تَقْتُلُو شِدّة	102
169	ما يبقی في الواد غير حجاره	103
169	الشامي شامي والبغدادي بغدادي	104
257-250-169	اسأل مجرب ولا تسأل طبيب	105
250-169-169	كي نُجي تجيبها شعرة، وكي اتروح تقطع السلاسل	106
169	اعطيها بالدين، وما اتلوحهاش في الطين	107
169	لوكان يحرث ما يبيعه	108
169	الدوام يثقب الرخام	109
169	زواج ليلة تدبيره عام	110
172-169	النخالة تجلب الكلاب. أو القمح الّ لحباب، والنخالة الّ لكلاب	111

169	مذبوح للعيد، و الا للعاشورا	112
170	اللحم إذا اُتِنَ لِيَهْ أُمَالِيَهْ	113
171	اخدم يا التاعس للتاعس	114
248-173	يتمسكن حتى يتمكن	115
255-173	كول ما يعجبك والبس ما يعجب الناس	116
252-250-182-260	يا مَرْوَّق من بَرِّ واش حالك من داخل	117
183	الزعاف يُخَرِّج السر	118
183	القط كي تَبْعُدُو الشَّحْمَه ايقول أَخ مُنْتَنِّهَا	119
184	تارك الصلاة ايقول: باب الجامع امبَلَّع	120
184	اللي خانوها يديها تقول بي السحور	121
184	اللي ما يَحَبُّ يَنْزَوِّج، يَقُول من زَهْرِي لَمَعَوِّج	122
184	لو كنت نملك الإبل نذبح حاشي، وكي عُدْتُ نَمْلَكُ الْغَنَمِ مَانَحْكَمَشِي	123
185	كل أجرب حكاك وكل خائن شكاك	124
185	اللي فيه ايديرو في الناس	125
185	لا يظن السفیه إلا ما فيه	126
186	كل منقوص منحوس	127
186	معزة ولو كان طارت	128
260-252-187	من هو أبوك يا البغل؟ قال: خالي الحصان	129
187	ما ينكر أصله غير البغل	130
187	الخادم تُعَاشِي بِشُبُوبٍ لالآها	131
250-187	الدجاجة تبيض والديك يوجعو قاعو	132
188	كرعين اليتيم قطاعين الحصير	133
188	إذا اتصاكت الخيل اتجي في الضعيف	134
188	فلان امسح في صاحبو الموس	135
250-189	الحاذق كيما يلقي و الجايح كيما اتوصيه	136
190	الغنم إذا كان قَائِدَهَا عَثْرُوسْ امْقِيلْهَا سَدْرَايَهْ	137
256-190	إذا أَحْمَارَتْ العَشِيَه هِيْ دِبَايْنِكُ لِلْمَشِيَهْ، وإذا أَحْمَارَتْ الصَبَاح رَجَّعْ دِبَايْنِكُ لِلْمَرَاخِ	138
190	العام ايبان من خريفو	139

140	الترفاس يصطاد بالقصييص	191
141	إذا لدغْتَ شَوْفَ تحت رجلك	256-192
142	كُولْ وَدَرَّفْ وإلا كُولْ وَفَرَّفْ	255-192
143	إذا كُنْتُ زَيْنَ اسْتَرْ رُوحَكَ من العين، وإذا كُنْتُ شَيْنَ اسْتَرْ رُوحَكَ من الفضائح	277-256-192
144	الحم يَجِي لِلِّي ما عَنْدُوش سَنِينْ	193
145	اللِّي اعْطَاهُ بُوهُ ما يُفْكُلُو خُوهُ	194
146	إذا اتفاهمَتْ العجوز والكنة يدخل ابليس الجنة	194
147	الغيرة اللي قتلت ميرة	194
148	اللي ابغاثْ خُوها تَصْحَبْ امْرَأُو	194
149	لو كان ما لَعْنَادْ ما تُجِيبُ النِّسَا لَوْلَادْ >	195
150	الغيرة تَرْدُ لَعْجُوزْ صَغِيرَة	195
151	القلب اللي ما اِيْغِيرْ ولا اِيْحِيرْ يَسْتَاهِلْ قَفَّةَ اشْعِير	195
152	الخُلْطَة اِتْرَدِّي والجَرَبْ يَعْدي	196
153	الشركة هلكة	244-196
154	داري تستر عاري	196
155	اللِّي عَرَسُو في قَلْبُو وَاشْ أَلَلُّو بَعْرَاسِ النَّاسِ	196
156	اَقْعُدْ وَحْدَكَ مَا تُشَوِّفْ شَيْطَانْ مَا تَسْمِيْ مَنُو	197
157	اللي صَلَّى وَخَلَّى اوْصَلَ لِلْجَنَّةِ اوْوَلَّى	197
158	اللي يَصَلِّي ويترك يدخل النار مُفْتَرِكْ	197
159	ثلاثة اتَحَمَّرَ الوَجْهَة: صلاة لَفْجَارْ، وازْوَاجْ لَبْكَارْ، ومعرفة الناس لُكْبَارْ	198
160	المومنين عند أقوالهم	198
161	راس مال الراجل كلمتو >	198
162	قالت موكة: أنا خير من ثلاثة: اللي قال كلمة وما وقَّاهَا، واللي دار قصعة وما املاها، واللي كبرت بِنْتُو وما اعطاها	199
163	من عنده في الدار بنت عنده بونبة Bombe	199
164	اللي يُوَلِّي على قِيَّةَ غَيْرِ الكلب	199
165	كلامك زبدة كي يطلع النهار يُدُوبْ	199
166	الخارجة من فريقها ناشف ريقها	201
167	أنا نقول لك يا سيدي، وأنت أعرف مربطك/ أو أعرف منزلتي	205

168	لسانك حصانك إن صنته صانك، وإن هنته هانك	249-208
169	اللي جَرَحَ القلب و ادمَاه، واش من عين تلقاه	208
170	قل كلام الخير أو اسكت خير	255-208
171	الصَّمْتُ حكمة تخرج منه لَحَايِم، لوما تُصَمِّصِيْم ولد الحجلة ما يُجِي لَحْنَش هَايِم	209
172	الفم المزموم ما تدخلو ذبَّانة والفم المحلول نُعَشَش فيه	209
173	كل شيء يبرا يا هبرة* غير كلام العيب	209
174	مانْعَتَبْ فَا نُجُوعُ عَنَبْ = لَحْدِيْثُ عَنِي يَنْعَادُ نُثْمَا مُدِيْنَةُ رَحْمَةٍ = وَهُمَا ابْطَالُ وَاجْوَادُ	210
175	كثرة التنباش تجرح السنين	210
176	اللي ما يَقْدَرَشْ عليه الشيطان في عام، يُدِيرُهُ الْقَرَّاضُ في ساعة	211
177	الخرأ في لحيتو وهو يقول: وين ريحتو	211
178	الجمل لو كان يُشوف حدبتو تنقطع رقبتو	211
179	الضيف ضيف، ولو كان يقعد شتاء وصيف	214
180	ضيْفَةُ النَّبِيِّ ثلاثة أيام	214
181	رَدْلَةُ مُسْرَهْدَه، ولا ضَيْفَه مَرْمَدَه	214
182	زَعَاكُ ضَيْفَه، ولا غَرَّارُ بِهِ	215
183	الجود من الموجود	215
184	الضيف اللي ما تُحْبُو تَرِيُو، وَغَرِيُو، وَإِذَا نَكَلَمُ كَذْبُو	215
185	أعطني عيستك، ما أردت خبزتك	215
186	اللي جاء بَلَا عَرَضَه يقعد بلا فراش	216
187	اللي لَقِيَ بَيْتُ خَيْرٍ من بَيْتُو، يَدْعِي عَلَى بَيْتُو بِالْخَلَا	216
188	الضيف ما يَنْشَرَطُ ومُولُ الدار ما يَفَرَطُ	216
189	يد الزائر في يد المزار/ لحيه الضيف في يد المضيف	217
190	الله يرحم من زار وخفف	218
191	ضيف عام يَلْزَمُ لَهُ الذَّبِيْحَة، وضيف شهر له مأكلة امْلِيْحَة، وضيف كل يوم أعطه اطْرِيْحَة	218
192	الناس بالناس والناس بربي	218
193	لَمَحَامِيَّة تغلب السبع	219
194	يد وحدها ما تصفق	219

195	عُودٌ وحدو ما أقدا وفارس وحدو ما اغزا	219
196	الرفافة اشريها، والا اكريها والا ارحل وحط اعليها	219
197	اللي ما يعاون خوه في الضيق، ما يلقي في الشدة رفيق	219
198	من عندي ومن عندك تتطبع، أما من عندي برك تتقطع	248-220
199	اللي ناداك ناديه، ولو كان عمرك فيه	220
201	اللي اكلا خرفان الناس يوجد خرفانو	221
202	اللي انعشى مع الضياف أوجد اغداهم	221
203	اللي باعك بالبلوط ، بيعو بفشورو	248-221
204	اللي حبك حبو ولو كان أبوه أوصيف، واللي كرهك أكرهو ولو كان أبوه شريف	222
205	دير يدك على قلبك، كما توجعك توجع صاحبك	222
206	حك لي انحك لك	222
207	ما يعجبك نوار دفلة - في الواد داير ظلايل + ما يعجبك زين طفلة- حتى تشوف الفعايل	246-224
208	زواج ليلة يحتاج لو تدبير عام	244-225
209	ملس من طينك يسجي لك	254-248-226
210	بنت عمك ترقد همك	226
211	بن عمي بحلاسو خير من البراني بلباسو	226
212	امراة غريبة ودمنة قريبة	226
213	عليك بالسانية القريبة والمرأة الغربية	226
214	لا تكب لغزاة على فمها، ولا تسامي البنت لمة	257-246-227
215	خود بنت الناس إذا ما لقيت لها تلقى لخلاص	254-227
216	الراجل عيبو في جيبو	247-227
217	فعاد بيت بوها ولا زواج لفصايخ	227
218	البيوت يخلوها الزغاريت وإلا لمساليث	228
219	العود ولد كراعه، والراجل ولد اندراعه	247-229
220	فلان مولا ذراع	229
221	صنعة في اليد خير من دينار في الجيب/ أو صنعة في البيد خير من عقد في الجيد	229
222	الخدمة مع النصارى، ولا لقعاد اخصارى	229

223	سَبَّبَ يا عبدي وأنا اُنْعِيكَ	252-230
224	الرزق بالعمل لا بالأمل	230
225	السَّبْعَ يَفْخَرُوهُ اِزْنُوْدُوْ	230
227	اِخْذُم بِصُوْرِي وحاسب البَطَال	230
228	الصَّابَةِ عَوَامَ والحرث دَوَامَ	230
229	اخدم على روحك تعجب الناس	254-231
230	اعمل كَمَا يعمل جارك وَلَا حَوْلَ باب دارك	231
231	يفنى مال الجدين، وتبقى حرفة اليدين	231
232	اللي ما يَمْدُ بِيْدُوْ ما يَحْمَارُ خَدُوْ	231
233	كلمة أعطيني ما خَلَّاتْ من يبغييني	232

د- أمثال الفصل الرابع:

234	الشيعة للقمح واللذة للملح	242
235	الخطَّاب رطَّاب	246-245-244-269
236	اللي ما اخْذَا رَايَ كُبِيرُوْ، اَلْهَمَّ تَدْبِيرُوْ	244
237	اللي ما شاورك، ما تَدْبِر عليه	244
238	ما زُيْحْنَا وَ اَحْنَا نُصَلُّوا اِنْ تَرْزُحُوا وَاَحْنَا نَغْنُوْ	244
239	الزواج سترة	269-245
240	اللي خَلَّفَ لِبَنَاتٍ ما مات	247-245
241	اللي ما عندوش ابناات ما عرفوه وَيْن مات	245
242	أنا نجري له باللقمة لفمه، وهو يجري لي بالعود لوجهي.	245
243	اللي يَحَبُّ الزين يصبر لَعَذَابوْ	246
244	اللي ما تُصبر على اَفْضَاهم، ما تُعِيش امْعاهم	246
245	بكر لحاجتك اقصيها ، و اتصنت للقال - بنتك قبل الصوم اعطيها، قبل لا يكثر القيل والقال	246
246	و خُوْذ لِبَنَاتٍ على لُمَات، وخوذ القلم أو الخدم على السادات	246
247	ما يَعْجَبُك نوار دفلة، في الواد عامل اظلايل - ما يعجبك زَيْنُ طُفْلَةٍ، حتى اتشوف لَفْعايل	258-246
248	اللي باعك بِلْبُلُوْط، بِيْعُوْ بِقُشُوْرُوْ	249
250	من عندي ومن عندك تتطبع، أما من عندي برك تتقطع	249

251	يا معزة مَكِيشُ قادرة تولدي، أعلاه تَطْرِدِي	261-252
252	البنات اعمارة الدار	269
253	اللي اعطى بنتو ينسى ارقادها	269
254	الله يستر الرجال اللي سترو اغْيُوبُ النساء .	269
255	الضرة مرّة	269
256	اخدم آ الشاقي للباقي	270
257	يُموت النفاق ويبقى الرزّاق	270
258	طاق على من طاق	270
259	ماك تَلْ فيك الكسرة، ماك صحراء فيك الوسرة	270
260	هَيِّبْ لا تُعَيِّبْ	270
261	احسبها كرمة وفيها الكرموس -وَجَدَها كرمة وفيها الناموس	271
262	اللي يَبْكِينِي يَبْكِينِي حَيّ، واللي يُشَبَّعْنِي يشبعني شي	272
263	لَمَحَبَّةٍ بِحَاكُ الضروس، ما شي بِحَبِّ الرؤوس	273
264	كي كان حي شاهي تمرة، و كي مات عُلْفُو لُو عرجون	274
265	دسِّي زَيْنَاكَ لا يَنْشَافْ، دسِّي شَيْنَاكَ لا يَنْعَافْ	274

ثبت المصادر والمراجع

أولا المصادر:

رقم	المصدر / المرجع
1	-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2	-الذاكرة الشعبية بمنطقة بوسعادة.
3	-الأخطل، غياث بن غوث بن صلت بن طارقة بن عمرو أبو مالك، ديوان الأخطل، دار البدر للطباعة والنشر الجزائر، د/ت.
4	-الأعشى، ميمون بن قيس. ديوان الأعشى ، ط1، إعداد محمد عبد الرحيم، لبنان: دار الراتب الجامعية، 2008م.
5	-الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان الأمير عبد القادر، جمع وتحقيق، شرح وتقديم، العربي دحو، ط3، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م.
6	-الإنجيل، العهد الجديد، النشرة الرابعة، ط2، جمعية الكتاب المقدس، لبنان، 2001م.
7	-الباهلي محمد بن حازم، ديوان الباهلي، نسخة اليكترونية، شبكة الكردي، مكتبة الكردي الاللكترونية.
8	-ابن برد بشار، ديوان بشار، قرأه وقدمه إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط1، سنة 2000.
09	-بيدبا الفيلسوف الهندي، كلية ودمنة، تعريب ابن المقفع، دار البرهان، القاهرة، 2005م.
10	-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، د/ط، تحقيق وتخرير وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار عمران بيروت، لبنان، 1958م.
11	-أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام، ط1، تحقيق: محيي الدين صبحي، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
12	-أ- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البخلاء ، تقديم وشرح وضبط وفهرسة يوسف الصميلي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م.
.....	-ب- البيان والتبيين ، ط7، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1998م.
.....	-ج- كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر 1385هـ -1965م .
13	-جرير، جرير بن عطية. ديوان جرير ، ط1، إعداد محمد عبد الرحيم، لبنان: دار الراتب الجامعية، 2008 م، ص48.
14	-ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص ، تحقيق الشربيني شريدة، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة، 2007م.
15	-ابن حزم، طوق الحمامة ، ط2 تحقيق الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1977.
16	-الحطيط، ديوان الحطيط ، برواية وشح بن السكيت، دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
17	-حوحو أحمد رضا، صاحبة الوحي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

- 18 - خلدوسي رابع ، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، دار الحضارة ،1997م.
- 19 - ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن خلدون. تاريخ ابن خلدون من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، لبنان، 1971م.
- ب- المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د/ط، 1982م.
- 20 -أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، د/ت، ج4.
- 21 - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر ، سنة 1977م.
- 22 -ابن زهير كعب، ديوان كعب بن زهير، تحقيق د/ درويش الجودي، ط1، لبنان: صيدا، بيروت، 2008.
- 23 -سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود، وعبد السلام القفاش، جمعية الرعاية المتكاملة، مصر، سنة 2000.
- 24 -الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي، إعداد وتحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، د/ط مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م.
- 25 -ابن أبي شنب محمد، أمثال الجزائر والمغرب، تقديم عبد الحميد بورايو، دار فليتس للنشر، المدينة، الجزائر، 2013م.
- 26 -العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الفروق اللغوية، حققه وعلّق عليه، محمد إبراهيم سليم، د/ط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د/ت.
- ب- ، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،و عبد المجيد قطامش، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2003م.
- ج- الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، د/ط، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986م.
- 27 -العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتاب للطباعة والنشر، د/ت،.
- 28 -الغزالي أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، د/ط، لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، 1996م.
- 29 -الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1415هـ 1994م.
- 30 -بن أبي طالب علي -أ- ديوان علي بن أبي طالب، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2005م.
- -ب- ، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، راجعه: علي أحمد حمّود، المكتبة العصرية ،بيروت صيدا، د/ط، 2002م.
- 31 -ابن طفيل ، حي بن يقظان، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، د/ط، القاهرة، 2012م.

- 32 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحبي**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، سوريا، 1977م.
- 33 - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1965م.
- 34 - محفوظ نجيب، **زقاق المدق (رواية)**، دار مصر للطباعة، القاهرة، د/ت.
- 35 - امرؤ القيس، **ديوان امرئ القيس**، د/ط، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2002م.
- 36 - مسلم، أب الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، ط1، شرح النووي، ضبطه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، لبنان، د/ت.
- 37 - المعري أبو العلا، أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، **اللزوميات**، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، د/ت.
- 38 - الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، **مجمع الأمثال**، ط2 منقحة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د/ت.
- 39 - النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **سنن النسائي**، شرح جلال الدين السيوطي، د/ط، دار الفكر، بيروت، د/ت.
- 40 - بن هدوقة عبد الحميد -أ- **أمثال جزائرية**، طبع المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، الرغبة، الجزائر، 1993م
.....ب- **الجازية والدراويش (رواية)**، د/ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
.....ج- **ريح الجنوب (رواية)**، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط4، سنة 1980م.
.....د- **نهاية الأمل (رواية)**، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، سنة 1978م.
- 41 - وطار الطاهر ، **اللاز (رواية)**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، الجزائر، ط، جديدة سنة 2004م.

ثانيا المراجع:

- 1 - إبراهيم نبيلة ، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، ط3، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م، ص174.
- 2 - ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ط2، قدّمه وعلّق عليه، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نخضة مصر للطبع والنشر، د/ت، القاهرة.
- 3 - إسماعيل محمد بكر ، **الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية**: ط1، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- 4 - الأشموني، علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين، **الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- 5 - الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د/ط، بيروت، 1414هـ 1994م.
- 6 - أمين أحمد، **النقد الأدبي**، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، لبنان، 1967م.
- 7 - بدير حلمي ، **أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث**، ط2، مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية،

- سنة 1997م.
- 8 - البرقوق، عبد الرحمن البرقوقي، دولة النساء، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2007.
 - 9 - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي "معالم التنزيل" حققه وخرّج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1411هـ.
 - 10 - بقشي عبد القادر، التناس في الخطاب النقدي البلاغي، دراسات نظرية تطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007م.
 - 11 - بليغ عيد، أسلوبية السؤال: رؤية في التنظير البلاغي، ط1، دار الوفاء، القاهرة، 1999م.
 - 12 - بنيس محمد، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ج3، الشعر المعاصر، دار تونقال، المغرب، 1990م.
 - 13 - بوتارن قادة، الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة عبد الرحمن حاج صالح، دار الحضارة، د/ط، د/ت.
 - 14 - بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009م130.
 - 15 - بورايو عبد الحميد، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
 - 16 - التبريزي الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.
 - 17 - التحجي، أبو يحيى محمد بن صمداح، مختصر الطبري، ط1، القاهرة، مكتبة الصفاء، دار البيان الحديث، 2006.
 - 18 - توات الطاهر محمد، أدب الرسائل في المغرب العربي، (في القرنين السابع والثامن)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
 - 19 - الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (المتوفى 429هـ)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1401هـ، 1981م.
 - 20 - جابر عبد الحميد جابر، وآخرون، مقدمة في علم النفس، دار النهضة العربية، مصر سنة 1985م، د/ط.
 - 21 - جبق عمر عثمان، ألف مثل ومثل إنجليزي مترجم إلى اللغة العربية، ط1، حلب، سوريا، 2008م.
 - 22 - الجري محمد رمضان، الأدب المقارن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، د/ط، الجزائر، 2002م.
 - 23 - ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، د/ط، بيروت، لبنان، د/ت.
 - 24 - جعكور مسعود، حكم وأمثال شعبية جزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2008م.
 - 25 - جلوجي عز الدين، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف، منشورات دار الثقافة لولاية سطيف 2007.
 - 26 - حسين طه، الأدب والنقد1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، سنة 1973م.
 - 27 - حليتهم لخضر، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، ط1، المؤسسة الصحفية للنشر والطباعة والاتصال، المسيلة، الجزائر، 2010م.
 - 28 - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1980م.

- 29 - الحوت، محمد درويش، أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م.
- 30 - الخالدي صلاح عبد الفتاح ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988م.
- 31 - الخوي، أبو يعقوب يعقوب يوسف بن طاهر الخوي، فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق عبد الرزاق حسين، د/ط، دار النفائس، الأردن، 2000م.
- 32 - خير البقاعي محمد، دراسات في النص والتناصية، ترجمة خير البقاعي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1998م.
- 33 - الداية فائز، جماليات الأسلوب - الصورة الفنية في الأدب العربي - ط2، دار الفكر، دمشق، 1996م.
- 34 - ديوي جون، المبادئ الأخلاقية للتربية، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966م.
- 35 - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1974م.
- 36 - الرفاعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ط2، لبنان: دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م.
- 37 - رياحي عبد الرحمن، قال المجذوب، ط1، على حساب المؤلف، الجزائر، وكيل التوزيع مكتبة الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، 2000م.
- 38 - رشوان حسين عبد الحميد أحمد، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، د/ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993م.
- 39 - ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد قرقران، ط2، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1994م.
- 40 - الزحيلي وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1 سنة 1991م.
- 41 - الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، 1980م.
- 42 - الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ط3، لبنان: دار الجيل بيروت، سنة 1979م.
- 43 - زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الحوري، ط3، دار الجيل بيروت، 1993م.
- 44 - السد نور الدين ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، 1997م.
- 45 - سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1983.
- 46 - السعدي عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط3، موسوعة الرسالة، دار المؤيد، سنة 2005.
- 47 - أ- سعيدي محمد، التشاكل الإيقاعي في نص المثل الشعبي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.
- ب.....ب_ الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق. د.ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1998.

- 48 - سليمان سعيد شوقي محمد، **توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ**، ط1، القاهرة، إترك للنشر والتوزيع، سنة 2000م.
- 49 - السيوطي جلال الدين، -أ- **المزهر في علوم الأدب وأنواعه**، د/ط، دار إحياء الكتب، بيروت، د/ت.
..... -ب- **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، سنة 1988م.
- 50 - شريط عبد الله، **الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون**، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م.
- 51 - الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، الناشر مطابع أخبار اليوم، المجلد 16.
- 52 - شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي**، ط8، دار المعارف، مصر، د/ت.
- 53 - بن الشيخ التلي، **منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص180.
- 54 - صالح أحمد رشدي، **فنون الأدب الشعبي**، ط1، دار الفكر، 1956م.
- 55 - الصباغ مرسى، **دراسات في الثقافة الشعبية**، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م.
- 56 - الصبيحي محمد الأخضر، **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008م.
- 57 - ضاوي سعد، **مدخل إلى علم اجتماع الأدب**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1994م.
- 58 - ابن طباطبا أحمد العلوي، **عيار الشعر**، تحقيق عباس عبد الستار، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.
- 59 - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، شرحه وضبطه وعنونه ورتبه، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1982م.
- 60 - عبد المطلب محمد، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.
- 61 - عثمان عبد الفتاح، **دراسات في المعاني والبديع**، مكتبة الناشر، حلوان، 1982م.
- 62 - عدلاوي علي بن عبد العزيز، **الأمثال الشعبية ضوابط وأصول، منطقة الجلفة نموذجاً**، ط1، دار الأوراسية، الجلفة، ط1، 2010م.
- 63 - عز الدين السيد، **التكرير بين المثير والتأثير**، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1986م.
- 64 - العقاد، عباس محمود، -أ- **أثر العرب في الحضارة الأوروبية**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978م.
..... -ب- **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي**، د/ط، طبعة نهضة مصر، القاهرة، 1981م.
- 65 - عمارة مصطفى محمد جواهر البخاري وشرح القسطلاني، **المكتبة التجارية الكبرى**، د/ت، ص58.
- 66 - العمري محمد، **الموازانات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية**، المغرب: أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2001م.
- 67 - العوي رابح، **أنواع النثر الشعبي**، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د/ت.
- 68 - قطامش عبد المجيد، **الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية**، ط1، سوريا: دار الفكر، دمشق، 1988م.

- 69 -قطب سيد ، في ظلال القرآن، ط16، دار الشروق، بيروت، 1410هـ-1990م ط17.
- 70 -قطب محمد، دراسات في النفس الإنسانية، د/ط ، دار الشروق، بيروت، 1974م.
- 71 -الكاتب، أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1969م.
- 72 كريستيفا جوليا، علم النص ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1977م.
- 73 -مادن سهام، دراسة تركيبية للعامة الجزائرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الأبيار، الجزائر، 2011م.
- 74 -مرتاض عبد المالك ، أ- عناصر التراث الشعبي في -اللاز- دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1984م.
- ب- السبع المعلقة: تحليل انتروبولوجي/ سيميائي لشعرية نصوصها، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 م.
- ج- الأمثال الشعبية الجزائرية، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري، د/ط، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1982م.
- د- الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2007م.
- هـ- أ.ي، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة " أين ليلاي"، لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.
- 75 -لمراغي، أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط3، دار الفكر، دمشق، 1974م.
- 76 -المرزوقي محمد ، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967م.
- 77 -المسدي عبد السلام ، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م.
- 78 - مفتاح محمد ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م.
- 79 -مقتطفات من حداث الشعر، أحمد مطر، نزار قباني، محمود درويش، دار البحار للطباعة والنشر، عمان الأردن، د/ت.
- 80 -الملائكة نازك، قضايا الشعر المعاصر، ط3 منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1967م.
- 81 -مكي، الطاهر أحمد، أ- دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط2، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة، مصر، 1977م.
- ب- الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، ط1، 1987م.
- 82 -بن نبي مالك ، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، دار الفكر، دمشق، 1402هـ-1981م.
- 83 -نحلة محمود أحمد ، البلاغة العربية، علم المعاني، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002م،
- 84 -بن نعمان أحمد، نفسية الشعب الجزائري، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع الجزائر، ط2 سنة 1997م.
- 85 -النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي-أ- رياض الصالحين، د/ط، دار المعارف، مصر، 1987.

- ب- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط1، دار
بن الهيثم، مصر، 2010م.
- 86 - الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى-أ- **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، طبعة جديدة
منقحة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2012م.
- ب- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق وتوثيق
يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- 87 - هلال، محمد غنيمي، **الأدب المقارن**، نخضة مصر للطباعة والنشر، د/ط، القاهرة، 2004م.
- 88 - ومان توفيق، **في الشعر الشعبي المعاصر**، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، د/ت.
- 89 - اليوسي الحسن، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، ط1، حققه محمد حجي و محمد الأخضر، الشركة الجديدة دار
الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1981.

المراجع الأجنبية

- 90 -Boumediene sid-Lakhdar Boumediene, Citations,Maximes, dictons et
Proverbes, Editions Dar El Adib , 2007.
- 91 -Charlotte Schapira , Les stéréotypes en Français ; proverbes et
autres formules, Ophrys, France 1999.
- 92 -Gérard Genette, palimpsestes, La littérature au Second degré ; Ed ;
Seuil , 1982.
- 93 -Jean-Loup Chiflet, 99 Proverbes à Foutre à la poubelle, éditions
points, Paris, 2012.
- 94 -Labbani zohra nizeh et autres, Dictionnaire Des Mille et un Proverbes
de l'oranie (ouest Algérie), Editions Dar el adib, oran, 1911.

المعاجم:

- 95 -سيلامي نوربير، بمشاركة مائة وثلاثة وثلاثين اختصاصيا، المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة وجيه
أسعد، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2001م.
- 96 -الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الوسيط**، د/ط، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية،
1995.
- 97 -عاقل فاخر، معجم علم النفس، انكليزي- فرنسي- عربي - دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1985م.
- 98 - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998.
- 99 -مجددي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، 1974م.
- 100 -المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أليسكو، توزيع لاروس، 1989م.
- 101 - المنجد في اللغة والأعلام، ط25، دار المشرق، بيروت، 1975.

- 102 -ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر بيروت، لبنان، 1410هـ، 1990م.
- 103 -Le grand Robert, de la langue Française, Dictionnaire le Robert, édition 2, Paris, 2001
- 104 -Paul Robert , Micro Robert, dictionnaire du Français Primordial, le Robert, Paris, 1984.

المجلات:

- 105 -أوشاطر مصطفى ، القيم الأخلاقية وآداب السلوك الاجتماعي، من خلال الحكاية الشعبية في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للتربية (مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية) الجزائر، 2005م .
- 106 -بنشريف محمد، التأثير المتبادل بين الأمثال العربية والأمثال الإسبانية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 95، أنترنات: 2013/04/15.
- 107 -بوخالفة فتحي، نظرية القيم في الأدب الإسلامي، المجلة العلمية حوليات الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013. عدد1
- 108 -حضري جمال، جماليات الإقناع في الأسلوب القرآني، المجلة العلمية حوليات الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات بجامعة المسيلة، الجزائر، 2013. عدد1
- 109 -عيقون خالد ، تماثلات الأشكال والمفاهيم في الأدب الجزائري، منشورات المجلس الأعلى للتربية (مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية) الجزائر، 2005م.
- 110 - فراج طارق، وأنور أيمن، مقال: من الأمثال الشعبية بالوحدات، **مجلة الفنون الشعبية** ، العددان، 76-77 الهيئة المصرية العامة للكتاب، السنة 2008/2007 م.
- 111 -مرتاض عبد المالك ، مقال: «دلالة الأمثال والحكم الشعبية على نقاوة عاميتها» ، الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، عدد25 سنة 1975 م .

المنشورات:

- 112 وزارة التربية الوطنية، استعمال الترميز العالمي والمصطلحات العلمية في المناهج التعليمية الجديدة، منشور رقم: 881 / 2003. الجزائر 2003/09/10، الفقرة: 3-1.

أنترنات:

- 113 - ابن طفيل /ar.wikipedia.org/wiki/ من وكبيبيديا الموسوعة الحرة، انترنات يوم 2014/09/20
- 114 -رضا عامر ، تحليلات التأثير والتأثر بين الأدبين العربي والغربي قديما/ حديثا. info@aswat-elchamal.com يوم 2014/09/27.
- 115 -نيكولو مكيافيلي /ar.WiKiPedia.org /wiki/ يوم 2014/11/07
- 116 -لترمزي أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، -www.al-mostafa.com-pdf000680
- 117 -من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <http://ar.wikipedia.org/wiki> يوم 2013/12/18م.

المقابلات:

- 118 -حليتهم الدخيلي -رحمه الله- (عاش ما بين سنة 1911-2005م) وهو أب صاحب هذه الأطروحة.

- 119 -حنفي بن عيسى، محاضرة للطلبة المفتشين بالمركز الوطني لتكوين إطارات التربية، الجزائر، 1991م. حضرها صاحب هذا البحث.
- 120 - سديرة حمية -رحمها الله- عاشت بين (1924-1981م)، أم صاحب هذا البحث .

الفهم ————— رس

الصفحة

المحتوى —————

مقدمة

أ

الفصل الأول: تعريف المثل

1	تمهيد.....
	أولا المثل في التراث العربي.....
2	التراث لغة.....
3	التراث في الاصطلاح الأدبي.....
6	الاهتمام بالمثل
7	تعريف المثل العربي في اللغة و في الاصطلاح الأدبي.....
13	تعريفه عند علماء البيان.....
14	مضرب المثل ومورده
15	الحكمة والمثل والعلاقة بينهما.....
16	الحكمة في اللغة و في الاصطلاح الأدبي
17	الفرق بين الحكمة والمثل.....
18	كتب الأمثال
19	أنوع المثل العربي.....
	ثانيا : المثل في النصوص الدينية.....
20	1_ المثل في القرآن الكريم، أنواعه وبلاغته.....
21	أ_ المثل الموجز السائر في القرآن الكريم.....
22	ب_ بلاغة المثل القرآني.....
24	ج_ المثل القياسي في القرآني.....
25	د_ ما يسمى بالأمثال الكامنة.....
27	2_ أمثال الرسول- الأمثال الموجزة.....
30	_ الأمثال المفصلة.....
31	3_ الأمثال في الأنجيل.....
	ثالثا تعريف المثل الشعبي:
34	1_ تعريف لغة واصطلاحا.....

35	2_ المثل السائر
37	3_ نشأة المثل الشعبي
40	4_ خصائص المثل الشعبي، و مميزاته
48	5_ أهمية المثل ودوره
53	6_ مصنفات الأمثال الشعبية الجزائرية
54	: خلاصة
	الفصل الثاني: التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية
56	 تمهيد
57	أولا التأثير والتأثر.....
57	التأثير والتأثر لغة واصطلاحا.....
59	بداية العلوم وتطور الحضارات.....
63	تأثير الحضارة العربية في الحضارة الغربية.....
69	تأثير الأدب العربي في الأدب الغربي.....
70	النموذج الأول: أ- تأثير طوق الحمامة في كتاب الحب للمحمود...
71	ب- تأثير العربية في كتاب الحب للمحمود.....
72	ج- المشابهات بين طوق الحمامة والحب للمحمود.....
75	النموذج الثاني: تأثير قصة حين بن يقظان.....
79	_ تأثير الأدب العربي في الأدب العربي.....
84	ثانيا التأثير والتأثر في الأمثال الشعبية:
87	أ- هيمنة اللغة العربية على مختلف مجالات الحياة الإسبانية
89	ب- تأثر الأمثال الإسبانية بالأمثال العربية
94	ج- التشابه بين بعض الأمثال العربية والإنجليزية
99	د- التشابه بين بعض الأمثال العربية و الأمثال الفرنسية
107	ثالثا تناص الأمثال الشعبية مع القرآن و الموروث الثقافي العربي الإسلامي
108	النص و التناص لغة واصطلاحا
110	فكرة التناص عند النقاد العرب القدماء
115	التناص في النظرية النقدية الحديثة
117	موقع التناص وأهميته
119	دراسة تناصية تطبيقية
119	تناص الأمثال الشعبية مع القرآن الكريم

126	تتاص الأمثال الشعبية مع الحديث النبوي الشريف
134	تتاص الأمثال الشعبية مع الشعر والأمثال العربية
134	أولا_ تتاص الأمثال مع الشعر العربي
139	ثانيا_ تتاص الأمثال الشعبية مع الأمثال العربية
147	خلاصة:.....
	الفصل الثالث: تأثير الأمثال الشعبية في مجالات الحياة
150	تمهيد:.....
151	أولا: تأثير الأمثال في المجال الأدبي: 1- تعريف الأدب
156	2-تأثر الشعر بالأمثال.....
161	3-تأثير الأمثال في الخطابة.....
163	4-تأثير الأمثال في الترسل.....
165	5- تأثير الأمثال في الروايات.....
176	ثانيا تأثير الأمثال الشعبية في المجال النفسي.....
176	أ-أثر الثقافة في سمات الشخصية
179	ب-مظاهر المكنونات النفسية
182	ج-الآليات الدفاعية النفسية
182	1-الكبت
183	2-التبرير
185	3-الإسقاط
186	4-التعويض النفسي
187	5-النقص
188	6-إلقاء اللوم على الآخرين
189	7-الذكاء
189	8-الاستدلال
191	9-الترابط
192	10-الحسد
194	11-الغيرة
196	12-الانطواء
197	د-الاتجاهات والقيم....
197	1-الاتجاه الديني.....

198	2-الوفاء والصدق....
	ثالثا: تأثير الأمثال في المجال الاجتماعي
202	أ-الإنسان مخلوق اجتماعي
203	ب-الأخلاق في التراث.....
207	ج-توجيهات الأمثال.....
207	1-استعمال اللسان
210	2-الغيبة
212	3-النميمة.....
213	4-الضيافة.....
215	5-صفات المضيف.....
217	6-سلوك الضيف.....
218	7-التعاون.....
221	8-المعاملة بالمثل.....
223	9-المصاهرة.....
224	10-صفات المرأة المطلوبة للزواج.....
227	11-صفات الرجل المقدم على الزواج.....
228	12-العمل وأداء الواجب.....
233	خلاصة.....
	الفصل الرابع: دراسة أسلوبية دلالية على المثل الشعبي
235	تمهيد:.....
236	أولا: الأسلوب والأسلوبية
240	أ-الأسلوب.....
242	ب-الأسلوبية.....
242	ج-ألفاظ الأمثال الشعبية.....
243	-المستوى البنيوي والدلالي.....
244	-تركيب المثل الشعبي.....
246	-أنواع الجمل في المثل الشعبي.....
248	-بنية المثل في التركيب الثنائي.....
251	ثانيا: المثل والأسلوب الإنشائي:.....
252	1_أسلوب النداء:.....
254	2_أسلوب الأمر.....

257	3_ أسلوب النهي.....
259	4_ أسلوب الاستهام.....
262	ثالثا: دراسة تطبيقية على بنية المثل الشعبي
262	أ_ التقنية البنائية: التكرار لغة واصطلاحا....
264	ب_ التكرار في الأمثال الشعبية.....
265	ج_ مصطلحات الدراسة الصوتية.....
267	د_ أهمية الإيقاع الصوتي
269	هـ_ التشاكل الإيقاعي والدلالي.....
271	و- تحليل بنيوي دلالي لنماذج من الأمثلة الشعبية
282	خلاصة
283	خاتمة:
287	ملخص الأطروحة:
289	Résumé de la thèse
291	 SUMMARY OF THE THESIS
293	ملحق الأمثال الشعبية المستعملة في هذه الأطروحة:.....
301	ثبت المصادر والمراجع:.....
311	الفهرس:

